الحركة الفقهية ورجالها في السودان الغربي

من القرن 8 إلى القرن 13 الهجري

تأليف

د. عبد الرحمن محمد ميغا
الأستاذ بالجامعة الإسلامية بالنيجر

1432هـ/2011م
منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - المملكة المغربية



الكتاب : الحركة الفقهية
ورجالها في السودان الغربي
من القرن الثامن إلى القرن الثالث عشر الهجري

المؤلف : عبد الرحمان محمد ميغا

الإيداع القانوني : 2011MO2136

منشورات: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

الطباعة : مطبعة البيضاوي

الإنجار الفني : ناداكوم ديزاين. الهاتف: 50-25-68-37-05

الحركة الفقهية ورجالها في السودان الغربي

من القرن 8 إلى القرن 13 الهجري

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات القائل في محكم تنزيله﴿يرفع الذين آمنوا منكم و الذين أوتوا العلم درجات﴾

والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على خاتم الأنبياء والمرسلين، الذي أشاد بفضل العلماء حيث قال: « من سلك طريقا يبتغي فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب وإن العلماء ورثة الأنبياء....»

وعلى آله وصحابته الكرام الذين اهتدوا بهديه إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن الغاية الأساسية لأي باحث، ينبغي أن يكون حب المعرفة والوصول إلى الحقيقة؛ لذلك فإن البحث في مجال النشاط العلمي والحضاري لأي أمة من الأمم – وخاصة الجوانب المتعلقة بالحضارة الإسلامية– يتطلب من الباحث جهدا كبيرا وبحثا مضنيا، وتنقيبا دقيقا في بطون أمهات الكتب للحصول على المعلومات الأساسية والمناسبة لبحثه.

والتاريخ الإسلامي زاخر بالكثير من وجوه الإبداع الحضاري التي تستحق البحث والدراسة التي تضيء الكثير من الجوانب المظلمة في تاريخ الحضارة الإسلامية التي أسهمت في تقدم البشرية نحو الأفضل.

وكان لمنطقة السودان الغربي - في القارة السمراء - سهم وافر وجهد كبير في بناء الحضارة الإسلامية، حيث شهدت ما بين القرنين الثامن والثالث عشر الهجريين حركة حضارية مزدهرة متمثلة في الجانب العلمي والفقهي الذي أمد المجتمع السوداني بكل ما يحتاج إليه من تشريع وتنظيم للحياة، وأضاف لبنة كبيرة في صرح الحضارة الإسلامية، وشيد مدنا علمية كانت بمثابة شموس مضيئة يسطع نورها على كافة أرجاء غرب إفريقيا، وكون علماء ذاع صيتهم في سماء العلم، تركوا بصمات واضحة في صفحات سجل التاريخ.

وبالرغم من ازدهار الحركة العلمية والفكرية في السودان الغربي ما بين القرن الثامن والثالث عشر الهجريين، فإنها لم تحظ بدراسة علمية رصينة تزيل الغموض عنها وتكشف عنها النقاب.

وهذا الأمر راجع فيما يظهر إلى المتاعب والصعوبات التي تواجه الباحثين بسبب التناقض الواضح في معلومات المصادر التي سيطر على أغلبها أهواء شخصية وظروف سياسية ودينية، تجعل الباحث في حيرة تامة، وفي موقف لا يحسد عليه، حيث من الصعوبة بمكان القدرة على الكتابة بصورة موضوعية، تظهر الدراسة في صورة صادقة وجلية، ناهيك أن أغلب المصادر التي ينبغي الاعتماد عليها عبارة عن مخطوطات مبتورة، بعضها في صورة تكاد تبلغ حد التلف والضياع.

على أنه بالرغم مما قلت إن الجانب العلمي بصفة عامة والجانب الفقهي بصفة خاصة لم يجد من الاهتمام والعناية ما يليق به من أبناء المنطقة، فإن هناك جهودا مشكورة في هذا المجال، برزت في شكل مقالات وتارة في صورة بحوث ورسائل جامعية.

ونذكر من هذه الجهود أو الدراسات التي كتبت بالعربية، ما قام به الدكتور إبراهيم طرخان وعبد القادر زبادية، وعبد الجليل التميمي وأمين عوض ومهدي رزق احمد والدكتور أبوبكر إسماعيل ميقا ومحمد الفا جالو ومنصور فاي ومحمد الغربي وسامي سعيد وغيرهم من الباحثين الذين قدموا خدمة جليلة في التعريف بالمنطقة والحضارة الإسلامية فيها، لكن هذه البحوث كلها - حسب ما يبدو لي - لم توف جانب الفقه حقه.

على أن أغلب ما كتب بالعربية عن المنطقة اعتمد أساسا على المصادر الأجنبية، ولم يستق مادته من النصوص العربية التي تعتبر المصادر الأصيلة لهذه البحوث.

علما أن قلة مصادر تاريخ المنطقة وصعوبة فهم ما كتب على الأجانب مدعاة لاضطرابهم في كثير مما كتبوه، حتى إن أحدهم يقول: « إن المرء ليعتمد على الظن أكثر من اعتماده على اليقين... » عند الحديث عن تاريخ المنطقة.

ونظرا لكل ما سبق ذكره، رأيت أن يكون موضوع بحثي: « الحركة الفقهية ورجالها في السودان الغربي، من القرن الثامن إلى القرن الثالث عشر الهجري»

وهو بحث يعتمد على المصادر الأصيلة المحلية التي تعطي صورة واضحة صادقة عن الحركة الفقهية ورجالها في جزء صغير من منطقة السودان الغربي وهو المثلث المشهور (تنبكت وجني وغاو) الواقع بشمال جمهورية مالي حاليا، ويلقي الضوء على بعض الزوايا المظلمة في تاريخ الحضارة الإسلامية في السودان الغربي.

ولا شك أن أهمية هذا التراث العلمي والفكري، وضرورة المحافظة عليه، والحاجة الملحة أو الماسة إلى إحيائه، والتعرف به وإبرازه، يعد الحافز العام إلى طرق هذا الميدان في الدراسات الحضارية الإسلامية؛ ولهذا كان من أهم الدوافع التي حفزتني إلى اختيار هذا الموضوع ما يلي:

1– الرغبة في دراسة وإزالة الغموض عن بعض الجوانب الهامة الإسلامية في منطقة السودان الغربي، والذي لم يجد الاهتمام الكافي من جمهور الباحثين والدارسين؛ بسبب اللبس والغموض، وعدم توفر المعلومات الأكيدة لأحداث بعض الفترات في تاريخ المنطقة وخاصة العصر الذي اخترته.

2– الإسهام في إحياء التراث العربي الإسلامي في المنطقة، والحث على العناية بما تركه الأسلاف من مؤلفات و إنتاجات بصفة عامة.

3– حث أبناء المنطقة على بعث التراث العربي الإسلامي بالمنطقة في حلة جديدة، والمحافظة عليه حتى لا يكون نسيا منسيا.

4– إبراز بعض الجوانب الحضارية التي أسهم فيها بعض علماء السودان والتعريف ببعض أعلامه الذين شاركوا بشكل فعال في ترسيخ الحضارة الإسلامية في المنطقة.

5– الحث على إعادة كتابة تاريخ المنطقة بشكل علمي موضوعي، بعيدا عن التعصب والمبالغة والتزييف.

6- إضافة لبنة جديدة على صرح ما بناه الأسلاف من الحضارة الإسلامية في المنطقة.
هذه هي بعض الأسباب التي دفعتني إلى اختيار هذا الموضوع.

أما هيكل البحث فقد قسمته إلى مدخل تاريخي وبابين وخاتمة.

ففي المدخل تحدثت عن الأوضاع العامة في السودان الغربي ما بين القرنين: الثامن والثالث عشر الهجريين، سياسيا واقتصاديا وثقافيا، وختمت المدخل ببيان المذهب الفقهي السائد في المنطقة.

أما الباب الأول فقد قسمته إلى ثلاثة فصول:

ففي الفصل الأول تناولت المراحل التي مر بها الفقه الإسلامي في المنطقة وطابعه، وتحدثت عن ازدهار الحركة الفقهية، والعناصر التي أسهمت في تنشيطها ونهضتها.

وفي الفصل الثاني تكلمت عن الميادين التي ازدهرت فيها الحركة الفقهية من فتوى ونوازل ومؤلفات، ثم أعطيت نبذة يسيرة عن اتجاهات الحركة الفقهية والمناظرات الفقهية التي حدثت بين علماء المنطقة.

وختمت الفصل بالحديث عن أهم المراكز العلمية في السودان الغربي - كتنبكت وما حولها، وغاو وما جاورها، وجني وضواحيها - التي لعبت دورا مهما في إيواء الحركة الفقهية وعناصرها، والتي كانت شمسا يسطع نورها في كافة غرب إفريقيا، ودرة تستقطب العلماء من كافة أرجاء العالم الإسلامي، من المغرب والأندلس والمشرق...

وفي الفصل الثالث تحدثت عن أهم الكتب المعتمدة في الحلقات العلمية، والأماكن التي تلقى فيها الدروس من مساجد ومكتبات ومنازل وقصور ومحاضر متنقلة وزوايا.... وذكرت أهم المناهج المعتمدة في التدريس وأساليب التقويم.

أما المبحث الذي ختمت به هذا الباب فخصصته لبيان أهم الآثار التي خلفتها الحركة الفقهية، والتي لا زال كلها عبارة عن مخطوطات تنتظر من يقوم بتحقيقها وحفظها من الضياع والتلف، كما حاولت أن أقوم بتقييم هذه الآثار الفقهية على مستوى الإبداع والإنتاج، ثم استدلت الستار على هذا الباب بإعطاء نبذة مختصرة تكر على أهم فصول هذا الباب باللم والجمع.

أما الباب الثاني فقد تناولت فيه أهم رجال الحركة الفقهية الذين لهم الفضل في إذكاء نار الحركة الفقهية في السودان الغربي. وقسمت هذا الباب إلى فصلين.

ففي الفصل الأول تكلمت عن مكانة العلماء في المجتمع السوداني التي كانت تضاهي أحيانا مكانة الملوك والأمراء، وذكرت أهم الألقاب التي تطلق على العلماء في السودان الغربي، كما بينت دور العلماء في الأعمال الرسمية وشبه الرسمية.

وبعبارة أخرى تحدثت عن أهم الوظائف التي أسندت إلى العلماء في المنطقة وقاموا بها خير قيام، ثم ختمت الفصل بالكلام عن إسهام العلماء في الأعمال التطوعية التي تتمثل أحيانا في سعيهم إلى قضاء حوائج مجتمعهم، وإسهامهم في الأعمال الخيرية وأوجه البر والإحسان، ومشاركتهم في الحروب والجهاد في سبيل الله كلما يتطلب الأمر ذلك، ودورهم التوجيهي المتمثل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كلما اقتضى الأمر ذلك.

وفي الفصل الثاني أعطيت نبذة مختصرة عن أهم العلماء الذين أسهموا في ازدهار الحركة الفقهية في المثلث الذهبي المشهور.

ونظرا للأعداد الهائلة من العلماء الذين عاشوا فيما بين القرنين الثامن والثالث عشر الهجريين، وكان لهم دور بارز في إذكاء الحركة الفقهية، فقد حاولت أن اختار أبرزهم وأكثرهم تأثيرا في الحركة العلمية بصفة عامة والحركة الفقهية بصفة خاصة؛ لما قدموا من جهود موفقة في مختلف مجالات الفقه الإسلامي.

ونظرا أيضا لقلة معلومات هذا الفصل وغموضها أحيانا، جزأته إلى ثلاثة مباحث:

ففي المبحث الأول تناولت صنف العلماء المشهورين، والذين كان لهم فضل كبير في ترسيخ وتطوير الحركة الفقهية في المنطقة.

أما المبحث الثاني تحدثت فيه عن صنف العلماء المعروفين نسبيا لكن تاريخهم مجهول، حيث لم تسعفنا كتب التراجم في السودان الغربي بمعلومات كافية، كما زودتنا بها - نسبيا - في الصنف الأول.

أما المبحث الثالث الذي ختمت به هذا الفصل، ذكرت فيه الصنف المجهول من العلماء. وهذا الصنف الأخير لم تزودنا كتب التراجم إلا بنتف يسيرة عن حياتهم، والتي تمثل أحيانا بذكر اسم أحدهم بين الفقهاء، وبيان تاريخ وفاته، وتارة بذكر اسمه فقط دون تفصيل، وتارة أخرى بذكر ما اسند إليه من وظائف...

أما الخاتمة فقد خصصتها لبيان بعض ما توصلت إليه من نتائج خلال هذا البحث المتواضع، وقد ركزت في ذلك على أهم النتائج الأساسية تاركا الجزئية لاستنباط القارئ واستنتاجه.

على أن مما لا شك فيه أن مثل هذا البحث الذي يعتمد أغلب الأحيان على المخطوطات وكتب التراجم، يحتاج إلى تأمل ونظر دقيق في المخطوطات، ودراسة عميقة لنصوص التراجم، ويستند تحقيق نتائجها إلى عناصر الوصف والتحليل والاستنتاج،

و قد قمت بذلك قدر المستطاع، حيث حاولت وصف الأحداث والوقائع كما بدت لي، وتحليل عناصرها واستنباط ما يمكن استنباطه.

أما تراجم الأعلام فقد رتبتها حسب الترتيب الألفبائي مع مراعاة تاريخ الوفيات في كل الأسماء كلما تمكنت من ذلك.

على أن أهم المشاكل التي اعترضت سبيلي في هذا البحث يمكن تلخيصها فيما يلي:

1-إن وجود التناقض في بعض القضايا والأحداث والغموض الشديد في بعضها الآخر، يجعل التواصل والاتساق بين المعلومات أمرا في غاية الصعوبة والتعقيد.

2- إن غياب التحري والدقة أحيانا عند بعض الكتاب، يجعل الباحث في حيرة واضطراب، كما أن عدم التنصيص على تاريخ بعض المؤلفات، وخلو بعض كتب التراجم عن تاريخ الميلاد والوفيات لبعض العلماء، وبتر بعض المؤلفات مما يوقع الباحث في شك وارتياب لما يصل إليه من نتائج.

3- ندرة المادة العلمية المتصلة بالموضوع في بعض فترات البحث.

4-إن ضياع عناوين بعض المؤلفات يصعب على الباحث أن يعزو أغلب ما أنتجه علماء السودان إلى مرحلة معينة، وأن ينسبه إلى أصحابه بطريقة صحيحة سليمة.

5- إن غياب فهرسة دقيقة للمخطوطات في المنطقة يحول بين الباحث وبين ما يحتاج إليه من معلومات في الوقت المناسب.

و يضاف إلى ما سبق ذكره أن رفض بعض الأسر العلمية التي تحتفظ بالمخطوطات في بيوتها أن يطلع عليها أحد مما يعرقل للباحث سير ما يريد أن يقوم به من دراسة وبحث.

هذه هي بعض العقبات التي واجهتني أثناء القيام بهذا البحث المتواضع الذي أرجو أن يكون حافزا لاستنهاض همم الإخوة الباحثين من المنطقة؛ لدراسة ما أنتجه الأسلاف دراسة علمية موضوعية، تكشف الغموض عنه، وتنفض عنه الغبار الذي ضبب حقائقه.

وأخيرا وليس آخرا لقد بذلت ما في وسعي للقيام بهذا البحث من خلال ما توفر لدي من مصادر، ولم ادخر وسعا في البحث والتنقيب والتمحيص للوصول إلى نتائج أفضل.

ولا ادعي بأنني استوفيت وأحطت بكل ما هو مطلوب مني في هذا البحث، وأنني أحسنت وأجدت، بل اعترف بتقصيري، وبأنه قد فاتني الكثير، وعذري في ذلك أن هذا مبلغ علمي وأن جهدي جهد المقل فالكمال لله وحده.

ولله در من قال: « إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتابا في يومه، إلا قال في غده لو غير هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، ودليل على استيلاء النقص على جملة البشر »

و ما أنا إلا طالب علم أو متطفل على موائد العلماء والباحثين، وحسبي أنني أثرت هذا الموضوع لاستنهاض همم الباحثين الغيورين، وتناولته بشكل لم أسبق إليه، وأترك للقارئ الكريم أن يكتشف ذلك بنفسه.

وفي الختام أكرر شكري الجزيل لفضيلة الأستاذ الدكتور محمد الروكي، الذي يرجع إليه الفضل في إخراج هذا البحث إلى حيز الوجود، وجزاه الله عنا خير الجزاء، وأطال بقاءه في خدمة الإسلام والمسلمين، وأنعمه بالصحة والعافية آمين.

كما أجدد شكري لكل من مد لي يد العون والمساعدة في سبيل إنجاز هذا البحث المتواضع.

وأرجو أن يكون هذا البحث قد قدم صورة تقريبية ومناسبة لبعض جوانب الحركة الفقهية في المنطقة.

و أسال سبحانه وتعالى أن يجعل هذا العمل في ميزان حسناتنا، وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم، وهو حسبنا وعليه توكلنا ونعم الوكيل.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

مدخل تاريخي

تمهيد :

اعتاد كثير من الباحثين في مثل هذا الموضوع أن يتحدثوا عن الأوضاع العامة في المنطقة التي يدرسونها، وهذا الأمر وإن كان رتيبا فإنه لا يخلو من فائدة كبيرة، لأن معرفة الظروف العامة السائدة في المنطقة المزمع دراستها يساعد على فهم كثير من المسائل التي يصعب فهمها على القارئ العادي، ولهذا رأينا أن نقدم نبذة عن الأوضاع العامة في السودان الغربي ما بين القرنين الثامن والثالث عشر الهجريين أو الثالث عشر والتاسع عشر الميلاديين.

تحديد منطقة السودان الغربي :

قبل الحديث عن الأوضاع العامة في السودان الغربي ،لا بد من توضيح أو تحديد منطقة السودان الغربي جغرافيا.

إن السودان الغربي هي المنطقة الواقعة ما وراء الصحراء الكبرى أو ما يسمى الآن غرب أفريقيا، ويطلق عليها المؤرخون العرب أحيانا بلاد السودان، وتارة يطلقون عليها بلاد التكرور. وهي منطقة مشهورة جدا عند الجغرافيين والمؤرخين العرب و المسلمين[1].

على أن بلاد السودان أشمل بكثير من بلاد التكرور، لأن هذه الأخيرة ما هي إلا جزيء صغير من بلاد السودان ، وهي المنطقة المعروفة بفوتا طورو الموجودة في السنغال حاليا.

---

1 - يراجع على سبيل المثال : المسالك والممالك لابن خرداذبه ص :89 وما بعدها/ فتوح مصر والمغرب لابن عبد الحكم ص :   / فتوح البلدان للبلاذري ص :233/ البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن عذارى المراكشي ج1 ص :6 / مختصر كتاب البلدان لابن الفقيه ص : 87 وما بعدها / كتاب مسالك الممالك للكرخي ص :40 / صور الأرض لابن حوقل ص :91 وما بعدها / أخبار الزمان ومن أباده الحدثان وعجائب البلدان والغائر بالماء والعمران للمسعودي ص : 65/ رياض النفوس للمالكي ج1 ص :182 وما بعدها/ تاريخ اليعقوبي مج1 ص :193/ نزهة المشتاق في اختراق الآفاق للإ دريسي ج1 ص : 17 وما بعدها / تحفة الألباب ونخبة الاعجاب للغرناطي ص : 28 وما بعدها / المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب للبكري ص : 163 / رحلة ابن بطوطة ص : 658 وما بعدها / الكامل في التاريخ لابن الأثير ج 4 ص :220 / بر الوالدين للطرطوشي ص : 150 / الاستبصار في عجائب الأمصار لمجهول ص :213 / الأنيس المطرب بروض القرطاس ج2 ص : 17

ولعل المؤرخين والجغرافيين المسلمين هم أول من أطلق كلمة السودان على الشعوب السوداء التي تسكن جنوب الصحراء الكبرى ليبينوا الحد الفاصل بين المناطق التي يسكنها السود و المناطق التي يسكنها البيض .

وهكذا يظهر أن الكلمة-أي السودان-مستوحاة من لون بشرة الأقوام التي تسكن المنطقة[2] .

ومنطقة السودان الغربي أو غرب أفريقيا منطقة واسعة جدا لأنها تشمل عدة دول[3]، ولهذا أخذنا جزءا معينا منها حتى لا يكون بحثنا فضفاضا أو واسعا. والجزء الذي سندرسه هو المنطقة التي توجد فيها المثلث المشهور، أعني به منطقة تنبكت وجني وغاو وما يجاورها، وهذه المناطق كلها توجد حاليا في جمهورية مالي.

إذاً فبحثنا يتعلق بجزء من جمهورية مالي أو شمال مالي ، وليس السودان الغربي كله.

فبعدما حددنا المنطقة التي تجري فيها مسرح أحداث بحثنا، آن الأوان لنشرع في بيان الأوضاع السائدة في السودان الغربي خلال الفترة التي سندرسها .

الأوضاع العامة في السودان الغربي ما بين القرنين الثامن والثالث عشر الهجريين

• الأوضاع السياسية

عرف السودان الغربي ما بين القرنين الثامن والثالث عشر الهجريين أحداثا سياسية مهمة وخطيرة ، و هي قيام عدة حكومات - تتمثل في إمبراطوريات وممالك إسلامية - حكمت المنطقة، وأهم هذه الحكومات هي:

1- إمبراطورية غانا[4] من القرن الحادي عشر إلى القرن الثالث عشر الميلاديين

---

2 - يراجع : مملكة سنغاي في عهد الأسقيين : عبد القادر زباديه ص :15- 16 / الدولة الرستمية : بحاز إبراهيم بكير ص :206/ مساهمة في دراسة تاريخ الحياة في السودان الغربي خلال العصر الوسيط : الدين والعلم في عصر الأسكيين رسالة ددع أعدها سامي سعيد بكلية الآداب بفاس ج1 ص :4 / الإسلام والمجتمع السوداني : إمبراطورية مالي : أحمد الشكراوي ص : 68-75

3 - يتكون غرب أفريقيا من الدول الآتية : بوركنا فاسو، بنين، توغو، سنغال،سيراليون ساحل العاج ،غانا، غينيا، غامبيا، مالي ، نيجر ،نيجيريا، ليبيريا

4 - غانا هي أول إمبراطورية ظهرت في السودان الغربي ، و تدعى أيضا وغادو ، نشأت منذ القرن الأول الميلادي، وازدهرت خلال القرن الحادي عشر الميلادي. وكانت عاصمتها كومبي صالح. وقد اشتهرت هذه الإمبراطورية بكثرة الذهب. سيطر المرابطون على عاصمتها عام 1076م أثناء حملتهم الإصلاحية ، فأدى

2ـ إمبراطورية مالي من القرن الثالث عشر إلى القرن الخامس عشر الميلاديين

3ـ إمبراطورية سنغاي من القرن الخامس عشر إلى القرن السادس عشر الميلاديين

4ـ الحكم المغربي من القرن السادس عشر إلى القرن الثامن عشر الميلاديين

5ـ مملكة ماسنا من العقد الثاني من القرن التاسع عشر إلى العقد السابع من القرن التاسع عشر الميلادي.

ذلك إلى تجزئتها وضعفها ثم سقوطها . للمزيد يرجع : إمبراطورية غانا : إبراهيم طرخان / الإسلام في ممالك وإمبراطوريات أفريقيا السوداء : جوان جوزيف ، ترجمة : مختار السويقي ص : 47ـ62

أولا :إمبراطورية مالي

1ـ نشأتها

تعتبر إمبراطورية مالي من أهم الإمبراطوريات الإسلامية التي ظهرت في غرب أفريقيا،و قد قامت على أنقاض إمبراطورية غانا ،ولم تظهر على الساحة السياسية كإمبراطورية قوية إلا مع الملك سنجتا كيتا[5]، الذي يعد المؤسس الحقيقي لإمبراطورية مالي، وقد استطاع هذا الملك العظيم أن يخرج مالي من تحت ربقة الصوصو[6] ويصبح دولة مستقلة ذات سيادة تامة ، ثم بدأ يوسع دولته على حساب الممالك المجاورة إلى أن مات. وبعد وفاته حمل خلفاؤه لواء التوسع إلى أن أصبحت مالي إمبراطورية قوية في المنطقة

2ـ ازدهارها:

استطاع خلفاء سنجتا كيتا أن يتابعوا سياسة التوسع التي انتهجها سنجتا كيتا على حساب الدول المجاورة ، واستمر الأمر على هذا النهج إلى أن جاء عهد منسا موسى الذي حكم مالي ما بين (722ـ1322/738ـ1337). ويعد هذا الملك من أعظم ملوك مالي لحنكته السياسية ودهائه. وقد استطاع أن يقود إمبراطوريته نحو المجد،حيث بلغت في عهده ذروة مجدها مساحة وسياسيا واقتصاديا وعسكريا؛ فعم الرخاء والأمن في كافة أرجاء الإمبراطورية،فأصبحت مالي في عهده ذائع الصيت، وطبقت شهرتها الآفاق.

وتمتد مالي من المحيط الأطلسي غربا إلى منطقة دندي، ومناجم النحاس في تكدة شرقا. ومن مناجم الملح في تغازة شمالا إلى فوتا جالون ومناجم الذهب في ونغارة جنوبا. وتقدر مساحتها في زمن منسا موسى بمساحة مجموعة من دول غرب أفريقيا.

وتعد مالي في عهد منسا موسى من أعظم الإمبراطوريات في القرن الرابع عشر الميلادي التي لمعت نجومها في السماء وفاقت شهرتها الأوصاف.

ويعتبر منسا سليمان ـ بعد أخيه منسا موسى ـ من أعظم ملوك مالي حيث تمكن من إدارة مالي بنجاح، وأضاف لبنة جديدة على ما تركه سلفه منسا موسى؛ ولذا وصفه

---

5 - سنجتا كيتا هو المؤسس الحقيقي لإمبراطورية مالي وقد حكمها ما بين 1233ـ1255م

6 - مملكة الصوصو كانت صغيرة ، وازدهرت في عصر سوماورو كانتي، وذلك ما بين 1200ـ1235م ، وقد حاول سوماورو أن يوحد تحت سلطته بلاد أعالي السنغال والنيجر، لكنه فشل . وسقطت مملكة الصوصو سنة 1235م إثر معركة كرينا التي خاضها سوماورو مع سنجتا كيتا

العمري بأنه أعظم ملوك السودان المسلمين وأوسعهم بلادا وأكثرهم عسكرا وأشدهم بأسا وأعظمهم مالا وأحسنهم حالا وأقهرهم للأعداء وأقدرهم على إفاضة النعماء...»[7].

ووصفه المؤرخ الكبير ابن خلدون بأنه رجل صالح وملك عظيم وعادل ، عظمت المملكة في أيامه إلى الغاية...[8].

وقد تمكن منسا موسى ومنسا سليمان من استقدام مجموعة من العلماء والأدباء والفقهاء من المشرق والمغرب وأغدقا عليهم كثيرا؛ مما جعل مالي تزخر بأهل العلم وطلابه ؛ فانتشر التعليم في كافة أرجاء مالي[9].

3. ضعفها وسقوطها

بعد ما وصلت إمبراطورية مالي ذروة مجدها في القوة والاتساع والرخاء والأمن، وتوفي ملوكها الأقوياء، جاء بعدهم خلفاء ضعاف انغمسوا في الترف واللهو والمجون و ارتكنوا إلى الدعة والراحة، وفقدوا الروح العسكرية ، وظهرت صراعات داخلية بين أمرائها مما أدى إلى إضعاف قوة الدولة؛ فبدأت الأقاليم تنفصل عنها واحدة تلو الأخرى ، ولم يصل منتصف القرن الخامس عشر الميلادي حتى فقدت أهم إماراتها، وظهرت إمبراطورية أخرى سيطرت عليها ، واستمرت تلفظ أنفاسها الأخيرة حتى أضحت دولة صغيرة اقتصرت على كانغبا[10] وبقيت على هذه الحالة إلى إن ابتلعها الفرنسيون عام 1898م.

على أن هذه الإمبراطورية وإن استمرت حتى سنة 1898 فإنها اختفت على مسرح الأحداث منذ 1464م عندما ظهرت إمبراطورية سنغاي على يد سني علي بير[11] .

---

7 - يراجع : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار للعمري ص :60

8 - يراجع : تاريخ ابن خلدون ج6 ص :267 الطبعة الأولى 1401/1981م دار الفكر للطباعة والنشر لبنان بيروت/ ويراجع أيضا : صبح الأعشى للقلقشندي ج5 ص :294

9 - يراجع : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار للعمري ص :60.59

10 ـ مدينة كنغبا أو كانغبا كانت من أهم المدن في إمبراطورية مالي خلال عهد سنجتا كيتا وهي توجد حاليا في جمهورية مالي ، وتقع على حدود غينيا.

11 - للمزيد يراجع : دولة مالي الإسلامية : إبراهيم علي طرخان/ الإسلام والمجتمع السوداني : إمبراطورية مالي : أحمد الشكري/ أفريقيا تحت أضواء جديدة : باذل داقد سن ص :155.145/ الإسلام والمسلمون في غرب أفريقيا : عبدالرحمن زكي ج1 ص :46.29/ الإسلام في ممالك وإمبراطوريات أفريقيا السوداء : جوان جوزيف ص :77.65/ مسالك الأبصار في ممالك الأمصار للعمري ص :76.59/ رحلة ابن بطوطة ص :673.664/ تاريخ أفريقيا ابسوداء : جوزيف كي زربو ص : 142.130/ تاريخ أفريقيا الغربية : سيكني مودي سسوكو ص : 78.39

وخلاصة القول إن إمبراطورية مالي من أعظم الإمبراطوريات الإسلامية التي ظهرت في السودان الغربي خلال القرن الثالث عشر الميلادي، وقد قامت على أنقاض إمبراطورية غانا الإسلامية، وكان مؤسسها الحقيقي هو الملك سُنجتا كيتا. وبلغت ذروة مجدها وقوتها واتساعها في عهد منسا موسى وأخيه منسا سليمان، فطبقت شهرتها الآفاق ، لكن لم يصل منتصف القرن الخامس عشر الميلادي ، حتى آذن نجمها بالأفول؛ فانهارت وظهرت إمبراطورية إسلامية جديدة في السودان الغربي وهي إمبراطورية سنغاي.

ثانيا: إمبراطورية سنغاي

1ـ مرحلة التأسيس:

تعتبر إمبراطورية سنغاي من أقدم الإمبراطوريات الإسلامية في غرب أفريقيا، إذ يذكر بعض المؤرخين أنها نشأت منذ القرن السابع الميلادي حول مدينة كوكيا،ثم تحولت العاصمة إلى مدينة غاو عام 1009م في عهد أسرة ضياء، وهي إحدى الأسر التي حكمت دولة سنغاي، وهكذا أخذت تظهر على الساحة السياسية كدولة صغيرة حتى في عهد علي كولن الذي استطاع أن يجعل دولة سنغاي دولة مستقلة عن إمبراطورية مالي. لكن المؤسس الحقيقي لهذه الإمبراطورية هو سني علي بير الذي يرجع إليه الفضل في تحويل دولة سنغاي إلى إمبراطورية إسلامية قوية تقوم على أنقاض إمبراطورية مالي. وقد استطاع علي بير أن يوسع حدود دولته على حساب الدول والقبائل المجاورة، وأن يخرجها من طور التقزم والخضوع إلى طور القوة والسيادة ، بسبب قوته وشجاعته ودهائه ومكره وحنكته السياسية، وانتصاراته الباهرة، حتى إن السعدي قال : « إنه لم ينهزم قط رغم كثرة حروبه »[12].

2ـ مرحلة الازدهار

بدأت إمبراطورية سنغاي تتقدم نحو المجد طيلة فترة سني علي بير (1464ـ 1492) الذي وسع حدود الإمبراطورية ؛ فأخذت تزدهر يوما بعد يوم إلى أن توفي علي بير عام 1492م. ثم أخذ زمام الحكم أحد ضباطه الذي يدعى أسكيا محمد ، وقد استطاع

12 - يراجع تاريخ الفتاش : محمود كعت ص :43

هذا الرجل بذكائه وحنكته السياسية وعدله أن يضيف لبنات جديدة على صرح الإمبراطورية، و بلغت في عهده ذروة مجدها قوة واتساعا ورخاء وأمنا.[13]

ويعد أسكيا محمد الكبير من أعظم ملوك سنغاي الذي دعم الإسلام والحركة العلمية والفقهية في السودان الغربي. وتبقى رحلته إلى الحج من أهم المظاهر الإسلامية التي تركت صدى كبيرا في أوساط المؤرخين لعظمة موكبه وأبهته.[14]

ومن أشهر ملوك سنغاي الذي دفع إمبراطورية سنغاي إلى المجد والازدهار - بعد سني علي و أسكيا محمد الكبير- أسكيا داود الذي يعد من أهم خلفاء أسكيا الكبير ، حتى إن محمود كعت قال عنه : « كان مهيبا فصيحا خليقا للرئاسة كريما... وسع الله عليه في دنياه و هو أول من اتخذ خزائن الكتب وله نساخ ينسخون له كتبا وربما يهادي به العلماء...»[15].

وهكذا سيطرت إمبراطورية سنغاي على غرب إفريقيا خلال النصف الثاني من القرن الخامس عشر الميلادي وطيلة القرن السادس عشر الميلادي وازدهرت ازدهارا كبيرا ، فعم العدل والأمن والرخاء في كافة أرجائها وطبقت شهرتها الآفاق و ذاع صيتها شرقا وغربا وجنوبا وشمالا واتجه إليها العلماء من كل حدب و صوب.

3. مرحلة الضعف والسقوط

في الوقت الذي كانت مساحة الإمبراطورية تتسع بشكل مذهل وأضحت في حاجة ماسة إلى حكومة قوية وخلفاء أشداء وحكماء تولى مقاليد الحكم خلفاء ضعاف انصرفوا عن شؤون الحكم وتوجهوا نحو المجون واللهو، وانغمسوا في الملذات واستهتروا بالقيم الروحية والتقاليد الاجتماعية، فبدأت الضعف ينخر في أركان الدولة وبدأت الصراعات بين الأمراء؛ فكثرت الفتن والثورات في الإمبراطورية ، الأمر الذي أدى إلى إنهاك خزينة الدولة ،ناهيك عن الفساد الذي استشرى في جسم الإمبراطورية حتى إن السعدي قال:» ولما فسد أمر سغي وشتت الله شملهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون بتضييع حقوق الله وظلم العباد والتكبر وشموخ الأنف و كان بلد كاغ في أيام إسحاق في غاية الفسق وإظهار الكبائر والمنكرات.

---

13 - يراجع : مملكة سنغاي في عهد الأسقيين لعبدالقادر زبادية/ أسكيا الحاج وإحياء دولة السنغهاي الإسلامية : د فاي منصور

14 - يراجع : تاريخ الفتاش ص : 16-17، 65-69 / تاريخ السودان للسعدي ص : 72-73/ مملكة سنغاي في عهد الأسقيين ص :36-37/ أسكيا الحاج وإحياء دولة السنغهاي الإسلامية ص :68-73

15 - يراجع تاريخ الفتاش ص :94

و فشو القاذورات حتى اتخذوا للزناة رئيسا ووضعوا له طبلا ويتحاكمون فيها وغير ذلك مما يعيب به ذاكر والمحدث به ذو المروءات فإن لله وإنا إليه راجعون»[16].

ولا شك أن كل هذه العوامل هي التي أدت إلى إضعاف الدولة ماديا ومعنويا مما سهل للمغاربة القضاء عليها بكل سهولة سنة 1591م بدون مقاومة تذكر .

وهكذا سقطت أكبر إمبراطورية إسلامية في غرب أفريقيا وفتح أو بدأ عهد جديد لعناصر جدد في المنطقة . وصدق سبحانه وتعالى﴿ وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا[17]﴾.

وخلاصة القول : إن إمبراطورية سنغاي من أعظم الإمبراطوريات الإسلامية التي ظهرت في السودان الغربي خلال القرن السادس عشر الميلادي، وقد نشأ منذ القرن السابع الميلادي، لكنها لم تظهر على مسرح الأحداث إلا مع سني علي بير الذي يعد المؤسس الحقيقي لها.

وفي عهد الأسكيين بلغت الإمبراطورية ذروة مجدها قوة ومساحة ورخاء وثراء؛ فصارت أضخم إمبراطورية في السودان الغربي، فعم الأمن والسلام في جميع ربوعها فقصدها العلماء والفقهاء والأدباء ؛ وانتشر التعليم في كافة أرجاء الإمبراطورية، واستمرت في التقدم والازدهار حتى في عهد أسكيا داود. ثم دخلت الدولة في طور الضعف والانحدار نتيجة انهماك الأمراء المتأخرين في المنازعات العائلية التي كلفت خزينة الدولة مصاريف باهظة، مما أضعفت قوة الدولة وجعلها لقمة سائغة أمام المغاربة الذين قضوا عليها بكل سهولة عام 1591م بقيادة جودرباشا، وهكذا سقطت أكبر وآخر الإمبراطوريات الإسلامية في غرب أفريقيا[18].

---

16 - نفس المصدر ص :152/ تاريخ السودان ص :144

17 - سورة الإسراء آية :16

18 - للمزيد يراجع : تاريخ السودان للسعدي/ تاريخ الفتاش لمحمود كعت/ إمبراطورية صنغاي لإبراهيم علي طرخان/ مملكة سنغاي في عهد الأسقيين لعبد القادر زبادية/ الموسوعة الأفريقية مج2 ص182-190/ الإسلام في ممالك وإمبراطوريات أفيقيا السوداء ص :81-86/ أفريقيات : نقولا زيادة ص :357 وما بعدها / العلاقة بين المغرب والسودان الغربي في عهد السلطنتين : مالي وسنغي ص :65 وما بعدها/ مسا همة في دراسة تاريخ الحياة الدينية في السودان الغربي خلال العصر الوسيط :رسالة ددع : سامي سعيد

ثالثا: عهد المغاربة (الحكم المغربي) 1591-1833م

من الأحداث السياسية التي أثر على السودان الغربي وأهله هو سقوط دولة سنغاي على أيدي المغاربة عام 1591م بقيادة جودر باشا. ومنذ هذا التاريخ استولى المغاربة على السلطة الذين أخذوا اسم الباشا وأطلق على أولادهم وأحفادهم اسم الرماة.

وقد استمر حكمهم في المنطقة حتى سنة 1833م لما قتل آخر الباشوات وهو عثمان بن أبي بكر بن أحمد بن منصور إثر المعركة التي دارت بين الباشوات والفولانيين.

وقد تميز عهد الباشوات وأولادهم وأحفادهم باضطرابات سياسية خطيرة وكثيرة إذ وصل عدد الذين تولوا مقاليد الحكم ما يقرب 167 باشا، الأمر الذي يدل غلى أن الأوضاع السياسية في هذه الفترة كانت متدهورة جدا ؛ فانعدم الأمن والاستقرار في المنطقة ؛ فرحل كثير من العلماء والتجار والأعيان من المنطقة ، مما أثر سلبا أحيانا على الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية .

وقد استولى المغاربة أثناء الاحتلال على تنبكت وغاو وجني... وكانت عاصمتهم هي مدينة تنبكت ، إذ بها يقيمون ،وجميع الأوامر التي تأتي من المغرب تصل إلى تنبكت أولا ، ثم تذاع وتنشر في باقي المدن .

وبعد سقوط دولة الباشوات عام 1833م بموجب معركة ديري ظهرت دولة الفولانيين بماسنا، أو ما يسمى بمملكة دينا.

وزبدة القول إن المغاربة حكموا السودان الغربي منذ 1591م واستمر حكمهم حتى سنة 1833م . ونظرا لكثرة الفوضى التي سادت في السودان في عهد بعض الباشوات سقطت هيبتهم ، وبدأ بعض القبائل يهاجمونهم ، مما جعل مولاي زيدان يترك مشروع والده المنصور الذهبي ،فتخلى عن السودان . لكن بقي كثير من جيوشه في المنطقة ،وكونوا عنصرا جديدا واستمروا في الحكم مع الولاء التام للمغرب حتى سنة 1660م ثم انخفضت درجة الصلة التي تربطهم بالمغرب بوصول السلالة[19] الجديدة إلى الحكم، وبقيت سلطتهم حتى سنة 1833م لما انهزم آخر الباشوات في معركة ديرَي التي دارت بينهم وبين الفلانيين.

---

19 - السلالة الجديدة أعني الجيل الذي تكون من تزوج المغاربة بالسودانيات أو بعبارة أخرى أحفاد المغاربة.

على أن عهدهم وإن كثرت فيه الاضطرابات السياسية إلا أنه ترك أثرا واضحا على الحركة الفقهية[20].

رابعا: مملكة ماسنا(مملكة دينا)

1. نشأتها

نشأت مملكة ماسنا منذ القرن الخامس عشر الميلادي كدولة صغيرة تابعة للإمبراطوريات الإسلامية التي ظهرت في السودان الغربي، ولم تظهر على الساحة السياسية إلا في القرن التاسع عشر الميلادي لما تزعم سلطة الحكم فيها سيك أمد(الشيخ أحمد) الذي أعلن الجهاد ضد الوثنيين عام 1810م. ولم يتم تأسيس الدولة إلا في عام 1818م بعد انتصاره الساحق على الوثنيين وحلفائهم في معركة نكوما[21].

وبعد انتصار سيك أمد على الوثنيين في هذه المعركة جعل عاصمته «حمد الله» شكرا لله على انتصاره على كفار سيغو وحلفائهم. وهكذا أسس سيك أمد دولة ماسنا المستقلة .وكان يساعده في إدارة الدولة مجلس أعلى أو هيئة عليا تتكون من مائة شخص، من بينهم أربعين عضوا رسميا وستين عضوا إضافيا، ويختار الإمام جميع هؤلاء من بين العلماء الذين لا يقل سنهم عن الأربعين وحسب معايير إسلامية.[22] وكانت الأمور في هذه الدولة تجري عن طريق الشورى.

2. ازدهارها:

بعد تأسيس أركان الدولة ، واصل زعماء مملكة ماسنا سياسة التوسع بواسطة الجهاد ؛ فامتد نفوذهم عام 1826م من جني إلى تنبكت ، ووصلت الدولة قمة في الازدهار اقتصاديا و سياسيا وثقافيا ما بين 1844- 1852م.

---

20 - يراجع : تذكرة النسيان في أكابر ملوك السودان لمجهول / تمبكتـ في منتصف القرن الثامن عشر لمجهول/ تمبكت والرماة : أبت بول/ كتاب الترجمان في تاريخ الصحراء والسودان للقاضي محمد الأرواني مخطوط بمركز أحمد بابا تحت رقم :762 ص 13-19/ موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية : أحمد شلبي ج6 ص :274-276

21 - يراجع : تاريخ أفريقيا : كي زربو ص :258 /تاريخ أفريقيا الغربية : سيكني مودي سسوكو ص :281-288/ مملكة فلانية في القرن التاسع عشر : بنت سننكوا ص :49، 79/ الحضارة الإسلامية في مالي : منشورات إيسسكو ص :58

22 - يراجع :مملكة فلانية في القرن التاسع عشر :بنت سننكوا ص :54 وما بعدها / الحضارة الإسلامية في مالي : منشورات إيسسكو ص :59 /تاريخ أفريقيا السوداء : كي زربو ص :259

وبعد وفاة المؤسس سيك أمد عام 1844م تولى الحكم حمد سيك ، فواصل مسيرة البناء التي نهجها سلفه حتى وصلت الدولة أوجها، واستمر في الحكم حتى سنة 1852م فتنازل عن السلطة لفائدة ابنه حمد حمد سيك الذي استطاع أيضا أن يدير مملكته بحكمة وعلم . ولا غرو في ذلك فهو عالم فقيه عارف بأمور الدين ؛ ولذا تشبعت دولته بروح الدين الإسلامي قلبا وقالبا.

ولشدة تشبع زعماء هذه الدولة بالإسلام وتعاليمه منعوا كل ما هو لهو ولعب في مدينتهم[23]، وشجعوا الحركة العلمية والفقهية بشكل منقطع النظير حيث بلغت الحلقات العلمية ما يزيد عن 600 حلقة علمية في مدينة حمد الله وحدها ، وجعلوا التعليم إجباريا ومجانيا وملزما على كل مسلم ومسلمة بلغ السن السابع من العمر[24]، واصطبغت الحياة في دولتهم بصبغة إسلامية صرفة لم يسبق لها مثيل في المنطقة حتى في عهد الإمبراطوريات الإسلامية الكبرى ، بل اتخذ زعماء هذه الدولة لقب أمير المؤمنين، ولذا كانت الأحكام فيها تقوم على أصول الشريعة الإسلامية وفق المذهب المالكي ، مع مراعاة بعض الأعراف التي لا تتعارض مع مبادئي الشريعة الإسلامية.[25]

3ـ سقوطها:

بعدما وصلت مملكة ماسنا قمة مجدها وازدهارها تولى سلطتها حمد حمد سيك الذي كان متحمسا للإسلام كأسلافه و قاد دولته نحو المجد أو البرج العاج، وقاتل الوثنيين بواسطة إعلان الجهاد ضدهم .

وهكذا استمر في بناء دولته حتى حصل بينه و بين الحاج عمر تال سوء تفاهم كبير أدى إلى إشعال فتيل الحرب بين هذين الزعيمين المسلمين ، وانتهت الحرب لصالح الحاج عمر تال الذي استولى على العاصمة حمد الله سنة 1862م وقبض على الأمير حمد حمد سيك قرب تنبكت وقيل في نهر ماني وقتله. وبعد وفاته واصل الكفاح بعده عمه بالُوب ضد الحاج عمر ،لكن كفاحه لم يدم طويلا.

---

23 - يراجع : مملكة فلاتة بماسنا : أمد همباتي با و داغي ج1 ص65ـ63 / مملكة فلانية في القرن التاسع عشر : بنت سننكو ص :56/ تاريخ أفريقيا السوداء : كي زربو ص :259ـ258

24 - للمزيد يراجع : مملكة فلاتة بماسنا : همبا تي با و داغي/مملكة فلانية في القرن التاسع عشر : بنت سننكو/ أعالي السنغال : موريس ديلافوس ج2 ص :239ـ231

25 - تاريخ أفريقيا الغربية : سيكني مودي سسوكوص :288ـ281/ الحضارة الإسلامية في مالي : منشورة إيسسكو ص : 60ـ58

وهكذا سقطت هذه المملكة الإسلامية التي يعد زعماؤها من أكبر ملوك السودان تدينا و تشبعا بالإسلام.

على أن ما يؤسف له أن هذه المملكة الإسلامية سقطت على يد أكبر زعيم للمسلمين في عهده، ولم يستفد من هذه الحرب أو الحروب التي ذهبت باليابس والأخضر إلا الاستعمار؛ إذ ما كادت تنتهي هذه الحرب حتى أحاط الاستعمار بالمنطقة ، وأخذ زمام الأمور لمصلحته، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

• الحالة الاقتصادية:

عرف السودان الغربي ما بين القرنين الثامن والثالث عشر الهجريين ازدهارا كبيرا بفضل تنظيمه الاقتصادي وكثرة مداخله ورخائه ورفاهيته، وإن تعثر أحيانا. و كان اقتصاد السودان تعتمد على الزراعة والصناعة و التجارة وتربية الماشية .

ففي عهد الماليين ازدهرت الحياة الاقتصادية بفضل ازدهار مجالاتها. وفي مجال الزراعة أولى أهالي المنطقة عناية كبيرة للزراعة ، فازدهرت حيث قاموا باستصلاح الأراضي الزراعية لتنشيط الزراعة ، وساعد على هذا الأمر أن أراضي مالي تقع في المناطق الخصبة .[26]

كما ازدهرت الصناعة اليدوية بشكل كبير وخاصة في المدن الكبيرة ، وقد ساعد على هذا الازدهار أن الدولة تملك مناجم ذهب كثيرة وغيرها من المعادن الثمينة التي جعلت المنطقة ذائع الصيت.

ولا غرو في هذا فهي المنطقة التي يقول عنها بعض المؤرخين المسلمين : إنها أرض الذهب[27] ، وتنبت فيها نباتا كما ينبت الجزر[28] لكثرته. ولهذا كان ذكر اسم السودان يسيل اللعاب ؛ لأن الوصول إلى المنطقة يعني نهاية الفقر وبداية الغنى والثراء .

---

26 - يراجع : تاريخ الفتاش ص :38-39

27 - يراجع : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ص :25/ كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار ص :219-221/ تحفة الألباب ونخبة الإعجاب للغرناطي ص :39/تاريخ اليعقوبي مج1 ص :194/ مروج الذهب للمسعودي ج2 ص :223/ أخبار الزمان ومن أباده الحدثان للمسعودي ص :65/ كتاب الجغرافيا لأبي الحسن المغربي ص :93

28 - يراجع :مختصر كتاب البلدان لابن الفقيه ص :78، 87

وفي مجال التجارة فقد عرف ازدهارا كبيرا وساعد على هذا الأمر انتشار الزراعة والصناعة اليدوية وازدهارهما، واتساع رقعة الدولة .

ومما يدل على ازدهار التجارة أن مالي كان يتعامل مع العالم الخارجي، الأمر الذي زاد من تأجيج النشاط التجاري ، ودرّ أرباحا طائلة على خزينة الدولة.

وإلى جانب الزراعة والتجارة، ازدهرت تربية الماشية ازدهارا كبيرا وأصبحت منتشرة في أنحاء الإمبراطورية ؛ لوجود مراعي ومنتجعات كثيرة في مختلف أرجاء الإمبراطورية .

ويضاف إلى ما سبق ذكره تحكّم الإمبراطورية في طرق القوافل الرئيسة التي تجوب البلاد شمالا وجنوبا وشرقا وغربا، وتوفير الأمن لها، مما نظم حركة القوافل بين مدن الإمبراطورية من جهة وبين الإمبراطورية والدول المجاورة من جهة أخرى.[29]

كل هذه العوامل جعلت الحياة الاقتصادية في السودان تزدهر بشكل كبير وتجلب إليها كثيرا من التجار والعلماء من مختلف أنحاء العالم.

وفي عهد سنغاي أيضا ازدهرت الحياة الاقتصادية بشكل مميز وخاصة في عهد الأسقيين الذين استطاعوا أن ينظموا الحياة الاقتصادية بطريقة جيدة حيث وفروا الأمن والاستقرار للتجار والأجانب، واتصلوا بالعالم الخارجي لتنشط النشاط التجاري[30]، وعرفوا كيف يستغلون موارد الدولة ويستثمرونها لتعم فائدتها الجميع مما جعل السودان أكثر الأماكن أمنا ورخاء ورفاهية[31] يستقطب الناس من كل مكان. وأصبحت تنبكت وجني وغاو من أهم المراكز التجارية. وبقيت الحياة الاقتصادية على ازدهارها وإن تخللها بعض الثغرات، حتى جاء المغاربة فتأثرت الحياة الاقتصادية بالأحداث التي جرت في المنطقة حيث توقفت عجلتها مدة ثم واصلت سيرها من جديد بنفس وقوة ونشاط في حلة جديدة حتى كاد الناس أن ينسوا ما كانوا فيه من رخاء ورفاهية في عهد سنغاي[32]. لكن بعد مدة تعثرت الحياة الاقتصادية وأضحت في سبات عميق؛ لانعدام الأمن والاستقرار، مما جعل التجار وغيرهم من العناصر التي تنشط الحياة الاقتصادية

---

29 - يراجع : دولة مالي الإسلامية : إبراهيم علي طرخان ص :79

30 - يراجع : مملكة سنغاي في عهد الأسقيين : عبدالقادر زبادية ص :211ـ226/ أسكيا الحاج وإحياء دولة السنغهاي الإسلامية ص :154ـ167/ وصف أفريقيا ج2 ص :170

31 - يراجع :تاريخ السودان ص :142/ تاريخ الفتاش ص :180

32 - يراجع : تاريخ الفتاش ص :181

يرحلون إلى مناطق أخرى أكثر أمنا واستقرارا فأثر ذلك سلبا في الحياة الاقتصادية. لكن نارها لم تخبو كليا، بل تنتعش أحيانا وتتعثر مرة أخرى. وبقيت على هذا الشكل حتى سقط السودان في أيدي المستعمرين الفرنسيين[33].

وخلاصة القول إن السودان الغربي عرف حياة اقتصادية مزدهرة فيما بين القرنين الثامن والثالث عشر الهجريين وإن تعثرت أحيانا مما أكسب شعب السودان قوة ومناعة وشهرة مع الأيام لاستقرار اقتصاده المختلط الذي قام على الزراعة والتجارة والصناعة وتربية الماشية... فأصبح السودان ذائع الصيت تسيل اللعاب يتجه إليه التجار والعلماء من كل حدب وصوب.

على أن السودان وصل في هذه المرحلة قمة في الثراء والغنى والرفاهية مما جعل المغاربة يقولون في المثل:

إن جرب جملك فعليك بالقطران   وإن افتقرت فسافر إلى السودان

ولا شك أن هذا يعني أن السودان كانت منطقة أسطورية الثروة وساحرة تتمتع بالرخاء والرفاهية بفضل الأمن والاستقرار اللذين عمّا أرض السودان في أغلب الفترات. الأمر الذي ترك أثرا واضحا على الحركة الفقهية وعلمائها.

الحياة العلمية في السودان الغربي

عرفت الثقافة الإسلامية ازدهارا كبيرا في السودان الغربي فيما بين القرنين الثامن والثالث عشر الهجريين، فظهر علماء في المنطقة خلد التاريخ أسماءهم، ونشأت مدن أضحت كعبة يقصدها طلاب العلم من كل مكان، وشمسا تسطع نورها في كافة أرجاء غرب أفريقيا.

---

33 – للمزيد يراجع : تاريخ السودان ص :142ـ143/ تاريخ الفتاش ص :180ـ181/ أفريقيا تحت أضواء جديدة ص :122ـ161/ إفريقيات : نقولا زيادة ص :343ـ386/ الإسلام والمسلمون :عبدالرحمن زكي ج1 ص :60ـ61/ العلاقة بين المغرب الأقصى والسودان الغربي في عهد السلطنتين الإسلاميتين : مالي وصنغاي :الأمين عوض الله ص :96ـ122، 229ـ230/ موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية :أحمد شلبي ج6 ص :265ـ276/ تاريخ أفريقيا السوداء : جوزيف كي زربو ص :165ـ175، 197ـ201

فنشط تعليم الناشئة في الكتاتيب والمساجد في مختلف جهات السودان. وأصبحت حلقات التدريس منتشرة في المساجد وبعض البيوت، يختلف إليها الطلاب بدون قيد ولا شرط يأخذون فيها القرآن والحديث والفقه واللغة العربية وغيرها من العلوم الإسلامية.

وغدت السلطات المحلية ترعى العلماء وتقدم لهم الأعطيات وتخصص للبعض منهم راتبا شهريا، غير الهدايا والهبات التي تأتي من كل مكان وجهة.[34]

وأولى الملوك والأمراء والحكام في الولايات للعلم والعلماء رعاية خاصة. وبدا هذا التشجيع والرعاية للعلم والعلماء واضحين في عهد منسا موسى وأخيه منسا سليمان وفي عهد أسكيا محمد الحاج وابنه أسكيا داود، وكذلك في عهد بعض الباشوات. وبرزت بشكل ملفت للانتباه في عهد ملوك الماسنيين.[35]

وإلى جانب الملوك والحكام هناك أيضا كثير من أعيان السودان وأغنيائه يمدون الطلاب و العلماء بالمكافآت والأموال تشجيعا لهم على التفرغ لطلب العلم وتحصيله. وانتشر في هذا العصر دكاكين الوراقين والنساخين التي يتردد إليها الطلاب والعلماء في أغلب المراكز العلمية، وخاصة في تنبكت؛ فازدهرت الحياة العلمية في السودان بشكل كبير، وأصبح سوق الكتب نافقة.[36]

وساد الشغف بتلقي العلم بين العلماء والطلاب والتنافس في اقتناء الكتب والمخطوطات النادرة.

ويحدثنا كثير من الرواة والرحالين الذين زاروا المنطقة عن كثير من أهل العلم عشقوا الكتب والعلم عشقا كبيرا حتى إن البعض منهم يستغلون الفرصة في ليلة مقمرة للمطالعة. وانكب بعضهم في نسخ كل ما وقع في أيديهم من الكتب النادرة إن لم يكن لهم إمكانية لشرائها.

على أن هذا الشغف بالعلم حمل كثير من العلماء والطلبة إلى الرحلة لطلب العلم في مراكزه الأصيلة بالمشرق والمغرب.

---

34 - يراجع: وصف أفريقيا ج2 ص:167/ تاريخ الفتاش ص:32

35 - يراجع: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار للعمري ص:59-60/ رحلة ابن بطوطة ص:672-673/ دولة مالي الإسلامية: إبراهيم طرخان ص:147-155/ المجلة التاريخية المغربية عدد8ص: 28-39/ بداية الحكم المغربي في السودان الغربي: محمد الغربي ص:519 وما بعدها /مملكة فلاتة بماسنا :أمد أمباتي با ج1 ص:64 وما بعدها.

36 - يراجع: وصف أفريقيا ج2 ص:167/ تاريخ السودان : ص: 242

وكان طلاب الحديث يتجهون نحو أئمة الحديث وطلاب اللغة يذهبون إلى أئمة اللغة وطلاب الفقه يرحلون إلى أئمة الفقه أينما وجدوا.

وأصبح العلم أو التعلم في متناول الجميع ،لم يقتصر على طبقة معينة ؛ إذ إن حلقات العلم منتشرة في المساجد وغيرها، ومفتوح للجميع دون استثناء. بل أضحى إجباريا على كل مسلم ومسلمة في بعض الفترات، وخاصة في عهد الماسنيين.

وهكذا ازدهرت الحياة العلمية بشكل كبير وطفرت طفرة مهمة إلى الأمام، وبلغت أوجها ما بين القرنين الثامن والثالث عشر الهجريين، ونشطت نشاطا عظيما، واستمر هذا النشاط إلى منتصف القرن الثالث عشر الهجري.

وقد تخللت الفترة الممتدة ما بين القرنين الحادي عشر والثالث عشر الهجريين تعثرات أثرت سلبا على الحياة العلمية، مما أدى إلى توقف أو وقوف عجلاتها أحيانا.[37]

وصفوة القول إن الحياة العلمية عرفت ازدهارا كبيرا في السودان الغربي فيما بين القرنين الثامن والثالث عشر الهجريين وإن تعثرت أحيانا، بسبب الاضطرابات السياسية والطبيعية التي كانت تهز المنطقة بين الفينة والأخرى.

وقد ساعد على هذا الازدهار الاستقرار والأمن والثراء الفاحش التي عرفت بها المنطقة، بالإضافة إلى تشجيع الحكام للعلم وأهله وإنفاق الأموال الطائلة في هذا الصدد، وانتشار المدارس في أغلب أرجاء المنطقة ، مما جعلت الحركة العلمية والفقهية تشع نورا وتستقطب العلماء من كل حدب وصوب.

على أنه قد شارك في إذكاء نار الحركة الفقهية والعلمية في المنطقة ثلة من علماء المذهب المالكي في السودان والمغرب والأندلس والمشرق وتوات وفزان وغدامس وبلاد شنجيط.

- **المذهب السائد في السودان الغربي**

---

37 - يراجع : تاريخ السودان ص :30/ مماكة فلانية في القرن التاسع عشر : بنت سننكوا ص :91/ مملكة فلاتة بماسنا : أمد أمباتي با ج1 ص :62-65/ تاريخ الفتاش ص :94/ مملكة سنغاي في عهد الأسقيين : عبدالقادر زبادية ص :136-160/ أفريقيا تحت أضواء جديدة : باذل داقد سن ص :148-160/ إفريقيات : نقولا زيادة ص :340-351/ موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية : أحمد شلبي ج6ص :277-278/ الحركة العلمية والثقافية والإصلاحية في السودان الغربي : أبوبكر إسماعيل ص : 24 وما بعدها .

يعتبر المذهب المالكي[38] أو بالأحرى المذهب الذي ينتمي أو ينسب إليه مالك ،مذهب الصحابة والتابعين هو المذهب السائد في السودان. أخذ ينتشر منذ أواسط القرن الثاني الهجري في العالم الإسلامي عامة والغرب الإسلامي خاصة،واستمر في الانتشار بعد القرن الثاني الهجري إلى أن وصل في السودان الغربي مع منتصف القرن الخامس الهجري، وتوطدت أركانه ودعائمه فيه، وبذلك« غلب مذهب مالك على الحجاز والمغرب الأقصى إلى بلاد من أسلم من السودان...»[39]

وقبل أن يصل المذهب المالكي إلى السودان في القرن الخامس الهجري عانى كثيرا، وامتحن رجاله في الغرب الإسلامي ونكل بهم، وأذيقوا ألوان العذاب، وشنت عليهم حرب لاهوادة فيها. وكان ذلك ي عهد الأغالبة والفاطميين بتونس،وعهد الموحدين بالمغرب.[40]

واستمر الوضع على هذا النحو، وعلماء المذهب المالكي صامدين، والمذهب في انتكاس مستمر في الغرب الإسلامي[41].

وبقي العلماء والمذهب في محنة شديدة ، إلى أن وصل المرابطون إلى الحكم خلال القرن الخامس الهجري ، فانتصروا للمذهب المالكي.

38- تجدر الإشارة إلى أن كلمة « المذهب « لم يكن معروفا في زمن الإمام مالك بمفهومه الحالي. ولم يحدث إلا بعد القرن الرابع الهجري، لما دعت الظروف إلى الالتزام بمنهج معين في الفقه والتشريع أو في الفتوى.

فكان الإمام مالك وغيره من الأئمة يرون أنهم ينشرون علم السنة وفقه الصحابة والتابعين. ولذا قلنا المذهب الذي ينتمي إليه مالك. فالإمام مالك لم يأت بشيء جديد من عنده، وإنما هو مفسر لما فهمه من الأصليين وأقوال الصحابة والتابعين وما وجد عليه أهل المدينة المنورة. وحسبك على ذلك قوله في كثير من المواضع في موطئه : « الأمر المجتمع عليه» أو « الأمر ببلادنا أو عندنا» أو أدركت عليه أهل العلم» وغيرها من العبارات التي تدل على أن الامام مالك لم يبدع شيئا من عنده، بل هو معتمد على أقوال الصحابة والتابعين وما وجد عليه أهل المدينة ، إضافة إلى ما فهمه من الكتاب والسنة.

وأكثر من هذا كان مالك يوصي طلابه ومستفتيه بأن ينظروا في كلامه ، فما وافق الكتاب و السنة فليأخذوا به ويقول قوله المشهور: «ما من أحد إلا وهو مأخوذ من كلامه ، ومردود عليه إلا رسول الله صلى الله عليه و سلم ...»

يراجع : مباحث في المذهب المالكي بالمغرب : د عمر الجيدي ص :9ـ10، 54ـ55، الطبعة الأولى 1993 مطبعة المعارف الجديدة ، المغرب/ المذاهب الفقهية : أبو زهرة ج2 ص :221ـ222، دار الفكر العربي، القاهرة/ نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي : د أحمد الريسوني ص : 57ـ63، الطبعة الأولى 1990م/1411، منشورات المعهد العالي للفكر الإسلامي

39 - يراجع : ترتيب المدارك للقاضي عياض جـ1 صـ :65

40 - يراجع : مباحث في المذهب المالكي بالمغرب : د عمر الجيدي ص :41ـ42

41- يراجع :معالم الايمان في معرفة أهل القيروان للدباغ جـ1 صـ :22 ، المطبعة العربية التونسية 1320 / قيام دولة المرابطين : د. حسن أحمد محمود صـ :90 وما بعدها، دار الفكر العربي ، القاهرة

وكان ذلك أهم حدث تاريخي لانتصار المذهب المالكي في الغرب الإسلامي.

فمنذ هذا التاريخ فالمذهب المالكي في انتشار مستمر، وأصبح المذهب الرسمي للدولة المرابطية ، وبات الغرب الإسلامي بما فيه السودان المعقل الرئيسي له ، حتى قال ابن خلدون : «... وأما مذهب مالك رحمه الله تعالى فاختص بمذهبه أهل المغرب والأندلس، وإن كان يوجد في غيرهم إلا أنهم لم يقلدوا غيره إلا القليل...».[42]

وهكذا أصبح القرن الخامس الهجري، القرن الذي انتصر فيه المذهب المالكي انتصارا ساحقا في الغرب الإسلامي، بعد صمود طويل ، ولم يزاحمه أي مذهب أيضا إلى يومنا هذا.فكثر أتباعه في العالم الإسلامي عامة وفي الغرب الإسلامي خاصة، وحظي بمساندة العامة والخاصة، وأضحى المذهب الذي لا يبغي عنه الناس بديلا.

وقد أدى هذا الأمر إلى أن تتعالى صيحات التنويه به من طرف العلماء والملوك في الغرب الإسلامي، وكان ذلك إعلانا صريحا بالانتصار النهائي للمذهب المالكي، واعتباره المذهب الرسمي للدول المتعاقبة، منذ تلك الفترة إلى الآن. فأصبح جميع الناس ملزمين بإتباعه .

ومن الملوك الذين نوهوا بالمذهب المالكي، الحكم المستنصر[43] ملك الأندلس الذي قال : « نظرنا طويلا في أخبار الفقهاء وقرأنا ما صنف من أخبارهم إلى يومنا هذا فلم نر مذهبا من المذاهب أسلم منه... فالاستمساك به نجاة إن شاء الله...»[44].

وهكذا استمر في التنويه به إلى أن قال :»... وكل من زاغ عن مذهب مالك فإنه ممن رين على قلبه وزين له سوء عمله...»[45]

42 - يراجع : مقدمة ابن خلدون ص :356، الطبعة الأولى 1993 دار الكتب العلمية بيروت

43 - الحكم المستنصر هو الخليفة الذي حكم الأندلس ما بين 350 هـ إلى 366 هـ ويعد هذا الخليفة أعظم خلفاء الأندلس علما وأدبا ويعتبر كذلك رائد النهضة العلمية في الأندلس وصفه المؤرخون بالاطلاع الغزير والنظرة العميقة الفاحصة لما يقرؤه من كتب العلم يراجع الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس د. سعد عبد الله صالح ص : 72 – 78 منشورات معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي 1415 .

44 - يراجع : ترتيب المدارك للقاضي عياض ج1 ص :22 تحقيق وتعليق محمد بن تاويت الطنجي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية 1965، الرباط.

٤٥ - يراجع نفس المصدر ج١ ص:٢٢

وهذا أسد بن الفرات يقول متنصرا للمذهب المالكي :»...إن أردت الله والدار الآخرة فعليك بمالك بن أنس...»[46].

ويبدو أن هذا الاهتمام الذي حظي به المذهب المالكي في أوساط العلماء والملوك - في الغرب الإسلامي - وإلزامهم الناس أحيانا على اتباعه هو الذي دفع ابن حزم إلى القول بأن مذهب مالك وأبي حنيفة انتشرا بالسيف والرئاسة.[47]

على أن غلبة المذهب المالكي في الغرب الإسلامي خلال القرن الخامس الهجري تركت أثرا قويا في السودان الغربي، إذ أسهمت في توطيد أركان الثقافة العربية الإسلامية في المنطقة ، وتغلغلها في نفوس المجتمع. كما أسهمت في توحيد أحكام القضاء، واصطباغ الثقافة العربية الإسلامية في السودان الغربي بصبغة المذهب المالكي.

فأصبحت كتب الدراسة كلها تدور حول فقه مالك والعلوم المساعدة على فهمه. وأمسى الفقهاء مالكيين في حياتهم وتقاليدهم وانتاجاتهم وتفكيرهم. وأضحى المذهب

---

46 - نفس المصدر ج1 ص :77 ، وتجدر الإشارة إلى أن الانتصار للمذهب وصل بعض الأحيان إلى التعصب المذموم . ويظهر أن الانتصار للمذاهب بدأ منذ عصر أسد بن الفرات، وحسبك دليلا على هذا ، قوله - بعد التنويه بالمذهب المالكي - :»...إن أردت الدنيا فعليك بقول أهل العراق...» الأمر الذي يعني أن مذهب مالك أفضل من مذهب أهل العراق أو مذهب أبي حنيفة .

على أن هذا الأمر فتح باب التعصب على مصراعيه للسفهاء فيما بعد ، وأصبحت لكل مذهب منطقة نفوذ. فالمالكية استقلت بالمغرب والحنفية استقلت بالمشرق ...فلا يكاد أحد من الأتباع يعترف بحسنات المذهب الآخر للتعصب . وقد وصل هذا التعصب قمته لما بدأ بعض أتباع الأئمة يفتخرون بهم ويفضل كل منهم إمامه في محاورته وتصنيفه أو مؤلفاته دون مراعاة الآداب الإسلامية . =

=ومن أبرز ما يبين هذا التعصب البغيض أن حنفيا صنف كتابا في مناقب أبي حنيفة ، وافتخر بأتباعه كأبي يوسف ومحمد بن الحسن وغيرهما من أقطاب المذهب الحنفي ، ثم قال معرضا عن باقي المذاهب :

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع.

ولا شك أن هذا الأمر يومئ إلى العودة إلى عصر النقائض الشبيه بعصر الجاهلية لما فيه من دعوة جاهلية كالتعصب وغيره. وهذا مما يؤسف له جدا، فبدل أن تتكامل المذاهب الفقهية فيما بينها ، أصبحت تتنافر وتتناحر. وأمسى الخروج من مذهب إلى آخر بدعة منكرة ، وإن لم نقل كبيرة من الكبائر لدى الجهال. وهذا ما لم يكن معروفا في عصر الأئمة المجتهدين ، الذين ظلوا يكنون الاحترام لبعضهم البعض. فلم يدع أحد منهم أن قوله أصوب من قول غيره، بل يرى كل واحد منهم أن قوله يحمل الخطأ والصواب. نعوذ بالله من اندراس العلم وذهاب أهله وسيادة الجهال. يراجع : مصادر التشريع فيما لا نص فيه : عبد الوهاب خلاف ص :130 الطبعة الثانية 1970، دار العلم للملايين ، بيروت

47- يراجع : محاضرات في المذهب المالكي في الغرب الإسلامي : د عمر الجيدي ص :35 نقلا عن إحكام الأحكام لابن حزم ج1 ص :567

المالكي هو المذهب الرسمي للدولة ، وباتت السلطة القضائية والتشريعية والتنفيذية كلها تعتمد على الفقه المالكي لإصدار الأحكام .[48]

ومما يؤكد هذا أن الفقهاء السودانيين لم يعرفوا أو لم يدرسوا فقها غير فقه مالك ـ إلا نادرا ـ ولذلك انتصروا له ونبذوا غيره، ويظهر هذا الأمر جليا في انتاجاتهم الفقهية.

وهي إنتاجات تدور حول فقه مالك وتاريخه ورجالاته، تأليفا وشرحا وتعليقا واختصارا وتحشيا...

وهكذا أصبح المذهب المالكي في السودان الغربي عامة وفي تنبكت خاصة المذهب الوحيد الذي لا رادّ لقضائه ولا معقب لحكمه. فلا مذهب إلا مذهب مالك ولا فقه إلا فقهه.

وهذا يعني أن السودان هي المنطقة الوحيدة في الغرب الإسلامي التي استقر بها المذهب المالكي دون أن يزاحمه مذهب آخر.

وترجع سيادة المذهب المالكي وهيمنته في السودان الغربي والمكانة التي حظي بها في نفوس العامة والخاصة إلى عدة عوامل منها:

1ـ إن المرابطين الذين حملوا لواء الإسلام إلى المنطقة ابتداء أو تصحيحا انتصروا للمذهب المالكي، وبذلك أصبح المذهب الرسمي لهم، وكان من الطبيعي أن يتبعهم السودانيون في مذهبهم.

2ـ إن المغرب التي ترجع إليها الفضل في انتشار الإسلام وثقافته العربية في المنطقة، تعد «القلعة الأمامية» للمذهب المالكي، فلا غرو أن تكون من أولياتها تثبيت المذهب المالكي في السودان وغيره.

3ـ ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم :» يوشك أن يضرب الناس أكباد الإبل يطلبون العلم ، فلا يجدون أحدا أعلم من عالم المدينة ...«[49] فأول هذا الحديث بأنه يعني

48 – يراجع : الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا : د حسن أحمد محمود ص : 244 ، الطبعة الثالثة 1986 ، دار الفكرالعربي ، القاهرة

49 – يراجع : سنن الترميذي ج4 ص :152 حديث رقم :2821 الطبعة الثانية دار الفكر بيروت. قال الترميذي : «هذا حيث حسن صحيح»/مسند الإمام أحمد ج3 ص :184، حديث رقم :7968، حققه وضبطه جماعة من العلماء الطبعة الأولى 1998/1419م عالم الكتب ، بيروت ـ لبنان.

الإمام مالكا، وازداد هذا الأمر رسوخا عند أتباع المذهب ،ما ورد من ثناء العلماء على مالك وشهادتهم له بالعلم والتقوى والورع.[50]

4ـ شهرة المدينة التي عاش فيها الإمام مالك علما ومكانة ؛ إذ هي مدينة الرسول التي كانت مهبط الوحي، ومهوى أفئدة المسلمين، وطلاب العلم عموما والمغاربة منهم بصفة خاصة.

وهذا الأمر يؤكده ابن خلدون لما علل انتشار المذهب المالكي وانتصاره في الغرب الإسلامي بقوله:»... وأما مالك رحمه الله فاختص بمذهبه أهل المغرب والأندلس وإن كان يوجد في غيرهم ، إلا أنهم لم يقلدوا غيره إلا في القليل؛ لما أن رحلتهم كانت غالبا في الحجاز ، وهو منتهى سفرهم والمدينة يومئذ دار العلم...«[51]

ويمكن اعتبار هذا العامل الأخير من أهم العوامل التي أسهمت في ترسيخ المذهب المالكي في السودان الغربي ؛ لأن المجتمع السوداني خاصتهم وعامتهم يعتبرون أن كل ما جاء من مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم من أمور دينية وفقهية هو الحق المطلق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه؛ ولذا تعلقوا بالمذهب المالكي وتشبثوا به ولم يبغوا عنه بديلا .

ولا شك أن هذه الفكرة التي ترسخت في أذهان السودانيين فكرة صحيحة إلى حد ما؛ لأن الأصل أن يقدم ما جاء من مدينة الرسول على غيره إذ أهلها أدرى بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم؛ ولهذا ينبغي أن يقتدى بهم إذا ثبت أن ما يعملون به عمل جماعة عن جماعة. وقد أكد ابن تيمية هذا الأمر لما تحدث عن مذهب أهل المدينة وفضله. ومما قال فيه: «...مذهبهم في زمن الصحابة والتابعين، وتابعيهم أصح مذاهب أهل المدائن شرقا وغربا في الأصول والفروع...»[52].

وقوله أيضا : «... ثم إن من تدبر أصول الإسلام وقواعد الشريعة وجد أصول مالك وأهل المدينة أصح الأصول والقواعد ...»[53].

---

50 - يراجع : ترتيب المدارك ج1ص : 74ـ77/ الشيخ محمد المكي الناصري « المذهب المالكي مذهب المغاربة المفضل» ندوة الإمام مالك عام 1400/1980، ج1 ص :67ـ87، منشورات وزارة الأوقاف الرباط

51 - يراجع : مقدمة ابن خلدون ص :356

52 - يرجع : مجموع فتاوى ابن تيمية مج20،ص :294، جمع وترتيب المرحوم عبد الرحمن بن محمد قاسم ،، طبعة المكتب التعليمي السعودي بالمغرب.

53 - نفس المرجع ص :328

إذاً فلا غرو أن يتشبث المجتمع السوداني بالمذهب المالكي، وحق لهم ذلك؛ إذ أصوله وقواعده أصح الأصول والقواعد، كما صرح به ابن تيمية وهو أحد أقطاب المذهب الحنبلي.

ويضاف إلى ما سبق ذكره قلة انتشار كتب المذاهب الأخرى في الغرب الإسلامي عامة وفي السودان خاصة، جعلت كثيرا من الخاصة والعامة يجهلون تماما ما يروج في المذاهب الأخرى من أحكام وما تتميز بها من مميزات ومحاسن. وهذا من شأنه أن يزيد في ترسيخ المذهب المالكي وتقدمه على حساب المذاهب الأخرى

هذه هي بعض العوامل التي تظهر لنا أنها أسهمت في ترسيخ المذهب المالكي وتألق نجمه في سماء السودان الغربي منذ فجر التاريخ إلى يومنا هذا، يتوارثه الأجيال جيلا عن جيل . وعلى ضوئه يتفقه الفقهاء، ويقضي القضاة ويحكم الحكام طبقات عن طبقات إلى القرن الثالث عشر الهجري وما بعده .

هذا ومما ينبغي التذكير به أن المكانة الاجتماعية والسياسية اللتين حظي بهما المذهب المالكي في الفترة التي نتحدث عنها، وخاصة القرن العاشر منها لم يسبق لها مثيل؛ لأنه يعد الفترة التي نال فيها الفقه المالكي عناية كبيرة ووجد علماؤه سلطة مطلقة في حرية التعبير والتفكير، وأصبحوا ذوي الحل والعقد.

فكلامهم مسموع ومنفذ ولهذا تعتبر هذه الفترة من أهم العصور في تاريخ الثقافة العربية الإسلامية عموما والمذهب المالكي على الخصوص في السودان الغربي.

وصفوة القول إن السودان الغربي من أهم المناطق في الغرب الإسلامي التي ساد فيها المذهب المالكي سيادة مطلقة دون منافس يستحق الذكر، وأصبح بذلك من أكثر المناطق انغلاقا عليه، وبعدا عن المذاهب الأخرى.

وبعد ما رأينا أن المذهب المالكي هو المذهب السائد في المنطقة، فما هي المراحل التي مر بها الفقه الإسلامي في المنطقة ؟ وهذا ما سنراه في الباب القادم إن شاء الله.

الباب الأول

الحركة الفقهية في السودان الغربي

الفصل الأول:

الفقه الإسلامي في السودان الغربي

الباب الأول

الحركة الفقهية في السودان الغربي

الفصل الأول: الفقه الإسلامي في السودان الغربي

المبحث الأول: المراحل التي مر بها الفقه الإسلامي في المنطقة

عرف السودان الغربي ما بين القرنين: الثامن والثالث عشر الهجريين حركة فقهية، متميزة، بدأت صغيرة ثم ترعرعت وشبت واشتد ساقها مع مرور الأيام، بفضل جهود علماء المنطقة والوافدين إليها، وعناية الحكام بها، وقد مرت هذه الحركة الفقهية بعدة مراحل.

المطلب الأول: طور التأسيس والنشأة

أولاً: مرحلة التأسيس: من القرن الثاني إلى القرن الخامس

يرتبط ظهور الحركة الفقهية في السودان الغربي بدخول الإسلام في المنطقة، الذي يرجع تاريخه إلى القرن الأول الهجري على الأرجح.

وقد بدأت الارهاصات الأولى للحركة الفقهية والعلمية تظهر في المنطقة ابتداء من منتصف القرن الثاني الهجري، واستمرت إلى القرن الخامس الهجري.

وفي هذه الفترة تمكن السودانيون من إرساء قواعد الحركة الفقهية وتأسيسها في المنطقة من خلال اتصالهم بالتجار العرب والبربر المسلمين الذين يتنقلون في كافة أرجاء المنطقة.

وحسبنا دليلاً على تعمق جذور الحركة الفقهية في المنطقة ما ذكره ابن خلدون أن موسى بن نصير أرسل مجموعة من المجاهدين الذين كانوا معه إلى جنوب المغرب ليعلموا البربر والملثمين والسودانيين القرآن والفقه[1]

---

1 - يراجع : صبح الأعشى للقلقشندي ج5، ص 284./ الدعوة الإسلامية في غرب إفريقية وقيام دولة الفولاني : د. حسن عيسى عبد الظاهر، ص93. /الحركة العلمية والثقافية والإصلاحية في السودان الغربي : د. أبو بكر إسماعيل، ص 23-24 .

وما ذكره محمود إسماعيل أن المذهب الصفري انتشر في المغرب والسودان منذ القرن الثاني الهجري بواسطة أبي القاسم سمكو بن واسول، حيث يقول:»... وقد رحب هؤلاء بمبادئ الخوارج لما تنطوي عليه من مساواة دون اعتبار للعنصر أو اللون. ووجد أبو القاسم سمكو فيهم أتباع مخلصين فالتفوا حوله واعتنقوا مذهبه... وليس أدل على ذلك أنه ما أن شرع الصفرية في إقامة دولتهم بسجلماسة سنة 140/757م حتى اختاروا أول أئمتهم من السودان وهو عيسى بن يزيد الأسود"[2].

ويضاف إلى ما سبق ذكره أن المنطقة كانت لها علاقة وطيدة مع الدولة الرستمية في تاهرت وخاصة في زمن عبد الوهاب[3]وابنه أفلح [4]اللذين لهما علاقة تجارية طيبة مع بلاد الكوكو في السودان[5].

وكان علماؤهم يتنقلون بين مدن السودان الغربي، والبعض يقطنها نهائياً يعلمون أهل السودان ويفقهونهم في الدين الإسلامي.

ومن العلماء الذين سكنوا في السودان عبد الحميد الفزاني، وكان ذلك ما بين القرن الثاني والثالث الهجريين، وقد وضع الدرجيني هذا العالم الجليل في الطبقة السادسة من العلماء الذين عاشوا ما بين (300-250) هجرية.

كما أرسل قاضي نفوسة عالماً كبيراً إلى بلاد السودان ليعلمهم في أمر دينهم واستمرت هذه العلاقة الطيبة بين السودان والإباضيين حتى بعد سقوط دولتهم بتهرت[6].

ولا شك أن وجود هذا العالم الكبير في السودان في هذا الوقت، وإرسال قاضي نفوسة عالماً آخر إلى المنطقة لدليل واضح على وجود علاقة ثقافية متينة وعميقة بين

---

2 - يراجع : الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، د. محمود إسماعيل ، ص 50 ، الطبعة الثانية 1985، دار الثقافة- الدار البيضاء. يراجع أيضاً ص 298-301./ المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، للبكري، ص 149.

3 - هو عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم، أحد أئمة الدولة الرستمية حكم ما بين (171-208) وقد بلغت الدولة في عهده قمتها.

4 - هو أفلح بن عبد الوهاب حكم الدولة الرستمية بعد أبيه ما بين (208- 258) إمتاز عهده بالنمو الاقتصادي والرخاء المعاشي، يراجع الدولة الرستمية، ص 399-400.

5 - يراجع : الخوارج في بلاد المغرب لمحمود إسماعيل ، ص282 وما بعدها./ الدولة الرستمية بحاز إبراهيم بكير، ص231- 232 ، الطبعة الأولى 1985، مطبعة لا فوميك - الجزائر./ الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الاباضية : سليمان باشا الباروني، الجزء الثاني ص 239 وما بعدها طبعة 1987 المطابع العالمية - سلطنة عمان./ المغرب الكبير : د. السيد عبد العزيز سالم، ص 573.

6 - يراجع : الدولة الرستمية، ص 387-390..

السودان والدولة الرستمية، ،وإن لرعايا الدولة الرستمية فضل السبق في نشر الإسلام في بعض أجزاء السودان ووضع البذور الأولى للحركة الفقهية في السودان الغربي منذ القرن الثاني الهجري ومما يؤكد ما ذهبنا إليه أن هناك مجموعة من السودانيين رحلوا في هذه الفترة إلى مصر، وتألقت نجومهم في سماء العلم، منهم الفقيه أبو محمد يوسف بن عبد الله التكروري الذي التحق بالأزهر وتعلم فيه ونبغ بين علمائه، وكان معاصراً للخليفة الفاطمي العزيز بالله الفاطمي سنة (386-365) الذي قربه وأغدق عليه كثيراً وظل يدرس في مصر إلى أن وافته المنية [7].

وصفوة القول أن كل هذه الدلائل التي سردنا تؤكد شيئا واحداً هو أن الحركة الفقهية في السودان الغربي لها جذور عميقة ومتينة وقديمة، وأن الارهاصات الأولى أو البذور الأولى للحركة الفقهية في السودان الغربي تعود إلى القرن الثاني الهجري، واستمر سقيها ورعيها إلى القرن الخامس الهجري، والله أعلم.

ثانياً: طور النشأة (من القرن الخامس إلى القرن الثامن)

تمتد هذه الفترة ما بين القرن الخامس إلى القرن الثامن الهجريين، وتعتبر هذه المرحلة، هي المرحلة التي وصل فيها المرابطون إلى المنطقة وصححوا بعض المفاهيم الإسلامية، فانتشر الإسلام في كثير من أنحاء السودان. وأقبل الناس إلى تعليم الإسلام لفهمه فهماً جيداً.

وقد أدى هذا الإقبال الكبير إلى ظهور مراكز علمية مهمة في المنطقة أسهمت كثيراً في نشر الإسلام وانتعاش الحركة الفقهية.

ومما يؤكد حدوث نقلة نوعية في مسيرة الحركة الفقهية من طور التأسيس إلى طور النشأة، ظهور مراكز علمية وجامعات كثيرة في السودان، ووجود عدد كبير من الفقهاء وطلبة العلم في المنطقة حتى أن البكري قال: « ... ومدينة غانة مدينتان سهليتان أحدهما المدينة التي يسكنها المسلمون وهي مدينة كبيرة فيها اثنا عشر مسجداً يجمعون فيه ولها الأئمة والمؤذنون والراتبون، وفيها فقهاء وحملة علم...» [8]

---

7 - يراجع : الخطط للمقريزي، الجزء الرابع، ص 133./ الإسلام والمسلمون في غرب إفريقيا : د. عبد الرحمن زكي، الجزء الأول، ص 43./ الحركة العلمية والثقافية والإصلاحية في السودان الغربي : د. أبو بكر إسماعيل، ص 24- 25 .

8 - يراجع : المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب للبكري، ص 175

وفضلاً عما ذكر، وجود مجموعة من علماء المشارقة والمغاربة الذين وفدوا إلى المنطقة واستوطنوها، وكان لهم دور مهم في انتعاش الحركة الفقهية ونشأتها، وتشجيع طلاب العلم على التحصيل.

ومما يعزز ما قلنا، ما قاله السعدي أن ملك جني لما أراد أن يسلم في القرن السادس الهجري جمع ما يقرب من 4200 عالم في المنطقة وأسلم على أيديهم.حيث يقول: «ولما عزم على الدخول في الإسلام أمر بحشر جميع العلماء الذين كانوا في أرض المدينة فحصل منهم أربعة آلاف ومائتان عالماً فأسلم على أيديهم ...[9]

ولا شك أن وجود هذا العدد وإن كان فيه نوع من المبالغة – في منطقة جنى وحدها فإنه يؤكد أمراً واحداً وهو أن الحركة الفقهية في هذه الفترة قد تأسست وتجذرت جذورها في السودان الغربي.

هذا ومن المؤكد أن بداية هذه الحركة انطلقت من تعليم الناس قراءة القرآن وإجادتها، ثم تعدى ذلك إلى دراسة الأحكام الشرعية التي تنطوي عليها تلك النصوص، ثم كان الاهتمام بالآثار التي يحفظها أولئك العلماء، وذلك بروايتها مشافهة وكتابة، والاستعانة بها على فهم أحكام القرآن والتصدي لحل المشكلات الفقهية التي يواجهها الناس وتبيين حكم الشرع فيها.

وتعتبر جامعات تنبكت وغيرها من المدن العلمية نقطة الانطلاق التي بدأت منها جهود الرعيل الأول من العلماء الذين استوطنوا المنطقة والذين توافدوا إلى السودان من مختلف جهات العالم الإسلامي، لتنشئة جيل من الفقهاء الذين سيتحملون مسؤولية التعليم والقضاء والإفتاء من بعدهم.

وكان هؤلاء العلماء المخلصون يحثون طلبة العلم بكل الوسائل على التعليم والتحصيل، مما جعل مجموعة منهم يرحلون إلى منابع العلم الأصيلة ونهلوا منها ، وقد نبغ كثير منهم كأمثال الشيخ فاتح بن عثمان التكروري المتوفي سنة 695 هجرية (1293م)[10]والشيخ صبيح بن عبد الله التكروري المتوفى سنة 731 هجرية وكان بارعاً في علم الحديث[11]...

---

9 - يراجع تاريخ السودان ص/12

10- الخطط للمقريزي : الجزء الثامن، ص362-364 .

11- أنظر الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لأبن حجر : الجزء الثاني، ص 205.

والشيخ راشد بن عبد الله التكروري المتوفى سنة 796 هجرية (1394م)[12] والشيخ عبد الملك بن علي الكانمي الذي اشتغل بالتعليم في مصر سنة 720 هجرية[13].

المطلب الثاني: طور الازدهار والنضج والإنتاج

بدأت هذه المرحلة من القرن الثامن إلى القرن الثاني عشر، بعد ما تأسست الحركة الفقهية في المنطقة و تجذرت عروقها في تربة السودان ونمت وترعرعت.

وتمتد هذه المرحلة من فترة مانسا موسى وأخيه منسا سليمان إلى عهد الأسكيين وجزء من عهد المغاربة.

أنشأت الحركة الفقهية في الازدهار منذ عهد منسا موسى وفي عهد منسا سليمان اللذين يعتبر عهدهما عهداً ذهبياً وفتحاً مبيناً في ميدان العلم والتعليم.

وتؤكد كثير من المصادر أن منسا موسى كان له اتصال وعلاقة وطيدة مع ملوك العالم الإسلامي، وجرى بينه وبينهم تبادل ثقافي مهم، وخاصة بعد رحلته المشهورة إلى الحجاز لأداء فريضة الحج، مما أدى إلى إرسال بعثات ثقافية من السودان إلى الخارج، كما استقطب مجموعة من علماء المشرق والمغرب إلى السودان مما نفخ في الحركة الفقهية روحاً جديدة وطفرت إلى الأمام [14]

وحسبنا دليلاً على بداية ازدهار الحركة الفقهية منذ تلك الفترة اهتمام السودانيين بالعلم، وإجبارية التعليم في المنطقة ، وقد استحسن ابن بطوطة هذه الغادة في السودان حيث قال:

«... فمن أفعالهم الحسنة قلة الظلم ... ومنها عنايتهم بحفظ القرآن العظيم، وهم يجعلون لأولادهم القيود إذا ظهرت في حقهم التقصير في حفظه فلا تفك عنهم حتى يحفظوه

ولقد دخلت على القاضي يوم العيد وأولاده مقيدون فقلت له: ألا تسرحهم ؟ فقال : لا أفعل حتى يحفظوا القرآن. ومررت يوماً بشاب منهم حسن الصورة عليه

---

12 - يراجع : أبناء الغمر بأبناء الغمر لأبن حجر، الجزء الثاني ، ص 582،

13 - يراجع : الدرر الكامنة، ج2 ، ص415-416 ، طبعة دار الجيل بيروت./ الحركة العلمية والثقافية والإصلاحية في السودان الغربي، ص 24-25

14 - يراجع : تاريخ السودان للسعدي، ص51-57./ دولة مالي الإسلامية ، إبراهيم طرخان، ص151 ./ الحركة العلمية والثقافية والإصلاحية في السودان الغربي، ص 37.

ثياب فاخرة وفي رجله قيد ثقيل فقلت لمن كان معي: ما فعل هذا؟ أقتل؟ ففهم عني الشاب وضحك وقيل لي: إنما قيد حتى يحفظ القرآن...»[15]

كما تتجلى هذه الظاهرة في كثرة المراكز العلمية التي بناها السلطان منسا موسى بعد رجوعه من الحجاز في كثير من أرجاء السودان، مما شجع السودانيين على الإقبال على طلب العلم، والتنافس في الرحلة إلى طلب العلم في العواصم الإسلامية الأخرى.

وقد استمر هذا الازدهار حتى في عهد أخيه منسا سليمان الذي قال عنه العمري أنه» ... بنى المساجد والجوامع والمآذن وأقام به الجمع والجماعات والأذان وجلب إلى بلاده الفقهاء من مذهب الأمام مالك رضي الله عنه، وبقي بها سلطان المسلمين وتفقه في الدين...»[16]

ووصل هذا الازدهار قمته في عهد الأسقيين وخاصة في زمن أسكيا الحاج الكبير وأبنه أسكيا داود. وظهرت في أول مرة مؤلفات السودانيين في الفقه وغيره من العلوم الإسلامية.

ويرجع سبب هذا الازدهار إلى اهتمام أسكيا محمد الكبير بالمراكز العلمية وبالعلماء وطلبة العلم.

وكان يستقدم العلماء من الخارج وخاصة من المشرق والمغرب والأندلس. وكان يقوم بالتدريس في جامعات تنبكت أشهر فقهاء ذلك الزمن. وتم جلب عدد كبير من الكتب التي اشتراها سلاطين السودان في العواصم الإسلامية إلى المنطقة[17]

فأدى كل هذا، إلى كثرة علماء المنطقة وتوافد الطلبة إليها من كل مكان. وظهر جيل جديد من علماء السودان. تألق نجمهم في سماء العلم، قاموا بتأليفات كثيرة، وذاع صيتهم في الآفاق. فأصبحت تمبكت عامرة بالعلماء والفقهاء والأدباء وطلبة العلم، وفي هذا يقول الحسن الوزان: «... وفي تمبكت عدد كثير من القضاة والفقهاء والأئمة يدفع إليهم الملك جميعاً مرتباً حسناً ويعظم الأدباء كثيراً، وتباع أيضاً مخطوطات كثيرة من بلاد البربر وتدر أرباحاً تفوق سائر البضائع...»[18]

---

15 - يراجع : رحلة ابن بطوطة، ص672-673

16 - يراجع : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار للعمري، ص 59-60 . /القلقشندي، الجزء الخامس ص297

17 - يراجع : مملكة سنغاي في عهد الأسقيين : زبادية، ص 137./ أفريقيات، نقولا زيادة، ص 349-350 ./ الحركة العلمية والثقافية... أبو بكر إسماعيل، ص 61 .

18 - يراجع : وصف أفريقيا، الحسن الوزاني، ج2، ص 167

هذا في عهد أسكيا الحاج الكبير. أما في عهد أسكيا داود، الذي ذكر أنه كان حافظا للقرآن، وله شيخ يعلمه كل مساء، فقد توقدت نار الحركة الفقهية وتأججت بشكل مثير للدهشة، وكان يغدق على العلماء والطلبة بدون حساب ويشجعهم على طلب العلم، بل كان له نساخ ينسخون له الكتب النادرة ليضعها في خزانته التي يرتادها أهل العلم، وأحياناً يهديها لبعض العلماء[19]

وقد استمرت الحركة الفقهية في الازدهار حتى في بداية الحكم المغربي، وإن كان مجيئهم أحدث صدمة كبيرة في الأوساط العامة بالسودان، وخللاً في سير الحركة العلمية قبل أن تستأنف السير من جديد.

وحسبنا دليلاً ما ذكره كعت، حيث يقول بعد بيان ما أحدثته جيوش المغاربة من فساد في المنطقة:

«... ثم جبر الله كسر تنبكت وكثر قراؤها وأدباؤها من كوكي إلى جن وجمع شملها وأقامها أتم قيام وعمرها وأفاض الله البركة في برها وبحرها في أوائل دولة جيش مولانا أحمد وأكثر الخير فيها حتى كاد الناس ينسون دولة سنغي...»[20]

ومما يعزز هذا القول ما ذكره محمد الغربي «... إن ما وقع في تنبوكتو لم يزد على أن يكون حادثة سير في مسيرة الحركة العلمية بتلك المدينة، ذلك لأن الباشا محمود بادر إلى تعيين قاض جديد بدل القاضي المنفي، ورسم أئمة لبعض المساجد، وحمل المدرسين على استئناف دروسهم التي توقفت لعدة أشهر، وبصفة عامة فإن الحياة الثقافية واصلت عملها بنفس الثقة والفاعلية السابقتين، وأكثر من ذلك فقد تجدد الوجه الثقافي للسودان بعد ظهور عوامل دافعة جديدة من بينها مجيء مدرسين وعلماء من المغرب...وقد حظي التعليم بنوع من التنظيم والعناية لم يكن يعرفهما من قبل ولم تعد المدارس وقفاً على أبناء العلماء أنفسهم وعلى عدد قليل من الطلبة ينفق القاضي عليهم من الوقف أو من مداخيله المحددة، بل أصبح التعليم بجميع أطواره مفتوحاً أمام كل راغب في تحصيله والجلوس له، وتكفلت الإدارة المغربية بأمكنة التعليم ورجاله وبالطلبة الأغراب...»[21]

---

19 - يراجع: تاريخ الفتاش، ص 94.

20 - يراجع: نفس المصدر، ص 181

21 - يراجع: بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، محمد الغربي، ص519-521 / إفريقيات نيكولا زيادة ص/350-351

وقد وصلت المؤسسات العلمية في هذه المرحلة في تنبكت وحدها ما بين 300-200 مؤسسة[22]

ومما يؤكد أيضاً استمرار الحركة الفقهية وازدهارها في زمن المغاربة – خاصة في عهد بعض الباشوات العادلين– أنه ظهر في هذه الفترة مجموعة من الأسر العلمية التي يشار إليها بالبنان، والتي لا تقل مكانتها في العلم عن مكانة أسرة أقيت المشهورة مثل: أسرة كداد الفولاني ومغيا والمجتهد وكوردو الفلاني والكنتيين والسيوطي وغيرها من الأسر العلمية التي ترك بعض أفرادها بصمات واضحة على الحركة الفقهية في السودان الغربي[23]

المطلب الثالث: طور الضعف والركود

بدأت معالم هذه المرحلة تطفو على الساحة منذ أواخر القرن الثاني عشر الهجري لما اضطربت حال المنطقة وقل الأمن وانعدم الاستقرار من جراء كثرة الثورات والغارات التي لا تنفك تنهال على المنطقة، والحروب التي تنشب بين الباشوات والرماة في كل فينة وأخرى.

وحسبك دليلاً على كثرة الاضطرابات وعدم الاستقرار في المنطقة أنه تولى السلطة– في أقل من قرن– ما يقرب مائة وستين باشا وزيادة.[24]

وقد أدت هذه الاضطرابات والظروف الطبيعية القاسية التي اكتسحت المنطقة في هذه الحقبة إلى نزوح كثير من العلماء والفقهاء والتجار إلى مناطق أخرى في الشرق والغرب وأقصى الشمال بحثاً عن الأمن والاستقرار،فضعفت حركة العلماء في المنطقة، وثبطت الهمم عن دراسة الفقه الإسلامي في مصادره الأصلية.

وهكذا أضحت مسيرة الحركة الفقهية تتخذ مساراً جديداً فاتحة مرحلة جديدة من الراحة والاستجمام. وبات من بقي من علماء المنطقة يدورون في حلقة مفرغة من الشروح والحواشي والتعليقات والمتون. والاعتكاف كلياً على ما تركه الرعيل الأول من الآثار دون إضافة شيء جديد يستحق الذكر.

وقد ازدادت هذه الأزمة حدة لما حل المستعمرون في المنطقة، إذ لم يعد للقلة القليلة الباقية من علماء المنطقة حرية في التفكير،ناهيك عن الحكم بما شرع الله، بل أديرت

---

22 – يراجع التاريخ الاجتماعي لتنبكت من 1400-1900 ، الياس سعد، ص 2-10 .

23 – نفس المصدر، ص 64 وما بعدها

24 – يراجع كتاب الترجماني في تاريخ الصحراء والسودان وبلاد تنبكت وشنجيت وأروان... للقاضي محمد بن محمود ص : 13-19/ تنبكت والرومات.أبيت بول ص : 254.

الظهور لأحكام الفقه الإسلامي. وبدأت رائحة القانون الغربي تفوح في أرجاء المنطقة ليحل محل الفقه الإسلامي، الأمر الذي جعل الحركة الفقهية تضعف أو تتوقف كلياً.

وبعبارة أخرى إن هجرة الأدمغة العلمية من المدن العلمية المشهورة ابتعاداً عن الفتن والفوضى، والانزواء والعزلة بالبوادي وضعف سلطة الشريعة الإسلامية في النفوس، والوازع الديني، أدت إلى قلة الاهتمام بالدراسات الإسلامية أو بالشريعة الإسلامية فأثر ذلك سلباً على الحركة الفقهية التي أفل نجمها في المنطقة.

ومن المفارقات العجيبة أن الحركة الفقهية بينما كانت تضعف في المراكز العلمية المشهورة أصبحت تزدهر في شرق المنطقة والقرى النائية عن مراكز الفتن والاضطرابات.

على أن هذه المرحلة وإن اعتبرناها عصراً راكداً وعقيماً بالنسبة للفقه الإسلامي، لقلة ما نجده من آراء فقهية أصيلة بالجملة، فإنه ظهر فيها بعض الأعلام الذين أثروا الفقه الإسلامي بآرائهم ومؤلفاتهم لكنهم قلة وأخص بالذكر الكنتيين وأسرة كورد الفلاني وكداد والمجتهد وزنكنو والعراقي والسيوطي ومغيا وغيرها، الذين تركوا أثراً واضحاً على الفقه الإسلامي في هذه المرحلة. كما أن لهذه المرحلة بعض المزايا التي لا يمكن إنكارها منها:

1. حفظ بعض نصوص الرعيل الأول من الضياع[25].
2. نشاط حركة التدوين في التطبيقات الفقهية وتشمل كتب الفتاوى التي حفظت لنا كثيراً من الآراء الفقهية والتي تمثل الناحية التطبيقية العملية لأنها تأتي على شكل أجوبة على أسئلة فيورد المؤلف السؤال ثم يورد الفتوى عليه مدعمة بالأدلة، ومن هذه الفتاوى نوازل التكرور ونوازل القصري ونوازل باي...
3. التعليق على بعض الكتب الفقهية.
4. حفظ بعض الأراجير والمتون الفقهية.
5. الاهتمام بما تركه علماء السودان من الفقه.
6. شرح بعض الكتب الفقهية التي ينتمي أصحابها إلى المنطقة.
7. اعتماد الفتوى على بعض آراء علماء السودان.

---

25 - معظم المخطوطات التي توجد في مركز أحمد بابا التمبكتي من هذا النوع.

وزبدة القول في هذا المبحث أن الحركة الفقهية قد بدأت في السودان الغربي منذ وقت مبكر، لكنها كانت متواضعة، واستمرت في هذه الحالة مدة من الزمن، ثم ما لبثت أن نمت نمواً عظيماً وازدهرت ازدهاراً عجيباً ونضجت نضوجاً كاملاً حسب مقاييس المنطقة وآتت ثماراً طيبة للمجتمع السوداني، إذ زودته بالأحكام لتنظيم مختلف أموره وشؤونه الدنيوية والأخروية.

ويرجع سبب هذا الازدهار إلى تشجيع الحكام ورعايتهم لها، وتضافر الجهود التي بذلها مجموعة من العناصر العلمية المختلفة التي توافدت على المنطقة، من أجل قيام نهضة علمية عظيمة في السودان.

ونتجت من هذا الجهد المشترك حركة علمية لها أهميتها رغم أن بدايتها كانت متواضعة، إذ ظهر ثلة من علماء السودان الذين تعلموا وأخذوا عن علماء المشارقة والمغاربة والأندلس الذين استوطنوا السودان.

وفي هذا الدور أيضاً ظهرت مؤلفات علماء السودان وتعليقاتهم وحواشيهم وفتاويهم . واستمرت الحركة الفقهية في نمو دائم وازدهار مستمر وحيوية دافقة حتى اعتراها الضعف والركود فتعثرت وتوقفت عن سيرها الأول شيئاً فشيئا حتى استحالت جامدة، نتيجة لأزمات سياسية وطبيعية وخلقية وثقافية اجتاحت المنطقة– أدت إلى هجرة الأدمغة العلمية من العواصم العلمية ابتعاداً عن الفتنة والفوضى – ولضعف العلماء الأواخر وقلة اهتمامهم بالفقه الإسلامي.

على أن مع ركود الحركة الفقهية في القرون الأخيرة، فإنه وجد فيها بعض الأعلام هنا وهناك الذين أثروا الحركة الفقهية بآرائهم ومؤلفاتهم من حين لآخر وإن كانوا قلة.

المبحث الثاني: طابع الحركة الفقهية

تمهيد:

وصلت الثقافة الإسلامية مجدها في السودان خلال القرن التاسع والعاشر والحادي عشر الهجرية بفضل جهود ملوك المنطقة الذين بذلوا النفس والنفيس لجلب العلماء واستقطابهم إلى المنطقة.

فأصبحت جميع المعارف تستوعب وتدرس وتناقش باللغة العربية التي غدت اللغة الرسمية في الكتابة والثقافة على السواء.

وازدهرت الحركة العلمية بشكل عام، والحركة الفقهية بشكل خاص، بفضل اهتمام العلماء بالفقه والعلوم المساعدة على فهمه. لكن الحركة الفقهية رغم ازدهارها سيطر عليها طابع التقليد والاختصار والحفظ.

المطلب الأول: طابع التقليد

عرف السودان الغربي حركة فقهية متميزة ما بين القرنين الثامن والثالث عشر الهجريين فازدهرت ازدهاراً كبيراً، لاهتمام علماء المنطقة بالفقه المالكي، وبلغوا في فهمه الغاية القصوى،حتى أصبحوا ينتجون فيه، لكن هذا الإنتاج ليس مستقلاً تمام الاستقلال.

فأغلب ما أنتجوه في هذا الميدان - وإن لم نقل كله- خالياً من نفحة التجديد. فإنتاجاتهم الفقهية تنحصر في شرح كتب السابقين ووضع الحواشي والتعليقات عليها وغير ذلك مما لا يخرج عن دائرة التقليد[26].

ومن هنا خيمت ظاهرة التقليد على الحركة الفقهية في السودان فأصبح الفقه يدور في حلقة مفرغة، وأمسى ماؤه شبه راكد آسن.

فمن نظر إلى الكتب التي تعتمد عليها الحركة الفقهية[27]، وما أنتجه علماء المنطقة في هذا الصدد يظهر له جلياً ظاهرة التقليد التي تسيطر على الحركة الفقهية، حيث أن علماء المنطقة لم يخرجوا عن دائرة التقليد فيما أنتجوه. وكان أحسنهم حظاً من يمحص أقوال العلماء السابقين ويناقشهم، ويعلق على أقوالهم لتصحيح أخطائهم وبيان

---

26 - يراجع: مملكة سنغاي في عهد الأسقيين، ص 132-140 .

27- أنظر مبحث الكتب المعتمدة في التدريس.

هفواتهم، ومن هنا اختنقت ظاهرة التقليد الحركة الفقهية في السودان الغربي ولم تترك لها فرصة للتنفس.

والواقع أن ظاهرة التقليد أو الجمود التي طغت على الحركة الفقهية في المنطقة، وعدم اجتهاد الفقهاء في المسائل الفقهية، ظاهرة سادت العالم الإسلامي كله في هذه الفترة التي نتحدث عنها وإن كان هناك تفاوت بين مناطق العالم الإسلامي نتيجة لعوامل سياسية وعقلية وخلقية واجتماعية طرأت على المسلمين في القرون المتأخرة، وأثرت في كل مظهر من مظاهر نهضتهم وأحالت نشاطهم الفقهي إلى فتور[28].

وهكذا أصبح العلماء لا يرددون إلا ما قاله الأوائل، وأكثر من هذا فإن نصوص الكتاب والسنة لم تعد محل استدلال، وإنما أقوال العلماء هي التي حلت محل النصوص الشرعية[29].

وحسبك في تشخيص هذه الظاهرة ما قاله العلامة الحجوي في الفكر السامي، في معرض حديثه عما آل إليه الفقه الإسلامي بعد القرن الرابع الهجري، وما صار إليه العلماء من الجمود والتحجر والاعتكاف على حل رموز المختصرات:

«... ولم يبق بعدها– أي طبقة المجتهدين في المذهب– إلا أهل التقليد المحض غالباً... حسبهم أقوال المتقدمين من أهل مذهبهم وتطبيقاً على الواقع الوقتية فنصوص مذهبهم قامت مقام نصوص الشارع... فغالب العلماء من المائة الثامنة إلى الآن لم يحفظ لهم كبير اجتهاد ولا لهم أقوال تعتبر في المذهب أو المذاهب، وإنما هم نقالون اشتغلوا بفتح ما أغلقه ابن الحاجب ثم خليل وأبن عرفه وأهل القرون الوسطى من المذاهب الفقهية،إذ هؤلاء السادة قضوا على الفقه أو على من اشتغل بتوليفهم وترك كتب الأقدمين من الفقهاء بشغل أفكارهم بحل الرموز التي عقدوها فجنت الأفكار وتخدرت الأنظار بسبب الاختصار فترك الناس من النظر في الكتاب والسنة والأصول وأقبلوا على حل تلك الرموز التي لا غاية لها ولا نهاية، فضاعت أيام الفقهاء في الشروح ثم في التحشيات والمباحث اللفظية...»[30][(1)].

28 – يراجع : دراسة تاريخية للفقه وأصوله، د. مصطفى سعيد الخن، ص113-114 .

29 – يراجع : بلاد شنقيط، ،الخليل النحوي، ص 116.

30 – [(1)] يراجع : الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي ، مج 2، ص 392-393 . أنظر بحثنا في دبلوم الدراسات العليا، ص 49-50 .

ومما يؤكد أن ظاهرة التقليد قد سادت العالم وأصبح منهجا متبعاً لدى معظم العلماء، وأن المذهبية أصبحت ظاهرة متبعة ما قاله الشيخ مصطفى الزرقا عند حديثه عن دور الركود في الفقه الإسلامي:

«... ففي هذا العصر ساد الفكر التقليدي المغلق وانصرفت الأفكار عن تلمس العلل والمقاصد الشرعية في فقه الأحكام إلى الحفظ الجاف والاكتفاء بتقبل كل ما في الكتب المذهبية دون مناقشة، وطفق يتضاءل ويغيب ذلك النشاط الذي كان لحركة التخريج والترجيح والتنظيم في فقه المذاهب، وأصبح مريد الفقه يدرس كتاب فقيه معين من رجال مذهبه فلا ينظر إلى الشريعة وفقهها إلا من خلال سطوره بعد أن كان مريد الفقه قبلاً يدرس القرآن والسنة وأصول الشرع ومقاصده...»[31].

ولعل شيوع هذه الظاهرة على الحركة الفقهية في السودان الغربي هو الذي جعل السودانيين وعلماءهم يتشبثون بالمذهب المالكي وفقهه ولا يبغون بهما بديلا– كما بينا في محله– والإعراض عن المذاهب الفقهية الأخرى.

وخلاصة القول: إن الفقه الإسلامي قد تطورت دراسته في السودان الغربي ما بين القرنين الثامن والثالث الهجريين وازدهرت لكن سيطر عليها التقليد، حيث أن الفقهاء لم يخرجوا به أو لم ينزلوا به إلى أرض الواقع بل ظلوا يرددون ما قاله الأوائل، دون أن يضيفوا شيئاً جديداً يستحق الذكر إلا ما ندر.

وهذا ناتج عن غلق باب الاجتهاد، وإجبارية الالتزام بالمذهب الواحد في العصور المتأخرة، واعتبار الخروج عنه بدعة وضلالة، وإن لم نقل حراماً.

المطلب الثاني: طابع الاختصار

اصطبغت الحركة الفقهية في السودان الغربي بطابع الاختصار، حيث نجد أن أغلب الكتب الفقهية المعتمدة في الحلقات الدراسية يطغى عليها طابع الاختصار، مما جعل الحركة الفقهية تتأثر بهذه الظاهرة كما أن أغلب اهتماماتهم الفقهية انصب على المختصرات الفقهية مما أثر سلباً على مؤلفاتهم[32]

---

31 – المدخل الفقهي العام: مصطفى الزرقا، ج1، ص 186، الطبعة التاسعة 1968/1967 دار الفكر. المدخل إلى دراسة تاريخ التشريع الإسلامي، فروق النبهان، ص343.

32 – ومن أهم المختصرات التي سحرت علماء السودان مختصر خليل الذي وجد إقبالاً منقطع النظير في المنطقة. فأغلب جهود علماء السودان الفقهية تركزت على شرحه وفتح استغلاقه وتحرير مشكلاته، والتنبيه

والواقع إن ظاهرة الاختصار التي اصطبغ بها الفقه الإسلامي في المنطقة ليست ظاهرة خاصة بالسودان الغربي، بل هي ظاهرة سائدة – في العصر الذي ندرسه– في أنحاء العالم الإسلامي وإن كانت تتفاوت من منطقة إلى أخرى .

وقد بدأ ظهور المختصرات الفقهية في المذهب المالكي منذ القرن الثالث الهجري وازدادت انتشاراً في القرن الرابع، ثم تضخم حجمها بشكل ملفت للنظر في القرن السابع الهجري[33].

على أن الاهتمام بهذه الظاهرة ما لبث أن تطور مع مرور الزمن بسبب تقاعس الهمم عن تحصيل المبسوطات، والتعامل مع المطولات، وقصور الفقهاء عن الابتكار والإبداع.

ولا شك أن هذه الظاهرة ناتجة عن ظاهرة أخرى لا تقل خطراً عنها وهي ظاهرة غلق باب الاجتهاد الذي جعل العلماء أو الفقهاء المتأخرين عالة على السابقين، فركنوا إلى الخمول الفكري واقتصروا على ما وجدوه مدوناً لدى الأقدمين، واعتكفوا على كتب المختصرات الفقهية لا يبغون بها بديلا، واهتموا بها أيما اهتمام في حلقات التدريس.

على أن سلوك المتأخرين هذا المهيع كان الغرض منه تبسيط الفقه للمبتدئين وتيسير فهمه وحفظ مسائله، لكن هذا التبسيط أو التسهيل جنى على الفقه، حيث أصبحت أحكام الفقه أو مسائله رموزاً يصعب فهمها على الخاصة بله العامة. ومن هنا اضطر العلماء إلى وضع شروح وحواشي لهذه الرموز لكي تفهم، وانصب اهتمامهم على شروح هذه الرموز ومن هنا أصبحت جهود الفقهاء منحصرة في فتح ما استغلقه أصحاب المختصرات الفقهية فكثرت الشروح والحواشي. ولعمري أن هذا الأمر ينطبق كثيراً على فقهاء السودان.

وقد ندد بهذه الظاهرة التي أفقدت الفقه الإسلامي نضارته وحيويته مجموعة من العلماء ، نذكر منهم المؤرخ الكبير أبن خلدون الذي قال في هذا الصدد:

«... ذهب كثير من المتأخرين إلى اختصار الطرق والأنحاء في العلوم يولعون بها ويدونون منها برنامجاً مختصراً في كل يشتمل على حصر مسائله وأدلتها باختصار في الألفاظ وحشو القليل منها بالمعاني الكثيرة من ذلك الفن، فصار ذلك مخلاً بالبلاغة

على أخطاء شراحه، وما وقعوا فيها من هفوات. أنظر بحثنا د د ع، ص 49.

33 - يراجع : مباحث في المذهب المالكي، د.عمر الجيدي ، ص 87-88 .

وعسيراً على الفهم، وربما عمدوا إلى الكتب الأمهات المطولة في الفنون للتفسير والبيان فاختصروها تقريباً للحفظ كما فعله أبن الحاجب في الفقه... وهو فساد في التعليم وفيه إخلال بالتحصيل...»[34].

ومن العلماء الذين ندوا بظاهرة النقول في المختصرات وترك أمهات الكتب الإمام المقري حيث يقول:

«ولقد استباح الناس النقل من المختصرات الغريبة أربابها ونسبوا ظواهر ما فيها لأمهاتها... ثم تركوا الرواية فكثر التصحيف وانقطعت سلسلة الاتصال، فصارت الفتوى تنقل من كتب لا يدرى ما زيد فيها مما نقص لعدم تصحيحها، وقلة الكشف...»[35].

ومن العلماء الذين هاجموا ظاهرة الاهتمام بالمختصرات دون الأمهات الشيخ أحمد بابا التمبكتي حين قال– في معرض حديثه عن مختصر خليل والرسالة واهتمام الناس بهما– «... فعكف الناس عليهما شرقاً وغرباً حتى لقد آل الحال في هذه الأزمنة المتأخرة إلى الاقتصار على المختصرات في هذه البلاد المغربية مراكش وفاس وغيرهما، فقل أن ترى أحداً يعتني بابن الحاجب فضلاً عن المدونة، بل قصاراهم الرسالة وخليل وذلك علامة دروس الفقه وذهابه...»[36].

ومما يعزز سيطرة طابع الاختصار على الحركة الفقهية في السودان الغربي، أن الشيخ أحمد بابا– الذي يندد بظاهرة الاهتمام بالمختصرات والنقول منها دون الأمهات – لم يفلت من قبضة سلطة المختصرات فأغلب ما وصلتنا من كتاباته الفقهية عبارة عن شروح وحواشي على مختصر خليل أو تقارير لبعض مشكلاته ونكته.

هذا ومن المؤكد أن ظاهرة الاختصار قد تركت آثاراً سلبية على الفقه الإسلامي في المنطقة، إذ نجد أن المختصرات الفقهية وجدت آذاناً صاغية لدى علماء السودان فعكفوا عليها اعتكافاً وضيعوا أوقاتهم في شرحها وفتح استغلاقها، وليتهم اهتموا بأمهات الكتب الفقهية التي ترجع إليهم بفائدة جمة أكثر من المختصرات.

34- يراجع : مقدمة أبن خلدون، ص 457 ./ مباحث في المذهب المالكي، ص 91 .

35 - يراجع : المعيار للونشريسي، ج2، ص 479 ./مباحث في المذهب المالكي، ص 90 .

36- يراجع نيل الابتهاج، أحمد بابا التمبكتي، ص 171 منشورات كلية الدعوة الإسلامية طرابلس، الطبعة الأولى 1989/1391.

وقد أجاد العلامة الحجوي حين قال– في معرض حديثه عن آثار المختصرات على الفقه الإسلامي وعلى الفقهاء – «... وتخدرت الأنظار بسبب الاختصار فترك الناس النظر في الكتاب والسنة والأصول وأقبلوا على حل تلك الرموز التي لا غاية لها ولا نهاية فضاعت أيام الفقهاء على الشروح ثم التحشيات والمباحث اللفظية... وأحاطت بعقولنا قيوداً فوق قيود وآصار فوق آصار.

فالقيود الأولى التقيد بالمذاهب وما جعلوا لها من القواعد ونسبوا لمؤسسيها من الأصول.

الثانية أطواق التأليف المختصرة المعقدة التي لا تفهم إلا بواسطة الشروح واختصروا في الشروح، فأصبحت هي أيضاً محتاجة لشروح وهي الحواشي، وهذا هو الأمر الذي لا انفكاك له والعروة التي لا انفصام لها...»[37].

وهكذا أحاط الفقهاء «بستان الفقه بحيطان شاهقة ثم بأسلاك شائكة ووضعوه فوق جبل وعر بعد ما صيروه غثاً والقوا العثرات في طريق ارتقائه والتمتع بأفيائه حتى يظن الظان أن قصدهم الوحيد جعل الفقه حكراً بيد المحتكرين ليكون وقفاً على قوم من المعممين، وأن ليس القصد منه العمل بأوامره ونواهيه، وبذله لكل الناس وتسهيله على طالبيه، بل القصد قصره على قوم مخصوصين ليكون حرفة عزيزة وعيناً من عيون الرزق عزيزة وحاشاهم أن يقصدوا شيئاً من هذا...»[38].

وزبدة القول إن الحركة الفقهية في العصر الذي ندرسه اصطبغت بطابع الاختصار لكثرة اهتمام الفقهاء بالمختصرات الفقهية، فخيم على الحركة الفقهية كتب المختصرات الفقهية، وأصبحت جهود العلماء منحصرة في شرح هذه المختصرات وحل رموزها.

ويرجع هذا الاهتمام بالمختصرات إلى ضعف الهمم وفتور العزائم وتقاعس الهمم عن تحصيل المبسوطات والتعامل مع المطولات وعجز الفقهاء عن الابتكار والإبداع، وتيسير الدروس للحفظ وجمع ما هو متفرق في كتب الفروع ليكون أجمع للمسائل، لكن هذا القصد الحسن الذي من أجله اهتم العلماء بالاختصار والمختصرات انقلب إلى ضده فجنى على الفقه الإسلامي وقضى على حيويته ومرونته ونضارته.

---

37 –الفكر السامي، مج2،/ ص 392-393.

38 – يراجع: نفس المرجع، مج2 ص393.

المطلب الثالث: طابع الحفظ

يعتبر ظاهرة الحفظ ناتجة عن ظاهرتين خطيرتين وهما ظاهرة الاختصار والتقليد، ولهذا نجد أن الحركة الفقهية في السودان قد سيطر عليها ظاهرة الحفظ، إذ اهتم الفقهاء كثيراً بالحفظ حتى أصبح معياراً للتفقه، ويؤكد هذا الأمر ، المثل السائد في ذلك الوقت: «من حفظ حجة على من لم يحفظ». ولذا نجد في المنطقة مجموعة من الفقهاء والطلاب الذين يحفظون أمهات الكتب والمختصرات الفقهية دون أن يجدوا عناء في ذلك.

بل إن العلماء يحثون الطلبة وكل من يشتغل بالعلم بالحفظ، ولهذا سادت ظاهرة الحفظ على الحركة الفقهية بالسودان في العصر الذي ندرسه.

وهذه الظاهرة كانت منتشرة في السودان حتى في وقت قريب إذ نجد الطالب أول ما يبدأ به الحفظ، ويستمر فيه حتى يتعود على الحفظ. فهو يبدأ بحفظ القرآن ثم المتون ويستمر في الحفظ إلى ما شاء الله، وربما استظهر مجموعة من النصوص والسور – وقد يختم القرآن– دون أن يعرف الكتابة، مما يدل على الاهتمام بالحفظ.

والواقع أن ظاهرة الحفظ التي اصطبغت بها الحركة الفقهية في السودان ظاهرة منتشرة في العالم الإسلامي فيما بين القرنين: الثامن والثالث عشر الهجريين وخاصة في الغرب الإسلامي.

وقد بين ابن خلدون هذا الأمر لما تكلم عن منهج المغاربة في التلقي، حيث ذكر أن المدرسة المغربية تولي جانب الحفظ والاستظهار أكبر عنايتها، بينما كانت المدرسة التونسية تفضل جانب التحصيل والتعمق في البحث وقوة التصرف في النصوص[39].

ويعزو ابن خلدون هذا الأمر إلى أن التونسيين كانوا يخلطون في تعليمهم للولدان القرآن بالحديث في الغالب ومدارسة قوانين العلوم...

فتربت فيهم ملكة الفهم والتعمق في النصوص، بينما المغاربة يقتصرون في تعليم الولدان على حفظ القرآن وحده دون غيره مما أكسبهم ملكة حفظ النصوص واستظهارها.

وكانت من نتيجة الاهتمام بالحفظ أكثر من الفهم أنك «... تجد طالب العلم منهم بعد ذهاب الكثير من أعمارهم في ملازمة المجالس العلمية سكوتاً لا ينطقون ولا

39 - يراجع : مقدمة ابن خلدون، ص343/ مباحث في المذهب المالكي، ص 177.

يفاوضون، وعنايتهم بالحفظ أكثر من الحاجة فلا يحصلون على طائل من ملكة التصرف في العلم والتعليم. ثم بعد تحصيل من يرى منهم أنه قد حصل تجد ملكته قاصرة في علمه إن فاوض أو ناظر أو علم، وما أتاهم القصور إلا من قبل التعليم وانقطاع سنده، وإلا فحفظهم أبلغ من حفظ من سواهم لشدة عنايتهم به وظنهم أنه المقصود من الملكة العلمية وليس كذلك...»[40].

على أن الحركة الفقهية في المغرب والحركة الفقهية في السودان وجهان لعملة واحدة، ولهذا لا نعجب إذا رأينا أن الحركة الفقهية في السودان يطغى عليها طابع الحفظ لأن المغاربة هم أوائل شيوخ فقهاء السودان، وما أتاهم العلم إلا من قبلهم قبل أن يأتي من جهة أخرى.

هذا ومن المؤكد أن السودانيين وإن اهتموا بالحفظ أكثر من التحصيل لا يعني أنهم ألغوا جانب التحصيل، لأن التحصيل مهم في فهم النصوص واستنباط الأحكام، فكلما في الأمر أن جانب الحفظ غلب على جانب التحصيل.

على أن المنهجين اللذين ذكرهما ابن خلدون، فلكل منهما جانبه الإيجابي. فإذا كان الفهم يعين على تربية الملكة، وسرعة التحصيل، فإن الحفظ يبقى شيئاً ضرورياً لا سيما في بداية عهد الطالب بالدراسة.

ولعل قلة عناية التلاميذ بالحفظ الآن هو الذي جعل مستوى العلم يتقهقر إلى حد لا يتصور. فحصول ملكة التصرف في النصوص يرتبط بالحفظ والفهم، وبدون حفظ يصعب حصوله، ولهذا فالحفظ ليس أمراً سلبياً محضاً كما يراه البعض والله أعلم.

وتجدر الإشارة إلى أن المدرسة الإسلامية عموماً كانت تعتمد على الذاكرة، وتعتبرها أهم وسيلة في تحصيل العلم، ولهذا معظم العلوم الإسلامية وصلت إلينا عن طريق الرواية الشفوية في بدايتها. إذا فلا غرور أن يهتم السودانيون بالحفظ اقتداءً بالسلف.

ومن مظاهر سيطرة الحفظ على الحركة الفقهية استظهار الفقهاء مختصر خليل والرسالة والتوضيح والمدونة وغيرها من الكتب الفقهية كما يحفظون القرآن: ولعل اهتمامهم بالحفظ أكثر من اللازم يرجع إلى تأثرهم بقول بعض العلماء: «من حفظ

---

40 - مقدمة ابن خلدون، ص343.

حجة على من لم يحفظه» وقولهم: «من لم يحفظ النصوص فهو لص» وغيرهما من العبارات التي تحفز أهل العلم على الحفظ.

ويبدو أن اهتمامهم بالحفظ يرجع أيضاً إلى قلة الكتب، والأوراق التي يكتب عليها وقلة المصابيح الزيتية في المنطقة، وشيوع الحفظ في ذلك الوقت.

ومن مظاهر اهتمامهم بالحفظ أيضاً أنهم يسخرون من الذين لا يحفظون النصوص، حيث يشبهونهم « بضبع الأربعاء». بل حتى في وقت قريب كنا نسمع من شيوخ شيوخنا هذه العبارة أو النكتة: « جلاد علماء النهار وجهال الليل»[41].

وصفوة القول : إن الحركة الفقهية في السودان طغت عليها ظاهرة الحفظ التي نتجت عن ظاهرتي: التقليد والاختصار، حيث اهتم فقهاء المنطقة بالحفظ واعتنوا به عناية كبيرة على حساب الفهم، فحفظوا المتون الفقهية وغيرها من العلوم الإسلامية، متأثرين في ذلك بالمنهج السائد في الغرب الإسلامي.

إلا أنه ورغم اهتمامهم بالحفظ فإنهم لم يهملوا كلياً جانب التحصيل والفهم، بل اعتنوا به أيضاً وإن كان اهتمامهم به أقل من اهتمامهم بالحفظ لأن التحصيل والفهم أمران ضروريان لاستنباط الأحكام من النصوص.

ولا غرو في اهتمامهم بالحفظ لأن « حصول الملكة يكون بكثرة الحفظ وجودتها يكون بجودة المحفوظ»[42].

---

41 - جلاد : قبيلة من قبائل الطوارق في السودان الغربي، وقد ظهر فيهم علماء كثيرون لكن قلة اهتمامهم بالحفظ، جعل الناس ينعتونهم بعلماء النهار وجهال الليل، على فرض أنه لا يوجد ضوء يقرءون عليها في الليل.

42 - مقدمة ابن خلدون : ص 496.

المبحث الثالث: ازدهار الحركة الفقهية وأسبابه ومظاهره وعناصرها

المطلب الأول: ازدهار الحركة الفقهية

عرف السودان الغربي ما بين القرن التاسع الهجري والقرن الثالث عشر حركة علمية مزدهرة ونشطت نشاطاً ملحوظاً في جميع مجالات المعرفة وخاصة الفقهية منها.

وفي هذا الوقت ازدهرت الحركة الفقهية ازدهاراً عجيباً ونضجت نضوجاً كاملاً، وأتت ثمارها للناس، وزودت المجتمع السوداني بكل ما يحتاج إليه من تشريع. فظهرت في هذه الفترة نوابغ فقهاء السودان الذين تركوا أثراً خالداً، وبصمات واضحة على الحركة الفقهية في السودان، ذاعت شهرتهم في الآفاق.

واشتهرت مدن علمية في السودان تعج بأهل العلم وطلابه وأصبحت مركز إشعاع ثقافي مهم يؤمه طلبة العلم والعلماء من كل مكان مثل: تنبكت وجني وغاو وإيولاتن وأدغست وبوجبيهة وحمد الله ... فازدهر التعليم في مساجدها ومعاهدها وغدت محجة العلماء والفقهاء من بلدان العالم الإسلامي.[43]

وهكذا أصبحت هذه المراكز العلمية تستقطب رجال الفكر والعلم من كافة الأمصار الإسلامية. وغدا السودان بمدنه الزاهرة مشعلاً من مشاعل العلم والمعرفة، ولهذا أخذ الطلاب يفدون إليه من كل حدب وصوب لتلقي العلم...

وكان لتشجيع حكام السودان وأهاليه للحركة العلمية بصفة عامة، والفقهية بصفة خاصة أكبر الأثر في ازدهار العلوم الإسلامية في المنطقة.

وفي هذه المرحلة دونت كثير من الكتب الفقهية من طرف علماء المنطقة من شروح وحواشي وتعليقات إلى غير ذلك من التقييدات الفقهية التي لا تخلو من فائدة.

ومما زاد من ازدهار الحركة الفقهية في القرن الثاني عشر وجزء من القرن الثالث عشر كثرة الحوادث والنوازل مما جعل العلماء يضطرون إلى الاجتهاد لإيجاد حلول مناسبة لهذه النوازل الجديدة التي لم تكن معروفة من قبل. وأكثر الفتاوى المخطوطة في مركز أحمد بابا بتنبكت من هذا النوع.

---

43 - الحركة العلمية والثقافية والإصلاحية في السودان الغربي: د. أبو بكر إسماعيل ص: 34.

المطلب الثاني: أسباب ازدهار الحركة الفقهية

قلنا إن الحركة الفقهية في السودان الغربي عرفت تطوراً ملحوظاً فيما بين القرنين التاسع والثاني الهجريين وجزء من القرن الثالث عشر. ونشطت نشاطاً كبيرا وكثرت مسائلها بشكل لم يعهد من قبل في السودان. وهذه الظاهرة لها أسباب كثيرة ومتعددة منها:

1- رعاية ملوك السودان للحركة الفقهية

اعتنى ملوك السودان بالحركة العلمية بصفة عامة والحركة الفقهية بصفة خاصة فاهتموا بالفقهاء والطلبة وشجعوا العلماء على التحصيل والاجتهاد والإنتاج. وتظهر هذه العناية في تقريبهم الفقهاء والرجوع إلى آرائهم واستفتائهم واستشارتهم في أمور الدولة والحوادث المتجددة.

فهذا منسا موسى بعد رحلته الشهيرة إلى الحج عرف بأنه استقدم عدداً كبيراً من العلماء ولاسيما من مصر والمغرب والأندلس لتنشيط الحركة الفقهية في السودان فامتلأت بلاده بالعلماء من السود والبيض[44].

وهذا منسا سليمان اقتفى أثر أسلافه « بنى المساجد والجوامع والمواذن وأقام به الجمع والجماعات والآذان وجلب إلى بلاده الفقهاء من مذهب الإمام مالك رضي الله عنه...»[45][(1)].

وهذا أسكيا محمد الكبير لما وصل إلى الحكم «.. صاحب العلماء واستفتاهم فيما يلزمه من أمر الحل والعقد ...»[46].

ومن مميزاته «حب العلماء والصالحين والطلبة... والتواضع للعلماء وبذل النفوس والأموال لهم...»[47].

ولما توفي سن خلفاؤه هذه السنة الحميدة، فهذا ابنه أسكيا داود كان شديد الاحترام للعلماء والتواضع لهم ويقول:

---

44 - يراجع : دولة مالي الإسلامية، إبراهيم طرحان، ص 147-151./ الحركة العلمية والثقافية والإصلاحية في السودان الغربي، أبو بكر إسماعيل، ص 37 .

45 - يراجع : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار للعمري ، ص 59-60./ صبحي الأعشى للقلقشندي، ج5 ، ص 297 ./ تاريخ السودان للسعدي ، ص 57 . أبوبكر إسماعيل، ص 83-84 .

46 - تاريخ السودان للسعدي، ص 72 .

47 - تاريخ الفتاش لمحمود كعت، ص 59 .

« لو لا العلماء لكنا من الهالكين»[48] وهو أول من اتخذ خزائن الكتب من الأمراء وله نساخ ينسخون له الكتب وربما يهادي به أحد العلماء[49]. وقد اشترى قاموساً لأحد العلماء بثمانين مثقالاً[50].

وهذا أسكيا إسحاق : فكان كريماً ... بلغ غاية من التصدق والعطاء وكان محباً للعلماء ومكرماً لهم...»[51].

وهذا سلطان كياك كان يأتي بالطعام لطلبة العلم ويأكلونه وهو واقف يحمل الإناء لهم..[52].

وحسبك في هذا الأمر أيضاً ملوك الماسنيين الذين بلغ احترامهم للعلم والعلماء إلى درجة أنهم وضعوا شرطاً لمن يكون عضواً في المجلس الأعلى للدولة أن يكون عالماً[53].

ولا شك أن هذا الاهتمام وهذه العناية الكبيرة الفائقة بالعلماء من طرف ملوك السودان وأمرائه وحكامه، على اختلاف عصورهم قد أعطت للحركة الفقهية نفساً مهماً للازدهار والتقدم.

2 – عقد المجالس العلمية والاهتمام بشؤون الطلبة: فقد اهتم الأهالي والملوك على الخصوص بعقد المجالس العلمية في بيوتهم والعناية بالطلبة. وفي هذا الإطار استدعى أسكيا عبد الكريم المغيلي لإلقاء الدروس في مدينة غاو عاصمة المملكة، كما كانت له علاقة وطيدة مع جلال السيوطي الذي لم يتوقف في استشارته في أموره حتى توفي. واستقدم ملوك الماليين مجموعة من العلماء إلى البلاد للتدريس.

3– اقتناء ملوك السودان الكتب النفيسة ووضعها رهن إشارة العلماء وفي متناولهم: فهذا منسا موسى بعد رجوعه من الحج اشترى كتباً كثيرة لتزويد علماء بلده وكذا فعل مانسا سليمان الذي استقدم فقهاء وعلماء مالكيين ، واشترى كتباً فقهية كثيرة لإنعاش الحركة الفقهية في السودان الغربي[54].

---

48 – نفس المصدر، ص 113 .

49 – نفسه، ص 94

50 – نفسه، ص 108

51 – نفسه، ص 143

52 – الفتاش، ص 179–180 .

53 – يراجع : مملكة ماسنا ، همباتي وبا داغي ، ج1، ص 54. L EMPIRE PEUL de Macina A.H.BA Paris Mouton co La HAYE (1853-1818)1،et J.Daget Vol

54 – يراجع : العمري، ص 59-60./ القلقشندي، ج5، ص 297 ./ السعدي، ص 57 . أبو بكر إسماعيل، ص 83-84 .

وهذا أسكيا داود اشترى للفقيه محمود كعت القاموس المحيط في تنبكت بثمانين مثقالاً[55].

وهكذا أصبح الرجوع إلى المصادر الأصلية سهلة وميسرة، مما سهل الأمور للعلماء والطلبة وشجعهم على التحصيل والاجتهاد في طلب العلم.

4- تقديم الهبات المالية للعلماء وتعظيمهم من قبل ملوك السودان ودفع الأجور للأساتذة ومساعدة الطلبة مساعدة مادية ومعنوية للانقطاع لطلب العلم، ويتكلف بهذا الأمر القضاة[56].

وفي هذا الصدد اشترى أسكيا لما زار الحرمين جناناً بمائة ألف دينار ذهباً وحبسها على الفقراء والعلماء والمساكين[57].

كما أعطى الشريف الحسني (ابن الصقلي) مائة ألف دينار وخمسمائة خادم ومائة إبل ضيافة...[58].

ولما زار الحسن الوزان المنطقة وجد « في تمبكت عدداً كثيرا من القضاة والفقهاء والأئمة يدفع إليهم الملك مرتباً حسناً ويعظم الأدباء كثيراً... »[59].

5- الأمن والثراء والرخاء التي امتاز بها السودان وخاصة في عهد الملوك الأقوياء، من أهم الأسباب في ازدهار الحركة الفقهية حتى قال كعت: «مع الهناء والعافية التي خص الله بها أهل تنبكت وترى منهم مائة رجل ليس لأحد منهم حريش ولا سيف ولا مدية إلا المنساة... »[60].

وقال أيضاً عن بلدة جعب لشدة أمنها يقال له بلد الفقهاء « ... لا يدخله سلطان مل وليس لأحد حكم فيه إلا قاضيه ومن دخله كان آمناً من ضيم السلطان وجوره ومن قتل ولد السلطان لا يسأله السلطان بدمه يقال له بلد الله... »[61].

55- يراجع : تاريخ الفتاش، ص 109 .
56- يراجع : مملكة سنغاي في عهد الأسقيين،ص 76، 141
57- يراجع : تاريخ الفتاش، ص 16./ أبو بكر إسماعيل، ص39 .
58 - يراجع : تاريخ الفتاش، ص 18 .
59 - يراجع : وصف إفريقيا، ج 2 ،ص 167 .
60 - يراجع : تاريخ الفتاش، ص 180 .
61 - نفسه، ص 179.

وقد ساعد هذا العامل كثيراً على جلب عدد كبير من ذوي العلم إلى السودان، فالأمن عنصر هام لازدهار أي شيء، ولهذا لما ساد في السودان الأمن والأمانة اتجه العلماء صوبه.

وقد اعترف ابن بطوطة بهذه الحقيقة لما زار المنطقة، فقال: حين تحدث عن الأفعال الحسنة في السودان:

«... فمن أفعالهم الحسنة قلة الظلم، فهم أبعد الناس عنه وسلطانهم لا يسامح أحداً في شيء منه، ومنها شمول الأمن في بلادهم فلا يخاف المسافر فيها ولا المقيم من سارق ولا من غاصب...»[62].

6- توافد العلماء من المشرق والمغرب والأندلس إلى المنطقة وخاصة تنبكت إثر سقوط الأندلس وبغداد. فقد وجد هؤلاء الوافدون ترحيباً كبيراً لدى الأهالي واستقبالاً فريداً من نوعه من ملوك السودان، لهذا فجروا طاقاتهم لازدهار الحركة الفقهية.

7- إمكانات البلاد الهائلة وظروف التجارة المربحة: فقد عرفت المنطقة عالمياً وخاصة تنبكت بثرواتها الطائلة، مما جعل العلماء والفقهاء يقتفون أثر التجار، إذ ذلك يمكنهم من التفرغ للعلم، فلما استوطنوا المنطقة شاركوا في ازدهار النهضة الفقهية في السودان.

ومما يدل على إمكانات البلاد الهائلة ما ذكره العمري عندما تحدث عما وجده التجار المصريون من الربح مع الماليين لما زاروا مصر في طريقهم إلى الحج، فقال «... إن الرجل منهم كان يشتري القميص أو الثوب أو الإزار وغير ذلك بخمسة دنانير وهو لا يساوي ديناراً واحداً. وكانوا في غاية سلامة الصدر والطمأنينة تجوز عليهم مهما جوز عليهم، ويأخذون كل قول يقال لهم بالقبول والصدق...»[63].

وقد أكد هذا الأمر الحسن الوزان، حينما تحدث عن زيارته للسودان فقال: «...تستعمل قطع الذهب الخالص بدلاً من العملة المسكوكة والودع لشراء الأشياء التافهة...»[64].

ومما يدل على ربح التجارة في السودان ما ذكره العمري حين قال «... إن المعاملة في بلاد التكرور بالودع، وإن التجار أكثر ما تجلب إليهم الودع، وتستفيد به فائدة جليلة...»[65].

---

62 - يراجع رحلة ابن بطوطة ص : 672.
63 - يراجع : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ص 73 .
64 - يراجع : وصف إفريقيا، ج2 ، ص 167.
65 - يراجع : مسالك الأبصار للعمري، ص 71 ./ القلقشندي، ج5 ، ص 292 .

وكذلك ما ذكره الحسن الوزان لما زار المنطقة «... وتباع أيضاً مخطوطات كثيرة تأتي من بلاد البربر وتدر أرباحاً تفوق سائر البضائع...»[66].

ومن أهم ما يؤكد غنى السودان وثرائه، المثل المغربي القائل:

إن جرب جملك فعليك بالقطران وإن افتقرت فسافر إلى السودان[67].

ولا شك أن هذه النصوص التي جلبنا هنا وغيرها من النصوص التي تضيق المقام لجلبها تدل دلالة واضحة على أن السودان كانت منطقة غنية جداً، تسيل اللعاب، مما جعله كعبة يتجه إليها الناس من كل حدب وصوب.

8- كثرة الكتب والمخطوطات التي ترد على أسواق السودان وخاصة تنبكت بكمية كبيرة مما جعل مكتباته تزخر بأهم الكتب المعروفة في ذلك العصر في مختلف الفنون.

وقد ذكر الحسن الوزان أن بيع الكتب يدر أرباحاً هائلة لأصحابها تفوق سائر أرباح السلع الأخرى.[68] الأمر الذي جعل تجار الكتب يتجهون نحو المراكز العلمية في السودان لينالوا جزءاً من هذا الربح العظيم. وقد أدى تطور تجارة الكتب إلى ازدهار الكتابة أو النسخ.

على أن مما لا مراء فيه أن سهولة تناول الكتب والحصول عليها في أقرب وقت عند الحاجة إليها ساعد كثيراً على ازدهار النهضة الفقهية في السودان الغربي.

9- حرية التفكير والعمل:

كان من أسباب ازدهار الحركة العلمية بصفة عامة والحركة الفقهية بصفة خاصة تمتع علماء السودان بحرية تامة في تفكيرهم في مجال العلم، والعمل بما يؤمنون به من رأي وما تطمئن إليه قلوبهم دون خوف من أحد، الأمر الذي شجعهم على تطوير بنات أفكارهم والخوض في كل مسائل الحياة اليومية فجاءت انتاجاتهم غزيرة جريئة.

---

66 - يراجع : مسالك الأبصار للعمري، ص 71 ./ القلقشندي، ج5 ، ص 292 .

67 - يراجع : إفريقيا في ظل الإسلام، نعيم قداح، ص 131 .

68 - يراجع وصف إفريقيا ج2 ص : 167

10- إخلاص العلماء في عملهم:

كان فقهاء السودان حريصين كل الحرص على أن يقدموا كل ما لديهم من العلم للطلبة أثناء التدريس بكل إخلاص ووعي وصبر وصدق، مما جعل الحركة الفقهية تطفر طفرة مهمة إلى الأمام.

وهذا السعدي يصف أحدهم بقوله: له» صبر عظيم على التعليم أثناء النهار وعلى إيصال الفائدة للبليد بلا ملل ولا ضجر حتى يمل حاضروه...»[69]

11- مثابرة الطلبة السودانيين واجتهادهم في طلب العلم، ورحلاتهم إلى الخارج لتحصيل العلم في مراكزه الأصلية، وعند رجوعهم، يحاولون نشر ما تعلموه من علم وأدائه بأمانة. ولشدة حرصهم على التعليم والدراسة، كان البعض منهم يستغلون حتى الليالي المقمرة للمطالعة،[70] الأمر الذي يبين اهتمامهم الكبير بالعلم وتفانيهم في سبيله.

12- من أسباب ازدهار الحركة الفقهية اهتمام ملوك السودان ببناء المرافق العلمية في كافة أنحاء السودان- وقد وصل عدد المدارس في عهد ملوك الماسنيين ما يفوق 600 مدرسة- مما سهل لطلاب العلم أخذ العلم في مراكز مختلفة، دون التنقل أحياناً إلى أماكن بعيدة يصعب على الطالب أن يصل إليها إلا بعد مشقة وعناء[71]

13- احترام العلماء

كان من أسباب ازدهار الحركة العلمية بصفة عامة والحركة الفقهية بصفة خاصة احترام أهالي السودان العلماء، ملكاً وشعباً، فقد وجد العلماء احتراماً كبيراً لدى السودانيين مما جعلهم يخلصون في عطاءاتهم الفكرية، وقد وصلت مكانة العلماء في السودان درجة، أحياناً تفوق درجة الملوك.

وهذا أسكيا محمد الكبير لا يعارضه في أموره « إلا القاضي...ولا يجلس معه على سريره إلا الشرفاء... ولا يقوم لأحد إلا للعالم والحجاج إذا قدموا من مكة ولا يأكل معه إلا العلماء والشرفاء وأولادهم...»[72]

69 - يراجع السعدي ص : 44

70 - يراجع نفسه ص : 93

71- يراجع : العمري، ص 59-60 ./ القلقشندي : ج5 ، ص 297 ./ تاريخ الفتاش : ص 59. مملكة ماسنا : همبتي با وداغي، ص 49 ./ أبو بكر إسماعيل : ص 89-90 .

72 - يراجع : تاريخ الفتاش، ص 11، 59 ./ أبوبكر إسماعيل : ص 41-42 ، 89-90 .

وهذا أسكيا داود كان شديد الاحترام للعلماء وكذا أسكيا إسحاق الذي كان محباً للعلماء ومكرماً لهم.

ولشدة احترام السودانيين للعالم يعتبرون بيته مقدسا لا يدخل فيه أحد، ومن التجأ إلى داره فقد أمن من الإيذاء[73].

ومما يؤيد احترام السودانيين للعلماء أنه حتى الملك على بير الذي عرف بقسوته على العلماء فإنه يقر بفضلهم ويخضع لهم أحياناً، حيث يقول « لو لا العلماء لا تحلو الدنيا ولا تطيب، ويفعل الإحسان في آخرين ويحترمهم»[74].

ويضاف إلى ما سبق ذكره أن آكل حاكم تنبكت من الطوارق – لما سمع بمجيء علي بير إلى تنبكت « أحضر ألف جمل رحل فقهاء سنكري ومشى بهم إلى بير فقال إن شأنهم هو الأهم عليه» حتى لا يؤذيهم علي بير أثناء حملته على تنبكت[75]

ولا شك أن هذا الاهتمام الذي أولاه السودانيون ملكاً وشعباً للعلماء جعلهم يبذلون قصارى جهدهم لازدهار الحركة الفقهية.

14– انتعاش حركة العلماء بين المدن السودانية

كان من أسباب ازدهار الحركة الفقهية في السودان انتعاش تنقل العلماء بين المدن السودانية، فقد كان أهل العلم وطلابه في حركة دائبة بين المغرب والسودان، وبين مصر والسودان وبين المدن السودانية مما أتاحت الفرصة لطلبة العلم في السودان أن يأخذوا عن أكثر من عالم، وأن ينوعوا معارفهم، ويزيد من عدد إجازاتهم، الأمر الذي جعل الحركة الفقهية تنتعش انتعاشاً كبيراً ويثير التنافس بين عوالي الهمة من الطلبة للأخذ عن أفذاذ العلماء الذين يفدون إلى السودان[76].

15– رحلات الملوك إلى الحج:

من أسباب ازدهار الحركة العلمية عامة والحركة الفقهية خاصة في السودان الغربي رحلات الملوك إلى الحج، حيث يحدث اتصالات مهمة بين العلماء والملوك من جهة،

---

73 - يراجع : تاريخ الفتاش، ص 94، 108، 143.

74 - يراجع : تاريخ السودان، ص 67 .

75 - يراجع : نفس المصدر ، ص 65

76 - يراجع : إفريقيات نقولا زيادة، ص 350 ./ أبو بكر إسماعيل، ص 39 .

وبين العلماء المرافقين للملوك وعلماء المشارقة من جهة أخرى. وينتج عن هذا اللقاء تبادل ثقافي وعلمي بين العلماء، وإيفاد بعض العلماء إلى السودان، وشراء كتب علمية، وكل ذلك يكون لصالح الحركة الفقهية وازدهارها. ومما يمكن ذكره هنا رحلة منسا موسى إلى الحج ورحلة الحاج أسكيا الكبير، فقد تركت هاتان الرحلتان صدى كبيراً في كتب التاريخ، وتركتا بصمات واضحة على ازدهار الحركة العلمية في السودان[77].

وإلى جانب رحلات الملوك إلى الحج هناك الرحلات التي يقوم بها العلماء إلى الحج، فقد كانت هذه الرحلات بمثابة فرصة لبعض علماء السودان، فيلتقون بأكبر علماء عصرهم ويتبادلون معهم الآراء في مجال شتى، ويطلبون منهم الإجازة[78].

ويضاف إلى رحلات العلماء والملوك إلى الحج، الرحلات العلمية التي يقوم بها بعض الطلبة والعلماء إلى المغرب والمشرق، فكل هذه الرحلات انعكس إيجابياً على مستوى العلماء والطلبة وعلى مستوى الحركة الفقهية في السودان الغربي.

16- اعتماد القضاء على الفقه الإسلامي

كان من أسباب ازدهار الحركة الفقهية في السودان اعتماد القضاء على الفقه الإسلامي، إذ حاول بعض ملوك السودان أن يردوا الاعتبار للفقه الإسلامي وينصبوا قاضياً في كل بلد يستحقه ليفصل بين الناس بموجب الشريعة الإسلامية[79]، الأمر الذي جعل الفقهاء يجتهدون ويبحثون حلولاً مناسبة لما يجد ويحدث في المجتمع من النوازل، مما جعل الفقه الإسلامي في السودان فقهاً حياً يواكب التطورات والحوادث التي تحدث في المجتمع فازدهرت الحركة الفقهية.

17- وهناك أيضاً عنصر مهم ساعد كثيراً على تنشيط الحركة الفقهية وهو كثرة الدعاوى والمرافعات وخاصة في القرن الثاني عشر والثالث عشر مما جعل الفقهاء والقضاة في تفكير دائم لإيجاد حلول لها.

هذه هي بعض العوامل التي ساعدت على ازدهار الحركة الفقهية في السودان. وزبدة القول:

77- يراجع : العمري، ص 70-74 ./ تاريخ الفتاش، ص 34-37، 65-68 .

78 - يراجع السعدي : ص 37-47 .

79 - يراجع : العمري، ص 59-60 ./ تاريخ الفتاش، ص 59 ./ أبو بكر إسماعيل : ص 89-90 .

إن هناك مجموعة من العوامل تضافرت لازدهار الحركة الفقهية في السودان، وعلى رأسها عناية ملوك السودان ورعايتهم للفقه والفقهاء، وتوفير الحرية الفكرية للعلماء واحترامهم، وإمكانات البلاد الهائلة، وسيادة الأمن في كافة أرجاء السودان، واعتماد القضاء والفتوى على الفقه الإسلامي وغيرها من الأسباب التي تفاعلت فيما بينها وتضافرت فأعطتنا حركة فقهية مزدهرة طارت شعاعها في كافة أرجاء السودان وأنارت الطريق للمجتمع.

المطلب الثالث: مظاهر ازدهار الحركة الفقهية في السودان

بعد ما رأينا ازدهار الحركة الفقهية وأسبابها سنحاول أن نبين في هذه النقطة بعض مظاهر الحركة الفقهية في السودان الغربي، وتتجلى هذه المظاهر في عدة جوانب منها:

1- كثرة الطلبة والكتاتيب، ويؤكد هذا الأمر ما ذكره كعت نقلاً عن محمد المولود أن في تمبكت « مدارس معلم الصبيان الذين يقرؤون القرآن، مائة وخمسين أو ثمانين مكتباً... »[80]. وذكر أيضاً أنه «حضر مكتب المعلم علي تكريا يوم الأربعاء بعد صلاة الظهر وجعل صبيانه يأتون إليه بخمس ودعات وبعضهم عشر ودعات على عادتهم المسماة الأربع حتى تحصل قدامه ألف وسبعمائة وخمسة وعشرون ودعا، قال الراوي المذكور أسرحت نظري إلى ألواح الصبيان المتخذة في عرصة داره، وعددت منها مائة وثلاثة وعشرين لوحاً وظننت أن تكون جملة القرآن محصلة في تلكم الألواح... »[81].

ولا شك أن هذا النص يوضح أن تنبكت التي تعد من أهم المراكز العلمية في السودان كانت تزخر بالكتاتيب. وقد ذهب بعض المؤرخين إلى أن عدد الطلاب في مدارس تنبكت خلال القرن العاشر بداية القرن الحادي عشر يبلغ ما يقرب خمسة وعشرين ألف طالب[82]وأوصلها بعضهم إلى ثلاثين ألف طالب[83]. على أن هذا العدد وإن كان يظهر قليلاً بمقياس وقتنا الراهن، إلا أن له قيمته ووزنه في الفترة التي نتحدث عنها.

80 -يراجع : تاريخ الفتاش، ص 180 .

81 -نفسه ص : 180 – 81 .

82 -يراجع : سليم زبال» أنقذوا تمبكت من أجل التاريخ الإسلامي» ، مجلة العربي عدد244 ربيع الثاني 1399/ مارس 1979، ص 70.

83 - يراجع : د. فاي منصور « من تاريخ الإسلام في مالي وسنغاي» نقلاً عن سيكيني مودي سسكو، حوليات الجامعة الإسلامية بالنيجر، العدد الثاني سنة 1417/ 1996، ص 237.

وذهب بعض المؤرخين أيضاً إلى القول بأن عدد المدارس وصل في عهد ملوك الماسنيين ما يقرب ستمائة مدرسة و740 كتاباً من كتاتيب القرآن موزعة بين 18 حي من أحياء مدينة حمد الله[84].

2- كثرة الأساتذة الوافدين من المغرب والمشرق والأندلس إلى السودان الغربي.

3- تضلع علماء السودان في العلوم الإسلامية، ومما يذكر في هذا الصدد أن منسا موسى لما رجع من الحج استقدم أحد علماء المشارقة ليدرس في تنبكت فوجد أن علماءها يفوقونه في العلم فسافر إلى فاس ليتعلم ثم رجع إلى السودان[85].

4- ظهور انتاجات علماء السودان، وتتجلى هذا الإنتاج في شروحهم لبعض المؤلفات الفقهية وتعليقاتهم عليها[86].

5- ظهور فقهاء نوابغ من السودان لهم كعب عال في العلوم الإسلامية تصدوا للتدريس في أعظم العواصم الإسلامية، وقد وصف السعدي أحدهم بأنه لو كان حياً في زمن ابن عبد السلام بتونس لاستحق أن يكون مفتياً فيها، لتمكنه في العلوم الإسلامية.[87]

6- تقسيم السنوات الدراسية إلى مراحل مختلفة يمكن أن نصنفها إلى ابتدائية وثانوية وعالية تجاوزاً.[88]

7-كثرة الكتب والمخطوطات في الأسواق وإقبال الناس على شرائها بأثمان غالية حتى قال الحسن الوزان « ... وتباع أيضاً مخطوطات كثيرة تأتي من بلاد البربر وتدر أرباحاً تفوق أرباح سائر البضائع... »[89].

84- مملكة ماسنا : همبتي با وداغي، ص 49 .

85 -يراجع : السعدي، ص 51 .

86 - سنذكر بعض مؤلفاتهم في الفصول الآتية من هذا الباب.

87 - يراجع : السعدي، ص 34 .

88 - يراجع : مملكة سنغاي في عهد الأسقيين، ص 142 ./ محمد الغربي : ص 549-553 ./ عبد القادر بادية « ملامح الحركة التعليمية في تمبكتو خلال القرن السادس عشر »، المجلة التاريخية المغربية، عدد8 يناير 1977، تونس، ص 32 .

89 - يراجع : وصف إفريقيا، ص ج2 ، ص 167 .

8– كثرة المكتبات وزخرها بالكتب النادرة النفيسة وخاصة عند الأسر العلمية كأسرة أقيت وبغيغ...ومغيا والكنتيين...

9– تعدد الأسر العلمية في أنحاء السودان وخاصة في تنبكت، ومن أشهر هذه الأسر: أسرة أقيت وأندغ وبغيع وكعت وزنكنو وكداد والفلاني وكورد الفلاني والسيوطي ومغيا والمجتهد والكونتيين...[90]

10– كثرة الطلبة الأجانب الوافدين على بعض المدن العلمية في السودان مثل تنبكت وجاو وجني، حتى أن السعدي قال في ترجمة سيد يحيي التادلسي :

«... قيل لا ينسلخ شهر إلا ويختم عليه تهذيب البرادعي لكثرة قرائه والبلد حافلة يومئذ بالطلبة السودانيين، أهل المغرب المجتهدين في العلم والصلاح...»[91].

11ـ كثرة أماكن التدريس للمراحل العليا وخاصة في تنبكت التي توجد فيها مساجد يمكن اعتبارها جامعات للتعليم العالي لكثرة خريجيها ولتوافد الطلاب عليها بكثرة مثل جامعة سنكري وجنغري بير وسيدي يحيى التادلي...

12ـ اعتماد القضاء والفتوى على الفقه، فهو مظهر من مظاهر ازدهار الحركة الفقهية.

13ـ تطور حرفة الكتابة وكثرة دكاكين النساخين والوراقين.

14ـ انتشار التعليم في وسط العامة والخاصة وبين الرجال والنساء، وإجبارية التعليم على جميع المسلمين وخاصة في عهد ملوك الماسنيين[92]

15ـ إعطاء الإجازات العلمية للطلبة المتخرجين، وهذا مظهر واضح على ازدهار الحركة العلمية في السودان بصفة عامة والحركة الفقهية بصفة خاصة.

16ـ انتشار العلم في صفوف الأمراء والملوك، فهذا منسا موسى وأخوه منسا سليمان لهما إلمام كبير بالفقه الملكي ويتحدثان باللغة العربية بطلاقة.

90- يراجع : الياس سعد، ص 240 وما بعدها.

91 -يراجع : السعدي، ص 47-48./ المجلة التاريخية المغربية عدد8، يناير 1977، تونس ، ص 31-39 .

92 -يراجع : السعدي ، ص 30 ./ تاريخ إفريقيا الغربية، سيكيني مودي سسوكو، ص 282 ./ مملكة ماسنا : همبثي با وداغي، ج1 ، ص 64 . / بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، ص 546-549 .

وهذا أسكيا داود، حافظ للقرآن، وقرأ الرسالة فأتمها، وله شيخ يعلمه كل يوم. أما ملوك الماسنيين فكلهم علماء، مما مكنهم من بناء دولة إسلامية صرفة لم تظهر مثلها في السودان[93].

17- استيراد الكتب من الخارج، فالبحث عن الكتب النفيسة أينما وجدت في أنحاء العالم الإسلامي بأي ثمن ، مظهر واضح لتقدم الحركة العلمية عامة والفقهية بصفة خاصة.

18- كثرة الرحلات العلمية: فالسودانيون لما تذوقوا حلاوة العلم لم يكتفوا بما أخذوا من العلماء المحليين، بل استزادوا العلم، فرحلوا إلى المشرق والمغرب ليأخذوا عن جهابذة علماء المشارقة والمغاربة ويناقشوا معهم بعض المسائل العلمية كالناصر اللقاني والأجهور وبرهان الدين البقاعي وخالد الأزهري وابن غازي والسيوطي وغيرهم من جهابذة علماء القرن التاسع والعاشر الهجريين[94].

المطلب الرابع: العناصر المساهمة في ازدهار الحركة الفقهية

كانت منطقة السودان الغربي من أهم المناطق الغنية في العالم ما بين القرنين: الثامن والثالث عشر الهجريين، مما جعل الأنظار تتجه إليها من كل حدب وصوب.

ومن بين الذين اتجهوا صوب هذه المنطقة الغنية الجذابة الخلابة مجموعة من العلماء الذين جاءوا من أماكن متفرقة من العالم فسكنوا في أهم مدنها العلمية كتنبكت وجني وغاو وأروان وولاته... وبعد استقرارهم في المنطقة عملوا بانسجام مع علماء المنطقة على تنشيط الحركة العلمية بصفة عامة والحركة الفقهية بصفة خاصة، صهرت في بوتقتها أخير جميع الطاقات. ومن أهم العناصر التي لعبت دوراً بارزاً في تنشيط الحركة الفقهية ما يلي:

أولاً: العنصر المحلي

يمثل العنصر السوداني العنصر الأساسي في الحركة الفقهية، وقد تكون معظمهم تكويناً محلياً، وخاصة في تنبكت وجني وولاته وأروان...

93 - يراجع : العمري ، ص 59-60 ، 71./ صبح الأعشى للقلقشندي، ج5 ، ص 297 ./ تااريخ الفتاش، ص 94 ./ مملكة فلانية في القرن 19. (دينا) بنت سننكوا، ص 51-54 .

94 - يراجع : السعدي، ص 37-47 ./ مملكة سنغاي في عهد الأسقيين، ص 146./ العلاقة بين المغرب الأقصى والسودان : الأمين عوض، ص 198.

كما أن الكثير منهم رحلوا إلى الخارج وتتلمذوا على أيدي علماء المشرق والمغرب، ثم عادوا إلى السودان يحملون راية العلم وشعلته- كما يعود النحل محملاً بالعسل الشهي - ينشرونه بين أبناء جلدتهم بحماسة متوقدة.

ومنهم من استغل فرصة أداء فريضة الحج فعمد إلى لقاء كبار الشيوخ في المراكز التي مر بها وحضر مجالسهم التعليمية لمدة قصيرة قبل أن يستجيزهم ليضيف سنداً جديداً إلى أسانيده القديمة، أمثال: أحمد أقيت محمد محمود بغيغ وأحمد محمود بغيغ...[95].

وهكذا أصبح هذا العنصر من الدعائم الأساسية في ازدهار الحركة الفقهية في المنطقة.

ثانياً: العنصر المغربي

يمثل علماء المغاربة العنصر الأساسي والغالب في الحركة العلمية بالسودان بصفة عامة والحركة الفقهية بصفة خاصة، نظراً لقرب المنطقة من المغرب، ولصلات المغرب الثقافية التي تربطها بالسودان منذ وصول المرابطين إلى المنطقة، الذين تاخمت مضاربهم الأولى المنطقة وأدت حركتهم الإصلاحية في مطلع القرن الخامس الهجري إلى تدفق الإسلام إلى المنطقة[96].

ومنذ هذا التاريخ ما فتئ علماء المغاربة يقصدون المنطقة وخاصة تنبكت، إما للإقامة بها نهائياً أو مؤقتاً.

ومن هذه الأسماء اللامعة التي تركت بصمات واضحة على الحركة الفقهية: سيدي يحيى التادلسي، الفقيه عبد الواحد محمد بن الفقيه الجزولي، الفقيه المقرئ عبد الواحد، أبو العباس الدكالي، محمد بن عمر المكناسي، الحاج محمد الوجدي التازي، الفقيه محمد الفلالي، الشيخ أبو عثمان سعيد الدكالي، عبد الرحمان بن علي بن أحمد القصري ثم الفاسي السفياني شيخ المنجور...[97].

وهكذا شكل العنصر المغربي أهم عنصر ازدهار الحركة الفقهية في السودان الغربي، ولا زالت سلالة بعضهم ساكنة في بعض مدن السودان- كتنبكت وجنى - إلى يومنا هذا.

---

95 - يراجع: نيل الابتهاج ،ص 41-43 ،600-603. / السعدي: ص 37-47 .

96 - يراجع: الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، د. محمد حجي، ص 70، طبعة 1976/1396، مكتبة الطالب الرباط.

97 - يراجع: رحلة ابن بطوطة، ص 664-665 ، 672 ./ السعدي، ص 37 وما بعدها ./ بداية الحكم المغربي في السودان الغربي ، ص 514-533 /. أبو بكر إسماعيل، ص 42-43 .

ثالثاً: العنصر الأندلسي

لقد بدأ هذا العنصر يتوافد على السودان منذ القدم، وزاد توافدهم عليه وخاصة تنبكت بعد نكبة الأندلس وسقوطها في أيدي الأوروبيين.

وهكذا قدم كثير منهم إلى تنبكت وسكن بعضهم فيها نهائياً نظراً لسيادة الأمن والرخاء واحترام المجتمع للعلماء،واستضافتهم استضافة جيدة، مما جعل هؤلاء العلماء يخلصون في تدريسهم ونقلهم المعرفة إلى المجتمع فأحاطهم الطلبة وأخذوا واستفادوا منهم كثيراً، ولعل أبرز رموز هذا العنصر الشاعر الأندلسي المفلق إبراهيم الساحلي المعروف < بالطويجن> الذي استقدمه منسا موسى لبناء قصره، وجامع جنغرييبر[98] الذي لا زال أثره قائماً إلى يومنا هذا .

ومما يؤسف له أن المصادر التاريخية لم تسعفنا بقائمة أسماء علماء الأندلس الذين استوطنوا تنبكت وشاركوا مشاركة فعالة في تنشيط الحركة الفقهية في السودان.

رابعاً: العنصر المشرقي

لعب هذا العنصر دوراً مهماً في تنشيط الحركة العلمية في السودان بصفة عامة والحركة الفقهية بصفة خاصة نظراً للصلات الثقافية والتجارية القائمة بين المشرق والسودان منذ عصر المماليك في مصر، مما جعل علماءه يتوافدون إلى المنطقة بطوع إرادتهم أو بطلب من سلاطين السودان، الذين لم يترددوا في تقليدهم مناصب مرموقة في الدولة، مما جعل المنطقة تحظى باهتمام المشارقة.

كما أن كثيراً من طلبة السودان وعلمائه، رحلوا إلى المشرق للدراسة، أو أثناء الحج، انتهزوا الفرصة للاجتماع بأكبر علماء المشرق لمناقشة بعض المسائل العلمية، الأمر الذي ساهم في تبادل العلماء بين المنطقتين.

وتعد زيارة منسا موسى المشهورة لمصر أثناء رحلته إلى الحج وكذا رحلة أسكيا الكبير إلى الحج، من أكبر حدث أثر في جلب علماء المشرق إلى السودان، وتبع ذلك رحيل من علماء مصر إلى تنبكت، ورحيل علماء تنبكت إلى مصر[99]

---

98 - يراجع : رحلة ابن بطوطة، ص 672 ./ أبوبكر إسماعيل، ص 32 .

99 - يراجع : حسن أحمد محمود، ص 224-225 .

ومن أبرز أسماء اللامعين الذين تركوا بصمات واضحة على الحركة الفقهية من خلال زياراتهم للمنطقة أو من خلال كتبهم: شمس الدين ابن النفوشي والقاضي عبد الرحمان والتميمي ناصر الدين اللقاني، والسيوطي وشمس الدين السخاوي... وشمس الدين بن النقويش...[100]

خامساً: العنصر الجزائري

لعب هذا العنصر دوراً طلائعياً في النهضة الفقهية في المنطقة نظراً للصلات الثقافية التجارية القائمة بين المنطقتين منذ القرن الثاني الهجري في عهد بني رستم.[101]

وقد جاء علماء كثيرون من مختلف أرجاء الجزائر من توات وورجلان وتلمسان وفزان إلى السودان.

وقد وفد كثير منهم إلى المنطقة على هيئة تاجر أو عالم، أو عالم تاجر فشاركوا في نشر الإسلام والثقافة العربية الإسلامية. ولما طاب لهم المقام في المنطقة سكن كثير منهم تنبكت، وكان لهم حي خاص فيها يدعى بحي التواتيين.

وقد كان بعضهم يجوبون المنطقة في كل حين وآخر رغم صعوبة المنطقة ووعورتها وخطورتها للتجارة.

وقد أجاد التاجر العالم الورجلاني أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم المتوفى سنة570 هجرية في وصف متاعب السفر ومشقته في منطقة السودان.حين رجع سالماً بعد ما رأى شبح الموت بعينه في مفاوز السودان حيث قال في قصيدة له:

جزى الله وارجلان خير ما جزى ... به بلداً عن طالب الخير سائر
هو جنة الدنيا وأبواب مكة ... ومعدن تبر غانة والدنانر
فمن كان يبغي الحج فليأت ورجلان ... يجد سبلها رحباً وخطرة خافر
فلا وجود في الدنيا لمن قل ماله ... لا مال إلا ما أتى بالمتاجر
ويفتخر الجهال بالمال والندا ... وقد سرقوها من جميع المخاطر
ولن يكسب المال الحلال سوى امرئ ... يجوب الهوامي نحو غانة صابر
وليس يهاب الحر والقر والشوا ... ولا الشمس والظلماء ذات الدياجر
ويستصغر الأهوال من حيث أقبلت ... ولو أنها أمثال وخز الخنازر[102]

---

100 - يراجع: السعدي، ص 37-47 ./ ابن بطوطة: ص 664 ./ أبو بكر إسماعيل: ص 31-32 .

101 - يراجع: الدولة الرستمية، بحاز إبراهيم بكير، ص 387-390./ تاريخ المغرب الكبير، د. السيد عبد العزيز سالم، ج2، ص 573 ./ الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الاباضية، سليمان باشا الباروني، ص 238-241 ، 280-281 .

102 - يراجع: الدولة الرستمية، ص 222-223 .

وهكذا أسهم هذا العنصر بشكل فعال في نشر الإسلام وفي ازدهار الحركة الفقهية في السودان الغربي، ولعل من أبرز رموز هذا العنصر الشيخ عبد الحميد الفزاني، ومحمد عيسى التلمساني وأبو القاسم التواتي وصالح تكن والمغيلي... [103].

سادساً: العنصر الشنقيطي:

لعب هذا العنصر دوراً كبيراً في ازدهار الحركة الفقهية في المنطقة وخاصة بعد ما خبت نيران المدن العلمية الأساسية في السودان كتنبكت وجنى، ورحل علماؤها إلى مناطق أخرى، تجنباً للفتنة.

وقد بدا دورهم واضحاً خلال القرن الثاني عشر الهجري، إذ أصبحت شعلة العلم في أيديهم بالمنطقة في هذه الفترة، وسكن كثير منهم في منطقة تنبكت فنشروا علمهم، وقد تخرج على أيديهم مجموعة من علماء المنطقة، ولا زال آثارهم باقية في السودان من مؤلفات وفتاوى في الفقه وغير [104].

وهكذا أسهم هذا العنصر بشكل فعال - في القرون الأخيرة- في ازدهار الحركة الفقهية في السودان، وإحيائها بعد ما انطفأت نيرانها إثر الغزوات والغارات المتتالية على المنطقة، والتي ذهبت بكثير من روائعنا الفكرية.

على أن أغلب علماء المنطقة في القرنين الأخيرين أعني الثالث والرابع عشر الهجريين شيوخهم شناجطة، ولهذا فالعلاقة الثقافية بين المنطقتين لا زالت قوية جداً إلى وقت قريب.

سابعاً: العنصر الغدامسي

يرجع ظهور هذا العنصر في المنطقة إلى ظهور المدن العلمية في السودان، وقد لعب هذا العنصر دوراً ثقافياً وتجارياً في نفس الوقت.

---

103 -يراجع: طبقات المشايخ بالمغرب للدرجيني، ج2 ، ص 517 ./ السعدي: ص 36 ، 60 ./ محمد الغربي: ص 514-517 .

104 -يراجع: الدولة الرستمية، بحاز إبراهيم بكير، ص 387-390./ تاريخ المغرب الكبير، د. السيد عبد العزيز سالم، ج2، ص 573 ./ الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، سليمان باشا الباروني، ص 238-241 ، 280-281 .

وقد توافدوا إلى المنطقة على هيئة تجار، وكان لهم حي خاص بتنبكت، ورغم أن هذا العنصر عرف في ميدان التجارة إلا أن له دوراً هاماً في تنشيط الحركة الفقهية في المنطقة من خلال مؤلفاتهم وفتاويهم، والوثائق الفقهية التي زود بها الحركة الفقهية في المنطقة.

خلاصة القول إن الحركة الفقهية في السودان قد ساهمت في تأجيج نارها مجموعة من العناصر الثقافية، من مختلف البلدان الإسلامية من المغرب والجزائر وليبيا ومصر والسودان وغيرها من البلدان الإسلامية، ولهذا جاءت هذه الحركة فريدة من نوعها، عم نورها كافة أنحاء السودان واستفاد منها خلق كثير لا يحصيه إلا الله.

الفصل الثاني:

ميادين الحركة الفقهية واتجاهاتها ومراكزها

الفصل الثاني: ميادين الحركة الفقهية واتجاهاتها ومراكزها

تمهيد:

عرف السودان الغربي حركة فقهية مزدهرة فيما بين القرنين: الثامن والثالث عشر الهجريين ، وقد برز هذا الازدهار بشكل واضح في ميدان التأليف والفتاوى والنوازل والرسائل الفقهية والوثائق.

وظهر في الحركة الفقهية اتجاهان أساسيان:

اتجاه تأصيلي، يحاول تأصيل المسائل الفقهية في كتاباته واتجاه تقليدي لا يؤصل المسائل، بل قصارى جهده الاكتفاء بقول العلماء في المذهب، وجلب الأقوال للاستشهاد دون تعقيب أو الرجوع إلى الكتاب والسنة، وإن رجع إليهما لعل ذلك للتبرك فقط لا للتأصيل.

على أن الحركة الفقهية ازدهرت في عدة مدن وقرى في السودان الغربي، لكن أهم المدن التي دفعت الحركة الفقهية إلى الأمام واستقطبت أهل العلم وطلابه من كل مكان هي مدينة تنبكت الشهيرة وجني وغاو. وقد عملت هذه المدن على احتضان الحركة الفقهية ورجالها، وتشجيعها بكل الوسائل.

المبحث الأول: ميادين الحركة الفقهية

يتجلى أثر الحركة الفقهية في ميادين علمية كثيرة، لكن برز بشكل ملموس في ميدان التأليف والفتوى والرسائل والوثائق.

المطلب الأول: ميدان الفتوى والنوازل

من المناصب الشرعية التي اهتم بها علماء الإسلام وحاطوها بسياج من الرعاية والعناية خطة الإفتاء لما لها من أهمية كبرى في نظر الإسلام وحياة المسلمين، لأن عليها تتوقف مصالح الناس وبها يهتدون إلى شؤون دينهم ودنياهم، وبها تنتظم أمورهم وتصان حقوقهم وترعى مصالحهم...

فإلى المفتي يفزع الناس كلما تحل بهم الملمات وتكثر بينهم النزاعات والخصومات.

ولأهمية الفتوى وجلالة قدرها تولى الله أمرها بنفسه في محكم تنزيله، وتولاها رسول الله (ص) والصحابة من بعده والتابعون من بعدهم ومن خلف من بعدهم من أهل العلم[1].

والفتوى عبارة عن « إخبار بحكم شرعي من غير إلزام »[2]

ويطلق على الفتوى عدة أسماء منها:

النوازل والمسائل والأجوبة، وهذه الأسماء كلها أسماء لمسمى واحد « غير أن النوازل تختص بالحدوث والوقوع فهي أضبط في التعبير من الفتوى التي تشمل سؤال الناس عن الأحكام الشرعية سواء حدثت أم لم تحدث، بمعنى أن المسائل عبارة عن تفريعات وفروض، في حين أن النوازل تقتصر على الوقائع الحادثة... »[3].

ونظراً لحث الإسلام من يجهل حكم الله في مسألة ما، أن يسأل العلماء لقوله تعالى:

فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون فقد كثرت الأسئلة على العلماء وخاصة فيما يتعلق بالأحوال الشخصية والملكية، مما جعل العلماء يجتهدون في البحث عن حلول لهذه المسائل المطروحة.

وقد أدت كثرة النزاعات والخصومات التي حدثت في السودان، وخاصة في القرون المتأخرة، الناتجة عن ضعف الحكام والتسيب الذي دب في أرجاء السودان من جراء الحروب المتكررة، إلى كثرة الفتاوى في مجالات مختلفة، الأمر الذي انعكس إيجابياً على انتاجات الحركة الفقهية، حيث خلفت هذه الأزمة أو الأزمات تراثاً ضخماً، لا زال جزء مهم باق إلى يومنا هذا، وإن سرق وحرق أغلبه.

وقد حاول أحد العلماء أن يجمع بعض هذه النوازل والفتاوى في كتاب ضخم- على غرار ما فعل الونشريسي- سماه: < نوازل التكرور >[4].

ومن أهم هذه النوازل والفتاوى:

---

1 - يراجع: مباحث في المذهب المالكي بالمغرب للجيدي، ص 125 .

2- نفس المرجع، ص 128.

3 - يراجع: مباحث في تاريخ المذهب المالكي بالمغرب، ص 128 .

4 - بعض أجزاء هذا الكتاب موجود في معهد الدراسات الإفريقية بالرباط، وأيضاً موجود في مركز أحمد بابا التمبكتي بتنبكت، وهو مخطوط.

1– فتاوى الشيخ سيد المختار بن أحمد[5].

2– أجوبة سيد المختار الكنتي[6].

3– أجوبة محمد الصغير الملقب بباي[7].

4– أجوبة سيد عبد الله بن الفق[8].

5– نوازل القصري[9].

6– فتاوى أحمد بابا التنبكتي[10].

7–أجوبة محمد بن محمود بغيغ[11].

9– أجوبة محمد بن محمد بغيع بن كورد الفلاني[12].

10–أجوبة محمد سعيد بن محمد بن محمد بغيغ الفلاني[13].

11– أجوبة أحمد البكاي[14].

12–أجوبة محمد بن محمود بن عمر أقيت[15].

13– فتاوى أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت[16].

---

5 - بعض هذه الفتاوى مخطوط في مركز أحمد بابا التنبكتي ورقمه 3948.
6 - بعض هذه الفتاوى مخطوط في مركز أحمد بابا التنبكتي رقمه 3142.
7 - بعض هذه الأجوبة مخطوط في مركز أحمد بابا تحت رقم 5205.
8 - بعض هذه النوازل مخطوط في مركز أحمد بابا بتبكت رقمه 5010.
9 - مخطوط في مركز أحمد بابا تحت رقم169،603 .
10 - بعض هذه النوازل مخطوط في مركز أحمد بابا تحت رقم 1102، ومنها ما يوجد في الخزانة العامة بالمغرب تحت رقم 1016ج ، وفي الخزانة الحسنية بالرباط تحت رقم 3627 ، للوقوف على أرقام بعضها يراجع بحثنا في الدبلوم
11 - بعض هذه الفتاوى موجود في مركز احمد بابا بتنبكت تحت رقم3865.
12 - بعض هذه الفتاوى موجودة في مركز أحمد بابا بتنبكت تحت الرقم 4007.
13 - بعض هذه الفتاوى موجودة في مركز أحمد بابا بتنبكت تحت الرقم4910.
14 - بعض هذه الفتاوى موجودة في مركز أحمد بابا بتنبكت تحت الرقم4910.
15 - بعض هذه الفتاوى موجودة في مركز أحمد بابا بتنبكت تحت الرقم3865.
16 - بعض هذه الفتاوى موجودة في مركز أحمد بابا بتنبكت تحت الرقم3925.

14- فتاوى القاضي أحمد بن محمد الأنوكندري[17].

15- فتاوى محمد بن محمود بن حبيب الله[18].

16- فتاوى مختار بن أحمد بن أبي بكر الكنتي[19].

17- فتاوى محمد الطاهر بن أحمد الأنصاري[20].

18- أجوبة محمد بن عمر الغدامسي... [21]

وغيرها من النوازل المتفرقة في بطون الكتب المخطوطة والتي لو حققت وجمعت في كتاب واحد لكان أفيد. ودونك بعض النماذج من هذه النوازل.

فتوى للشيخ باي في شأن الإقامة مع النصارى وعدم نهب أموالهم

نص الفتوى:

بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وآله.

الحمد لله المنفرد بالتدبير المستبد بالتقدير والقضاء الحتم شارع الأحكام...

أما بعد فإنه من فقير مولاه الشاكر له على ما أولاه محمد الصغير بن عمر بن محمد بن المختار إلى الأخ في الله المحب فيه السيد بكت أصلحه ووفقنا وإياه لما يحبه ويرضاه، هذا وإني أوصيك ونفسي بتقوي الله الذي لا إله إلا هو في السر والعلانية وباتباع ما عليه جمهور علماء هذه الأمة المتمسكة بالكتاب والسنة وإياك ثم إياك واتباع بنيات الطريق خصوصاً ما فيه تطرق لسفك الدماء وانتهاك الأموال، فإن فتح هذا الباب هو سبب الدمار.

وحسبك ما وقع بأهل هذه الأرض فإن سبب ما تسمعه عنها هو أنه لما استولى الطاغية على البحر وسافر بعض من نالته الضرورة إليه أفتى بعض من لا بصيرة له بإباحة

17 - بعض هذه الفتاوى موجودة في مركز أحمد بابا بتنبكت تحت الرقم4965 .

18 - بعض هذه الفتاوى موجودة في مركز أحمد بابا بتنبكت تحت الرقم4940.

19 - بعض هذه الفتاوى موجودة في مركز أحمد بابا بتنبكت تحت الرقم4992 .

20 - بعض هذه الفتاوى موجودة في مركز أحمد بابا بتنبكت تحت الرقم4875.

21 - بعض هذه الفتاوى موجودة في مركز أحمد بابا بتنبكت تحت الرقم5324.

دمائهم وأموالهم من غير برهان من الله فأثار ذلك من الفساد ما ترى وتسمع فالله الله لا تفتح هذا الباب فتفتح باباً لا تستطيع غلقه إذا فتح فتثير فتنة لا مصلحة فيها من غير برهان معك من الله على حليتها، فإن الدماء والأموال محظورة إلا بأمر محقق مجمع عليه. وأين ذلك هنا إذ تعلم ويعلم كل أحد له بصيرة أن موالاة الكفرة المكفرة هي أن يتولاه بمعتقده ودينه. وأما من تولاه بالفعل خاصة وقلبه مطمئن بالإيمان فهو منهم في المقت لا في الكفر. قال ابن عطية في تفسير قوله تعالى﴿ ومن يتولهم منكم فإنه منهم﴾[22] من تولاهم بمعتقده ودينه فهو منهم في الكفر واستحقاق النقمة والخلود في النار. ومن تولاهم بالفعل خاصة من العضد ونحوه دون اعتقاد ولا إخلال بإيمان فهو منهم في المقت والذلة الواقعة عليهم[23].

وفسر قوله تعالى: ﴿ ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون﴾[24].
بقوله حكم الله عز وجل بأن من ولاهم واتبعهم في أغراضهم ،بأنه ظالم أي واضع للشيء في غير موضعه، وهذا ظلم المعصية لا ظلم الكفر[25].

وقال ابن العربي في تفسيره قوله تعالى﴿ وإن أطعتموهم إنكم لمشركون﴾[26]
إنما المؤمن بطاعة المشرك مشركاً إذا أطاعه في الاعتقاد الذي هو محل الكفر والإيمان. وأما إذا أطاعه في الفعل وعقده سالم مستمر على التوحيد والتصديق فهو عاص فافهموا هذا في كل موضع[27].

هذا وتولية الكفار حرام لا تحل ولا تجوز سواء أكانت لغرض دنيوي منهم أو لغيره لعموم الآيات الواردة فيها. ولا يحل لمؤمن اتخاذ كافر ولياً في شيء أصلا إلا لتقية كما قال تعالى

---

22 - سورة المائدة الآية 51 .

23 - يراجع : المحرر الوجيز لابن عطية (546) ج5، ص 127، تحقيق المجلس العلمي بفاس طبعة1399/1979 منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب.

24 - سورة التوبة الآية 23.

25 - يراجع : المحرر الوجيز لابن عطية، تحقيق المجلس العلمي بفاس، ج8، ص152 .

26 - سورة الأنعام الآية 121 .

27 - يراجع : أحكام القرآن لابن العربي، مج2، ص 752، تحقبق علي محمد البجاوي ، الطبعة الثالثة 1392/1972، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان.

﴿إلا أن تتقوا منهم تقاة﴾[28]فيساعدون بقول ما يصرف شرهم وأذاهم بالظاهر لا بالاعتقاد. قالوا والتولي هو المحبة والمصافاة وإرادة الخير لهم والنصيحة، فهذا هو التولي المحرم مطلقاً فهذا حرام سواء أكان الكافر ذمياً أو حربياً.

وأما المسافرة إليهم فيبين حكمها قول العلماء، والنص للشيخ سيد محمد بن الشيخ الكبير في رسالته الكافية التي أرسلها للشيخ أحمد لب ونصه:

قال العلماء للأرض أربعة أقسام: أرض إيمان وسنة وعافية، وأرض إسلام وظلم وبدعة وأرض شرك وعافية وأرض شرك وظلم.

فالقسم الأول هو الذي يجب المقام به وتجب الهجرة إليه من جميع هذه الأقسام على من استطاع.

والقسم الثاني تجب الهجرة منه إلى أرض السنة والأمن، وتجب الهجرة إليه من القسمين الأخيرين.

والقسم الثالث يحل السفر إليه ولا تحل سكناه بوجه لمن وجد سبيلا إلى الخروج منه.

والقسم الرابع لا تحل سكناه ويحرم السفر إليه إن كان يخاف أن يكره على فعل محرم أو يخاف على نفسه، ويكره إن كان إنما تؤخذ منه إتاوة كما يؤخذ منه بلاد الإسلام.

قلت وعلى القسم الثالث والقسم المكروه من الرابع يحمل قول ابن العربي: إتفقت الأمة على جواز التجارة مع أهل الشرك، وقد سافر النبي (ص) تاجراً وذلك من سفره أمر قاطع على جواز السفر والتجارة معهم، فإن قيل كان ذلك قبل النبوة.

قلت إنه لم يتدين قبل النبوة بحرام، ثبت ذلك بتواتر ولا اعتذار عنه إذ بعث ولا منع منه، إذ نبئ ولا قطعه أحد من الصحابة في حياته ولا أحد من المسلمين بعد وفاته. فقد كانوا يسافرون في فداء الأسارى وذلك واجب في الصلح كما أرسل عثمان إليهم وغيره. وقد يجب وقد يكون ندباً.

فأما السفر إليهم بمجرد التجارة فمباح، وقال أبو علي الخازن في تفسير قوله تعالى ﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله﴾[29]

28 - سورة آل عمران الآية 28.
29 - سورة المجادلة، الآية 22.

أخبر الله تعالى أن إيمان المؤمنين يفسد بموالاة الكافرين وأن من كان مؤمناً لا يوالي من كفر لأن من أحب أحداً امتنع أن يحب عدوه. فإن قلت أجمعت الأمة على أنه تجوز مخالطتهم ومجاملتهم ومعاشرتهم فما هذه الموالاة المحظورة؟

قلت المودة المحظورة هي مناصحتهم وإرادة الخير لهم ديناً ودنيا مع كفرهم. فأما ما سوى ذلك فلا حظر فيه [30]. قلت نعم للإمام الزجر على السفر إليهم إن رأى من ذلك مصلحة ورأى مفسدة في السفر إليهم، وله معاقبة من سافر إليهم بما جاءت به السنة من الزجر والهجر والضرب لمن يليق بذلك.

وأما إفساد المال وانتهابه فلا قائل به من العلماء المعتبرين قال القاضي عياض في الإكمال والنووي في شرح مسلم والسيوطي في زهر الربى وابن رشد في البيان كانت العقوبات في الأموال ثم نسخت فلا يحل اليوم أن يعاقب أحد بمال بوجه، فما جاء من تحريق ورحل الضال وشبهه منسوخ. فأكثر هذه التعازير والعقوبة المالية أو كلها أحكام شيطانية ابتدعها أهل الزيغ والعدون لما أن أعمى الله بصائرهم حسبوا أن زواجر الله غير زاجرة وأن شريعته المطهرة قاصرة فنبذوها من وراء ظهورهم ورفضوها بالكلية وابتدعوا عقوبات مالية وزواجر مبتدعة تعدوا فيها حدود الله وخالفوا أمره في الوقوف عند ما حد ، فخرجوا عن الملة السمحة وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.

فإياك وإياك أن تكون منهم فقف عندما حده وهو تحريم موالاة الكفرة ومساكنتهم لغير المضرة المعذور بنص القرآن وعلى كراهة السفر إليهم مطلقاً، وأحمل نفسك على تركها اضطررت أو لم تضطر وأمسك عن التكفير وعن استباحة الأموال بغير دليل. وجاهد مع من جاهد إن رأيت عيناً للجهاد وأترك العامة وما اختارت إلا أن ارتكبت أمر مجمعاً عليه تقدر على تغييره من غير مفسدة هي أكبر مما ارتكبت. ولا تغضب لله فوق غضبه فإنه لا يحب ذلك ولا يتقرب إليه بمناسبة العقول وإنما يتقرب إليه بالشرع المنقول. ثم أنظر هذا منصفاً، فإن وافق الحق فالحمد لله وإن لم يوافقه فأرسله إلى الأخوان أصحاب الشيخ الإمام سيدي المهدي فهم أهل الوقت والسلام[31].

30- يراجع : تفسير الخازن المسمى : لباب التأويل في معاني التنزيل لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن وبهامشه تفسير البغوي المعروف بمعالم التنزيل (516)، ج 7، ص 54، الطبعة الثانية 1955/1375 شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي مصر.

31 - هذه الفتوى مخطوط في مركز أحمد بابا التنبكتي بتنبكت مع عدة فتاوى للشيخ باي تحت رقم 3922.

- **سئل الشيخ أحمد بابا عن حكم طلبة يجتمعون على الذكر حتى يزبد أفواههم ويغشى عن بعضهم ويزعمون مع ذلك أنه لا يجوز قراءة القرآن والعلم والتوحيد والصيام والصلاة، ومن ليس على طريقهم فأمره باطل.**

فأجاب: إنه: إن ثبت أنهم كانوا على هذه الحالة السيئة معتقدين لها فليسوا مسلمين بل كفار وضلال، وفساق ولا نصيب لهم في الإسلام لإنكارهم ما علم وجوبه من الدين ضرورة وهو الصلاة والصوم وتلاوة القرآن، هذا إن قالوا: إن ذلك لا يجوز شرعاً كما حكيت عنهم قال تعالى﴿فاقرءوا ما تيسر من القرآن﴾[32].

وقال ﴿ ورتل القرآن ترتيلا﴾[33]وفي آيات كثيرة. قال﴿ وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر[34] . وقال ﴿ شهر رمضان﴾[35]. وأجمع المسلمون عن آخرهم على ذلك، فيجب زجرهم عن اعتقادهم الفاسد فإن تمادوا عليه فهم مرتدون، وإن علم تقدم إسلامهم فيستتابوا، فإن أبوا من الرجوع قوتلوا وقتلوا، فجهادهم أعظم أجراً من جهاد الكفار الأصليين، لما هم عليه من انحلال البين وإضلال غيرهم.

وهذا بين لا شك فيه، إنما الخلاف بين العلماء في جواز الاجتماع على الذكر إذا كان على منهاج السنة وأتحف الذكر بصفات السنة والاعتقاد الصحيح ليس معهم شيء من البدعة، ففي هذا اختلف العلماء هل هو حسن ومثاب عليه أو بدعة مكروه وممنوعة، لأنه ليس من عمل السلف الصالح وكلامهم فيه مبسوط.

وأما هؤلاء فلا شك في ضلالهم ووجوب زجرهم وقتالهم إن استمروا على ضلالهم، ولعل من بقايا أصحاب البغدادي البدعي المقتول في أطراف الجزر في أوائل القرن العاشر، والرجل المسمى سعيد الذي مزق قرطاساهم فسعيد إن شاء الله تعالى.

---

32 – سورة المزمل آية 20.

33 – سورة المزمل ، الآية 4.

34 – سورة العنكبوت الآية 45 .

35 – سورة البقرة الآية 185.

أسعدنا الله وإياه، ولكن اللائق به إمساك تلك البراءة حتى يشهد عليها الشهود وتثبت عند أولى الأمر فيعاملون بمقتضى ذلك[36].

- **سئل الشيخ أحمد البكاي عن حكم بيع الملح بالطعام**

فأجاب: الحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده

وأما حكم بيع الملح بالطعام نسيئة فقد اختلف فيه العلماء فمنهم من منعه ومنهم من أباحه.

مذهب من منع أنه طعام أو مصلح طعام وإن مصلحه كهو وحجة من أباح أنه ليس بطعام وأن مصلحه ليس كهو وإلا لكان الماء أحق بالربوية، فإنه لا مصلح للطعام كالماء وهو ليس بطعام ولا ربوية.

ومذهب من أباح هو الذي استحسن وبه أقول وأعمل لرأيين:

أحدهما: أنه لم يرد في الشرع أعني لا في الكتاب ولا في السنة أن الملح طعام ولا أنه بينه وبين الطعام ربوية. فمن زعم ذلك بعد الكتاب والسنة فقد زاد في الدين ما ليس له به علم وقد ابتدع في الشرع ما ليس له عليه برهان (قل هلم شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا فإن شهدوا فلا تشهد معهم)[37]. (قل الله أذن لكم أم على الله تفترون)[38].

ثانيهما: أن العيان يكذب من زعم أن الملح طعام، فإن الطعام لا يكون إلا من حيوان وأمر نام لا من جماد.

فالأول لحم الحيوان ولبنه وما يخرج منهما. والثاني الشجر وثمره وما يعتصر منهما، وليس في الجماد ولا منه طعام.

والملح من الجماد فإنه من الأرض من معادنها كالذهب والفضة والحديد والنحاس والرصاص والشب والكحل.

---

36 - يراجع : اللمعة في أجوبة المسائل الأربعة في كتب البسملة وما معه، مخطوط بمركز أحمد بابا التنبكتي بتنبكت تحت رقم 1102، ورقة رقم 2 .
37 - سورة الأنعام ، الآية 150 .
38 - سورة يونس : آية 59

كل هذه ليس طعاماً، ولها أحكام ليست بأحكام الطعام. وحسبك أنا نتيمم على الملح عيناً ونصلى عليه ونتوضأ بالماء الذي فيه، والذي هو عليه، ثم يختلى المختلي عليه ويستبرأ (يستنجي) ويستجمر به ثم رأينا من يبني به البيوت ويتخذ منه السقوف وهذا كله لا يجوز بالطعام ولا فيه.

فلا أدري بأي علم ولا بأي عقل جعل الملح طعاماً من جعله. لكن المعادن يجري الربا فيها بل في الذهب والفضة والملح منها هذا المنصوص عليه ولا يجري بينها وبين الطعام إلا أن يقوله سفيه، من قاله لا يجد دليلاً.

وهذا من البيان كاف وللغليل شاف، أمليناه باختصار وأوليناه باقتصار. أعجلنا رسولك إعجالاً ونعالج غيره أشغالا (وأثقالاً).

فكتبناه ليلاً، وجعلناه لك نيلاً حبالاً لإسعافك وإسعادك ورغبة في قضاء مرادك. والسلام[39].

المطلب الثاني: ميدان التوثيق

اهتمت الشريعة الإسلامية بوجوب الكتابة اهتماماً خاصاً وسيلة لأثبات الدين المؤجل سواء كبرت قيمة الدين أو صغرت، والعلم الذي يهتم بهذا الإثبات أو توثيق العقود والعهود هو علم التوثيق أو علم الشروط والسجلات.

عرفه طاش كبري زاده بقوله:

« هو علم يبحث فيه عن كيفية سوق الأحكام الشرعية المتعلقة بالمعاملات في الرقاع والدفاتر ليحتج بها عند الحاجة إليها...[40] ».

وعرفه حاجي خليفة بقوله:

« هو علم باحث عن كيفية ثبت الأحكام الثابتة عند القاضي في الكتب والسجلات على وجه يصح الاحتجاج به عند انقضاء شهود الحال...»[41].

39 - مخطوط بمركز أحمد بابا تحت رقم 5381

40 - يراجع: مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم: طاش كبري زاده، مج 2، ص 557، دار الكتب العلمية بيروت.

41 - كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: حاجي خليفة ، مج 2، ص 1045-1046 ، دار الفكر 1982/1402 بيروت./ أبجد العلوم الوسي المرقون في بيان أحوال العلوم صديق بن حسن القنوجي ، ج2، ص 339، دار الكتب العلمية بيروت (دون تاريخ)

وعرفه استاذنا المرحوم عمر الجيدي بقوله:

«هو علم يبين عناصر اتفاقية معقودة بين شخصين أو عدة أشخاص يضمن استمرارها وأثر مفعولها ويحسم مادة النزاع بين الأطراف المتعاقدة موضحاً لكل من العاقد له والمعقود عليه ما له وما عليه...»[42].

ونظراً لأهمية هذا العلم من حماية الحقوق وحفظ الأنفس وصيانة الأعراض ورفع الخصام، فقد بدأ التفكير فيه منذ وقت مبكر. حيث نص القرآن الكريم على الإشهاد في التعاقد في كثير من الآيات منها قوله تعالى﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه**﴾[43]وقوله ﴿**ولا تسأموا أن تكتبوه صغيراً أو كبيراً إلى أجله**﴾[44]. وقوله تعالى ﴿ **فإذا دفعتم إليهم أموالهم فاشهدوا عليهم**[45]﴾.

وقوله تعالى ﴿**واشهدوا ذوي عدل منكم**﴾[46]. وغيرها من الآيات التي تحث على الإشهاد في التعاقد وكتابة الدين.

ويدخل تحت لفظ الدين هنا « كل التزام أياً كان نوعه لأن الالتزام ليس إلا ديناً في ذمة الملتزم للملتزم له، فيدخل تحت لفظ الدين القرض والرهن والبيع بثمن موٴجل والتعهد بعمل وغير ذلك»[47].

كما أن الرسول (ص) أمر بالشهادة في قوله « اشهدوا ولو على قبضة بقل». وقال أبو موسى الأشعري وابن عمر: « والكتب واجب إذا باع المرء بدين» وقال ابن عباس» من ترك الإشهاد على البيع فهو عاص»[48].

43- سورة البقرة، آية 282.

44 - سورة البقرة ، الآية 282 .

45 - سورة النساء ، آية 6.

46 - سورة الطلاق ، آية 2.

47 - يراجع التشريع الجنائي الإسلامي : عبد القادر عودة، ج1 ، ص 56، الطبعة الرابعة عشرة 1997/1418 مؤسسة الرسالة بيروت.

48 -يراجع المنهج الفائق للونشريسي، ج 2 ص 27.

ولا شك أن هذه النصوص وغيرها مما لم نجلبها خوف الإطالة تؤكد على « أن التوثيق مأمور به كتاباً وسنة ورأياً... »[49].

أقوال العلماء في قيمة هذا العلم:

يتجلى قيمة هذا العلم وأهميته للفرد والجماعة فيما قاله بعض جهابذة هذا الفن، فروى الفقيه الونشريسي في منهاجه عن ابن مغيث قوله» علم الوثائق علم شريف يلجأ إليه الملوك والفقهاء وأهل الطرق والسوقة والسواد كلهم يمشون إليه ويتحاكمون بين يديه ويرضون بقوله ويرجعون إلى فعله فينزل كل طبقة منهم على مرتبتها ولا يخل بها عن منزلتها»[50] .

وقال ابن فرحون « هي صناعة جليلة شريفة وبضاعة عالية منيفة تحتوي على ضبط أمور الناس على القوانين الشرعية وحفظ دماء المسلمين وأموالهم والاطلاع على أسرارهم وأحوالهم ومجالسة الملوك والاطلاع على أمورهم وعيالهم وبغير هذه الصناعة لا ينال أحد ذلك ولا يسلك هذه المسالك... »[51].

تطور فن التوثيق عبر التاريخ الإسلامي

ظهر علم التوثيق منذ فجر الإسلام، لكن الوثائق في هذا العصر كانت قليلة، وتميزت بالبساطة والإيجاز. وكانت تفتح بالبسملة كما كانوا يفتتحون الوثيقة بقولهم: هذا ما أصدق فلان فلانة... في وثيقة الزوجية. وفي وثيقة الوصية: هذا ما أوصى به فلان...وفي وثيقة الشراء هذا ما اشترى فلان من فلان ... وهكذا بقية الوثائق[52].

وأقدم وثيقة تناقلتها المصادر هي تلك التي سجلت على رسول الله (ص) تتعلق ببيعه (ص) مملوكه للعداء بن خالد بن هودة، ووثيقة الاقطاع الذي أعطاه رسول الله (ص) لتميم الدار وأصحابه وصدقة عمر بن الخطاب علي الفقراء والمساكين[53].

وقد بدأ ازدهار هذا الفن في الأندلس خلال القرن الثالث الهجري حيث ارتبط بفقه القضاء. ونبغ فيه فقهاء أجلاء خدموا هذا العلم خدمة جليلة. وأحدثوا فيه بعض

49 - يراجع مباحث في المذهب الملكي بالمغرب، ص 14.
50 - يراجع المنهج الفائق ج 2 ص 27.
51 - تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام لابن فرحون، ص 188، ج1، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان.
52 - مباحث في المذهب المالكي، ص 117 .
53 - نفس المرجع، ص 117 .

التغييرات اقتضته عوامل كثرة المعاملات المدنية والتجارية وبرزت إلى الميدان أشكال جديدة من الوثائق الفقهية: وألف في هذا الفن عدة مؤلفات في القرن الرابع الهجري، ووصل ذروة مجده في القرن الخامس الهجري، والذي يعتبر من أجل عصور التوثيق وأكبرها إذ فيه ألفت الكتب القيمة التي يرجع إليها الفقهاء والقضاة وعليها اعتمد من جاء بعد هذا العصر[54].

ونظراً لما للتوثيق من أهمية كبيرة التي تتجلى في حفظ الحقوق ورفع النزاعات، فقد تطور علم التوثيق في السودان الغربي خلال القرون المتأخرة لكثرة المعاملات المدنية والتجارية في المنطقة ، كما أن قلة الوازع الديني في القرون المتأخرة جعل الناس يهتمون كثيراً بتوثيق معاملاتهم المالية والمدنية والتجارية...

ومن رجع إلى آثار الحركة الفقهية في السودان الغربي يجد كثيراً من الوثائق المكتوبة التي تثبت بعض الحقوق في مجالات مختلفة: في الزواج والوصية والعتق والبيع والشراء...

وقد أدى هذا الاهتمام بالوثائق إلى ازدهار الحركة الفقهية حيث له علاقة وطيدة بالفقه « إذ هو من فروع الفقه من حيث كون ترتيب معانيه موافقاً لقوانين الشرع »[55]وجعل الناس يهتمون بما كتب في هذا الفن، ويحاولون تطبيقه على أرض الواقع من خلال المعاملات التي تجري بين الناس.

ولعل من أقدم الوثائق التي حفظت لنا كتب التاريخ مضمونها أو نصها وثيقة أسكيا الحاج الكبير لأحمد الصقلي بن أخ مولاي العباس أمير مكة[56]. ووثيقة الحرمة التي كتبها أسكيا محمد الكبير لأحفاد الشيخ مور محمد هوكار[57].

ومن أهم الأسر التي عرف بعض أفرادها بكتابة الوثائق، أسرة كورد الفلاني والسيوطي[58].

ودونك بعض النماذج من الوثائق السودانية:

وثيقة الحرمة التي كتبها أسكيا محمد الكبير لأحفاد الشيخ

---

54 - يراجع مباحث في المذهب المالكي بالمغرب، ص 18-19.

55 - يراجع : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ص 1045-1046 .
56 - يراجع : تاريخ الفتاش، ص 18-19 .
57 - نفس المصدر ، ص 72-75
58 - يراجع : مجموعة من الوثائق في مركز أحمد بابا بتنبكت تحت رقم 5949.

مور محمد هوكار:

هذا كتاب أمير المؤمنين وخليفة المسلمين السلطان العادل القائم بأمر الله أسكي الحاج محمد بن أبي بكر أدام الله عزه ونصره وخلد البركة في عقبه ومن وقف عليه بأيدي جملة حفدة الشيخ الفقيه الزاهد الصالح مور محمد هوكار وهم: مور الصادق ومور حبيب وإسحاق وأنيارك ومحمد ورسماك وعلي وبلقاسم بني الفقيه مور معمع بن مور معمك بن الفقيه مور محمد هوكار رحمه الله ونفعنا ودينه آمين.

ومن وقف عليه ممن يؤمن بالله واليوم الآخر وبرسالة رسوله الصادق (ص) فليحترمهم ويوقرهم ويعرف مناقبهم وفضلهم وحرمة جدهم- مور محمد هوكار - ويمسك كل جائر وفاجر جوره وفجوره من جندنا وأهل جيشنا وخدمنا الجائرين وعبيدنا ورسلنا فلا يقربهم بضيم ولا بتحقير وتصغير ومن تعرض لهم بسوء وظلم ينتقم الله منه على كذا. ونوصي كل من تنسل منا من أولادنا وحفائدنا أن يبروا بهم ويحترمونهم ويحسنوا إليهم.

وقد اسقطنا عنهم جميع وظائف السلطنة وغرامته بحيث لا يطالبهم أحد بشيء حتى الضيافة وأن تعرض بينهم ظنة أو ادعى عليهم حقاً فلا يحكم عليهم إلا أنا وحدي أو من سيخلفني في هذا المقام من أولادي، ومن ظلمهم أو أخذ منهم أدنى شيء ظلماً باطلاً من ذريتي لا بارك الله له في ملكه وفسد عليه ملكه وختم له بخاتمة السوء بحرمة الذي وقفت به على رسول الله (ص) وقمت في داخل شبكة وروضته(ص).

وكذلك أبحت لهم ولذرياتهم أن يتزوجوا في مملكتي كلها من كنت إلى شبردك الذي هو الحد الحاجر بيننا وبين سلطان مل من كل نساء أحبوها ويكون أولادهم منها أحراراً وأمهاتهم تابعات لهم في الحرية...

وقد حضر عند هذه الوثيقة الفقيه أبو بكر بن الفع علي كار بن الخطيب عمر والفع عبد الله بن محمد الأغلالي والعاقب بن محمد الشريف وشهد به كاتبه- علي بن عبد الله بن عبد الجبار اليمني- ختم الله له بخاتمة الحسنى.

ثم أمر بأن ينادي كل من حضر هنالك من أولاده... وأحضروهم وأمر بقراءة الكتاب عليهم فقرأ عليهم وقالوا كلهم سمعنا وأطعنا.

ثم قال: من سمع باسم هذا الكتاب أو رآه فلم يمتثل فلا يبارك الله له في نفسه وفي كل ما رزقه الله من ذرياته ثم أخذ الكتاب بيده وطواه وجعله في يد كبيرهم وهو مور الصادق[59] انتهى.

وثيقة بيع محزن ونصها:

الحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده.

أبرأ عثمان ولد أتو وأخوه عالي بن الوالدة المذكور خالهما الفقيه با بير بن الفقيه باب بن سعيد من قبل مخزنة واحدة التي وجبت لها من ميراث جدتهما وهي عائشة بنت باب سعيد علي يد قاضي مدينة تنبكت حرسها الله وهو محمد بن محمد بن عثمان الكابري الملقب بسن شرف إبراء تاماً كلياً ودفع لهما خمسة آلاف بعد تقديم المخزنة دفعاً تاماً فلم يبق لهما قليل ولا كثير ولا دعوى ولا طالباً طال الزمان أم قصر.

شهد به من جرى الأمر على يديه بتاريخ أوائل جمادى الأولى عام سبعة وستين ومائتين وألف (1267) هجرية، عبيد ربه تعالى عبد الرحمان السيوطي بن محمد بغيغ بن الفابني التنبكتي لطف الله به بجاه اللطيف آمين.

وعبيد ربه محمد الملقب بباب بن عبد الله بن محمود بن محمد بغيغ بن محمد بغيغ كان الله لهم ولياً ونصيراً[60].

وثيقة عتق، ونصها:

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً.

أعتقت الحرة الجليلة المرحومة برحمته تعالى وعفوه وغفرانه نان حليمة بنت عبد العزيز بن طالب إبراهيم الدرعي خادمته المسماة زيد ومن نعتها أنها كحلاء اللون متوسطة القامة وشهرتها باسمها تغني عن بقية نعوتها عند عارفيها وذلك بوصية أوصت بها في مرض موتها بالسنة إن قضى الله عليها بالموت فأمتها زيد حرة معتقة عنها وأنفذته ورثتها بعد موتها وهو ضرار أخوها وابنتاها فاطمة أم حبيبة عتقاً صحيحاً ناجزاً شرعياً أرادت بذلك وجه الله العظيم وثوابه الجسيم. وليعتق الله بكل عضو منها عضواً من النار

---

59 - يراجع: تاريخ الفتاش ص 72-75.

60 - يراجع: مجموعة من الوثائق في مركز أحمد بابا بتنبكت تحت رقم 5949 .

كما ثبت في الحديث من خير البشر قطعت بذلك عنها حبل الرق والعبودية وألحقتها بحرائر المسلمات فيما لهن وعليهن. ولم يبق لأحد عليها سبيل إلا سبيل الولاء على ما أحكمته السنة المحمدية والملة الحنيفية.

فمن سعى في تبديلها وتغييرها وتحريفها فالله خصمه وسائله ومنتقم منه ﴿ **وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون**﴾[61]. ﴿ **فمن بدله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه**﴾[62].

وشهد بذلك من سمع الوصية وأشهدت الورثة بإنقاذها وهم بحال يتم بهم الإشهاد وجواز أمر وطوع.

بتاريخ أواخر الربيع الآخر سنة ثمانين ومائة وألف (1180) هجرية، عبيد ربه باب سعيد بن الحاج عبد الرحمن بن إسماعيل بن محمد كورد الفلاني، أسعده الله في الدارين ولطف وعفى عنه آمين.

وشهد على نفسه ضرار بن عبد العزيز بن طالب إبراهيم، وفقير مولاه وأسير ذنوبه باب أحمد بن عبد العزيز...[63].

وثيقة عتق:

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما.

أعتق المكرم الفقيه الحاج عبد الرحمن الشهير بالفع بير بن أخينا الفقيه عثمان بن الحاج عبد الرحمن بن إسماعيل بير بن محمد كورد الفلاني وليده الصغير المسمى بمحمد بلى بن محمد بى[64].

ومن صفته أنه يومئذ شاب صغير أكحل اللون متوسط القامة وشهرته عند عارفيه تغني عن بقية نعوته عتقاً صحيحاً ناجزاً بتاً بتاً، أراد بذلك وجه الله العظيم وثوابه الجسيم، وليعتق الله بكل عضو منه عضواً منه من النار كما ورد في صحيح الأخبار عن سيد الأبرار (ص) وألحقه بأحرار المسلمين فيما أنعم عليهم وقطع بذلك عنه حبل الرق

---

61 -سورة ، الشعراء الآية 227.

62 - سورة البقرة، الآية 181.

63 - مجموعة من الوثائق في مركز أحمد بابا تحت رقم 5949 .

64 -ولعل الاسم هو: Mohammad BELLA BUN Mohammad Biyo

والعبودية ولا سبيل لأحد فيه حاشى سبيل الولاء على ما أحكمته السنة المحمدية والملة الحنيفية. فمن سعى في تبديله أو تغييره فالله حسيبه ومنتقم منه وسائله، ﴿ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون﴾[65].

﴿وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾[66].

شهد بذلك من أشهده المعتق على نفسه بإقراره وهو بحال صحته وجواز أمر وطوع. بتاريخ عاشر شوال الخامس والتسعين ومائة بعد الألف(1195) هجرية.

وأشهد بذلك عليه عمه باب سعيد بن الحاج عبد الرحمن بن إسماعيل ير بن محمد كورد الفلاني عفى الله عنه آمين.

وعبيد ربه أحمد بن المصطفى بن عبد الرحمن بن أحمد بن محمد كورد الفلاني رحم الله الجميع آمين.

وعبيد ربه محمد كورد بن باب سعيد بن الحاج عبد الرحمن بن إسماعيل يرو بن محمد كورد الفلاني.

وشهد بذلك من كتبه على إذن والده فقير مولاه عبد الرحمن السيوطي بن باب سعيد المذكور رضي الله عنه آمين.

وفقير مولاه باب سعيد أحمد أبو بكر العتيق بن إبراهيم بن أحمد بن سعيد بن محمد كداد الفلاني لطف الله بهم آمين[67].

المطلب الثالث: في مجال التأليف

يعتبر التأليف من أهم الجوانب التي ظهرت فيها الحركة الفقهية في السودان الغربي بشكل واضح، وقد تركز التأليف على ثلاثة جوانب مهمة وهي:

65 - سورة إبراهيم ، الآية 42.
66 - سورة الشعراء، الآية 227.
67 - يراجع : مخطوط بمركز أحمد بابا التنبكتي تحت رقم 5949.

1 – الشروح والحواشي

2 –التعليقات.

3 – الرسائل الفقهية.

أما التأليف المستقل في الفقه فهو نادر جداً وإن لم نقل منعدم ويبدو أن اقتصار العلماء على هذه الجوانب الثلاثة في التأليف راجع إلى المقولة السائدة آنذاك ما ترك الأوائل للأواخر شيئاً، أو لعلهم يرون أن الاهتمام بما كتبه الأوائل أفيد وأحسن، وذلك بشرح ما يحتاج إلى لشرح من مؤلفاتهم، ووضع الحاشية عليها إذا اقتضى الأمر، والتعليق على بعض موضوعاتهم وذلك ببيان بعض هفواتهم في المسائل والتنبيه عليها.

ومن الكتب التي نالت إعجاب علماء السودان وحظيت بنصيب الأسد في الشرح والتعليق والتحشي مختصر خليل الذي ملأ الدنيا وشغلها خلال القرن الثامن الهجري وما بعده، حيث وضع علماء السودان على هذا المختصر عشرات الشروح والحواشي ومئات التعليقات، بعضها لا زالت مخطوطة وبعضها عبثت به أيدي الاستعمار والزمان.

وإلى جانب الحواشي والشروح والتعليقات هناك الرسائل الفقهية التي كتبت في موضوع جزئي أو فرعي لبيان آراء العلماء وهذا النوع من الكتابات وإن كان يتناول موضوعاً مستقلاً فلا يمكن تسميته مؤلفاً، لأنه عبارة عن بضعة أوراق لا يتجاوز عشرة أو عشرين صفحة.

ومن أمعن النظر في آثار الحركة الفقهية في السودان يجد أن أغلبها على هذا المنوال، وسنحاول إثبات جزء منها في الفصل الآتي إن شاء الله.

على أن ما ينبغي التنبيه إليه أن المؤلفات الفقهية في السودان منها ما وصل إلينا، ومنها ما لم يبق منها إلا العنوان فقط. حيث ضاع كثير منها أثناء الفتن والاضطرابات التي اجتاحت المنطقة ما بين القرنين التاسع والثالث عشر الهجريين وخاصة تلك التي دارت بين الماسنيين والحاج عمر تال.

وحسبك من شر هذه الفتنة وسلبياتها على الحركة الفقهية أنه مات في يوم سايول – إحدى الحروب التي دارت بين الحاج عمر والماسنيين – ما يقرب 400 عالم من حفظة

القرآن[68]. وقتل أحد قواد الحاج عمر تجاني لما دخل مدينة حمد الله ثلاثمائة عالم من ماسنا، حيث قيدهم وأحرقهم انتقاماً للحاج عمر الذي قتل في دغمبير[69]، إنا لله وإنا إليه راجعون.

نماذج من المؤلفات:

أولا: الشروح والحواشي:

1. حاشية على المختصر لأحمد بن عمر الصنهاجي: مخطوط في الخزانة الملكية بالمغرب تحت رقم 11236.
2. شرح مختصر خليل: محمد بن عمر السوداني مخطوط في الخزانة الملكية بالرباط–المغرب تحت رقم: 11574.
3. منن الرب الجليل ببيان مبهمات خليل: وهو مخطوط يوجد منه عدة نسخ في الخزائن منها:
   - الخزانة الملكية بالرباط تحت رقم: 4468، 112226، 4975.
   - خزانة الجامع الكبير بمكناس رقمه: 26.
   - خزانة تمكرون: تحت رقم543، 348، 391.
   - مركز أحمد بابا التنبكتي بتنبكت تحت رقم: 5661.

يبدأ هذا الكتاب من باب الذكاة إلى نهاية المختصر، وهو من الكتب المعتمدة عند المغاربة في شرح مختصر خليل.

4. فتح الرب اللطيف في تخريج بعض ما في المختصر من الضعيف: القاضي طالبن بن الوافي بن طالبن الأوراني، وهو مخطوط موجود في مركز أحمد بابا تحت رقم 2110.
سراج العوام في علم الفرائض لرسالة ابن أبي زيد القيرواني لأحمد بن أحمد بن

68- يراجع: صور من كفاح المسلمين في إفريقيا الغربية ، ألحاج عمر الفوتي حياته وجهاده: أبو بكر خالد با ، ص 64.

69 -يراجع: الأدب السنغالي العربي، سمبا ، ج1، ص 51 .

أبي بكر الماسني: مخطوط في مركز أحمد بابا تحت رقم 5392، ويقع الكتاب في 104 صفحة.

أوله الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله(ص) الذي بعث إلى كافة الخلق إنسا وجنا وعلى آله وصحبه وأزواجه وذريته وسلم تسليما.

أما بعد : فإني لما رأيت إظهار الفتن في أرضنا السودان وإتلاف جل كتبها وموت اكبر علمائها وانقراض أهل علمها وغفلة أصاغرها عن طلب العلم خفت ضياع علم الفرائض في أرضنا السودانية أعني ماسن فبذلك جمعت حواشي كتبي وبعض أمثال الشروح في علم الفرائض تقريباً للطالب وسميته:

5. سراج العوام في فرائض الرسالة لأبي محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني.

وآخره:

وهذا ما تيسر لي الله تعالى تحصيله وجمعه بعون الله وتيسيره عوناً للقراء وتقريباً للطالب وتنبيهاً لعوام أرضنا السودان أعني ماسن. وهذا الكتاب رغم صغره فهو جيد.

6. الفتح الرباني في أمثلة فرائض القيرواني للقاضي محمد المولود بن عثمان الجناوي (1178/1764) وهو مخطوط في مركز أحمد بابا رقمه 5282. يقع هذا الكتيب أو هذه الرسالة في 22 صفحة.

أوله: الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام الأكملان على سيد المرسلين وعلى آله وذرياته الطاهرين ورضي الله تعالى عن أصحابه أجمعين.

وبعد: فإن الله تعالى لما قضى علي بالغربة والجلاء عن الأهل والأوطان لطف بي ورحمني بصحبة رجل من أهل الفقه شيخ الإسلام وحيد دهره وفريد عصره الشيخ العالم المجتهد القاضي محمد بن معمي شنشندي منشئا رضي الله عنه فوجدته عالماً بالفقه خصوصاً علم الفرائض، وأخذته عنه أمثلة من أمثال فرائض الرسالة: أبي زيد القيرواني ووضعتها في هذه القراطيس بعد الاستخارة وقصدت حل ألفاظ ما في هذه الأمثلة ولم أزد على ذلك لئلا يكون طويلاً مملاً ولا قصيراً مخلاً ليكون تبصرة للمبتدئين، وإذا نظر فيه المنتهى ظفر بمقصوده. وعلى الناظر أن يدعو لي بالرحمة وإن رأى فيه خللاً سده أسأل الله تعالى أن ينفع به كما نفع بأصله وهو حسبي ونعم الوكيل...

وآخره:

هنا انتهت الأمثلة التي أخذناها من شيخنا القاضي بن معمي شنشندي منشأ رضي الله تعالى وقد وفقني الله تعالى ونور قلبي حتى وضعتها في هذه القراطيس خوفا النسيان وسميتها:

فتح الرباني في أمثلة فرائض الرسالة القيرواني ... ووافق الفراغ من جمعها يوم السبت وقت الظهر تاسع وعشرين خلون من جمادى الأولى أرانا الله خيرها وخير ما بعدها العام الثامن والسبعين والمائة بعد الألف(1178) من الهجرة الهاشمية.

وعلى هامش هذا الكتاب أبيات مهمة في الزهد وغيرها. هذه الرسالة على صغر حجمها فإنها مهمة جداً إذ صاحبها يحاول تأصيل المسائل ثم يمثل لكل مسألة بمثال أو بعدة أمثلة.

7. تحفة الزائر في حل ألفاظ ابن عاشر لمحمد أكنن بن محمد البشير السوقي. مخطوط في مركز أحمد بابا تحت الرقم 5259 وهناك نسخة أخرى تحت رقم 3249، هذه النسخة أوضح من الأولى وهذا المؤلف يقع في 68 صفحة.

أوله:

بعد الحمد لله والتصلية

فهذا الشرح مختصر ومزجته بكثير الفوائد...وسميته تحفة الزائر في حل ألفاظ ابن عاشر والله أسأل العصمة.

آخره:

وكان الفراغ منه من صفر عام ثمانية وثلاثين ومائتين وألف (1238) هجرية.

8. إيضاح السبيل على توضيح ألفاظ خليل للإمام محمود السوداني، وهذا المؤلف مخطوط في مركز أحمد بابا تحت رقم 629، يصل حجمه 500 صفحة وزيادة.

يبتدئ من أول باب في المختصر إلى باب النفقة.

وصاحبه أثناء شرحه يشرح الكلمات أو الألفاظ شرحاً جيداً. وعلى كل فهو جيد لكن نسبته إلى محمود فيه كلام إذ ليس مؤكداً إنما هو من باب الظن. لأنه أحياناً ينسب إلى أحمد بابا.

9. نبراس الهداية في دين الحنفية لأبي بكر المختار الزنجوي الكابري.

هذا المؤلف مخطوط في مركز أحمد بابا ورقمه 5730. ويقع في 129 صفحة.

أوله:

بعد البسملة والحمدلة والتصلية

يقول العبد الفقير المضطر إلى الرحمة مولاه المعترف بالعجز والتقصير المنكسر خاطره لعدم العلم والتقوى، أبو بكر بن المختار الزنجوي منشأ الكابري نسباً...

وبعد: لما رأيت اندراس العلم وأفول شموس طلابه على الحقيقة فأردت بحول الله أن أجمع هذا الجبذر لينتفع بها الولدان الصغار ومن شابههم ممن هو ضعيف مثلي امتثالاً لقول الصادق عليه أفضل الصلاة... إنما الدين النصيحة.

وآخره:

ولما من الله علي بهذه الثمالة وإتمامها في شهر الله الذي خص به النبي (ص) يوم الأحد بين الظهر والعصر رابع ربيع الأول سنة خمس وتسعين وألف (1095 هـ). فسميته نبراس الهداية في الدين الحنفية. جعلها الله خالصاً لوجهه...

وهذا الكتاب رغم صغر حجمه فهو كتاب فقهي مهم، مستقل حاول صاحبه أن يؤصل مسائله ويعقبها بأقوال العلماء.

ويظهر من خلال الكتاب أن المؤلف له باع طويل في الفقه. ورغم أهمية هذا الكتاب فإن مما يمنع الباحث أن يستفيد منه هو اختلاط أوراقه حيث لم ترتب أوراقه كما ينبغي.

ثانيا: التعليقات والرسائل الفقهية

1- إرشاد الواقف لمعنى وخصصت نية الحالف لأحمد بابا

هناك عدة نسخ من هذا التعليق منها النسخة التي توجد في الخزانة الملكية بالمغرب تحت رقم 9615.

ونسخة أخرى توجد في الخزانة العامة بالرباط مع مجموعة تحت رقم 470 ك.

2– إفهام السامع بمعنى قول خليل في النكاح بالمنافع أوالنكت اللوامع في مسألة النكاح بالمنافع.

هذا التعليق أو هذه الرسالة الفقهية طبعت بفاس بطبعة حجرية عام 1307. وتوجد عدة نسخ منها في المغرب: في الخزانة الملكية بالرباط تحت رقم 9016 و9615.وفي الخزانة العامة بالرباط تحت رقم 470 ك.

3– أنفس الأعلاق بفتح الاستغلاق من فهم كلام خليل في درك الصداق. طبعت هذه الرسالة طبعة حجرية بفاس عام 1307 هجرية. وتوجد عدة نسخ منها في الخزائن المغربية:

في الخزانة الملكية بالرباط تحت رقم 9615، 7745.

في الخزانة العامة بالرباط تحت رقم 470 ك.

4– الزندي الورى في مسألة تخيير المشترى أو تعليق على قول خليل في أواخر الخيار وخير المشترى: لأحمد بابا.

توجد عدة نسخ من هذا التعليق في الخزائن المغربية منها:

الخزانة الملكية بالرباط تحت رقم 9615.

الخزانة العامة بالرباط تحت رقم 470 ك.

5– فتح الرزاق في مسألة الشك في الطلاق لأحمد بابا

طبع هذا التعليق طبعة حجرية بفاس عام 1307 هجرية وتوجد منها عدة نسخ منها في الخزائن المغربية:

الخزانة الملكية تحت رقم 9615.

الخزانة العامة تحت رقم 470 ك، 3848 ك.

6– مكتوب للشيخ باي محمد الصغير بن عمر في الطهارة وما يتعلق بها، وهذا المكتوب عبارة عن رسالة صغيرة تتكون من 16 صفحة ورقمه في مركز أحمد بابا 3385.

7- رسالة فقهية للشيخ سيدي محمد إلى ابنه سيد المختار في حقوق النساء. وهذه الرسالة عبارة عن سبع صفحات، رقمه في مركز أحمد بابا 3989.

8- مكتوب لحماد بن إبراهيم الأنصاري في إحياء ليلة المولد والتعريف بالسنة والبدعة.

وهذه الرسالة الفقهية تقع في 25 صفحة، ورقمه في مركز أحمد بابا 5433.

9- مكتوب في اللقيطة لمجد الدين بن المهدي الأنصاري، مخطوط بمركز أحمد بابا تحت رقم 5439 وتقع هذه الرسالة الفقهية في 18 صفحة.

أوله: الحمد لله الذي جعل أرعاف الأقلام نيابة عن الخطأ والصلاة والسلام على رسوله المعصوم المأمون من الخطأ المبين لأمته الصواب من الضلال القائل من آوى ضالة فهو ضال لدخولها تحت عموم قوله(ص) لا يحل مال امرئ مسلم إلا عن طيب نفس أو مال.

وبعد فيعود عليك مني من السلام وسلام يزري عن المسك إذا فاح وعن البدر إذا لاح سلاماً أسني وتحية حسنى يعم محلتك وكل من تعلق بذيلك لتعلم إني رأيت كتابك وما نبهتني عليه فيه من أخبار اللقيطة سهل الله لي اتباع السنة. واستدللت فيه بدلائل مسلمة من أحاديث صحيحة وآثار سليمة إلا أنها لم تصادف محل النزاع ولم تكشف عن الوجه القناع ولم تحم حول ما يوجب الإتباع من إثبات ملك تام للملتقط حتى يدخل في الإرث ويعد من الزكاة فهو إذن مال خالص لا شبهة فيه...

فقلت في آخر كتابك كما بدأ يعود ولولا ذلك لما فهت ببنت شفة لا إلى شجرة ولا لفظة...

وآخرها:

فلا كلام فيها لأنه خرجت حينئذ من حكم اللقيطة إلى حكم الوديعة لحديث فاستمتع بها وإلا فلتكن وديعة عندك والسلام.

10- البيان أن الإرسال في الفرض من شعار الروافض لمجد الدين الأنصاري. ورقمه في مركز أحمد بابا 5440.

هذه الرسالة الفقهية رد على ابن ما ياب الجكني مؤلف كتاب إبرام النقض لما قيل في أرجحية القبض. وتقع هذه الرسالة في 34 صفحة.

أولها:

بعد البسملة والحمدلة والتصلية.

وبعد: فالرد على تأليف الشيخ محمد الخضري الشنقيطي المالكي سماه إبرام النقص لما قيل في أرجحية القبض يستضعف فيها أحاديث القبض ويلتمس لها العلل...

وآخره: وهذا كفاية لمن نور الله بصره وبصيرته، فقد تم ما أريد جلبه من الأدلة على صحة القبض في الأحاديث وتشويه الإرسال وإدحاض حجته وزلة القائل به ونسبة الوهم لمن عمل به وسميت هذا الرد: البيان أن الإرسال في الفرض من شعار الروافض. مجد الدين بن المهدي الأنصاري التنبكتي موطناً الغيرغي منشأ ومولداً المالكي مذهباً...

11- رسالة فقهية لهمهم بن محمد الصالح البشير إلى سيد عابد الأنصاري وهذه الرسالة الفقهية تقع في 76 صفحة وهي عبارة عن نصيحة وبيان بعض الأحكام الشرعية والشروط التي تجب أن تتوفر في كل من المفتي والقاضي. ورقمه في المركز 4996.

أولها:

بعد الحمد والتصلية

أما بعد: فمن المعترف بالعجز والتقصير همهم بن الصالح بن محمد البشير إلى من سيقف على الكتاب من المتصدرين للفتاوى والأحكام بغير شروط التقدير المغترين المنغمسين في تخالفهم ... المخلطين بكل شاذ ومهجور والنافذ بصير والله يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور خصوصاً سيد العابد الأنصاري

وآخرها:

... ربما يحصل الوفاق لا كما قلت ولم يبق إلا الوفاق من غير مداهنة ولا نفاق...»

المبحث الثاني: الاتجاهات والمناظرات الفقهية

تمهيد:

نقصد بالاتجاهات الفقهية الطرق التي سار عليها العلماء لاستنباط الأحكام الفقهية أو لبيانها. أو هي الخصائص والسمات العامة التي طغت على عناصر الحركة الفقهية في كتاباتهم وفتاواهم واستنباطهم بصفة عامة.

وبعبارة أخرى لاحظنا أن علماء الحركة الفقهية فيهم عناصر يحاولون تأصيل مسائلهم من الكتاب والسنة قبل إبداء آرائهم.

بينما هناك فريق آخر من العلماء يلتجئ دائماً إلى ما قاله العلماء دون تأصيل، بل قصارى جهده نقل أقوال الأئمة أو علماء المذهب ولا يؤصل مسائله إلا نادراً.

أما المناظرات الفقهية فنعني بها بعض المواضيع التي أثيرت كثيراً في المنطقة وأفتى فيها بعض العلماء بما يثير الشك والجدل مما جعل فريق من العلماء يبدي رأيه في المسألة للرد على الفتوى الأولى أو السابقة.

المطلب الأول: اتجاهات الحركة الفقهية

ساد الحركة الفقهية في السودان الغربي اتجاهان أساسيان: إتجاه تأصيلي واتجاه تقليدي.

أولاً: اتجاه التأصيل

نقصد بالاتجاه التأصيلي: ذلك الصنف من العلماء الذين يؤصلون أحكامهم من الكتاب والسنة، قبل أن يدعم ما يقوله بأقوال العلماء السابقين في المسائل الفقهية.

وهذا الصنف نادراً ما يفتي في مسألة أو يبدي رأيه في حكم دون أن يعزز ما يقول بنص من الكتاب أو السنة.

ومن العلماء الذين يتوفر لدينا إنتاجاتهم الفقهية من هذا الصنف:

الشيخ أحمد بابا التنبكتي.

الشيخ المختار بن أحمد الكنتي: يظهر اتجاهه التأصيلي في كتاباته وفتاويه. وللتأكد أرجع إلى كتابه الأجوبة المهمة لمن له بأمور الدين همة. وهذا الكتاب مخطوط في مركز أحمد بابا رقمه 4634.

أبو بكر بن المختار الزنجوي الكابري: يظهر اتجاهه التأصيلي خاصة في كتابه نبراس الهداية، الذي يوجد في مركز أحمد بابا تحت رقم 5730.

حيث تراه يورد المسائل ثم يعقبها بأقوال العلماء.

القاضي محمد المولود بن عثمان الجناوي: يظهر اتجاهه التأصيلي خاصة في كتابه الفتح الرباني، وهو مخطوط في مركز أحمد بابا رقمه 5282.

سيد أحمد الحبيب بن سيد الأوراني: ويظهر اتجاهه التأصيلي واضحاً من خلال رسالته الفقهية إلى أمير أحمد لب، ورقمه في مركز أحمد بابا 5055.

سيدي بن المختار بن الهيب: يظهر اتجاهه التأصيلي جلياً في فتواه فيمن صلى في ثوب نجس، وهذه الفتوى موجودة في مركز أحمد بابا تحت رقم 5998[70].

7–حماد بن إبراهيم الأنصاري السوقي: يظهر اتجاهه التأصيلي بشكل واضح في كتابه إحياء المولد النبوي والتعريف بالسنة والبدعة. ورقمه في مركز أحمد بابا 5433.

8– مجد الدين بن المهدي الأنصاري: ويظهر اتجاهه التأصيلي واضحاً من خلال ما كتبه في اللقيطة ورقمه في مركز أحمد بابا 5439.

همهم بن محمد الصالح البشير: يظهر اتجاهه التأصيلي واضحاً من خلال رسالته الفقهية إلى سيد عابد الأنصاري، التي توجد في مركز أحمد بابا تحت رقم 4996.

هذه بعض النماذج من أسماء العلماء الذين يمثلون الاتجاه التأصيلي في السودان الغربي.

وهذا الاتجاه – كما قلنا سابقا – في أغلب الأحيان يؤصل أحكامه ولا يكتفي بذكر أقوال العلماء السابقين.

---

70 - لم نترجم لهؤلاء العلماء ترجمة كاملة في هذا المطلب لأننا سنقوم به في الباب الثاني إن شاء الله.

على أن ما ينبغي التنبيه إليه أن من عناصر هذا الاتجاه من لا يؤصل أحكامه أحياناً، وذلك راجع إلى طبيعة السائل، لأنه إذا كان عامياً فهو لا يحتاج إلى تأصيل، بل يذكر الحكم فقط.

أما إذا كان المستفتي عالماً أو طالب علم فلا بد أن يؤصل المسائل حتى يعرف المستفتي دليله ومدى قوته ووجه استنباط الحكم منه.

ثانياً: اتجاه التقليد

ونقصد بهذا الاتجاه: صنف من العلماء الذين لا يؤصلون مسائلهم إلا نادراً، فمنهجهم سرد أقوال العلماء السابقين في المسألة دون تأصيل، وإن أصل مسائله أحياناً فإنما ذلك من باب التبرك لا من باب التأصيل.

ولعل السبب راجع إلى أنهم لا يرون ضرورة لتأصيل المسائل، أو أن الاستدلال بقول عالم مشهور يغني عن التأصيل.

ويمكن القول أن الأمر يعود أيضاً إلى ما هو سائد في هذه الفترة من الاكتفاء بأقوال العلماء دون تأصيل، مع أنهم على علم تام بأصول المسائل.

ومن العلماء الذين ينتمون إلى هذا الاتجاه:

محمد بن محمد بغيغ بن محمود كورد الفلاني: يظهر اتجاهه التقليدي بشكل واضح في فتواه التي في مركز أحمد بابا تحت رقم 4007.

سيد محمد بن المختار بن أحمد الوافي: ويظهر اتجاهه التقليدي بشكل جلي في كتابه الفتوح القدسانية بالأجوبة الفلانية الذي في مركز أحمد بابا تحت رقم 3276.

القاضي طالبن بن الوافي الأوراني: يظهر اتجاهه التقليدي واضحاً من خلال كتابه فتح الرب اللطيف الذي في مركز أحمد بابا تحت رقم 2110.

محمد الطاهر بن أحمد الأنصاري: ويظهر اتجاهه التقليدي في مؤلفه الموجود في مركز أحمد بابا تحت رقم 4875.

القاضي أحمد بن محمد الأنوكندري: يظهر اتجاهه التقليدي من خلال مؤلفه الموجود في مركز أحمد بابا تحت رقم 4966.

سيد محمد بن المختار بن أحمد الوافي: يظهر اتجاهه التقليدي واضحاً في مؤلفه الموجود فيي مركز أحمد بابا تحت رقم 3276.

أحمد بن أحمد عمر أقيت: يظهر اتجاهه التقليدي واضحاً من خلال فتواه الموجودة في مركز أحمد بابا تحت رقم 3925.

هذه بعض النماذج من أسماء العلماء الذين يمثلون اتجاه التقليد.

على أن تصنيف هؤلاء العلماء في اتجاه التقليد ليس تقليلا من شأنهم وإنما ذلك لبيان اتجاهاتهم الفقهية، لأننا نجد في هذا الصنف علماء عباقرة: مثل محمد بغيع وبعض أفراد أسرة أقيت وكورد الفلاني...

المطلب الثاني: المناظرات الفقهية

أصل المناظرات أو آداب البحث أو الجدل هو علم يبحث عن كيفية تردد الكلام بين اثنين قصد كل واحد منهما تصحيح قوله وإبطال دعوى صاحبه[71].

وهذا العلم من أهم العلوم التي ينبغي أن يتسلح به كل فقيه ولهذا قال عنه الإمام الباجي إنه:

« من أرفع العلوم قدراً وأعظمها شأناً لأنه السبيل إلى معرفة الاستدلال وتمييز الحق من المحال... »[72]

ونحن نقصد بالمناظرات الفقهية هنا تلك المسائل التي أثارت جدالاً بين علماء المنطقة، وحاول كل واحد منهم أن يدلي بدلوه فيها ويدحض دعوى الآخر، أو يبين زلة الآخر.

وقد كثر هذا النوع من المناظرات الفقهية بين العلماء في العصور المتأخرة، وخاصة عندما قل عدد العلماء الذين يسلم لهم الجميع في التبحر والتمكن في العلوم الإسلامية.

ومن المسائل التي أثارت جدالاً بين العلماء وأبدى كثير من العلماء رأيه فيها:

1 – مسألة التبغ:

---

71 - يراجع : مباحث في المذهب المالكي بالمغرب، ص 165.

72- يراجع كتاب المنهاج في ترتيب الحجاج، لأبي الوليد الباجي ص 8 تحقيق عبد المجيد تركي الطبعة الثانية 1987 دار الغرب الإسلامي.

لقد أثارت هذه المسالة جدلاً كبيراً بين العلماء، فاختلفت أقوال العلماء فيها واضطربت فكتب أحمد بابا رسالة فقهية فيها رداً على من حرمها سماها: اللمغ في الإشارة لحكم تبغ[73].

2- مسألة الدعاء بما فيه إيهام كقول القائل: اللهم إني أسألك بقدرتك التي استويت بها على عرشك فلم يعلم العرش أين مستقرك.

ومن المسائل التي أثارت الزوبعة بين العلماء هذه المسألة فتباينت أقوال العلماء فيها ما بين جائز ومانع فكتب أحمد بابا رسالة فقهية فيها سماها: نيل المرام على التمام لبيان حكم الأقدام على الدعاء بما فيه إيهام[74].

3- القبض والإرسال:

من المسائل الفقهية التي شغلت بال العلماء في المنطقة، فاختلفت أقوال العلماء في أرجحية أحدهما على الآخر فكتب مجد الدين بن المهدي الأنصاري رسالة فقهية رداً على مايابي الجكني مؤلف إبرام النقض لما قيل من أرجحية القبض، وسمى رسالته: البيان أن الإرسال في الفرض من شعار الروافض[75].

4- التعامل مع النصارى:

من المسائل التي أثارت الزوبعة بين علماء المنطقة التعامل مع النصارى واتلاف أموالهم، فتعددت آراء العلماء ما بين محلل ومانع فكتب الشيخ باي رسالة فقهية رداً على من منعه منعاً باتاً دون تفصيل[76].

نموذج من المناظرات الفقهية:

ومن نماذج المناظرات الفقهية ما كتبه محمد الطاهر بن أحمد الأنصاري لما سئل عن بعض ما كتبه بعض القدماء في شأن الصلاة على الجنازة ونص الفتوى ما يلي:

---

73 - يرجع : اللمغ في الإشارة لحكم تبغ، مخطوط بالخزانة الملكية بالمغرب تحت رقم 100، 3627 ز، 12471.

74 - يراجع : نيل المرام على التمام لبيان حكم الإقدام على الدعاء بما فيه إيهام، مخطوط بالمكتبة الوطنية بتونس تحت رقم 465.

75 - يراجع : البيان أن الإرسال في الفرض من شعار الروافض، مخطوط بمركز أحمد بابا التمبكتي تحت رقم 5440.

76 - يراجع : فتاوى الشيخ باي، مخطوط في مركز أحمد بابا، تحت رقم 3922. ونص الفتوى أوردناه في نماذج الفتاوى في المبحث السابق.

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم حمداً لمن خلق السماء ورفعها بغير عمد والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أولي الفضل والسؤدد

وبعد فقد سئل الكاتب عن حكم كتبه بعض القدماء في شأن صلاة الجنازة وزبدته سأل سائل هل لأحد أن يصلي على الجنازة بحضرة قاضي البلد أم لا؟

فأجاب المسؤول أن لا يصلي عليها أحد بحضرة القاضي أو إذنه واستشهد أن سحنوناً ضرب يحيى بن عون لصلاته على أبيه وصية من أبيه عون بن يوسف بغير إذن سحنون وهو القاضي يومئذ وأعاد سحنون الصلاة فرده راد أيضاً من بعض القدماء.بما هو أعلم بحاله منا وزيف ما قال المجيب وعد ما فعله سحنون مع يحيى زلة لا ينبغي ذكرها لقوله، (أقيلوا لذوي الهيئات عثراتهم).

فأجبت وعلى الله توكلت ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم إن القضاة لا مدخل لهم في صلاة الجنازة مع أوليائها لقول الله تبارك وتعالى: ﴿ **وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين**﴾[77].

وهذا عام يتناول السبب وغيره ولقوله (ص) (ملعون من صلى على جنازة بغير إذن وليها) أو كما قال ، وهذا عام أيضاً، وللعمل الجاري من لدن الصحابة والتابعين وتابعيهم وهلم جراً.

وصلت الصحابة على الجنائز من دون إذن الخليفة الذي تكلم عليها أهل الفروع من باب أحرى القاضي.

ومن جملة من صلى بغير إذن الخليفة علي رضي الله عنه وصلى على فاطمة رضي الله عنها بغير إذن الخليفة، وهو أبوبكر رضي الله عنه خليفة رسول الله (ص) الذي اجتمعت الأمة أن ليس على وجه الأرض في ذلك اليوم صحابي أفضل منه. وكثيراً ما يصلي عبد الله بن عمر على الجنائز بإذن أوليائهم وهو ليس بأمير ولا قاض بحضرة الصحابة ولم ينكر أحد، وهم المنزهون عن السكوت على باطل ولا يداهنون أحداً في حق.

---

77 - سورة الأحزاب، الآية 6.

ومن ذكر من الأئمة رضوان الله عليهم أن الخليفة أحق بالصلاة من الولي فإنما يعني به إذا اقتضت العادة أن الخليفة هو صاحب الصلاة والخطبة كما مر في بعض الأزمنة المتقدمة وهو المفهوم من تعبير المدونة وغيرها فليتأمل بإنصاف.

وأما ضرب سحنون ليحيى بن عون فالظاهر أنه غير صحيح لمصادمته لما يفتي به سحنون نفسه، واضطراب الرواية، لأن سحنون[أفتى بأن] الوصي أحق عنده من الخليفة بالصلاة، ويحيى وصى أبيه، فكيف يسوغ ضرب الوصي من النائب الذي أصله وهو الخليفة مقدم عليه الوصي عند الضارب.

فهذا مما يوهن رواية الضرب مع اضطرابها، والخبر المضطرب المكذب به المخبر عنه لا يحتج به في الأحكام. فإن الرواية رويت من وجه أن يحيى صلى على أبيه عون ومر سحنون فأخبر بصلاة يحيى فقمعه بالسوط وأمر بإنزاله، وأعاد الصلاة عليه.

ومن وجه أن يحيى ما صلى وإنما تقدم سحنون فقال له يحيى أبي أوصى أنك لا تصلي عليه فقمعه بالسوط وصلى عليه فتناقض الخبر وهو أصلاً محتمل للصدق والكذب والدليل الذي فيه أدنى احتمال يسقط الاستدلال به. مع أن بعض العلماء يقول إن مثل هذا الوارد عن سحنون كضربه لابن أبي الجواد لا يصح لأنه رواية ابن الرقيق وذاك غير موثوق بما يروي لأنه كان يشرب الخمر فلا يقبل خبره، وإن رواه مؤرخو القيروان فلا يلتفت إلى روايتهم خوفاً من أن يكون تلفق عن ابن الرقيق المؤرخ المذكور. ولا ينبغي أن يقول العلماء أو ينسب لهم ما لا يليق بمرتبتهم السنية حتى يلزم الجواب عنه، هذا إن لم تلح عليه سمة ضعف فكيف إذا كان ضعفه ظاهراً من كل وجه؟! فلا ينبغي أن ينسب إليهم من باب أحرى أن يقال أنه زلة عالم. وعلى تسليم الكلام تسليماً جدلياً فيقال أن ذلك كان في الزمن الذي الصلاة للأمراء ونوابهم بالعادة، وقد انقلبت العادة منذ عصور خوال ورمم بوال ، فصار الأمير عن الصلاة بمعزل وكذلك نوابه، وجرى العرف أن الإمامة للأفضل من الناس ديناً وورعاً وعلماً وموافقة للنصوص. وجرى العرف أن أولياء الميت لا يتقدم عليهم أحد ولا يتولى صلاة ميتهم إلا من مولوها له. ومن العادة أن لا يولوها إلا لأصلح الناس حالاً لأنها شفاعة كما ورد أئمتكم شفعاءكم فاختاروا بمن تستشفعون أو كما ورد. ولقول الحسن البصري أدركت الناس ولا يقدمون جنائزهم إلا من رضوه

لفرائضهم. فإذا تأملت هذا ظهر لك أن القضاة لا مدخل لهم في صلاة الجنازة بوصف القضاء، وإنما هم من جملة المسلمين قديماً وحديثاً ومدعى غير هذا فعليه البيان.

كتبه المقر بتقصيره محمد الطاهر بن أحمد الأنصاري[78].

وخلاصة القول في هذا المبحث إن الحركة الفقهية سادها اتجاهان أساسيان، اتجاه تأصيلي يحاول دائماً تأصيل أحكامه، واتجاه تقليدي قصارى جهده سرد أقوال العلماء دون تأصيل. كما جرت بين علماء الحركة الفقهية مناظرات في عدة مسائل فقهية أدت إلى إثراء الحركة الفقهية.

المبحث الثالث: أهم المراكز التي ازدهرت فيها الحركة الفقهية

ظهرت في السودان الغربي عدة مدن علمية فيما بين القرنين: الثامن والثالث عشر الهجريين، قامت بدور مهم في تنشيط وازدهار الحركة العلمية ونشر الثقافة الإسلامية في المنطقة.

ومن هذه المدن العلمية التي لعبت دوراً مهماً في ازدهار الحركة العلمية بصفة عامة والحركة الفقهية بصفة خاصة: مدينة تنبكت وجنى وغاو وضواحيها.

المطلب الأول: مدينة تنبكت وضواحيها

أولاً: مدينة تنبكت

لا يذكر الإسلام في غرب إفريقيا إلا اقترنت به مدينة تنبكت التي ارتبطت نشأتها بانتشار الإسلام في السودان الغربي على نطاق واسع وبتصحيح مفاهيمه لدى المجتمع السوداني مع المرابطين.

ولا تذكر تنبكت حتى يتخيل العارف بدورها في السودان الغربي مكانة البصرة والكوفة بالعراق وفاس بالمغرب وقرطبة بالأندلس والقيروان بتونس والقاهرة بمصر، لما قامت به من أدوار طلائعية في نشر الإسلام وثقافته العربية في غرب إفريقيا.

وقد تأسست هذه المدينة في أواخر القرن الخامس الهجري، بعد ما وصل المرابطون إلى المنطقة لنشر الإسلام وتصحيح مفاهيمه لدى المجتمع.

78 - يراجع: فتوى محمد الطاهر بن أحمد الأنصاري، مخطوط بمركز أحمد بابا، تحت رقم 4875 .

وقد ذكر السعدي أنها نشأت على أيدي طوارق مغشرن الذين يتجولون في الصحراء بحثاً عن الكلأ والعشب لمواشيهم.

ففي فصل الصيف ينزلون إلى ضفة النهر القريب من المدينة. وفي الخريف يرتحلون إلى أروان. واستمر الأمر على هذه الحالة حتى أصبحت مكاناً مفضلاً في السودان الغربي. قصدها العلماء والتجار، وذاع صيتها في العالم فأصبحت للتجار سوقاً، وموئلاً للعلماء والأدباء والفقهاء[79].

وقصة هذه المدينة الخالدة، التي يرى السعدي أنها لم تثبت عمارتها إلا في أواخر القرن التاسع الهجري واستكمل بناؤها في عهد أسكيا داود[80]،ارتبطت باسم امرأة عجوز تسمى (بكت) كانت تقيم عند بئر يقصدها الرعاة والرحالون والقوافل التي تجوب الصحراء لترتوي منها. ومع مرور الأيام أطلق على مكان هذا البئر الذي تقيم عنده المرأة العجوز (تنبكت) أي مكان بكت.

فـ(تن) تعني بلغة الطوارق: مكان أو محل. و(بكت) اسم المرأة العجوز التي تقيم عند البئر.

هكذا بدأ اسم هذه المدينة المباركة الميمونة حتى استقرت عليه. وهي مدينة حافلة بالعجائب والغرائب لا تدخل تحت حصر ولا يحيط بها حفظ حافظ كما يقول محمود كعت[81] .

ومهما حاول الباحث أن يصفها فإنه لن يصل إلى ما وصفها به ابنها البار عبد الرحمان السعدي حين قال:

«... ما دنستها عبادة الأوثان ولا سجد على أديمها قط لغير الرحمن، مأوى العلماء والعابدين ومألف الأولياء والزاهدين، وملتقى الفلك والسيار... وسكن فيها الأخيار من العلماء والصالحين وذوي الأموال من كل قبيلة ومن كل بلاد من أهل مصر وورجل وفزان وغدامس وتوات ودرعة وتفلالت وفاس وسوس وبيط إلى غير ذلك...»[82].

وتشكل كثرة الأجناس وتنوعها مصدر ازدهار الثقافة الإسلامية في تنبكت فأصبحت بذلك حاضرة الثقافة الإسلامية في السودان وقلب الحركة الفكرية النابض، اجتمع فيها

---

79 - يراجع : تاريخ السودان للسعدي، ص 20-21./ الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا ، د. حسن أحمد محمود ، ص 210-216 .

80 - تاريخ السودان ، ص 22.

81 - يراجع : تاريخ الفتاش ، ص 181./ سليم زبال"أنقذوا تمبكت ..."، مجلة العربي عدد244، ص 68-90 .

82 - يراجع : تاريخ السودان، ص 20-21 .

العلماء من كل لون وجنس المغاربة والأندلسيون والمشارقة والسودانيون والغدامسيون وغيرهم.

ومما زاد من مكانة تنبكت العلمية « أن تنبكت ليس فيها حكم إلا حكم متولي الشرع ولا سلطان فيها، والقاضي هو السلطان وبيده الحل والربط... »[83]

وقد أدى هذا الأمر إلى أن تجد تنبكت شهرة عالمية تجعل الأفئدة تهوى إليها ويقصدها الناس من كل حدب وصوب فزخرت بالأدباء والفقهاء، فتقدمت الحركة العلمية فيها تقدماً ملموساً.

وقد وصلت هذه النهضة العلمية قمتها في العقدين الأولين من النصف الثاني، من القرن العاشر الهجري.

ولسنا نبالغ إذا قلنا خلال القرن السادس عشر الميلادي يندر أن ترى فيها من ليس له زاد في العلوم الإسلامية، وحتى الراعي وسط أغنامه والزارع بين مزرعته لو سألته عن سورة أو مسألة في الفقه لوجد ما يقول لك فيها، دون عناء لشدة اهتمام أهلها بالعلوم الإسلامية والشرعية منها على الخصوص. فأصبحت بذلك موئل الفكر الإسلامي في السودان الغربي ومنتهى الغاية ومركز الراية وأم القرى وقرارة أهل الفصل والتقى ووطن أولي العلم والنهى...

ولعل من أهم ما يؤكد هذا الأمر المثل الشعبي في السودان الغربي: (الملح يأتي من الشمال والذهب يأتي من الجنوب والمال أو الفلوس يأتي من دول البيض، أما كلام الله والمسائل والطرائف العلمية والقصص والحكايات الجميلة والحلوة فلا توجد إلا في تنبكت)[84]

ومن أروع ما تركت لنا صفحات التاريخ من أقوال المؤرخين حول تنبكت قول أحد أبنائها البار محمود كعت، وهو يصفها:

« فتنبكت يومئذ– يوم مجدها– لا نظير لها من البلدان من بلاد السودان إلى أقصى المغرب من بلاد مل مروءة وحرية وتعففاً وصيانة وحفظ العرض ورأفة ورحمة بالمساكين والغرباء وتلطفاً بطلبة العلم وإعانتهم... »[85]

---

83 – يراجع : تاريخ الفتاش، ص 179

84 – تنبكت الغريبة أو العجيبة : فليكس ديبو، ص 314 Tomboutou Lamysteruiuse

85 – يراجع : تاريخ الفتاش ، ص 179

ولما زار الحسن الوزان المنطقة وجد « في تنبكت عدداً كثيراً من القضاة والفقهاء والأئمة يدفع إليهم الملك جميعاً مرتباً حسناً ويعظم الأدباء كثيراً ...»[86]

ومما يجسد مكانة تنبكت العلمية ويجعلها كصورة حية أمام العين قول أحد علمائها المخضرمين الذي عاش جزءاً من فترة ازدهارها وانحطاطها، وهو يصف تنبكت ويرثيها في نفس الوقت، لما حلت بها من المصائب» فتنبكت قبل نزول هذه المحنة بها – هجوم جودر باشا – وقبل إجلاء أولاد القاضي محمود بن عمر وحفدته وأسباطه في غاية الحسن والجمال وإقامة الدين وإحياء السنة بها ما شئت من دين ديناً وجيران تنافسوا في المعالي...»[87]

ويبلغ هذا الوصف قمته حين قارنها بالبصرة: « وهي يومئذ موصوفة ببعض ما وصف به الحريري البصرة في المقامة الثامنة والأربعين التي تعرف بالحرامية ولما وصف به في المقامة الخمسين...»[88]

وهكذا أصبحت مكانة تنبكت في الثقافة الإسلامية تضاهي القيروان وفاس والقاهرة وغيرها من العواصم الإسلامية التي اشتهرت في العالم الإسلامي.

كما أن هذه المكانة تجعلها مركز الثقافة الإسلامية في السودان وقلبها النابض وينبوع متفجر العلوم ورمز الإسلام وعلومه ودار صوب العقول وثمرة بستان الخواطر ودرر بحر القرائح وقبة الإسلام في غرب إفريقيا.

ومن أفقها طلعت نجوم السودان وأعلامه، وقل أن تجد عالماً في السودان لم يتعلم فيها أو يقيم بها زمناً. وبها أنشئت بعض التآليفات الرائعة وصنفت التصنيفات الفائقة.

ومما يؤسف له أن هذه التصنيفات اندثرت أغلبها لكثرة الغارات[89] والهجمات على المدينة، أو عبثت بها أيدي الاستعمار، ولم يصل إلينا منها إلا نذر يسير.

---

86 – يراجع : وصف إفريقيا، ج2 ، ص 167 .

87 – يراجع : تاريخ الفتاش، ص 178 .

88 – نفس المصدر ، ص 178 .

89 – نشير إلى أن تنبكت لو لا أنها مدينة مباركة كما يقول ابنها البار عبد الرحمن السعدي لما بقيت في الوجود حتى الآن لأنها تعرضت لعدة هجمات ونهب وسلب وتخريب. ففي كل مرة يظن الجميع أنها لن تقوم مرة أخرى ، لكن سرعان ما تنهض من كبوتها فتدب الحياة فيها من جديد.

ذكر الخليل النحوي أنه في القرن السابع الهجري استولى عليها المرينيون ونقلوا خزائنها إلى المغرب لكنها استطاعت أن تنهض من هذه الكبوة وتواصل عطاءها ، ولا أدرى أين وجد الخليل النحوي

إنها بحق مدينة العلم ومأوى العلماء والأولياء الصالحين، أقام بها جهابذة علماء ذلك العصر، واشتغلوا بالتدريس في جامعاتها الشهيرة التي تخرجت في عتباتها أعلام الفكر الإسلامي والأدب العربي في المنطقة، ووصلت مؤثراتها الثقافية في كل بقعة حل بها الدين في ربوع إفريقيا الغربية والصحراء[90].

إنها بحق مستودع الفكر الإسلامي في المنطقة، إذ كانت زاخرة بالكتب العلمية وأهلها[91]. ولو لا أن الاسترسال في كل ما قيل عن تنبكت من الثناء والمدح والعجائب تزيح سهمنا عن ثغرة الغرض المقصود في هذا المقام لأوردنا كثيراً من النقول في هذا الصدد، لهذا نكتفي بهذه السطور، ونشير إلى أن تنبكت في الوقت الحاضر ليست هي تنبكت التي لمعت نجمها في أفق سماء السودان ما بين القرن الرابع عشر والسادس عشر الميلاديين، حيث انطفأت شعلة العلم فيها وخبت نيرانها وباتت في سبات عميق نظراً للظروف الطبيعية التي حلت بالمنطقة، وتكرار الهجمات والغارات عليها في كل حين وآخر، والتي كانت نكبة كبرى أحاطت بكثير من روائعنا وذخائرنا الفكرية.

وبعد ما رأينا ما قيل عن حاضرة السودان، فما هي أهم القرى التي لعبت دوراً مهماً في ازدهار الحركة الفقهية في هذه المنطقة؟

ثانياً: المدن العلمية في منطقة تنبكت

تعتبر منطقة تنبكت من المراكز العلمية المهمة حيث تقع فيها عدة قرى لعبت دوراً مهماً في تثبيت أركان الثقافة الإسلامية في المنطقة. ومن هذه القرى أو المدن التابعة لمنطقة تنبكت:

=هذا الخبر، لأنه حسب معرفتي لم يتعرض المرينيون لتنبكت أبداً. ثم هجم عليها الموسيون الهمج فخربوها ولم= =يتركوا فيها أخضر ولا يابس، وبعد هذا، تعرضت لهجوم أعنف في عهد سوني علي بير اسفرت عن ضمور ظرفي في عطائها الثقافي. ثم تعرضت لهجوم السعديين بحملة عليها زادتها وهناً على وهن . أما في عهد الباشاوات فحدث ولا حرج، عدد الغرات عليها لا تعد ولا تحصى . يراجع : بلاد شنقيط، المنارة والرباط. الخليل النحوي، ص 68-69 . تاريخ الفتاش : ص 173./ السعدي ، ص22 وما بعدها. / الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا : ص 253-257 ./ مجلة العربي ، عدد 244، ص 68-91 .

90 - يراجع : إفريقيا والثقافة العربية الإسلامية ، منشورات أيسيسكو، ص 180./ بحثنا حول الحركة العلمية في تنبكت خلال القرن التاسع والعاشر الهجريين، ص 10 وما بعدها .

91 - يراجع : تاريخ السودان ، ص 20 ./ الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا، حسن أحمد محمود، ص 247- 248 .

مدينة أوران وبيرو وبوجبيهة.

1- مدينة أروان

تقع هذه المدينة على بعد 265 كلم بشمال تنبكت: تحيط بها كثبان رملية. ويذهب صاحب الترجمان إلى أن أروان تحريف لكلمة أهاران إيوان التي تعني بلغة الطوارق: سبخة الأبقار أو أرض الأبقار ذات نز وملح (الملوحة).

وقد اختلفت الرواة في تاريخ تأسيس هذه المدينة، فمنهم من يذهب إلى القول بأنها أسست في الربع الأخير من القرن السادس عشر على يد رجل صالح يدعى أحمد أغ آد.

ومنهم من يذهب إلى أن هذه المدينة كانت موجودة قبل مجيء أحمد أغ آد في المنطقة.

وقد لعبت هذه المدينة دوراً ثقافياً وتجارياً مهماً - وخاصة بعد ما خبت نور العلم في تنبكت- حيث كان الناس يتجهون إليها لمواصلة دراستهم. كما أن التجار يأتون إليها من كل مكان، فأصبحت نقطة التقاء، أقبل عليها السكان من بلاد المغرب وموريتانيا وليبيا...

وكانت توجد فيها عدة أحياء كحي أهل القاضي وحي أهل بيرو وحي المغاربة وحي كونتا...

وقبل وفاة الشيخ أحمد أغ آد سنة 1634 أرسى الدعائم العلمية التي قام عليها الإشعاع الديني والثقافي لمدينة أروان، فتحول مساجدها إلى جامعات تخرج منها عدد من العلماء الذين ذاع صيتهم.

وقد بقيت طوال فتراتها المزدهرة شعلة العلم تضئ فيها تارة وتخفت فيها تارة أخرى حتى حدود السبعينات من القرن العشرين.

وقد زار هذه المدينة عدة علماء وأقاموا بها مدة، منهم:

محمد بن أحمد أوبا المزمري التواتي والقصري محمد بن عثمان ومحمد الأمين بن الحبيب الجكاني وأبو بكر عيسى الفلاني وعمر عبد الرحمان التواتي...[92]

---

92 - يراجع : الحضارة الإسلامية بمالي، ص 87-90 ./ الوسيط في تراجم أدباء الشنقيط لأحمد بن الأمين الشنقيطي ص/458

وكانت هذه المدينة – وقت ازدهارها – مملوءة بالخزانات الخاصة بالإضافة إلى خزانة عامة كبيرة كانت تحت رعاية القاضي.

كما أنها كانت بقعة العلم والولاية والصلاح، فكان أهلها يتنافسون في العلم. وأغلب بيوتها يتم فيها تدريس أهم الكتب الفقهية كابن الحاجب ومختصر الخليل والرسالة والعتبية وجمع الجوامع ومختصر ابن عرفة والمدونة الكبرى والبرادعي وغيرها من طرف العلماء الحذقة الذين لا يشق لهم غبار.

ولشدة اهتمام أهلها بالعلم كان فيهم من يحفظ نص القاموس[93].

وكان قضاتها أهل فضل وعلم وقلب صاف، يقومون بعملهم بكل نزاهة وعدالة دون خوف من أي كان، ولا يخافون في الله لومة لائم.وكان واحد منهم لا يبت في المسائل التي فيها خلاف حتى يستشير إخوانه القضاة ثم يبتون فيها جميعاً. وكانوا لا يشتغلون إلا بالتدريس والفتاوى..[94]

على أن هذه المدينة لعبت أيضاً دوراً تجارياً مهماً إلى جانب دورها الثقافي – كما ذكرنا سابقاً– حيث أن موقعها الجغرافي جعلها ملتقى لرجال الأعمال في الصحراء. فالذين يأتون إليها من الشمال كانوا يحملون معهم الأقمشة والملح...

أما القادمون من الجنوب فكانوا يحملون معهم البخور والعاج والريش والصمغ والحبوب والحيوانات والعبيد...

خلاصة القول إن هذه المدينة من المدن العلمية المهمة في منطقة تنبكت لعبت دوراً ثقافياً وتجارياً مهماً خلال القرون الماضية، لكن الظروف الطبيعية السلبية التي انهالت عليها من مجاعة وجفاف في السنوات الأخيرة جعلتها تفقد مركزها العلمي. وخاصة تلك المجاعات التي توالت على المدينة سنة 1730، 1913 ، 1914 وما صاحبها من جفاف، مما جعل أغلب سكانها ينتقلون إلى تنبكت ويتركونها خاوية على عروشها.

ولم يبق من تاريخها المجيد إلا نتفاً يسيرة من المخطوطات التي عند بعض أسرها العلمية. وأغلبها بيعت لأفراد غير معروفة يتاجرون بها في أنحاء العالم.

---

93 - يراجع : كتاب الترجمان في تاريخ الصحراء والسودان وبلاد تنبكت وشنجيط وأوران ونبذ من تاريخ الزمان في جميع البلدان للقاضي محمد بن محمود بن الشيخ بيكر بن القاضي سيد احمد الأوراني، مخطوط بمركز أحمد بابا التنبكتي تحت رقم 762 ، ص 107 .

94 - نفس المرجع، ص 105

2- مدينة بوجبيهة:

من المدن العلمية المعروفة في منطقة تنبكت مدينة أو قرية بوجبيهة، وهي تقع شمال شرقي تنبكت، وتبعد عنها بحوالي 200 كلم. وقد كانت مدينة علم وتقوى. كما كانت أيضاً مركزاً للمبادلات التجارية بين التجار في المناطق الصحراوية.

وقد أسست عام خمسة وسبعين ومائة وألف (1175) هجرية. وهناك من يرى أنها أسست في منتصف القرن الثامن عشر الميلادي في عهد محمد بن رحال زعيم البرابيش[95].

وقد كانت بهذه المدينة خزانة كبيرة تزخر بالمخطوطات النفيسة أسسها أحمد السوقي الذي توفى سنة 1184/1770م.

وبعد وفاته أهملت هذه الخزانة النفيسة، ولم يتم رد الاعتبار لها إلا في سنة 1912/1331 ، لما قام أحد أبناء هذه المدينة الشيخ زين بن عبد العزيز الذي أحيا الخزانة وزودها بالمخطوطات والمطبوعات لكن بعد وفاته أصبحت الخزانة في خبر كان.

خلاصة القول أن هذه المدينة كانت من المدن الصحراوية التي لعبت دوراً تجارياً وثقافياً في المنطقة، لكن مع كثرة الظروف الطبيعية السلبية التي توالت على المنطقة تحولت هذه المدينة إلى مركز صغير مهمل لم يعد لها أي أهمية ثقافية تذكر.

3- مدينة بيرو (ولاتة)

وهي مدينة عريقة قديمة ويحتمل أن تاريخ تأسيسها يعود إلى القرن الأول الهجري. وصف ابن بطوطة أهلها بأنهم» محافظون على الصلوات وعلم الفقه وحفظ القرآن»، وكانت تسمى بيرو. وكانت محطة من محطات القوافل التجارية التي تخترق الصحراء وكانت مزدهرة قبل تنبكت إلى أن تحولت القوافل التجارية منها إلى تنبكت، فضعفت الحركة التجارية والعلمية فيها، فأصبحت أمورها مرتبطة بتنبكت. ولما تعرضت تنبكت للغارات الهمجية من طرف الأعداء، أخذ العلماء يرتحلون إليها، فوجدوا فيها من الأمن والطمأنينة ما فقدوها في تنبكت.

---

95 - يراجع : مكتوب قديم في وفيات علماء بوجبيهة عام (1193-1271) ، وفي الحوادث التي مرت بها وعدد الغارات فيها. مخطوط تحت رقم 3092 في مركز أحمد بابا ./ الحضارة الإسلامية في مالي، ص 150/ الوسيط في تراجم أدباء شنقيط لأحمد بن الأمين الشنقيطي ص/460

وقد كان أهلها يتلقون العلم في تنبكت أيام ازدهارها، ولما أفل نجمها انتقل علماؤها إلى ولاتة، وظلت الحركة العلمية تتنامى فيها في حين تضمر في تنبكت مع مرور الأيام.

وكانت بهذه المدينة مجموعة من المحاضر التي أسهمت كثيراً في تنشيط الحركة الفقهية في المنطقة بعدما انطفأت نيران العلم في مدينة تنبكت[96].

ومن القرى العلمية التي قامت بدور مهم في تنشيط الحركة الفقهية بعد ما خبت دور تنبكت لكثرة الغارات والهجمات عليها.

– قرية بمبا: وهي تبعد عن تنبكت بحوالي 379 كلم وقد ازدهرت الحركة الفقهية فيها كثيراً في عهد البشوات، حيث أن العلماء هاجروا إليها وتركوا تنبكت التي تعج بالاضطرابات والفتن.

– قرية موري كوير: هذه القرية معروفة بالعلم منذ عهد سني علي وتبعد عن تنبكت بحوالي 7 كلم، ومن أهم علمائها الفقيه محمد مور محمد هوكار وأحفاده[97].

– قرية تندرما: وهذه القرية أسست منذ عهد الأسكيين، وقد لعبت دوراً مهماً في إنعاش الحركة الفقهية حيث سكنها كثير من العلماء الذين فروا من تنبكت لما اشتد فيها أوار الفتن. وتبعد عن تنبكت بحوالي 136 كلم، ومن أهم علمائها القاضي محمد بن محمود قنبل والقاضي المختار بن محمد قنبل[98].

وقد لعبت هذه القرى وغيرها دوراً أساسياً في حفظ مستوى التعليم الإسلامي في المنطقة بعدما تعرضت تنبكت للغارات والفتن، حيث وجد كثير من العلماء في هذه القرى ملجأ للسكينة والأمن. فسكنوها ودرسوا فيها، وألفوا الكتب.

وهكذا ساهمت هذه القرى أو المدن الصغيرة في حفظ التراث العربي الإسلامي في المنطقة التي تعرضت كثيراً للدمار والخراب في المدن العلمية الأساسية.

---

96 – يراجع : بلاد شنجيط، المنارة...والرباط، الخليل النحوي ، ص 68-69 ، 99 .

97 – يراجع تاريخ الفتاش ص/62

98 – نفس المرجع ص/62-65/ تذكرة النسيان ص/96، 136

المطلب الثاني: منطقة جنى

أولاً: مدينة جنى:

تعتبر مدينة جنى من أقدم المدن السودانية التي لعبت دوراً ثقافياً وتجارياً مهماً في السودان الغربي.

وقد اختلف المؤرخون في تاريخ تأسيسها، فمنهم من ذهب إلى أنها أسست في القرن الثاني الهجري، ومنهم من ذهب إلى أنها أسست سنة 69 هجرية في عهد عبد الملك بن مروان.

وكان مؤسسوها وثنيين، ثم أسلم ملكهم في القرن السادس الهجري، فأسلم معه كثير من سكانها. وفي هذا يقول السعدي:

« ابتدأت في الكفر في أواسط القرن الثاني من الهجرة النبوية... ثم اسلموا عند تمام القرن السادس، والسلطان كنبر هو الذي أسلم وأسلم أهلها بإسلامه. ولما عزم على الدخول في الإسلام أمر بحشر جميع العلماء الذين كانوا في أرض المدينة فحصل منهم أربعة آلاف ومائتان عالماً فأسلم على أيديهم وأمرهم أن يدعوا الله تعالى ثلاث دعوات للمدينة وهي:

أن كل من هرب إليها من وطنه ضيقاً وعسراً أن يبدلها الله له سعةً ويسراً حتى ينسى وطنه ذلك.

وأن يعمرها بغير أهلها أكثر من أهلها.

وأن يسلب الصبر من الواردين إليها للتجارة في ذات أيديهم لكي يملوا منها فيبيعونها لأهلها بناقص الثمن فيربحون بها.

فقرءوا الفاتحة على الدعوات الثلاثة فكانت مقبولة..."[99] كما يقول السعدي.

ولما أسلم الملك « ... خرب دار السلطنة وحولها مسجداً لله تعالى وهو الجامع وأنشأ الأخرى لسكناهم... »[100].

---

99 - يراجع: السعدي، ص 12-13.

100 - نفس المصدر، ص 13.

وقد وصف السعدي هذه المدينة بأنها « عظيمة ميمونة مباركة ذات سعة وبركة، ورحمة جعل الله ذلك في أرضها خلقاً وجبلة وطبيعة أهلها التراحم والتعاطف والمواساة...

وهي سوق عظيم من أسواق المسلمين، وفيها يلتقي أرباب الملح من معدن تغاز وأرباب الذهب من معدن بيط وكلا المعدنين المباركين ما كانت مثلهما في الدنيا كلها فوجد الناس بركتها في التجارة إليها كثيراً وأجمعوا فيها من الأموال مالا يحصيه إلا الله سبحانه... »[101].

وكانت هذه المدينة سبب ازدهار تنبكت وشهرتها في الآفاق ولهذا يقول السعدي:

«... ومن أجل هذه المدينة المباركة تأتي الرفاق من جميع الآفاق إلى تنبكت شرقها وغربها يمينها وشمالها... »[102].

وكانت هذه المدينة منعمة وعامرة ومحيطة بعدة قرى أوصلها السعدي إلى « سبعة آلاف قرية وسبعة وسبعين قرية وهي كلها متقاربة إلى بعضها... »[103].

ونظراً لموقعها الجغرافي لم يستطيع أحد من ملوك المنطقة أن يستولي عليها إلا الملك سوني علي بير. بعد حصارها سبع سنين وزيادة.

وبعد ذلك خضعت للأسكيين. وفي القرن الثامن عشر خضعت للحكم المغربي، وسكنها كثير من المغاربة: تجار وعلماء وعساكر ...

وفي القرن التاسع عشر استولى عليها الشيخ أحمد الماسني مؤسس مملكة ماسنا، بعد سقوط الحكم المغربي، وأخيراً استولى عليها الفرنسيون.

ومن أهم علماء هذه المدينة المباركة الذين ذاعت شهرتهم في السودان: الفقيه موري مغان في القرن الخامس عشر والفقيه محمد سانو في القرن السادس عشر، وكان أول قاض للمدينة، والفقيه محمود بغيغ والفقيه ألفا وديعة وغيرهم من العلماء الذين تركوا بصمات واضحة على الحركة الفقهية في السودان والذين يصعب حصرهم في هذه السطور[104].

---

101 - يراجع : السعدي ، ص 11-12 .

102 - نفسه، ص 12 .

103 - نفسه ، ص 13 .

104 -يراجع : السعدي : ص 14 / مملكة سنغاي في عهد الأسقيين ، عبد القادر زبادية ، ص 106-108./. العلاقة بين المغرب الأقصى ومالي وصنغاي : ص 216-218 . محمد العربي : ص 579-583 .

ثانياً: أهم المراكز العلمية في منطقة جنى مدينة حمد الله

تعتبر مدينة حمد الله من أهم المدن العلمية الشهيرة في منطقة جنى التي لعبت دوراً ثقافياً مهماً، وساهمت في تنشيط الحركة الفقهية في السودان الغربي خلال القرن التاسع عشر الميلادي.

إذ كانت عاصمة مملكة دينا الشهيرة، وقد تم تأسيسها سنة 1819 أو 1820 من طرف سيك أمد (الشيخ أحمد) ملك مملكة ماسنا أو دينا. وقد أسس هذه المدينة شكراً لله إثر انتصاره على الوثنيين البمبارا وحلفائهم ولهذا سماها حمد الله يعني (حمداً لله) وهي تبعد عن مدينة موبتي حاضرة المنطقة الخامسة بمالي بحوالي 20 كلم وزيادة وتقع في الجنوب الغربي منها[105].

وفي عهد سيك أمد كانت حمد الله غاصة بالطلاب وأهل العلم إذ فيها ما يقرب 600 حلقة من محاضر العلم تدرس فيها علوم الشريعة واللغة والأدب، وحوالي 740 مجلساًمن مجالس القرآن الكريم موزعة على ثمانية عشر حياً من أحياء المدينة[106].

وكانت المدينة محاطا بسور ضخم مرتفع جداً، بنيت لحماية سكان العاصمة ضد غارات الأعداء المفاجئة.

ويعتبر موقع حمد الله موقعاً استراتيجياً مهماً، إذ هي واقعة في مكان يسمح لها مراقبة الحركات أو النشاطات التجارية براً وبحراً.

ويحكى أن سيك أمد لما بنى هذه المدينة دعا الله قائلاً: «إلهي لقد بنينا هذه المدينة على أساس العدالة، وإني لأدعوك أن تمنحها الرخاء مادام يحترم فيها العدل والدين».

وكانت حمد الله تحوى الوزارات المكلفة بالجيش والمالية والعدل والتربية. وقد كانت الدراسة فيها إجبارياً على كل الأطفال البالغين سن العاشر ذكراً وأنثى لا فرق بينهما[107].

أبو بكر إسماعيل: ص 221-223.

105 - يراجع: مملكة فلانية في القرن التاسع عشر الميلادي، بنت سنكوا، ص 77-90 ./ الحضارة الإسلامية في مالي، ص104-108.

106 - يراجع: المملكة الفلانية بماسنا، أمباتي با وداغي، ص 49 ./ صور من كفاح المسلمين في إفريقيا الغربية: الحاج عمر الفوتي، حياته وجهاده: أبو بكر خالد با، ص 71.

107 - يراجع: أمباتي با وداغي، ص 64-65.

وكان التعليم في حمد الله مقنناً ومنظماً، ولا يسمح لأحد من الخواص أن يفتح مدرسة إلا بعد التأكد من كفاءته العلمية، واعتماده على الكتاب والسنة والإجماع[108].

أما المدارس التابعة للدولة فإنه يشرف عليها علماء من غرب إفريقيا، وكان سيك أمد محاطاً بالعلماء والفقهاء، يغدق عليهم كثيراً ويشجعهم على الإنتاج والبقاء في حمد الله، فازدهرت الحركة الفقهية بشكل كبير كما كانت في عهد الإمبراطوريات الكبرى في السودان. كما انتعشت الحركة الأدبية في الشعر والتاريخ باللغة المحلية التي كانت تكتب بالحروف العربية[109].

ويقدر بعض المصادر التاريخية عدد العلماء والفقهاء المشهورين في مدينة حمد الله بنيف وثلاثمائة. لكن معظم إنتاجاتهم العلمية والأدبية قد اندثرت بفعل الحرب الأهلية التي نشبت بالمنطقة.

وإليك قصيدة (أرجوزة) نونية نظمها أحد أدباء ماسنا يدعى الشيخ أحمد حما بركي سماته أجمل فيها بعض فحول علماء بلاط الدولة:

بحمد الله «حمد الله» وطني ... ومسقط جبهتي ومفتاح عين
وفي حافات حمد الله قوم ... كرام لم ينلهم كل شين
وجدد سنة في عام شر جلٍ ... أمير المؤمنين بغير مين
لقد أحببته حباً بليغاً ... من قد كان صلى القبلتين
وحب الشيخ مفتلع بقلبي ... إلى صدري وموضع منخرين
خلافة أحمد بن محمد كبح ... ومدة عمره لو مرتين
أحمد وعبد الله موبو ... حياتهما كانت جوهرين
محمد بن عبد الله ذو حظ ... كذا علي شيخ كنا عابدين
ومدة سبطه كط وطاء ... خلافة أحمد من أحمدين
وحامد شيخ كذا عبد السلام ... بعيدين الملام وأجدرين
ومحمود الذي قد بلغ العلى ... سخي اليدين سيدين
وبالوبو كريم سيد من ... خيار القوم وصافي الوالدين
كذا الحاج مع غورو سعيد ... وأحمد لوبو منبسطو اليدين

---

108 - يراجع : أمباتي با وداغي ، ص 63 .

109- يراجع : تاريخ إفريقيا الغربية ، سكيني مودي سسوكو، ص 284 ./ جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي : عثمان برايما باري ، ص 181 ، الطبعة الأولى 2000/1421 ، دار الأمين للطباعة - مصر.

كذا ألفا سعيد وحاجي إخوان ... ونجلا حما كانا عابدين
كذا ألفا علي شهير علم ... صاحبا الشيخ ونعم الصاحبين
وألفا حما مسار سين ... شاهد الشيخ ونعم الشاهدين
وألفا نوح ذو عز وجاه ... وألفا موبو كانا زاهدين
كذلك هنبركي ذو علم وعدل ... يقوم لنا مقام الشاهدين
وعبد القادر الجيلاني معاً ... كانا بعيداً عما يوصله للرين
ليتني تسأل بني الحمد طراً ... لقالوا إنه من المباركين
وسيرى الغالي وبركي إخوان ... مشهورين كانا فائقينعميق
وألف ملك ابن الحاج عمر ... العلم بين العالمين
سليمان له في البيت قبر ... وألفا بو با كانا فائزين
وألفا ولد ولع المحبة ... ولخير العالمين جد الحسين
راعانا الفولاني بطاعة ... أمر يوصلنا لرب العالمين
ألم تر بعضهم إلا يقيناً ... وإيماناً برب المشرقين
ألا بلغوا عني يا بني الفلاني ... أبطال حمد الله كانوا فائزين

ومن أبرز ما يبين ما كانت عليه هذه المدين من مكانة علمية وثقافية وروحية، ما قاله أحد علماء تنبكت عن حمد الله :

« حمد الله لم تكن أبداً مدينة حزينة ولا كانت مدينة يلفها السكون التام. ذلك أن هناك أصواتاً شجية كانت تنطلق في كل ليلة نحو نجوم السماء مخترقة الظلام بترتيل آيات القرآن، هذا في الوقت الذي كانت فيه أضواء مشاعل الطلبة تضئ العاصمة في مائة دائرة متفرقة...[110].

ومن المقولات المحفوظة عن هذه المدينة: « لا فلكلور للتعبير عن الفرحة في حفلات الزواج ولا ضوضاء أو نحيب لإظهار الحزن عند الوفاة...»[111].

ولا شك أن هذين النصين يبينان أن هذه المدينة كانت تعيش حياة إسلامية فريدة من نوعها في العالم الإسلامي.

110-يراجع : الحضارة الإسلامية في مالي ، ص 108 .
111-نفس المرجع، ص 109 .

ولهذا فكل ما هو مخالف للشريعة الإسلامية من لهو ولعب وانشغال بما لا يفيد ممنوع في هذه المدينة، ولهذا يرى البعض أن حمد الله يخيم عليها دائماً جو الحزن.

وأهم لحظات الفرح فيها ، عندما يرجع المجاهدون من حملاتهم الحربية، حيث يظلون في الخارج حتى يؤذن لهم بالدخول، وأثناء ذلك يمزج الجو بصهيل الخيول وأصوات المجاهدين المنتصرين وهم يغنون. وبالأصوات الشادية للطلبة وهم يرتلون آيات من الذكر الحكيم، وهذا الوقت أسعد اللحظات في حمد الله كما قال أحدهم[112].

على أن هذه المدينة كانت مدينة متشبعة بالتعاليم الإسلامية إلى حد لم يكن مختلفة عن مدينة الرسول (ص) في عهده، حيث يمنع التجول فيها بعد العشاء وخاصة المتزوجين. ومن التقي به بعد العشاء يتجول فلا بد أن يبين هويته وأن كان متزوجاً سيذهب به إلى القاضي ليبين سبب تجوله في المدينة في هذا الوقت من الليل. ولا ينبغي لأي فارس راكب داخل المدينة أن ينظر ما في البيوت أو ما في داخل السور، وعندما يمشي بين أزقة المدينة فلا بد أن يخفض رأسه ويغض بصره حتى لا تقع عينيه على ما هو ممنوع داخل البيوت[113].

وهكذا يمكن القول أن حمد الله كانت في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي تضارع في السودان ما مثلته عواصم العالم الإسلامي من أمثال: بغداد ودمشق والقاهرة في تقدم النهضة الإسلامية والعلمية في المشرق العربي خلال القرون الوسطى.

وكانت أيضاً مدينة ذات حيوية ثقافية آهلة بحفاظ القرآن وفحول العلماء والفقهاء وأهل اللغة. كما كانت تفتخر بمآذنها الشامخة والمنتشرة على طوال العاصمة وعرضها حيث يسمع منها دوي أصوات المؤذنين في كل أوقات الصلوات المتوالية[114]. وكانت تحوي عدة مخطوطات نفيسة تشهد على النهضة الفقهية التي ظهرت في هذه المدينة.

لكن هذه المدينة الثقافية الروحية ما كاد يبدأ العقد الثالث بعد منتصف القرن التاسع عشر الميلادي حتى آذن نجمها بالأفول، إذ تعرضت للدمار والخراب من جراء الحروب الأهلية التي وقعت بين أميرها أحمد بن أحمد بن أحمد والحاج عمر تال، فأصبحت خاوية على عروشها وكأنها لم تك قط. ولم يبق من تاريخها المجيد إلا قبور الشهداء وآثار المساجد والحصون التي تشهد على عهد ازدهار قد مضى وعهد مجد قد ولى.

112- يراجع :نفس المرجع، ص 109.

113 - همباتي وداغي ، ص 49-50 .

114 - يراجع : جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي ، ص 183 .

ولا شك أن ما لحق المدينة من خراب ودمار يعتبر حقاً مأساة تاريخية ونكصة التردي انعكست سلباً على مسيرة الإسلام وثقافته العربية في غرب إفريقيا.

ولشدة وقع هذه الحرب على مدينة حمد الله كل شيء يتداعى فيها حتى المحاريب تبكي وهي جامدة، ﴿والله غالب على أمره، ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ سورة يوسف آية: 21.

وإليك قصيدة (أرجوزة) نونية نظمها أحد علماء ماسنة يدعى ألفا يحيى موسى لوبو على غرار نونية أبي البقاء الرندي يرثي فيها مدينة حمد الله، وأميرها أحمد مو أحمد:

1 – هجوم أخ على أخيه جنون	غدر أخ أنظر كيف يكون
2 – من ظن أن العار يذهب سدا	دعه وأعلم أن ذاك جنون
3 –من قال أن الذنب يخفي لأعين	فثق بأن ذاك صار جنون
4 – إن الذي طمع في شرب دم	أخيه احذره واستيقن بأنه سيخون
5 – وبقدر ما استطعت تجنب وعده	فأسرع واتق شر الخائنين
6 – ففي شهر عيد الله والقتال حرام	أباحوا دم شقيق بدون حصون
7 – يا ليت لو اعتبروا شوال المحرم	مدينة سلم رضيعة رب العالمين
8 – وكل يهتف والدموع تسيل	لغدر أخ على أخيه جنون
9 –وكل يهتف بحمد الله ترحما	بأميرها أحمد كفيل أحمدين
10 – ارتجفت مآذن كانت لله وقفا	وتعانقت القلوب بماء جفون
11 – أي مدينة بعد حمد الله تقوم	ثناء لله وهبة رب العالمين
12 – تآلفوا مع الدوغون هابي هيري	والبورزو والتمبو جماعة الأوثان
13 – لم يكونوا الحلفاء الصالحين	بل كان حلفاً لمدائن الأوثان
14–انخدعت الدوغون والبورزو والتمبو	حلفاء شر تحطيم مدينة أحمدين
15 – فارتشوا بحلية أساوير ذهباً وفضاً	كثمن لإغتيال ابن أحمدين
16 – ذاك الولي، بل ونجل الصالحين	تقي الله رضيع أحمدين
17 – سقطت شهيداً في نهر ماني	صار مأوى لرفات الصالحين [115]

115 – يراجع : جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي، عثمان برايما باري ، ص 183-184 .

ولا شك أن هجوم الأخ على أخيه جنون وخاصة إذا لم يكن له مبرر معقول، وهذا الذي حصل بين الحاج عمر وأحمد بن أحمد بن أحمد. وكان هذا الهجوم الهمجي وبالاً على الإسلام والمسلمين، ولم يستفد منه إلا الاستعمار، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وخلاصة القول أن هذه المدينة لعبت دوراً فعالاً في ازدهار الحركة الفقهية والعلمية في السودان الغربي خلال القرن التاسع عشر الميلادي، وتشبعت حياتها بحياة إسلامية صرفة بشكل لم ير قط في السودان حتى في عهد الإمبراطوريات الكبرى.

وكانت تزخر بمئات المدارس، منها مدارس ابتدائية لتعليم القراءة والكتابة ومدارس ثانوية «وكليات» للشريعة والنحو والبلاغة وعلم الكلام والتوحيد...

كما كانت تعج بالعلماء والطلاب الذين كانوا يحظون باحترام كبير لدى الخاصة والعامة. وكان أهلها يترفعون عن الجهل، ويتنافسون في مجال العلم، مما جعل المدينة تحظى بسمعة طيبة وإقبال خاص.

وبقيت المدينة على ازدهارها العلمي والروحي حتى خربها جيوش الفلانيين والكنتيين، عند ما حاصروا فيها الحاج عمر وجيوشه سنة 1862، وهي الآن تعيش حالة لا يحسد عليها، حيث لم تعد لها تلك السمعة الطيبة التي كانت تتمتع بها، بل أصبحت عبارة عن أطلال لم يبق منها إلا قبور الشهداء وآثار المساجد والحصون، التي يزورها الناس في كل سنة إحياء لذكرى شهداء حمد الله وأميرها سيك أحمد.

هذا ما آلت إليه مدينة حمد الله التي كانت مركزاً للعلم والمعرفة وسوقاً رائجاً للكتب، وملجأ لأرباب الفصاحة والبيان، وقلعة لإحياء الدين والأخلاق الإسلامية، وهكذا أضحت المدينة العلمية الشهيرة التي كانت قوة الخلافة الأحمدية الفلانية ومثابة الدعوة الأمامية الماسنية خاوية على عروشها قد ذهب أكثر رسمها ولم يبق منها إلا شهير أسمها وهي بالإضافة إلى ما كانت عليه بعد إنحاء الحوادث عليها وإلتفات أعين النوائب إليها كالطلل الدارس والأثر الطامس أو تمثال الخيال الشاخص فلا حسن يستوقف البصر ويستدعي من المستوفز الغفلة والنظر إلا أطلالها الدارسة، ﴿والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾[116]. ولله در القائل: «كل أمر إذا بلغ نهايته ينتهي»[117].

---

116 - سورة يوسف، الآية 21.

117 - يراجع: أشهى العلوم واطيب الخبر في سيرة الحاج عمر، الشيخ موسى كمرا، تحقيق وتقديم: خديم محمد سعيد أمباكي وأحمد الشكري، ص 45.

«وكل بيت وإن طالت سلامته   على دعائمه لا بد مهدوم» [118].

مدينة بنجغر

ومن المدن التي لعبت دوراً مهماً في تنشيط الحركة الفقهية في منطقة جنى ، مدينة بنجغر، وهي توجد الآن في الإقليم الخامس بمالي (موبتي) وتبعد عنها بحوالي 65 كلم.

ويحكى أن مكان هذه المدينة تسمى (بانيا آرا) التي تعني بلغة دوغون [119](الإناء الكبير)، ومع مجيء دولة التكلور سنة 1868 حرف الاسم قليلاً ليصبح (مباينا آرا) التي تعني بلغة الفلانيين: (ستأتين وإن أبيت)[120]واستقر الاسم على ما عليه الآن بعد ما استولى عليها الفرنسيون سنة 1893م.

برزت أهمية هذه المدينة بعد سقوط ماسنا على يد عمر تال سنة 1862م، وخراب حمد الله على أيدي الثوار، حيث جعلها ابن أخيه وخليفته تيجاني أمد عاصمة لمملكة التكلور، نظراً لموقعها الإستراتيجي، حيث تقع في منطقة جبلية وعرة يصعب الوصول إليها، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى إن موقع المدينة يساعده على مواجهة ومراقبة جيوش الأعداء التي تعارك معه بكل سهولة (يعني جماعة وثوار البول والكنتيين).

وقد برز دورها السياسي في تنشيط الحركة العلمية والفقهية عندما شيد فيها خليفة الحاج عمر تيجاني أمد (أحمد) عدة كتاتيب قرآنية تستقبل الأطفال من مختلف المناطق المجاورة للمدينة، وكان التعليم فيها إجبارياً على الجنسين. وكانت مهمة إرسال الأطفال إلى الكتاتيب على عاتق رؤساء القبائل[121].

وكانت المدينة منورة بمئات القناديل التي يتجمع حولها الطلبة وهم يحملون الألواح التي يحفظون عليها القرآن. وتشاهد أنوارها من مكان بعيد، مشتعلة وسط الحلقات التي يكونها الطلبة، الذين يسمع دوي أصواتهم – في مكان بعيد– وهم يتلون القرآن.

---

118 – يراجع : نفس المرجع ، ص 45 .

119 – دوغون هي قبيلة في جمهورية مالي بمنطقة موبتي ، وهي تعيش في منطقة جبلية ، وقد أثر فيهم التبشير المسيحي كثيراً ولهذا تنصر كثير منهم.

120 – يراجع : الحضارة الإسلامية في مالي ، ص 113-115 .

121 – نفسه : ص 114 .

وأحياناً في مساجدها ومدارسها تدرس العلوم الإسلامية واللغوية من فقه وحديث وتفسير وتوحيد ونحو وبلاغة وغيرها من العلوم الإسلامية.

وإلى جانب حياتها الثقافية حاول رؤساء المدينة أن يكيفوا الحياة فيها وفق الشريعة الإسلامية، حيث لا يسمح لأحد أن يمارس ما يتعارض مع مبادئ الإسلام كالرقص والفساد والمجون...

وكانت جميع النشاطات التجارية والفكرية تتوقف عند الآذان ليتجه الجميع إلى المساجد للصلاة والدعاء[122].

وهكذا يمكن القول أن بنجغر لعبت دوراً ثقافياً مهماً خلال القرن التاسع عشر الميلادي، مما أسهم في ازدهار الحركة العلمية بصفة عامة والحركة الفقهية بصفة خاصة. الأمر الذي زاد من اهتمام الناس بالفقه الإسلامي.

المطلب الثالث: مدينة غاو وما حولها

أولاً: مدينة غاو

تعتبر هذه المدينة من أقدم المدن في السودان الغربي وقد ورد ذكرها في كثير من كتب المؤرخين المسلمين القدامى على اسم كوكو وجوجو وكاغو وجاو[123].

وهي توجد الآن شمال جمهورية مالي، وتبعد عن العاصمة باماكو بحوالي 1246 كلم. وقد لعبت هذه المدينة دوراً تجاريا وسياسيا مهما خلال القرن الرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر.

وقد تم تأسيس هذه المدينة ما بين 670 و 690 ميلادية على يد صيادين قادمون من كوكيا، وقناصين قادمون من النيجر حسب بعض الروايات[124].

---

122 - يراجع : الحضارة الإسلامية في مالي، 113-115 .

123 - يراجع على سبيل المثال : المغرب في ذكر بلاد لإفريقيا والمغرب للبكري، ص 183. نزهة المشتاق في اختراق الآفاق للأدريسي ، ص 28 ./ صورة الأرض لأبن حوقل ، ص 91 ./ معجم البلدان لياقوت الحموي، ج4 ،ص 562 ./ كتاب صورة الأرض لأبي جعفر الخوارزمي، ص 6 ./ مختصر كتاب البلدان لأبن الفقيه، ص 68 ./ كتاب الاستبصار للمراكشي، ص 225 .

124 - يراجع : الحضارة الإسلامية في مالي، ص 77.

ولم تظهر هذه المدينة على مسرح الأحداث إلا عندما استولى عليها الملك ضياء سنة 1010 فحولها إلى عاصمة سياسية لدولة سنغاي، بعد ما كانت العاصمة هي كوكيا[125].

ومنذ ذلك التاريخ، ما فتئت تلعب دوراً مهماً في المجال التجاري والثقافي نظراً لموقعها الجغرافي المهم. حيث تمر بها إحدى الطرق التجارية التي تربط السودان بمصر والمغرب وليبيا وغيرها من العواصم الإسلامية.

وصفها اليعقوبي بأنها: » أعظم ممالك السودان وأجلها قدراً وأعظمها أمراً.. «[126].ووصفها ابن بطوطة بأنها: مدينة عظيمة، وهي أحسن المدن السودانية وأخصبها وأكبرها[127].

ووصفها الحسن الوزان بأنها « مدينة عظيمة ... وسكانها تجار أغنياء يتجولون دائماً في المنطقة بسلعهم ويأتي إليها عدد لا يحصى من السود حاملين معهم كمية وافرة من الذهب ليشتروا بها أشياء مستوردة من بلاد البربر وأوربا لكنهم لا يجدون أبداً ما يكفي منها لإنفاق ذهبهم فيعودون دائماً إلى بلادهم بنصفه أو ثلثه. والمدينة متحضرة بالنسبة لتنبكتو... »[128].

وكانت لها علاقة وطيدة مع دولة بني رستم في تاهرت حيث أن تجار الاباضيين يكثرون المجيء إليها[129].

وقد ازدهرت هذه المدينة منذ القرون الوسطى . ففي عهد دولة مالي استولى عليها كنكو موسى وأمر الطويجن أن يبني فيها مسجداً جامعاً، وتحول هذا الجامع إلى جامعة إسلامية يؤمها الطلاب والعلماء من كل مكان. وقد بلغ أوج ازدهارها ثقافياً في عهد الأسكيين، حيث شجع الأسكيون العلماء واغدقوا عليهم كثيراً. فأخذ العلماء والفقهاء مساجدها مدارس لتدريس القرآن وحفظه وتدريس سائر العلوم الإسلامية فيها، فتأججت نيران الحركة الفقهية فيها بشكل لم يسبق له مثيل[130].

وقد استمرت هذه المدينة تلعب دورها الثقافي والعلمي طوال القرن الرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر الميلادية حتى سقطت مملكة صنغاي على أيدي المغاربة سنة 1591م، فتحولت المدينة خلال القرن السابع عشر إلى قرية صغيرة خبت فيها نيران الحركة الفقهية نتيجة الإهمال والتهميش التي تعرضت لها.

125 - يراجع : إفريقيا تحت أضواء جديدة ، ص 157 . زبادية : ص 108-110 . الغربي : ص 583- 584 .
126 - يراجع : تاريخ اليعقوبي، مج 1 ، ص 193 .
127 - يراجع : رحلة ابن بطوطة، ص 677 .
128 - يراجع : وصف إفريقيا للحسن الوزان، ج2 ، ص 169 .
129 - يراجع : الدولة الرستمية، ص 210 وما بعدها .
130 - يراجع : الحركة العلمية والثقافية والإصلاحية في السودان الغربي ، ص 48-51 .

ثانياً: المدن أو القرى العلمية التابعة لمنطقة غاو

إلى جانب مدينة غاو هناك عدة قرى في منطقة غاو والتي أسهمت كثيراً في تثبيت دعائم الثقافة الإسلامية في المنطقة وأدت إلى تأجيج الحركة الفقهية في السودان الغربي.

ومن هذه المدن أو القرى التي ازدهرت فيها الثقافة الإسلامية في منطقة غاو: السوق – تدمكة– أغمهور.

1– مدينة تدمكة(السوق)

تقع هذه المدينة في مرتفعات أدرارايفوغاس بشمال جمهورية مالي. وتبعد عن مدينة كيدال بستين كلم[131].

وقد ورد ذكر هذه المدينة على لسان المؤرخين المسلمين القدامى لكن يجهل تاريخ نشأتها.

وقد تعددت الروايات حول هذه المدينة، فهناك من يرى أنها كانت آهلة بالسكان، أنشأها السود منذ زمن بعيد ثم استولى عليها الطوارق.

وهناك من يذهب إلى أنها من المدن السودانية التي فتحها عقبة بن نافع وبنى فيها مسجداً خلف فيها مجموعة من الصحابة رضوان الله عليهم فبقوا فيها وتزوجوا فيها وتنسلوا، وهم أجداد أهل السوق، ولذلك حفظ أهلها جميع ما ورثوه من أجدادهم من علم ودين[132].

وفي القرن الثامن الميلادي ازدهرت فيها التجارة عبر الصحراء، ولهذا كان التجار الأباضيون يرتادونها كثيراً، وسلعتهم نافقة في سوقها وكانت محطة أساسية من محطات القوافل التجارية عبر الصحراء، ولهذا لعبت دوراً تجارياً مهماً في القرون الوسطى[133].

وصفها البكري بأنها :»أشبه بلاد الدنيا بمكة، وهي مدينة كبيرة بين جبال وشعاب وهي أحسن بناءً من مدينة غانة ومدينة كوكو، وأهل تدمكة بربر مسلمون وهم يتنقبون

---

131 – مدينة كيدال هي عاصمة الإقليم الثامن في جمهورية مالي ، وتدمكة تقع في الشمال الغربي من هذه المدينة.

132 – يراجع : الحضارة الإسلامية في مالي : ص 71-76 .

133 – يراجع : الدولة الرستمية، ص 214-217 .

كما يتنقب بربر الصحراء وعيشهم من اللحم واللبن ... ودنانيرهم تسمى الصلع لأنها ذهب محض غير مختومة...»[134].

ومن علماء هذه المدينة القاضي عمر الدائني والفقيه سليمان وأحمد آد والصالح ابن أبي محمد...

وفي القرن السادس عشر تعرضت المدينة لخراب ودمار، فغادر كثير من سكانها إلى أروان فسكنوها. وكونوا فيها حياً خاصاً ، وكانوا معروفين بالفقه والولاية والصلاح[135].

وخلاصة القول أن هذه المدينة كانت من المدن التي أسهمت في ازدهار الحركة الفقهية في منطقة غاو خلال القرن الرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر، ثم تعرضت للخراب ، ومع ذلك بقي أهلها معروفين بالعلم إلى وقت قريب، وقد ألفوا كثيراً في الفقه واللغة، لكن أغلب إنتاجاتهم ضاعت وتفرقت وذهبت مع أدراج الرياح في الصحراء الكبرى، الأمر الذي يصعب الحكم على إنتاجاتهم الفقهية.

وهناك أيضاً عدة قرى صغيرة في البوادي أو الأرياف ساهمت كثيراً في ازدهار الثقافة الإسلامية بصفة عامة والحركة الفقهية بصفة خاصة. ومن هذه القرى:

قرية أغمهور التي تبعد عن بورم فوغاس بحوالي 70 كلم، وقد سكنها الكنتيون خلال القرن التاسع عشر.

المبروك: قرية كان يسكنها الكنتيون، وتقع على مسافة 275 كلم شمال بنبا.

أسست في بداية القرن الثامن عشر اليلادي (1721–1720) من طرف أوائل كنته عبد الوافي، الذين وفدوا إلى أزواد بعد كوارث كانت القبيلة ضحية لها.

وقد كانت هذه القرية محطة مراحل هامة على طريق القوافل الكبرى الشمالية – عندما انتقل إليها سيدي الحاج أبو بكر، وأقام فيها التجارة وازدهرت فيها لتعذر قيام الزراعة.

134- البكري ، ص 181 .

135 - يراجع : خبر السوق مخطوط في مركز أحمد بابا التمبكتي ، تحت رقم 4604 .

وفي منتصف القرن التاسع عشر أحاط منة بن بوبكر القرية بجدار كبير لوقايتها من غارات البربر والطوارق كما شيد فيها جامعا كبيرا لعب دورا كبيرا في ازدهار الحركة الفقهية في المنطقة.

وفي القرن الثامن عشر والتاسع عشر تعرضت لعدة هجمات من طرف جيرانها النهابين.

وفي عام 1895م تعرضت لخراب كبير لم تنهض بعد ذلك فانتقل سكانها إلى تنكبت[136].

قرية بوالانوار: وهي عبارة – في الأصل – عن بئر واقعة على مسافة 200 كلم شمال بنبا وعلى مسافة 100 كلم جنوب المبروك، أقام فيها الشيخ سيدي المختار الكبير قرية صغيرة.

وقد حول صلاحه هذه المنطقة إلى مكان يقصد للزيارة.

ومنذ ما بنى الشيخ سيدي المختار هذه القرية تحول المكان إلى منطقة يقصدها الطلبة من كل مكان للأخذ عن الكنتيين.

وتوجد في هذه القرية أضرحة كثيرة منها مقبرة سيدي المختار الكبير وولده الشيخ سيدي محمد وأضرحة زين العابدين، وسيدي حيب الله وحمة الأمين. ولهذا يقصد للزيارة والتعليم في جميع أوقات السنة[137].

تلية: تقع هذه القرية على الممر شبه الإجباري لعبور القوافل بين عين صالح وتنبكت وغاو.

وهي عبارة عن واد أقام فيها الشيخ سيدي عمر ابن الشيخ سيدي محمد والد باي، وبنى فيها قصبة كبيرة أخذت اسمه عام 1865.

ويبلغ طول الوادي خمسين كلم. وقد اشتراه الشيخ برمته وبنى في محل بئر تلية ذاته قصبة.

ومنذ ما استقر الكونتيون في هذا الوادي أصبح مكانا مقصودا يتجه إليه الناس من جميع الجهات للتعليم والتدريس والتفرغ للعبادة.

وبعد وفاة الشيخ عمر والد باي قام فيها الشيخ باي ابن سيدي عمر، وواصل إذكاء نار الحركة العلمية فيها[138].

---

136 - بول مارتي ص: 126-127.

137 - بول مارتي ص: 82-83.

138 - بول مارتي ص: 129، 135.

وهناك أيضاً مجموعة من القرى في بوادي أنسونغو وبورم شاركت في ازدهار الحركة الفقهية في منطقة غاو ، حيث إن العلماء والفقهاء لما كثرت الفتن والاضطرابات في الحواضر تركوا المدن الحضرية، وتوجهوا نحو القرى فراراً بدينهم وعلمهم، فازدهرت الحركة الفقهية في القرى والبوادي بينما تقهقرت بشكل ملفت للانتباه في الحواضر. ويضاف إلى هذه القرى أنتبوراق وتكلالت أوتجلالت.

ومجمل القول إن الحركة الفقهية ازدهرت أساساً في المراكز الحضرية التي أنشئت فيها المدارس والحلقات العلمية والجامعات حتى أصبحت إحدى المنارات للتقدم الفكري والثقافي في السودان واستقطبت الكثير من علماء العالم الإسلامي وطلاب العلم والمعرفة.

ومن أشهر هذه المراكز العلمية:

مدينة تنبكت وجامعاتها العلمية التي حظيت بعناية جميع الحكومات التي تعاقبت في السودان.

ومدينة غاو ومساجدها التي كانت مركز إشعاع كبير في المنطقة.

ومدينة جنى بمسجدها الجامع الذي كان جامعة كبيرة تخرجت منه مجموعة من العلماء الأجلاء الذين ذاع صيتهم في العالم.

ومدينة حمد الله التي كانت آهلة بحفاظ القرآن وفحول العلماء والفقهاء وأهل اللغة خلال القرن التاسع عشر في عهد الماسنيين.

ولما كثرت الفتن الاضطرابات في المدن العلمية، انتقلت الحركة العلمية في البوادي والقرى بينما تقهقرت وخبت نورها في الحواضر.

ومما يجمع بين هذه المدن كلها أنها لعبت إلى جانب دورها الثقافي – دوراً تجارياً بارزاً انعكس إيجابياً على الحركة الفقهية في المنطقة.

الفصل الثالث:

أهم الكتب المعتمدة وأماكن التدريس

الفصل الثالث: أهم الكتب المعتمدة وأماكن التدريس وأساليب التقويم وآثار الحركة الفقهية

تمهيد:

تعتبر الكتب الفقهية من أهم الركائز التي اعتمدت عليها الحركة الفقهية في نشأتها ونموها وازدهارها ولهذا سنحاول أن نبين في هذا الفصل أهم الكتب التي كانت عمدة علماء الحركة الفقهية.

كما سنحاول أن نتطرق في هذا الفصل إلى أهم الأماكن التي يتم فيها تدريس الفقه.

وسنختم الفصل بالحديث عن أهم أساليب التقويم، وآثار الحركة الفقهية. إذا ما هي الكتب المعتمدة في الحركة الفقهية ؟ وما هي الأماكن التي يتم التدريس فيها ؟ وماهي الأساليب التي بواسطتها يتم تقويم مستوى الطلبة؟ وما آثار الحركة الفقهية؟

المبحث الأول: الكتب المعتمدة وأماكن التدريس

سنحاول أن نبين في هذا المبحث أهم الكتب الفقهية التي اعتمد عليها العلماء في تنشيط الحركة الفقهية وتثقيف الطلبة، والأماكن التي يتم فيها تدريس المواد العلمية بصفة عامة والفقهية منها بصفة خاصة.

المطلب الأول: الكتب المعتمدة

إن أهم الكتب الفقهية المعتمدة في المراكز العلمية في السودان الغربي هي نفس الكتب المتداولة في الحلقات العلمية بالمغرب، لأن الحركة الفقهية في منطقة السودان الغربي والحركة الفقهية في المغرب خلال الفترة التي نتحدث عنها لا يختلفان، فهما وجهان لعملة واحدة، وإن تفاوتا في التطور والتقدم والازدهار. فمن أهم هذه الكتب الفقهية المعتمدة :

1-الموطأ للإمام مالك بن أنس رضي الله عنه

يعد الموطأ أول كتاب ألف في تاريخ الإسلام، ثبتت نسبته إلى صاحبه. تناقلته الأجيال منذ تأليفه إلى الآن. ألفه مالك بأمر من الخليفة أبي جعفر المنصور، ومكث في تأليفه أربعين سنة يهذبه وينقحه.

وقد اعتمد مالك في بنائه على الروايات المرفوعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم موصولة أو مرسلة وعلى قضايا عمر بن الخطاب وفتاوى عبد الله ابن عمر وعلى أقوال الفقهاء السبعة وفقهاء المدينة.

وأشهر روايات الموطأ رواية يحي بن يحيى الليثي ورواية محمد بن الحسن الشيباني[1].

وقد نوه العلماء بهذا الكتاب أيما تنويه حتى إن ابن العربي قال عنه إنه «أول كتاب ألف في شرائع الإسلام وهو آخره لأنه لم يؤلف مثله إذ بناه مالك رضي الله عنه على تمهيد الأصول للفروع ونبه فيه على معظم أصول الفقه التي ترجع إليه مسائله »[2].

وقال عنه الدهلوي « من تتبع المذاهب ورزق الإنصاف علم لا محالة أن الموطأ عدة مذهب مالك وأساسه وعمدة مذهب الشافعي وأحمد ورأسه ومصباح مذهب أبي حنيفة وصاحبيه ونبراسه وهذه المذاهب بالنسبة للموطأ كالشروح للمتون....»[3].

ونظرا لأهمية كتاب الموطأ في المذهب المالكي اهتم به علماء الغرب الإسلامي واعتنوا به كثيرا تفقها ودراسة وحفظا. ووضعوا عليه عدة شروح ومختصرات وتعليقات .

وقد تردد ذكره كثيرا في مؤلفات وتراجم علماء السودان الغربي. درسه أحمد بابا على أبيه[4] وأخذه محمد بغيغ على الفقيه أحمد بن سعيد[5] وتلقاه محمد بابا بن محمد الأمين على الفقيه عبد الرحمن بن أحمد المجتهد[6]...

---

1 - يراجع مباحث في المذهب المالكي بالمغرب ص : 53-60.

2 - يراجع : كتاب القبس في شرح موطأ مالك بن أنس لابن العربي ج1/ص75، دراسة وتحقيق د/ محمد عبد الله ولد كريم، ط/1، 1992، دار الغرب الإسلامي

3 - يراجع مباحث في المذهب المالكي بالمغرب ص 61

4 - يراجع السعدي ص 43.

5 - نفسه ص 45.

6 - نفسه ص 218 / حركة التجارة والإسلام والتعليم الإسلامي في غرب إفريقية : د. مهدي رزق الله أحمد ص : 680 - 681.

2-مدونة سحنون (المتوفى سنة 240 هـ)

تعتبر مدونة سحنون أقدم كتاب وصل إلينا في المذهب المالكي بعد الموطأ، وهي عبارة عن أسئلة سئل عنها عبد الرحمان بن القاسم فأجاب عنها بما كان يسمعه من الإمام مالك. وإذا لم يجد في المسألة جوابا للإمام مالك يجيب عنها باجتهاده .

وأول من سأله عنها أسد بن الفرات فدون ما سمع منه وأضاف إلى هذا السماع مسائل فقهية كان تلقاها عن العراقيين. وعنه تلقاها تلميذه سحنون قبل أن يرحل إلى ابن القاسم للتأكد من هذا السماع ومدى جريانه على أصول مالك. ثم قام سحنون بتهذيبها وتبويبها وتنسيقها تنسيقا جديدا ...

وتعد المدونة ثمرة جهود ثلاثة من الأئمة : مالك بإجاباته وابن القاسم بقياساته وزياداته وسحنون بتهذيبه وتنقيحه وتبويبه وبعض إضافاته .

وهي أصل المذهب المالكي وعمدة الفقهاء في القضاء والإفتاء، بعد الموطأ في الفقه المالكي، وإليها كانوا يرجعون فيما أشكل عليهم من المذهب .

قال عنها سحنون «إنما المدونة من العلم بمنزلة أم القرآن تجزئ في الصلاة عن غيرها ولا يجزئ غيرها عنها ...» [7].

ونظرا لأهمية المدونة اهتم بها علماء المذهب المالكي في الغرب الإسلامي ووضعوا له شروحا ومختصرات وتعليقات [8].

واشتهرت في غرب إفريقيا شهرة منقطع النظير فتداولها العلماء والطلاب بالدراسة، وتردد اسمها كثيرا في مؤلفاته فقهاء غرب إفريقيا . وممن كان يدرسها في تنبكت الفقيه أحمد بن عمر اقيت، والفقيه أحمد بن سعيد ...[9] .

7 - يراجع مباحث في المذهب المالكي بالمغرب للجيدي ص 67 .
8 - يراجع مباحث في المذهب المالكي بالمغرب ص : 66-69.
9 - يراجع السعدي ص : 43-45 / حركة التجارة والإسلام والتعليم الإسلامي في غرب إفريقية ص : 670-674.

3-مختصر ابن الحاجب

يعتبر هذا الكتاب الفقهي من أهم الكتب الفقهية في المذهب التي حظيت باهتمام العلماء في القرن الثامن الهجري.

وهو في الأصل اختصار للتهذيب، حاول فيه ابن الحاجب تلخيص طرق أهل المذهب وجمع الأقوال في كل مسألة فأصبح كالبرنامج للمذهب.

ومنذ ظهر هذا الكتاب اعتكف الناس عليه وتركوا التهذيب وحل محله في حلقات الدرس.

وقد اعتنى به علماء الغرب الإسلامي ووضعوا له شروحا كثيرة [10]. كما اهتم به علماء غرب إفريقية اهتماما بالغا في الحلقات العلمية [11].

4-التهذيب للبرادعي:

يعتبر هذا الكتاب الفقهي عبارة عن تهذيب للمدونة والمختلطة وقد تم تصنيفه سنة 372/983 من طرف أبي سعيد خلف بن القاسم البرادعي.

ومنذ ذلك التاريخ أصبح من الكتب الفقهية المهمة في المذهب المالكي يتدارسها العلماء والطلاب، وجعل العلماء ينصرفون عن المدونة ، ويعتكفون عليه.

وقد كان من الكتب المعتمدة في الفتوى عند المالكية وظل مقررا في الدراسات الفقهية خلال أربعة قرون قبل أن يزحزحه مختصر أبن الحاجب وفيه قال الشنقيطي:

واعتمدوا التهذيب للبرادعي   وبالمدونة في البرادعي

ونظرا لأهمية هذا الكتاب أقبل عليه المغاربة إقبالا كبيرا وتنافسوا في شرحه واختصاره حتى أصبح الكتاب المدرسي الأول[12]. ثم انتقل إلى غرب إفريقية، فعكفوا عليه، وممن اشتهر بتدريسه في تنبكت الفقيه عبد الرحمن بن المختار النحوي والفقيه القاضي محمد الكابري الذي لا ينسلخ شهرا إلا ويختم عليه التهذيب لكثرة طلابه [13].

---

10 - يراجع مباحث في المذهب المالكي ص : 97.

11 - ذهب الدكتور مهدي رزق إلى أن أحمد بابا وضع شرحا على مختصر ابن الحاجب، فهذا وهم منه فاحمد بابا وضع شرحا على مختصر خليل وليس على مختصر ابن الحاجب. يراجع : حركة التجارة : د مهدي رزق ص 677.

12 - يراجع مباحث في المذهب المالكي ص : 78و 97.

13 - يراجع السعدي ص : 29، 47 / حركة التجارة والإسلام : مهدي رزق ص : 687.

5- مختصر خليل :

يعتبر مختصر الشيخ خليل بن إسحاق بن موسى المعروف بالجندي ضياء الدين أبي المودة، حامل لواء مذهب مالك في زمنه بمصر من أهم المختصرات التي حظيت باهتمام العلماء في الغرب الإسلامي فوضعوا عليه شروحا وحواشي وتعليقات وتقريرات تعد بالمآت وفي هذا يقول احمد بابا :

«ولقد وضع الله سبحانه وتعالى القبول على مختصره وتوضيحه من زمنه إلى الآن فعكف الناس عليهما شرقا وغربا حتى لقد آل الحال في هذه الأزمنة المتأخرة إلى الاقتصار على المختصر في هذه البلاد المغربية مراكش وفاس وغيرهما، فقل أن ترى أحدا يعتني بابن الحاجب فضلا عن المدونة بل قصارا هم الرسالة وخليل ...» [14] .

وقد مدح هذا المختصر كثير من العلماء ونوهوا به، منهم الشيخ ابن غازي الذي قال عنه «إنه أفضل نفائس الأعلاق وأحق ما رمت به الأحداق ... عظيم الجدوى، بليغ الفحوى ... وجمع مع الاختصار شدة الضبط والتهذيب ...» [15].

ورغم صغر هذا الكتاب فإنه قيل جمع ما يقرب «مائتي ألف مسألة مائة بالمنطوق ومائة بالمفهوم » [16] .

ولأهمية هذا الكتاب في المذهب المالكي في القرون المتأخرة «كان المالكية يشترطون في المفتي أن يختم المختصر الخليلي مرة في السنة بل أن بعضهم اشترط أن يختمه مرتين ...» [17] .

على أن مختصر خليل منذ ظهر في القرن الثامن الهجري شغل الدنيا وملأها، ولهذا اهتم به علماء السودانيون أيما اهتمام ووضعوا عليه شروحا وحواشي وتعليقات تعد بالعشرات وإن لم نقل بالمآت .

ومن العلماء الذين وضعوا عليه حاشية جيدة أحمد بابا حيث يقول : «وقد يسر الله تعالى لي في وضع شرح عليه جمعت فيه لباب كلام من وقفت عليه من شراحه وهو أزيد

---

14 - يراجع، نيل الابتهاج ص 171.

15 - نفسه ص 171.

16 - يراجع، مباحث في المذهب المالكي بالمغرب ص : 98

17 - يراجع نفسه ص : 98

من عشر مع الاختصار والاعتناء بتقرير ألفاظه منطوقا ومفهوما وتنزيله على النقول بحيث لو كمل لما احتيج غالبا إلى غيره ...» [18].

ويعتبر والد أحمد بابا شيخ شيوخ الشناقطة في المختصر بحيث أغلب الروايات السودانية تنتهي إليه [19].

وخلاصة القول إن هذا المختصر من أهم المختصرات التي حظيت باهتمام العلماء في القرن الثامن الهجري دراسة وتدريسا وشرحا وضعه صاحبه مختصرا على مذهب مالك مبينا لما به الفتوى مستوفيا فقه المذهب في عبارات قصيرة كثيفة[20].

6-التوضيح لخليل:

هذا الكتاب من مؤلفات الشيخ خليل وضعه شرحا لمختصر ابن حاجب الفرعي، وقد وجد هذا الكتاب إقبالا كبيرا عند علماء الغرب الإسلامي خلال القرن الثامن الهجري قبل أن يحل محله المختصر ، وممن درسه في غرب إفريقيا الفقيه أبو عبد الله محمد بابا محمد الأمين على يد محمد كري [21].

7-الجامع لابن يونس:

ومن الكتب الفقهية المتداولة في الحلقات العلمية بالسودان الغربي الجامع لابن يونس ألفه أبو بكر محمد بن عبد الله بن يونس الصقلي المتوفى سنة 451، وهو إمام حافظ لمذهب مالك وأحد الأئمة الأربعة الذين اعتمد عليهم خليل في مختصره، وكان الناس يسمون هذا الكتاب بمصحف المذهب لصحة مسائله [22] .

8-التبصرة للخمي

ومن الكتب الفقهية التي كانت تدرس في الحلقات العلمية في السودان الغربي : التبصرة للإمام الحافظ ، العمدة في المذهب المالكي أبي الحسن علي بن محمد الربعي القيرواني المعروف باللخمي المتوفى سنة 478.

---

18 - يراجع : نيل الابتهاج ص : 171-172.

19 - يراجع : الخليل النحوي ص : 201.

20 - نفس المرجع ص : 199.

21 - راجع : السعدي ص : 217-218 / حركة التجارة والإسلام ص : 678.

22 - يراجع : مباحث في المذهب المالكي ص : 78.

وكتابه هذا حاذى به المدونة، جمع علما غزيرا، كان عليه المدار في الفقه. وكان من الكتب المعتمدة في الفتوى وعنها يقول الشنقيطي :

واعتمدوا تبصرة اللخمي ولم تكـن لعالـم أمـــي[23]

لكنه مزق باختـــيـاره مذهب مالك لدى اعتباره

9-النوادر والزيادات :

ومن الكتب الفقهية التي كانت تتداول في المجالس العلمية في السودان الغربي : كتاب النوادر والزيادات لابن أبي زيد القيرواني إمام المالكية في عصره، المتوفى سنة 386.

ويعتبر ابن أبي زيد من أبرز وجوه المالكية في زمنه ، وجامع مذهب مالك وشارح أقواله. وقد استوعب مؤلفه هذا، فروع الفقه المالكي. ومن ميزة هذا الكتاب أنه احتفظ بكثير من النصوص المأخوذة من الأمهات التي في حكم الضياع على الواضحة والموازية والمجموعة ...[24]

10-الرسالة لابن أبي زيد :

من الكتب أو المختصرات الفقهية التي حظيت باهتمام العلماء في غرب إفريقية في الحلقات العلمية رسالة ابن أبي زيد القيرواني ألفها صاحبه لتكون كتابا تعليميا للولدان، فانتشرت في سائر بلاد المسلمين، وتنافس الناس في اقتنائها حتى كتبت بالذهب[25]. وقد تردد ذكرها في المصادر السودانية، فيذكر السعدي أنها كانت من أكثر الكتب التي يقرئها الفقيه محمود اقيت. وقرأها مخلوف البلبالي على الفقيه عبد الله بن عمر أقيت وقرأها أحمد بابا علي محمد بغيغ [26] وقرأها الأمير اسكيا داود علي شيخ له .. [27].

11-البيان والتحصيل:

من الموسوعات الفقهية في المذهب المالكي التي كانت متداولة في الحلقات العلمية بالسودان الغربي البيان والتحصيل [28] للإمام أبي الوليد ابن رشد القرطبي الجد المتوفى سنة 520 هـ.

---

23 - مباحث في المذهب المالكي ص : 79.
24 - يراجع نفسه ص : 78.
25 - يراجع : حركة التجارة والإسلام ص : 674-676.
26 - يراجع : السعدي من : 38، 39، 46، 53.
27 - يراجع : تاريخ الفتاش ص : 94 / حركة الإسلام والتجارة ص : 674-676.
28 - يراجع السعدي ص : 43.

ويعتبر ابن رشد الجد أبرز وأشهر وجوه المدرسة المالكية في عصره، له باع طويل في الفقه، ومصنفاته كلها جيدة محكمة التأليف .

ويأتي في مقدمتها : البيان والتحصيل الذي شرح به العتبية لمحمد العتبي المتوفى سنة 255 هـ وبذلك حفظ لنا مضمون إحدى أهم أمهات الكتب الفقهية في المذهب المالكي [29].

12-المختصر في الفقه المالكي:

من الكتب الفقهية المتداولة في السودان الغربي المختصر في الفقه المالكي للإمام أبي عبد الله محمد بن محمد بن عرفة الورغمي التونسي المتوفى سنة 803.

ويعد ابن عرفة من أشهر علماء عصره على الإطلاق، كان عالي الكعب في الفقه، ومختصره هذا كان معتمدا في الفتوى. وفيه يقول الشنقيطي:

واعتمدوا مختصر ابن عرفة كذا ابن مرزوق وعمن عرفة [30].

13-أحكام البرزلي:

ومن الموسوعات الفقهية في المذهب المالكي المعتمدة في السودان الغربي أحكام البزرلي للفقيه الكبير والمفتي الشهير أبي القاسم بن أحمد البررزلي التونسي المتوفى سنة 841 أو 843 هـ.

وكان حافظا للمذهب المالكي، وعليه المدار في عصره، وكتابه هذا يعرف بأحكام البزرلي وبجامع مسائل الأحكام ممن نزل بالمفتين والحكام [31] .

14- المعيار المعرب للونشريسي:

من الموسوعات الفقهية المعتمدة في السودان الغربي المعيار لحامل المذهب المالكي في عصره والمنظر فيه أبي العباس أحمد بن يحي الونشريسي التلمساني المتوفى سنة 914 هـ.

ومن أشهر مؤلفاته كتابه المعيار الذي جمع فيه فأوعي وأحاط بالفقه المالكي أصلا وفرعا . وهو من الكتب المعتمدة رغم ما قيل في بعض مسائله وفيه يقول الشنقيطي :

---

29 - يراجع : مباحث في المذهب المالكي ص : 79-80.

30 - نفسه ص : 82.

31 -نفسه ص : 82.

واعتمدوا المعيار لكن فيـه أجوبة ضعفهـا بفيـه [32]

وقد قام أحمد بابا بترتيب هذا الكتاب ترتيبا جيدا حسب الموضوعات والأبواب لكن عمله لهذا الكتاب مفقود، حتى الآن لم يتم العثور عليه [33].

15- التمهيد والاستذكار :

ومن الموسوعات الفقهية المعتمدة في السودان كتاب التمهيد والاستذكار كلاهما للإمام المجدد المجتهد ، حافظ المغرب أبي عمر يوسف بن عبد البر القرطبي المتوفى سنة 463 هـ.

ويشكل هذان الكتابان أهم مصدر فقهي حديثي في المذهب المالكي [34] .

ومن الكتب الفقهية المعتمدة في الحلقات العلمية المنتقى للباجي وتحفة الحكام لابن عاصم وشرح ولده عليها، القرطبية في الفقه، جمع الجوامع، المدخل لابن الحاج، المرشد المعين لابن عاشر، لامية الزقاق، المنهج المنتخب في قواعد المذهب للزقاق، شرح أبي الحسن الصغير على المدونة، منظومة الزكاة لمحمد بن العربي الفاسي، نوازل عبد القادر الفاسي، نظم العمل للفاسي وشرحه لولده، مختصر الأخصري، تبصرة الحكام للابن فرحون، الأحكام لابن سلمون، الجواهر الثمينة لابن شاس، التفريع للجلاب مواهب الجليل للحطاب، شرح اللقاني على المختصر، حاشية أحمد بابا على المختصر، شرح المختصر للأجهوري، شرح المختصر للتتائي، شرح المختصر للسنهوري، التنبيهات للقاضي عياض، التلقين للقاضي عبد الوهاب أحكام البرزلي، النهاية والتمام للمتيطي القوانين الفقهية لابن حزي .

هذه هي بعض الكتب الفقهية التي كانت لها الصدارة في الحلقات العلمية بالسودان الغربي على مر العصور.

وخلاصة القول في هذا المطلب أن مصادر الحركة الفقهية قد تعددت وتنوعت مما جعلت الحركة الفقهية تزدهر. وإن الكتب التي ذكرناها ليست هي الوحيدة المعتمدة في الحركة الفقهية بل هناك كتب أخرى يرجع إليها العلماء، إلا أن رجوعهم قد يكون

---

32 - يراجع : مباحث في المذهب المالكي ص : 82.
33 - يراجع : كفاية المحتاج لأحمد بابا ص : 462 / روضة الأس للمقرئ ص : 305/ نشر المثاني ج 1 272 / خلاصة الأثر للمحبي ج 1 ص 171 / فتح الشكور ص : 36.
34 - يراجع مباحث في المذهب المالكي ص : 79.

للتدريس أو التوسع، لكن الكتب التي ذكرنا هي أهم الكتب التي سادت على الحركة الفقهية في السودان الغربي [35] .

المطلب الثاني: أماكن الدراسة أو التدريس

تمهيد:

حرص علماء السودان الغربي أن يلقوا دروسهم العلمية أينما تيسر لهم اللقاء مع طلابهم، ولهذا تعددت أماكن التعليم والتعلم في منطقة السودان الغربي. فتم تعليم الصبيان في المكاتب، وطلاب العلم في المساجد والمدارس والمكتبات وقصور الملوك والأمراء والولاة ومنازل العلماء وحوانيت الوراقين وغيرهم من الأماكن، التي أسهمت في ازدهار الحركة الفقهية في المثلث المشهور وجعلت الدراسة في متناول العامة والخاصة.

أولا: المساجد :

لعبت المساجد منذ وقت مبكر في تاريخ الإسلام أدوارا طلائعية في ميادين شتى دينية ومجتمعية وثقافية واقتصادية ، وتعتبر أول معهد في تاريخ التعليم في الإسلام. ويعد المسجد أفضل مكان للتدريس« ... لأنه أعم في توصيل الأحكام وتبليغها للأمة... » [36]

وقد استمرت المساجد في أداء رسالتها التعليمية، وأخذت تعمل على تخرج عناصر طيبة عملت في ترسيخ وتطوير العلوم وخدمة الإنسانية إلى يومنا هذا.

ونظرا لما قامت به المساجد من أدوار مهمة عبر التاريخ حظيت بقداسة كبيرة في نفوس المجتمع على مر العصور.

وتعد المساجد من أهم المراكز التي تولت بنشر الإسلام وثقافته العربية في غرب إفريقية، منذ ظهور الإسلام في المنطقة.

فالبكري يشير إلى أن دولة غانا قبل دخول المرابطين فيها يوجد فيها إثنا عشر مسجدا في المدينة الإسلامية يرتادها الفقهاء وحملة العلم، بل حتى في مدينة الملك الوثنية التي

35 - للإطلاع على أسماء هذه الكتب يراجع : نيل الابتهاج من 88، 89، 95، 341، 342 / السعدي ص : 37-47 / فتح الشكور

ص 11 وما بعدها / حركة التجارة والإسلام 667-693 / الحركة العلمية والثقافية والإصلاحية في السودان الغربي ص : 232-235.

36 - يراجع : المدخل لابن الحاج ج 1 ص : 85.

تسمى بالغابة وجد ثمة مسجدا يصلي فيه وفود المسلمين الذين يفدون إلى الملك [37]. الأمر الذي يدل على تجذر الحركة الفقهية في المنطقة منذ أمد بعيد .

ومن أشهر المساجد التي قامت بدور تعليمي بارز في المثلث المشهور مساجد تنبكت ومساجد ما حولها من المدن والقرى نذكر منها :

1-المسجد الجامع الكبير المعروف بجنغري بير

يعتبر هذا المسجد الجامع من أقدم المساجد وأكبرها والتي قامت بنشر الإسلام وثقافته في منطقة تنبكت ويبدو أن تاريخ بنائه يرجع إلى القرن الثاني عشر الميلادي. ثم أعاد بناءه وتجديده المهندس الشاعر الأندلسي المشهور أبو إسحاق إبراهيم الساحلي المعروف بالطويجن الذي اصطحبه منسا موسى أثناء عودته من الحج إلى غرب إفريقية، وذلك بأمر من السلطان منسا موسى.

وقد تعرض هذا المسجد إلى عدة إصلاحات من طرف الحكومات التي تعاقبت على المنطقة خلال تاريخه الطويل، ولازال قائما [38] إلى يومنا هذا ، وهو من أهم الآثار الإسلامية التي بقيت في تاريخ تنبكت .

2ـ مسجد سنكري :

يعد هذا المسجد الجامع من أعظم المساجد والمعاهد التي نهضت بدور التعليم في مدينة تنبكت، وتعرض لعدة إصلاحات في تاريخه الطويل.

وقيل إن أول من بناه سيدة ثرية، ثم قام بإعادة بنائه وتجديده القاضي العاقب ثم أكمل بناءه الملك اسكيا داود في أواسط القرن العاشر الهجري.

وكان التعليم فيها على مستوى عال، ويدرس فيها المواد بشكل «تخصصي» وتتناول بتفصيلات واسعة وتناقش المسائل فيها على مستوى أمهات المؤلفات ولا يدرس فيها إلا الأساتذة المتضلعون في فنونهم المحيطون بكل الجزئيات في المواضع التي يدرسونها وهو شبيه بالازهر في القاهرة وجامعة القيروان بتونس والقرويين بفاس وجامعة قرطبة بالأندلس [39] .

---

37 - يراجع : المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب للبكري ص : 175 / حركة التجارة والإسلام مهدي رزق الله أحمد ص : 267-277.

38 - يراجع السعدي ص : 56-57 / حركة التجارة والإسلام ص : 311-316.

39 - يراجع : تاريخ الفتاش ص : 161 / السعدي ص : 26 / إفريقيات : نقولا زيادة ص : 350 / حركة

3ـ مسجد سيدي يحي التادلسي

يعتبر هذا المسجد من أقدم المساجد في تنبكت وأكبرها، وله أثر كبير في نشر الثقافة العربية الإسلامية بالمنطقة.

ويعزى بناؤه إلى محمد نض حاكم تنبكت من قبل سلطان التوارق آنذاك آكل، ولا يعرف تاريخ بناؤه بالتحديد. ولكن من المرجح أنه تم بناؤه في القرن الخامس عشر الميلادي التاسع الهجري.

وعندما تم بناؤه عين الحاكم محمد نض يحي التادلسي إماما له [40] ولازال هذا المسجد قائما إلى يومنا هذا وهو من الآثار الإسلامية في تنبكت.

على أن هذه المساجد الثلاثة العتيقة في تنبكت وإن تراجعت دورها كما كان في السابق فإنها لا تزال بناؤها الأصيلة التليدة الشامخة تبعث الإعجاب في النفوس وتنبئ مما كان لها من جلال وعظمة في تلك الأزمان الخالية .

وإلى جانب هذه المساجد الجوامع هناك مساجد أخرى بتنبكت أصغر من هذه الثلاثة التي سبق ذكرها، وقد قامت هي أيضا بدور حيوي في تثبيت دعائم الحركة العلمية بصفة عامة والحركة الفقهية بصفة خاصة مثل .

مسجد خالد بتنبكت [41]

مسجد التواتيين بتنبكت [42]

مسجد القصبة بتنبكت [43]

مسجد الهناء بتنبكت

مسجد كبر

مسجد تندرما [44]

التجارة والإسلام ص : 316 – 321.

40 – يراجع : تاريخ الفتاش ص : 121-122 / السعدي ص : 22-23 / حركة التجارة والإسلام ص : 322-323..

41 – يراجع : تاريخ الفتاش ص : 156.

42 -يراجع : السعدي ص : 215.

43 – يراجع : السعدي ص : 146./

44 – يراجع : تاريخ الفتاش ص/91،/السعدي ص : 12-13 / الحضارة الإسلامية في مالي : 133-138.

ويضاف إلى هذه المساجد مسجد جني الذي بناه الملك كنبر في القرن السادس الهجري [45] ومساجد غاو [46]، ومساجد حمد الله التي كانت غاصا بطلاب العلم في عهد ازدهار مملكة ماسنا، ومساجد بنجغرا ومساجد اروان وبوجبيهة، وغير ذلك من المساجد التي لم نتمكن من ذكرها.

وقد قامت هذه المساجد وغيرها التي توجد في المثلث المشهور بدور مهم في تنشيط الحركة العلمية بصفة عامة والحركة الفقهية بصفة خاصة. وكانت المراكز الأساسية التي يتم فيها تدريس المواد والمناقشات الفقهية، وأدت بذلك رسالتها كمراكز للعبادة ومنابر للعلماء الذين يلقون دروسهم وخطبهم فيها كلما سانحت الفرصة ليلا ونهارا.

ثانيا: الكتاب والكتاتيب:

اختلف اللغويون في اشتقاق هذه الكلمة ودلالتها، فعند ابن منظور المكتب أو الكتاب هو موضع تعليم الكتاب (أي الصبيان) وجمعه كتاتيب أو مكاتب.

ويرى ابن منظور جواز إطلاق لفظة « الكتاب » على موضع التعليم وعلى الصبيان الذين يتعلمون في هذا الموضع.

بينما يفصل المبرد –كما يقول ابن منظور– في معنى كل اشتقاق لهذه الكلمة فيجعل المكتب : موضع التعليم والمكتب – بضم الميم وكسر التاء المعلم. والكتاب بضم الكاف الصبيان، ويخطئ من يطلق على الموضع لفظ الكتاب [47] .

وتعتبر الكتاتيب من أهم المراكز التي تقوم بتربية الأطفال وتعليمهم. ويتعلم الأطفال فيها المبادئ الأساسية للمراحل الموالية من القراءة والكتابة وحفظ بعض السور عن ظهر قلب إلى جانب معرفة الفروض الدينية من عقائد وعبادات .

وقد عرف المسلمون هذا النوع من التعليم منذ فجر الإسلام وازداد الاهتمام بها بتأسيس المكاتب في عهد الخلفاء الراشدين .

---

45 – يراجع : الحضارة الإسلامية في مالي ص : 139–141.

46 – يراجع تاريخ الفتاش ص : 91.

47 – يراجع : لسان العرب مج 1 ص : 699 مادة كتب الطبعة الأولى 1955 / 1374 دار صادر بيروت / الحياة العلمية في الأندلس في عصر الموحدين ص : 79.

واستمرت عناية المسلمين بهذا النوع من التعليم في العصور الموالية إذ هو في الحقيقة أساس كل تعليم لمن أراد أن يسير على درب التحصيل والتعليم. ويكون التركيز في هذه المرحلة على تعليم القرآن وحفظه قبل أي شيء ثم القراءة والكتابة وبعض الفروض الدينية.

وهذا أمر مهم جدا لأن تعليم الطفل في صغره القرآن يساعده على حفظه بسهولة ورسوخ الإيمان في قلبه ، كما يزرع فيه حب العلم والاشتغال به أكثر من غيره في المراحل الموالية وله در القائل : « العلم في الصغر كالنقش في الحجر. »

فالطفل في صغره صافي الذهن يستقبل كل ما يلقى عليه ولهذا أجمع العلماء من السلف والخلف على أن يكون القرآن أول ما يلقى أو يلقّن للطفل في حداثة سنه لما للقرآن من أثر طيب ووقع حسن في القلوب.

وقد أشار ابن خلدون إلى أهمية تعليم الصغار القرآن وما ينتج عنها من آثار حميدة بقوله :

«اعلم أن تعليم الولدان للقرآن شعار من شعائر الدين أخذ به أهل الملة ودرجوا عليه في جميع أمصارهم لما يسبق فيه إلى القلوب من رسوخ الإيمان وعقائده من آياته القرآن وبعض متون الأحاديث وصار القرآن أصل التعليم الذي يبنى عليه ما يحصل به من الملكات، وسبب ذلك أن تعليم الصغر أشد رسوخا وهو أصل لما بعده لأن السابق الأول للقلوب كالأساس للملكات وعلى حسب الأساس وأساليبه يكون حال ما يبنى عليه ...» [48] .

ولهذا اهتم المجتمع السوداني بالكتاتيب لتعليم الصغار القرآن والمبادئ الدينية وخاصة في تنبكت التي وصل عدد الكتاتيب فيها خلال القرن العاشر والحادي عشر الهجريين ما يناهز مائة وخمسين أو ثمانين مكتبا على ما ذكره محمود كعت في معرض حديثة عن الكتاتيب في مدينة تنبكت فقال :

«...وفيها مدارس تعليم الصبيان الذين يقرءون القرآن مائة وخمسين أو ثمانين مكتبا على ما ذكره الشيخ محمد أحمد ... » [49] .

48 - يراجع : تاريخ ابن خلدون ج 3 ص 1239. تحقيق وتنقيح د. علي عبد الواحد وافي . الطبعة الثالثة مزيدة ومنقحة . دار النهضة للطبع والنشر الفجالة / القاهرة.

49 - تاريخ الفتاش ص : 180.

ومما يلاحظ أن محمود كعت يطلق اسم مدارس معلم الصبيان على الكتاتيب أحيانا. وأما السعدي فيسميه « محضرا » وذلك عند حديثه عن أحد علماء تنبكت وأئمة مسجدها الكبير، الفقيه أبي القاسم التواتي يقول عنه السعدي :

«قد سكن في جوار المسجد الجامع من جهة القبلة ليس بينها وبين داره إلا الطريق الضيق النافذ بعدما ابتنى محضرا قبالة المسجد لاصقا بها وفيها يقرئ الأطفال وبعدما توفي خلفه فيه تلميذه السيد منصور الفزاني وبعده السيد الفاضل الصالح الخير الزاهد المقرئ عالم التجويد الفقيه إبراهيم ...»[50].

ويرى أحد الباحثين أن تسمية الكتاب محضرا هو الاسم الشائع في موريتانيا وغرب إفريقيا ، وكان شائعا في المغرب والشام قديما [51].

وإلى جانب مدينة تنبكت هناك منطقة جنى التي عرفت المدارس القرآنية أو الكتاتيب ازدهارا كبيرا وخاصة في عهد الماسنيين حيث تعد الكتاتيب بالمآت في مدينة حمد الله، إذ وصل عددها في عاصمة الماسنيين وحدها 600 محضرا أو كتابا [52] .

كما انتشر الكتاتيب في بنجغر في عهد خلفاء الحاج عمر والقرى المجاورة لها، بشكل كبير .

أما في مدينة غاو فليس لدينا نص قاطع في انتشار الكتاتيب فيها، لكن من المؤكد أن الكتاتيب أو المحاضر منتشرة في ضواحيها التي يسكنها السوقيون مثل تجلالت، تبورق أغمهور وبو الأنوار وتلية والمبروك...

وخلاصة القول إن كثرة الكتاتيب في منطقة تنبكت وجني يدل على اهتمام المجتمع السوداني بتربية الأطفال تربية إسلامية صحيحة وتعليمهم في زمن مبكر، كما يدل على الدور الذي لعبته الكتاتيب في انطلاقة الحركة العلمية وازدهارها في السودان الغربي.

---

50 - يراجع : السعدي ص : 58 / حركة التجارة والإسلام ص : 285-286.

51- اسم الباحث هو عبد العزيز أمين كما ذكره الدكتور مهدي رزق الله يراجع ص : 286. ويبدو أن تسمية الكتاتيب محضرا فيه كلام لأن المحاضر كما قلنا جامعة متنقلة في أنحاء الصحراء بينما الكتاتيب غالبا تكون في المدن وهي مستقرة نسبيا بالمقارنة مع المحاضر، والله أعلم .

52 - يراجع : مملكة ماسنا : همباتي با وداعي ج 1 ص. 49 / صور من كفاح المسلمين في إفريقيا الغربية : أبو بكر خالد با ص : 71.

ثالثا: المدارس:

إن الدارس للحياة العلمية في العالم الإسلامي ليجد أن المسجد كان أول معهد احتضن النهضة العلمية التي عرفه العالم الإسلامي في القرون الأولى. لكن المشرق الإسلامي شهد مع مطلع القرن الرابع الهجري على خلاف بين المؤرخين ظهور المدرسة كمؤسسة تعليمية وتربوية شاركت المسجد في القيام بمسؤولية التربية والتعليم والنهوض بالحياة العلمية بصفة عامة والحياة الفقهية بصفة خاصة [53].

ولئن كانت المصادر تسعفنا بمعلومات وافية عن نشأة المدارس في المشرق وانتشارها إلا أنه فيما يتعلق بغرب إفريقيا فإن المعلومات شحيحة جدا فيما يتعلق بنشأة المدارس كمؤسسة مستقلة.

وقد وردت كلمة مدرس ومدرسة في المصادر التاريخية التي تتعلق بغرب إفريقيا منذ القرن العاشر الهجري، السادس عشر الميلادي لكن يبدو أنها تعني أي مكان للتدريس مجلسا كان أو حلقة علم سواء في المسجد أو خارجه، ويظهر هذا الأمر واضحا في بعض النصوص أو ما قاله السعدي في كتابه تاريخ السودان منها:

قوله في ترجمة الفقيه عبد الله بن الفقيه محمود بن عمر بن محمد اقيت «وأما عبد الله فهو عالم فقيه مدرس » [54].

وقوله في ترجمة الفقيه عبد الرحمن بن محمود « وأما الشيخ الصالح ... أبو زيد عبد الرحمن كان فقيها عالما معرضا عن الدنيا بكيته بحيث لم يقبلها ولو في لحظة واحدة ذا مكاشفات وأصحاب مدرسته يحكون عنه في ذلك حكايات ... فلما صلى بالناس الظهر وجلس في مدرسته قال بالله بالله بالله لتسمعن في هذا العام ما لم تسمعوا ... » [55]. وقوله « ... فتكلم الشيخ في مدرسته» [56].

وقوله في ترجمة الأمين بن أحمد «... وحدثنا رحمه الله تعالى في مدرسته أن الفقيه عمر بن محمد أخ الفقيه أحمد مغيا كان يقرأ كتاب الشفا للقاضي عياض ... » [57].

53 - يراجع : الحياة العلمية في الأندلس في عصر الموحدين : يوسف على العريني ص : 117-1118.

54 - يراجع السعدي ص : 34.

55 - نفسه ص : 34.

56 - نفسه ص : 47.

57- نفسه ص : 55.

وقوله وهو يتحدث عن يحي بن عبد الرحيم : « وروي أنه كان في مدرسته ذات يوم تحت الصومعة من خارج يقرأ وحوله عصابة من الطلبة . .» [58].

هكذا يظهر أن كلمة مدرسة وردت كثيرا في تاريخ السودان لكن يبدو أن المدرسة لا تعني في مفهوم السعدي – مؤسسة مستقلة كما هو الشأن في العصر الحديث أو كما عرف في الشرق منذ القرن الرابع الهجري، بل تعني أي مكان للتدريس، سواء في المسجد أو في خارجه، ومما يعزز هذا قول السعدي في ترجمة الفقيه عبد الرحمن : « ... وروي أن الفقيه عبد الرحمن بن الفقيه محمود حكى هذه القضية في مدرسته في المسجد ...» [59] .

ولا شك أن هذا النص الأخير يؤكد أن المدرسة في مفهوم السعدي تعني أي مكان للتدريس سواء كان حلقة علم أو غيره داخل المسجد أو خارجه.

هذا عن المدارس في القرن العاشر والحادي عشر. أما إذا تجاوزنا هذين القرنين فنجد أنه في عهد الماسنيين بنوا مدارس كثيرة في أرجاء مملكتهم. وأصبح التعليم فيها إجباريا على الذكور والإناث. ويتولى تدريس الذكور الرجال، وتدريس الإناث النساء [60] لكن المصادر التاريخية لم تسعفنا بطبيعة هذه المدارس .

وكانت العاصمة حمد الله وحدها تضم 740 مدرسة [61] ، منها مدارس ابتدائية لتعلم القراءة والكتابة ومدارس ثانوية و » كليات « للشريعة. وكانت هذه المدارس كلها تحت رعاية وزير التربية والتعليم الفا نوح طاهر [62].

وقد حاول الشيخ أحمد أن يجلب العلماء في كافة أنحاء غرب إفريقيا للتدريس في هذه المدارس ، وكان يشجع العلماء ويغدق عليهم بدون حساب للبقاء في حمد الله خاصة وفي سائر أرجاء مملكته بصفة عامة [63] .

---

58 - يراجع : السعدي ص : 51.

59 - نفسه ص : 47.

60 - يراجع : مملكة ماسنا همياتي با ص : 49-64.

61 - يراجع : نفس المرجع ص : 49 / الحضارة الإسلامية في مالي ص : 107. / صور من كفاح المسلمين في غرب إفريقيا ص/71.

62 - يراجع : مملكة ماسا همبات با ص : 49

63 - يراجع الحضارة الإسلامية في مالي ص : 107.

وروي عنه قوله -عند ما أراد محاربة الجهل ومكافحة الأمية- « إنني أريد استصلاح حقل واسع ولذلك فإنني في حاجة إلى فؤوس... »[64].

فمجال الاستصلاح المقصود به هو الجهل. أما الفأس أو الفؤوس التي يحتاج إليها في ذلك هو الإنسان المتعلم.

ولا شك أن هذا النص يدل دلالة واضحة الاهتمام الذي أبداه ملوك الماسنيين للنهوض بالحركة العلمية في المنطقة بصفة عامة والحركة الفقهية بصفة خاصة، بعدما خبا ضوءها وأفل نجمها خلال الاضطرابات التي اجتاحت المنطقة في الفترة الممتدة ما بين القرن الحادي عشر والثاني عشر الهجريين.

وكما انتعشت المدارس في حمد الله، انتعشت كذلك في مدينة بنجغر(Bandiagara) بعدما استولى عليها خلفاء الحاج عمر تال، حيث بنوا فيها مدارس قرآنية عديدة تستقبل الأطفال من الجنسين ومن كل فئات المجتمع.

وكان التمدرس في عهد خلفاء الحاج عمر في منطقة بنجغر إجباريا ويجب على رؤساء المناطق التي فتحت أن يبعثوا بأبنائهم إلى تلك المدارس في كل مساء.

وتدرس أغلب العلوم الإسلامية في الحلقات العلمية بمدينة بنجغر[65].

وخلاصة القول إن المدرسة في السودان الغربي تعني أي مكان للتدريس سواء في المسجد أو خارجه، وخاصة في القرن العاشر والحادي عشر الهجريين، ثم تطور أمرها وزاد عددها في عهد الماسنيين، فأصبحت تعد بالمآت. وذلك للنهوض بالحركة العلمية التي انطفأ نورها في المدن العلمية بسبب الاضطرابات السياسية التي تموج فيها بين فينة وأخرى.

وأدت كثرة هذه المدارس ورد الاعتبار لها إلى محو الأمية وازدهار الحركة العلمية بصفة عامة والحركة الفقهية بصفة خاصة في أغلب أرجاء السودان الغربي.

---

64 - يراجع : الحضارة الإسلامية في مالي ص : 107

65 - يراجع الحضارة الإسلامية في مالي ص/114- 115/ حركة التجارة والإسلام ص/273- 275. على أن ما تجدر الإشارة إليه أن هذه المدارس لم تكن الدراسة فيها موقوفة بزمن محدد بل هي مرهونة بقدرة الطالب على التحصيل والاستيعاب لأمهات المراجع المدروسة، فإذا هضم الطالب هذه المراجع وسمعها على يد العلماء مرات أعطوها إجازة علمية تؤهله للإفتاء أو الخطابة أو الإمامة أو القضاء.

رابعا: المكتبات

كانت المكتبات في العالم الإسلامي شعلة وضاءة ونبراسا من نور، قصدها الباحثون والعلماء والطلبة في جميع الجهات لتلبية رغباتهم العلمية.

ولما كانت المكتبات من أهم الأسس التي تقوم عليها أي نهضة علمية أو فكرية، ومن أهم العلامات التي يعرف بها اهتمام مجتمع ما بالعلم فقد اعتنى علماء المنطقة وحكامها وملوكها وأمرائها بتكوين مكتبات علمية قامت بدور فعال في نشر العلم في المنطقة لا يقل عن دور المساجد والمدارس في النهضة العلمية التي طارت شعاعها في السودان الغربي، حيث وفرت لأهل العلم بعض الكتب التي لم تكن سهلة المنال، بل كانت تصرف فيها أموال طائلة للحصول عليها.

وتعد الكتب والمخطوطات من أغلى السلع وأربحها في أسواق السودان وخاصة في تنبكت لكثرة الإقبال عليها[66]. ولهذا اهتم العلماء والملوك والأغنياء بشراء الكتب ونسخها فكونوا بذلك مكتبات في بيوتهم ملأوها بكل أنواع الكتب والمخطوطات المجلوبة من المشرق والمغرب والأندلس.

وكان العلماء لا يمتنعون عن إعارة أو إهداء ما لديهم من كتب مهما كانت عزيزة الوجود مرتفعة القيمة، حرصا على نشر العلم واحتساب الأجر من الله [67] .

وقد أدى اهتمام العلماء والملوك بشراء الكتب ونسخها إلى كثرة المكتبات العامة والخاصة في السودان الغربي وخاصة في تنبكت.

وتعتبر المكتبات من أقدم المؤسسات العلمية على الإطلاق حيث كان الملوك والأثرياء والعلماء يحرصون على إيجاد مكتبات خاصة بهم، لاستعمالاتهم الخاصة، كما يعينون بها الطلبة والمحتاجين لإرواء ظمئهم الفكري .

ومن أهم المكتبات المشهورة في السودان الغربي مكتبة أسكيا داود ومكتبة اسكيا محمد الأول ومكتبة محمد بان [68] .

---

66 - يراجع : وصف إفريقيا : الحسن الوزان ج 2 ص 167.

67 - يراجع : نيل الابتهاج ص : 93-94 / السعدي : 42.

68 - يراجع : تاريخ الفتاش ص : 94 / الحياة العلمية في دولة صنعاى : محمد الفاجالو ص : 118-119.

ومن المكتبات الخاصة أيضا التي لعبت دورا مهما في تنشيط الحركة الفقهية في المنطقة مكتبة آل اقيت بتنبكت الذين عرفوا بالعلم واقتناء الكتب النفيسة النادرة واستنساخها.

وعلى رأس مكتبة آل اقيت مكتبة والد احمد بابا، فقد كان » وافر الخزانة محتوية على كل علق نفيس سموحا بإعارتها ... » [69].

وكان الشيخ أحمد بابا وحده يملك في خزانته 1600 مجلد وفي هذا يقول «أنا أقل عشيرتي كتبا وذهبت لي ست عشر مائة مجلد ... » [70].

ولا مراء أن هذا النص يدل دلالة واضحة على أن مكتبة أسرة اقيت مكتبة كبيرة جدا يحتوي على آلاف من الكتب.

ومن المكتبات الخاصة أيضا مكتبة أسرة بغيغ، وأعظم مكتبة أفراد أسرتها مكتبة الشيخ محمد بغيغ الذي قال عنه تلميذة أحمد بابا: » بذل نفائس الكتب الغريبة العزيزة لهم ولا يفتش بعد ذلك عنها كائنا ما كان من جميع الفنون فضاع له بذلك جملة من كتبه ... وربما يأتي لبابه طالب يطلب كتابا فيعطيه له من غير معرفته من هو فكان العجب العجائب في ذلك إيثارا لوجهة تعالى مع محبته للكتب وتحصيلها شراء ونسخا ... » [71].

ومن المكتبات الخاصة أيضا مكتبة أسرة المجتهد والسيوطي ومغيا وكورد الفلاني والكونتيين.

وإلى جانب هذه المكتبات الخاصة هناك أيضا مكتبات عامة قامت بدور كبير في ازدهار الحركة الفقهية .

فكانت أروان تتوفر على خزانة كبيرة وضعت تحت رعاية القاضي يرجع إليها طلاب العلم في كل حين [72] .

ومن الخزانات العامة أيضا خزانة بوجبيهة التي أسسها سيدي أحمد السوقي المتوفى في القرن الثاني عشر الهجري، وكانت خزانة عامرة بالكتب النفيسة النادرة يرتادها كثير من أهل العلم كطلبة الكونتيين وكل سيدي علي وكلنتصر، بل يرتادها حتى بعض الموريتانيين.[73]

---

69 - يراجع : نيل الابتهاج ص : 90-93 / السعدي ص : 42 / الحركة الفقهية في عهد السعديين : محمد جحى ج 1 ص 194.

70 - يراجع : فتح الشكور ص : 31-37 / الحركة الفكرية في عهد السعديين ج 1 ص 194.

71 - يراجع : السعدي ص : 44.

72 - يراجع : الحضارة الإسلامية في مالي ص : 90.

73 - نفسه ص : 150-152.

وقد أسهمت هذه المكتبات الخاصة والعامة بشكل كبير في ازدهار الحركة الفقهية في المثلث المشهور ، حيث سهلت الحصول أو الاطلاع على الكتب النفيسة النادرة لأهل العلم ، وأصبحت في متناول كثير من طلبة العلم . وأدى الإقبال على جمع الكتب في المكتبات العامة والخاصة إلى ازدهار حرفة النسخ وكثرة الوراقين.

كما أدى كثرة المكتبات إلى جعلها مكانا يلتقي فيها الطلاب والعلماء لمناقشة بعض القضايا العلمية والفقهية .

وخلاصة القول :

إن شغف المجتمع السوداني بالكتب جعلهم يتنافسون في جمع الكتب وشرائها ونسخها فكونوا بذلك مكتبات خاصة وعامة، وضعوها في متناول كل من يحتاج إليها. وأصبحت هذه المكتبات أماكن يلتقي فيها العلماء والطلاب للبحث والمناقشة وبذلك لعبت دورا مهما في رفع مستوى الحركة الفقهية في المنطقة .

خامسا: منازل العلماء

تعتبر المساجد أفضل المواضع للتدريس، لأنها مفتوحة لكل الناس من كافة المستويات والطبقات ولذا فإن التعليم فيها له صفة العموم أكثر من غيره بخلاف المنازل التي يحتاج من يدخل إليها لإذن خاص، كما أن عليه أن يلتزم بآداب معينة.

وفي هذا يقول العبدري في المدخل : » إن أفضل مواضيع التدريس هو المسجد لأن الجلوس للتدريس إنما فائدته أن تظهر به سنة أو تخمد به بدعة أو يتعلم به حكم من أحكام الله تعالى.

والمسجد يحصل فيه هذا الغرض متوفرا ، لأنه موضع مجتمع الناس رفيعهم ووضيعهم وعالمهم وجاهلهم بخلاف البيت فإنه محجور على الناس إلا من أبيح له وذلك لأناس مخصوصين وإن كان العالم قد أباح بيته لكل من أتى لكن جرت العادة أن البيوت تحترم وتهاب وليس كل الناس يحصل له الإدلال على ذلك فكان المسجد أولى لأنه أهم في توصيل الأحكام وتبليغها للأمة ... « [74].

---

74 - يراجع : المدخل لابن الحاج ج 1 ص : 85. الطبعة الثانية 1977 دار الفكر .

ويقرر في مكان آخر أن المنازل مكان للتدريس عند الضرورة فقط [75].

وبالرغم مما قلنا إن المساجد أفضل مكان للتدريس وإن البيوت لا يدرس فيها إلا عند الضرورة ، فقد وجد من العلماء من جعل منزله مكانا للتعليم. حيث وجدنا بعض العلماء في السودان الغربي أقاموا حلقات علمية في بيوتهم ، يحضرها الطلاب، وكل من يريد أن يثقف نفسه، ولذا حظيت دور العلماء باحترام كبير عند الحكام، وقداسة لدى العامة.

وهكذا تعتبر منازل العلماء من أهم المراكز العلمية في السودان الغربي التي قامت بنشر العلم وتثقيف أهل العلم وطلابه حيث يجتمعون فيها للتعليم ومناقشة بعض المسائل العلمية .

ومما يوضح أن دور العلماء كانت مراكز للتعليم ما ذكره السعدي نقلا عن أحمد بابا في ترجمة محمد بغيغ أنه « ... لازم الإقراء ... يقرئ من صلاة الصبح أول وقته إلى الضحى مدة وربما مشى للقاضي في أمر الناس بعدها أو يصلح بين الناس ثم يقرئ في بيته وقت الزوال ويصلي الظهر بالناس ويدرس إلى العصر ثم يصليها ويخرج إلى موضع آخر يدرس فيه للاصفرار أو قربه، وبعد المغرب يدرس في الجامع إلى العشاء ويرجع إلى بيته ...» [76].

وهكذا يظهر لنا هذا النص أن دور العلماء كان مركزا مهما من مراكز التعليم، كما يشخص لنا نشاط هذا العالم واجتهاده في التعليم دون ملل وكسل ولا ضجر.

ومما يؤكد أيضا أن بيوت العلماء كانت مركزا للتعليم ما ذكره السعدي أثناء بعض رحلاته في السودان الغربي، حيث يقول :

«... وفي ضحوة الجمعة الحادي عشر من رجب الفرد خرجت من البلد إلى بلد شبل زائرا سلطانه سن كي عثمان والفقيه أبا بكر المعروف بموركيبا ... فرحباني واكرماني غاية الإكرام ... وفي يوم الخميس الثامن والعشرين من شعبان رجعت عند الفقيه المذكور (موركيبا) لسرد كتاب الشفا له في بيته فاستهل علي رمضان فيه ليلة الجمعة فشرعنا في السرد بعون الله وإرادته وفي آخر الشهر ختمته فواساني بما أمكن له، تقبله الله تعالى له ثم طلب مني أن أفسره لأولاده فشرعنا فيها حتى ختمناه ...» [77] .

---

75 - يراجع : نفسه ج 2 ص : 97 / التربية الإسلامية : نظمها فلسفتها، تاريخها، د. أحمد شلبي ص : 67 الطبعة السابعة، 1982 مكتبة النهضة المصرية.

76 - يراجع : السعدي ص : 44-45.

77 - يراجع : نفسه المصدر ص : 266- 267/ حركة التجارة والإسلام ص : 291-293.

ولا شك أن هذا النص والذي قبله يؤكدان أن دور العلماء كانت من أهم أماكن التلقي في السودان الغربي .

ولا تزال منازل العلماء في غرب إفريقيا مركزا للتعليم ومناقشة المسائل العلمية إلى يومنا هذا.

سادسا: قصور الحكام

لم تقتصر الأنشطة العلمية على المساجد والمدارس والحلقات العلمية في الخارج، وبيوت العلماء بل تعداها إلى قصور الحكام الغيورين على الدين والعلم.

ففي مصادر تاريخ السودان يذكر المؤرخون أن اسكيا الكبير جعل قصره مكانا للتعليم وإلقاء المحاضرات العلمية فيه.

وفي هذا الصدد استدعى المغيلي لإلقاء بعض المحاضرات في قصره. وكان اسكيا الكبير لا يجالس إلا العلماء [78] .

ويذكرون أيضا أن اسكيا داود كان له شيخ يعلمه في بيته، وله نساخون ينسخون له [79] .

وفي عهد الباشوات هناك إشارات تدل على أن قصورهم مفتوحة للعلماء لتدريس بعض الكتب الشرعية فيها [80].

ويذكر صاحب تذكرة النسيان أن أحد الباشوات كان عالما سريع الفهم حاضر الجواب » وإذا رأى طالب علم يسأله عن المسائل والألغاز ولا يفارقه معه حتى يعرف قدره في العلم والمعرفة ...» [81].

أما في عهد الماسنيين الذين عرفوا بحب العلم ونشره في أرجاء مملكتهم فقد كانت قصورهم حافلة بالعلماء الذين يلقون الدروس أمام الملك وحاشيته، ويعلمون أبناءهم شتى المعارف الإسلامية .

---

78 - يراجع : تاريخ الفتاش ص : 11.

79 - يراجع : نفس المصدر ص : 94.

80 - يراجع : السعدي ص : 297/ تذكرة النسيان في أخبار ملوك السودان ص : 17.

81- يراجع : تذكرة النسيان ص : 22.

ومما يعزز هذا الأمر أن أمراءهم كلهم علماء، بل حتى الهيئة العليا أو المجلس الأعلى التي تتكون من مائة شخص، الذين يديرون أمور الدولة أشترط فيهم معرفة العلوم الشرعية. [82]

وقد أدى اهتمام الماسنيين بالعلم إلى أن أصبحت قصورهم مركزا للتعليم أو التدريس، ومركزا لاختبار الحفاظ . حيث إن طالب العلم إذا أتم حفظ القرآن وبعض الكتب الفقهية لا يجازى حتى يذهب إلى العاصمة حمد الله ويسمع الخليفة ما درسه، أو يختبره الخليفة فيما درسه، وإذا خرج من هذا الامتحان سالما سيكون مجيزا أو مجازا ويصبح محترما بين الناس .

وبعد هذا التقويم يمكن أن يواصل دراسته في العلوم الأخرى، وإذا وصل سن الأربعين له الحق أن يلتحق «بالسلك الديبلوماسي » للدولة حسب كفاءته. [83]

على أنه وإن لم يكن لدينا معلومات كافية عن كيفية إلقاء الدروس في قصورهم، وطبيعة هذه الدروس إلا أنه ما يمكن الجزم به هو أن قصور الحكام في غرب إفريقيا كانت من أهم أماكن التدريس؛ إذ وجدنا بعض الملوك أو الأمراء تعلموا دون أن يرتادوا الحلقات العلمية التي تقام في المساجد أو خارجها الأمر الذي يؤكد أنهم تعلموا في بيوتهم.

وخلاصة القول، إن قصور الحكام والملوك والأمراء كانت مركزا مهما من مراكز إشعاع الحركة الفقهية في السودان الغربي، وخرجت لنا حكاما فقهاء لا يقل مستواهم المعرفي عن مستوى الفقهاء الذين تخرجوا في المدارس أو الحلقات العلمية الأخرى المعروفة في السودان الغربي .

سابعا : المحاضر المتنقلة

من المراكز التي يتلقى فيها الطلبة دروسهم المعرفية في السودان الغربي المحاضر المتنقلة.

والمحضرة أو المحاضر : جامعة شعبية بدوية متنقلة تلقينية فردية التعليم طواعية الممارسة. [84] أو هي مؤسسة تعليمية تقليدية جامعة لشتات المعارف قد تتسع دلالتها لتشمل كتاتيب

82 - يراجع : الحضارة الإسلامية في مالي ص : 54.

83 - يراجع : مملكة فلاتة : همباتي با الجزء الأول ص : 64/ مملكة دينا بماسنا : بنت سننكوى ص : 56.

84 - يراجع : الخليل النحوي ص : 53.

تحفيظ القرآن ولكنها تنصرف غالبا في الاصطلاح إلى المدارس التي يتلقى فيها الطلبة مختلف المعارف الأخرى تدرجا من المستوى الابتدائي وصولا إلى المستوى الجامعي [85] .

كانت هذه المحاضر المتنقلة من أهم أماكن التدريس في السودان الغربي وخاصة في أوساط القبائل المتنقلة غير المستقرة، والتي تجوب الصحراء شمالا وجنوبا وشرقا وغربا بحثا عن الكلأ والعشب للحيوانات.

وقد درس مجموعة من علماء السودان في هذا النوع من المراكز العلمية من المرحلة الابتدائية إلى المرحلة « الجامعية ».

وكانت الدراسة في المحاضر المتنقلة فعالة وجيدة جدا إذ غالبا ما تجد من تخرج فيها له مستوى معرفي رفيع.

ولا يتعلق التخرج فيها بسنوات معينة أو محدودة بل هي مرهونة بقدرة الطالب وحصيلته العلمية واستيعابه لأمهات المراجع في فروع العلوم التي درسها.

فإذا هضم الطالب هذه المراجع وسمعها على أيدي العلماء أو المشرف على المحضرة مرات عديدة أعطيت إجازة علمية تؤهله للتدريس أو الإفتاء أو الخطابة أو الإمامة أو القضاء.

ولا زالت المحاضر حتى في وقت قريب منتشرة في شمال مالي لكنها الآن فقدت مستواها المعهود، نظرا لكثرة المشاكل الناتجة عن الجفاف والتصحر التي اكتسحت المنطقة، مما جعلت القبائل التي تعيش في البادية والصحراء تفقد ما لديها من حيوانات وتنتقل إلى المدن .

وقد كانت المحاضر من أهم المراكز العلمية المفضلة للتكوين لأنها في جو طبيعي صاف بعيد عن كل المشاكل والملاهي التي تشغل الطالب عن التحصيل.

وكان الطلبة الذين يدرسون في هذه المحاضر يرسل معهم زاد أو ما يساعدهم في قوت اليوم كقطعان أبقار أو أغنام يحلب لهم، وخاصة إذا كانوا من أسر ميسورة أو غنية. وتتسم هذه المحاضر بعدة خصائص تميزها عن غيرها من أماكن التدريس الأخرى منها :

1—إنها جامعة تقدم للطالب معارف موسوعية في مختلف العلوم الإنسانية

85 - يراجع : نفس المرجع ص : 190.

2–إنها جامعة شعبية تستقبل كل من يرد عليها من جميع المستويات الثقافية والفئات العمرية والجنسية تستقبل المبتدئ كما تستقبل العالم، فتجدد له معارفه وتوسعها وتعمقها ويرتادها الطفل والشيخ والمرأة .

3–إنها جامعة بدوية متنقلة نشأت في رحاب البادية وازدهرت فيها فهي تنتقل من مكان إلى مكان حسب تنقل الشيخ المشرف عليها.

4–إنها جامعة تلقينية وهذا يعني أن الرواية فيها أم الدراية ونظام التعليم فيها فردي طرفي العملية التربوية الأستاذ والطالب، يدير الحلقة رجل واحد وقد يكون له معاونون من قدماء الطلبة الذين ينتمون إلى المحضرة.

5–إنها تقوم على أساس من التطوع والمبادرة الحرة في الدراسة والتدريس معا. وتتم الدراسة فيها بالتدرج فيبدأ الطالب فيها بالكتب الصغيرة البسيطة السهلة إلى الكتب الكبيرة المعقدة . [86]

وخلاصة القول إن المحاضر المتنقلة من أهم أماكن التدريس التي احتضنت الطلبة في صحراء وبوادي السودان الغربي تخرج على عتباتها ثلة من العلماء تركوا أثرا واضحا على الحضارة الإسلامية في المنطقة.

ثامنا: الزوايا

تعتبر الزوايا من أهم المراكز العلمية التي أسهمت في انتشار العلوم الإسلامية في منطقة ما وراء الصحراء الكبرى. ومن أهم هذه الزوايا التي لعبت دورا كبيرا في نشر العلم في شمال مالي خلال القرن الثاني عشر والثالث عشر الهجريين زاوية كنتا البكائية المختارية.

أسسها الشيخ سيدي المختار الكنتي المتوفى سنة 1811 م في بولنور (قرية بشمال مالي) وقد ترك مؤسس هذه الزاوية أثرا كبيرا في منطقة تنبكت وغاو ومنطقة أزواد لورعه وتبحره في العلوم الإسلامية. وقد كانت لهذه الزاوية أهداف معينة منها :

86– يراجع : بلاد الشنقيط ، المنارة .. الخليل النحوي ص : 53–60. وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذا النوع من المراكز العلمية،
وإن لم تنص عليها المصادر التاريخية لغرب إفريقيا بشكل صريح، فهي موجودة،بل حتى في وقت قريب كانت منتشرة في البوادي . وقد درس كثير من أجدادنا وشيوخنا في هذه المحاضر المتنقلة. وقد تقهقر دورها في الوقت الراهن كما سبق أن ذكرنا .

تلقين مبادئ الصوفية، ونشر الورد القادري والتعليم وهو الذي يهمنا في هذا البحث. وكانت تسير على طريقة الجامعة التقليدية في مراحل تعليمها من الكتاب القرآني إلى مستوى« الجامعة» .

وتدرس جميع الوافدين إليها من مختلف الجهات تدريسا يتلاءم مع مستواهم الفكري والثقافي. وقد قوي تأثير الزوايا في المنطقة وخاصة في القرن الثاني عشر والثالث عشر الهجريين عندما كثرت الاضطرابات في الحواضر السودانية، فوجد الناس في هذه الزوايا أمنا وطمأنينة واستقرارا تشبع أفكارهم الروحية والثقافية فاعتزلوا فيها واعتكفوا على دراسة العلوم الإسلامية والأوراد القادرية.

على أن هذه الزوايا تشبه المحاضر المتنقلة في كثير من مواصفاتها إلا أنها لا تتنقل مثل المحاضر [87] .

وخلاصة القول إن زاوية كونتا أو زاوية سيدي المختار الكنتي لعبت دورا كبيرا في السودان الغربي ما بين القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين، حيث عملت على نشر الإسلام والورد القادري بين شعوب المنطقة.

وأهم نشاطاتها التعليم وتلقين مبادئ التصوف. وقد استطاع مؤسسوها وأتباعها أن ينشروا تعاليمها في مختلف أرجاء السودان الغربي، وأنشأوا لها فروعا في أماكن كثيرة تقوم بنشر مبادئها والحفاظ عليها.

وتشكل هذه الزاوية مرجعا روحيا لجماعة الكونتا ومن تأثر بهم. وفي هذه الزاوية خرجت مجموعة من عمالقة وجهابذة علماء السودان من الكونتيين الذين لهم قدم راسخ في مختلف العلوم الإسلامية، وخاصة في ما بين القرنين الحادي عشر والثالث عشر الهجريين.

ولسنا نبالغ إذا قلنا إنه لم يظهر في السودان الغربي خلال القرن الثاني عشر والثالث عشر الهجريين عالم يدانيهم في العلم والمعرفة، بل هم الرؤوس والأذناب غيرهم، ومن اطلع على مؤلفاتهم في شتى العلوم تبين لهم ذلك.

ومن الذين تخرجوا من هذه الزاوية سيد المختار الكنتي وسيد محمد الكنتي وأحمد البكاي وسيد المختار الصغير ...

---

87 - يراجع : الحضارة الإسلامية في مالي ص : 145-149.

وصفوة القول في هذا المبحث إن أماكن التدريس في السودان الغربي قد تعددت وتنوعت في المدن والأرياف. ومن أهم هذه الأماكن العلمية : المساجد والكتاتيب والمدارس والمكتبات ومنازل العلماء وقصور الحكام والمحاضر المتنقلة والزوايا. وقد ازدهرت الدراسة الفقهية فيها، وتكاثر عدد العلماء والطلبة فيها بفضل الأمن والاستقرار وتيسر سبل العيش التي عمت أرجاء السودان الغربي.

ولما اضطربت الأحوال في المنطقة وخاصة في حواضرها المشهورة بالعلم والتجارة انتقلت العناصر الثقافية إلى القرى والأرياف بعيدا عن الفتن التي تموج في المدن، وبدأت الحركة الفقهية تزدهر في هذه القرى والبوادي النائية، بينما أخذت تتدهور في المدن.

وقد أسهمت كل هذه الأماكن العلمية في سقي أشجار الحركة الفقيهة في المنطقة، فنمت وترعرعت ونضجت فأعطت ثمارا يانعة، قطوفها دانية، لا زالت أريجها تفوح في كافة منطقة السودان الغربي.

المبحث الثاني : أساليب التدريس والتقويم

لما كانت طرق التعليم هي الأساليب العملية التي تنفذ بها أهداف التعليم وغاياته ، فلابد لمن يتولى التدريس أن يختار منها ما يساعده على الوصول إلى الأهداف المتوخاة من التعليم؛ ولهذا تعددت طرق التعليم تبعا لاختلاف مستويات الطلاب وتنوع المواد التي تدرس.

وقد استمد العلماء أكثر أساليب التدريس من طرق تلقي الحديث النبوي الذي حرص علماؤه أن ينقلوه بدقة وأمانة. وكما تعددت طرق التدريس تنوعت أيضا أساليب التقويم. إذا فما هي طرق التدريس وأساليب التقويم في السودان الغربي ؟.

المطلب الأول : أساليب أو طرق التدريس

تعددت أساليب التعليم في السودان الغربي تبعا لمستويات الطلبة، وأهم هذه الأساليب هي :

أولا: أسلوب التلقين أو الترديد

ويطبق هذا الأسلوب مع المبتدئين من التلاميذ الذين لا يجيدون القراءة أو لا يستطيعون القراءة بأنفسهم، فيقوم المدرس بقراءة الدرس ويقرأ التلاميذ معه، ويظل يكرر الدرس حتى يتأكد أنهم حفظوه.

ويلجأ إلى هذا الأسلوب غالبا في تدريس القرآن، ولا زال سائدا في غرب أفريقيا [88]. ومن الغريب أنك ترى أحيانا من يحفظ القرآن بهذا الشكل دون أن يعرف القراءة ولا الكتابة.

ثانيا: أسلوب الكتابة

وهذا الأسلوب يتبع غالبا في مرحلة ما بعد التلقين أي في « المرحلة المتوسطة » حيث يستطيع الطالب أن يكتب لنفسه فينقل درسه لنفسه على اللوح سواء كان الدرس يتعلق بحفظ آيات أو في الفقه. [89] وبعد الكتابة يذهب عند الشيخ أو المعلم فيقرأه له قراءة أولية ثم يقوم التلميذ بقراءته لنفسه ويظل في القراءة حتى يتقن الدرس.

ثالثا: أسلوب العرض أو ما يسمى بالقراءة على الشيخ عند المحدثين

وصورة هذا الأسلوب أن يقوم الطالب بقراءة الكتاب أو المقطع على المدرس أثناء التدريس، ويقوم الشيخ بمتابعته ليتأكد من سلامة ما يعرضه الطالب من الأخطاء والتصحيفات.

أو يقوم بتصحيح ما يقرأه التلميذ وتقويم ما يحتاج إلى التقويم أو التصويب من قراءته .

أو هو قراءة الطالب على الشيخ وهو ساكت ، يسمع سواء كانت قراءة الطالب عليه من كتاب أم من حفظ [90] .

وإذا تأكد المدرس من سلامة ما عرضه عليه الطالب من خطإ وتصحيف ، يحاول الطالب فهمه وحفظه .

ومما يؤكد استعمال هذا الأسلوب في السودان الغربي ما يذكره بعض المترجمين عن ترجمة بعض شيوخهم كقول أحمد باب في ترجمة شيخه محمد بغيغ » ... ختمت عليه مختصر خليل بقراءتي وقراءة غيري عليه نحو ثمان مرات ... وكثيرا من تحفة الحكام

---

88 - يراجع : حركة التجارة والإسلام ص : 615.

89 - يراجع : نفس المرجع ص : 615.

90 - يراجع مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث للإمام أبي عمر وعثمان بن عبد الرحمن الشهروري ص : 100 الطبعة الأولى 1416 / 1995 دار الكتب العلمية بيروت- لبنان / قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث : محمد جمال الدين القاسمي ص : 211 تحقيق محمد بهجة البيطار تقديم محمد رشيد رضا. الطبعة الأولى 1407/1987 دار النفائس-بيروت / علوم الحديث ومصطلحه وصبحي الصالح ص : 93 الطبعة 13، 1981 دار العلم للملايين بيروت- لبنان.

لابن عاصم مع شرحها لابنه كلها بقراءتي ... »[91] وغير ذلك من العبارات التي تدل على أن هذا الأسلوب كان متبعا في السودان الغربي[92].

رابعا: أسلوب الشرح

وكيفيته أن يقوم المدرس بقراءة الكتاب أثناء التدريس على الطلبة ويشرح ما فيه من الغموض شرحا وافيا ، ويعلق على المواضيع التي تحتاج إلى التعليق والتنبيه، ويشير إلى مواضع الخلاف ويورد آراء العلماء فيها وما توصل إليه نتيجة أبحاثه ودراساته .

وقد يكتب الطلاب هذه الشروح والتعليقات على حواشي الكتاب المدروس أو في كراسة مستقلة [93].

أو يقوم الطالب بقراءة الكتاب أو ما كتبه على اللوح جملة جملة أو كلمة كلمة، والمدرس يتولى الشرح جملة جملة أو كلمة كلمة حتى يترسخ المعنى في أذهان الطلبة، وهذا الأسلوب هو السائد في المرحلة « الثانوية » و« الجامعية » إن صح التعبير.

خامسا: أسلوب السماع:

وهو أن يسمع الطالب من لفظ شيخه، فالشيخ يلقي ما لديه من علم والطالب يستمع إلى حديثه.

أو هو أن يسمع الطالب من لفظ شيخه سواء أحدثه الشيخ من كتاب يقرأه أم من محفوظاته وسواء أملى عليه أم لم يمل عليه [94].

وقد ظهر هذا الأسلوب نتيجة اهتمام الرعيل الأول من علماء المسلمين بالحديث النبوي وروايته وتوثيق إسناده ووجدوا فيها الطريقة المثلى لحفظ الحديث ونقله بين المسلمين ، وخاصة عندما ما لم ينشر التدوين والكتابة بين المسلمين [95].

---

91 - يراجع : تاريخ السودان ص : 56 / حركة

92 - يراجع : حركة التجارة والإسلام ص : 615.

93 - يراجع : السعدي ص : 38 / حركة التجارة والإسلام ص : 616.

94 - يراجع : قواعد التحديث من فنون مصطلح للقاسمي ص : 211 / علوم الحديث ومصطلحه وصبحي الصالح ص : 88..

95 - يراجع : الحياة العلمية في الأندلس في عصر الموحدين : يوسف على العريني ص 164.

ومما يبين أن هذا الأسلوب كان متبعا في السودان الغربي ما يتردد على لسان أحمد بابا في ترجمة شيخه مثل قوله : « ... قرأت عليه صحيح البخاري نحو النصف وسمعته بقراءته ... وسمعت بلفظه جامع المعيار للونشريسي كاملا...»[96].

ويقول في ترجمة والده « ... وسمع – أي بغيغ– بقراءته الصحيحين والموطأ والشفا...» [97] وغيرها من العبارات التي تؤكد أن هذه الطريقة كانت مطبقة في المنطقة.

على أن هذا الأسلوب كان منتشرا في كثير من العواصم الإسلامية، وهو لا زال شائعا في منطقة السودان الغربي وخاصة في البوادي التي لم تتطور فيها الكتابة، بل يعتمدون على الحفظ أكثر من التوثيق.

وهذا الأسلوب استفاد منه حتى العوام الذين كانوا يحضرون الحلقات العلمية، إذ نجدهم أحيانا يناقشون بعض المسائل العلمية فيما بينهم فيذكر كل واحد منهم بأن ما يقوله سمعه من مجلس فلان أو حلقة فلان. ويستفيد من هذا الأسلوب أيضا الطالب الكفيف الذي يعتمد فقط على حفظه.

وهكذا يظهر أن هذا الأسلوب له إيجابيات كثيرة، إذ ساهم كثيرا على حفظ المسائل العلمية إن على مستوى العامة أو على مستوى الطلبة.

سادسا: أسلوب الإملاء:

وصورة هذا الأسلوب أن الأستاذ يملي على الطالب بعض المسائل العلمية المهمة، فيقوم الطالب بتدوين ما يمليه عليه الشيخ في كراسة. ويحق له أن يروي ما يدونه عن أستاذه أو شيخه، وربما أعطيت إجازة علمية بجواز رواية ما دونه من شيخه. ومن صورة هذا الأسلوب أيضا أن الطلبة قد لا يتقيدون بلفظ الشيخ بل كل واحد يدون ما يصدر عن الشيخ بطريقته أو بأسلوبه الخاص. وقد يجمعونه في كتيب أو في رسالة خاصة. وفي هذا الصدد قيد بعض طلاب أحمد بن أحمد اقيت بعض ملاحظاته وتعليقاته – التي يمليه عليهم – على بعض النصوص الفقهية في سفرين[98].

---

96 - يراجع : تاريخ السودان ص : 46/ فتح الشكور ص : 30.

97 - يراجع : فتح الشكور للبرتلي ص : 30 / حركة التجارة والإسلام ص : 616.

98 - يراجع : السعدي ص : 38 / حرة التجارة والإسلام ص : 616.

ويعتبر هذا الأسلوب أعلى وأرقى صور السماع منزلة وأكثر اطمئنانا بصحة المادة العلمية المحصلة، لأن الشيخ والطالب بعيدان عن الغفلة. كما أن المقابلة التي تجرى في العادة بين أصل كتابة الشيخ وما كتبه الطالب مدعاة للاطمئنان على صحة النص ومطابقته للأصل [99].

سابعا أسلوب المراسلة :

وصورته أن يكتب الشيخ بعض كلامه لمن حضر عنده أو لمن غاب عنه ويرسله إليه. أو هو أن يكتب الشيخ بخطه أو يكلف غيره بأن يكتب عنه بعض ما صدر عنه من حديث لشخص حاضر بين يديه يتلقى العلم عليه أو لشخص غائب عنه ترسل الكتابة إليه [100].

ومن هذا الأسلوب أيضا أن يرسل التلميذ إلى أستاذه البعيد عنه يستفتيه فيما أشكل عليه من المسائل العلمية فيجيبه خطيا. ويدخل في هذا الإطار رسائل أحمد بابا إلى يحي بن الحطاب في بعض ما استشكله [101]، ورسائله إلى علماء مصر، ورسائل التواتي إلى أحمد بابا في قضية استرقاق العبيد [102]، ورسائل ابن أبي محلة إلى أحمد بابا في حكم طابا [103]. ورسائل أبي عبد الله محمد بابا بن محمد الأمين إلى محمد بغيغ في بعض القضايا الفقهية [104]، وغيرها من الرسائل التي تؤكد أن هذا الأسلوب كان متبعا في السودان الغربي.

ثامنا: أسلوب الإجازة

وصورته أن يأذن الأستاذ لتلميذه أن يروي عنه مؤلفاته أو مسموعاته ولو لم يسمعها منه، ولم يقرأها عليه [105].

ولا يتم هذا الأمر إلا بعدما يتأكد الأستاذ أن الطالب قد وصل مرحلة عالية من العلم تؤهله لأن يؤدي ما حمله من العلم بدقة وأمانة.

---

99 - يراجع : الحياة العلمية في الأندلس في عصر الموحدين : يوسف العريني ص : 165.

100 - يراجع : مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث ص : 115 / علوم الحديث ومصطلحه : دكتور صبحي الصالح ص : 97-98.

101 - يراجع : نيل الابتهاج ص/639

102 - توجد عدة نسخ من هذه الرسالة منها : الخزانة العامة بالمغرب رقمها ج. 100، 194 د .

103 - توجد أيضا نسخة من هذه الرسالة في الخزانة الملكية بالمغرب رقمها : 3627 ز.

104 - يراجع : حركة التجارة والإسلام ص : 616.

105 - يراجع : علوم الحديث ومصطلحه : د. صبحي الصالح ص : 95.

ويلمس هذا النوع من الأسلوب في قول أحمد بابا في ترجمة شيخه :«...وأجازني جميع ما يجوز له وعنه ... » [106].

وفي هذا الإطار طلب التمنارتي من أحمد بابا أن يجيزه في رواية مروياته، فأجازه أحمد بابا إجازة عامة [107].

تاسعا: أسلوب الحوار والمناقشة

تعتمد هذه الطريقة أسلوب الأسئلة والحوار بين الأستاذ وطلابه، وقد تكون بداية الحوار والمناقشة بين الشيخ وتلاميذه عبارة عن سؤال يوجهه أحد الطلبة إلى الأستاذ، وتكون هذا السؤال ميدانا لطرح بعض القضايا العلمية المرتبطة بالسؤال، يشارك في طرحها الأستاذ والطلبة معا.

وقد تكون بداية الحوار أن الطالب ينبه أستاذه بعض القضايا العلمية التي قد تكون خافية عليه [108].

وهذا النوع من أساليب التدريس تدور أحيانا في بعض المجالس العلمية في السودان الغربي، فأحمد بابا يقول عن أستاذه أو شيخه بغيغ ... « وختمت عليه الموطأ قراءة تفهم، وتسهيل ابن مالك قراءة بحث وتدقيق ... وأصول السبكي بشرح المحلى ثلاث مرات قراءة تحقيق ... وباحثته كثيرا في المشكلات وراجعته في المهمات ...» [109].

ولا شك أن هذا النص يؤكد أن أسلوب المناقشة والحوار كان متبعا في السودان الغربي في بعض الحلقات العلمية الرفيع المستوى. بل إن الأستاذ – أحيانا– إذا رأى أن ما يذهب إليه الطالب أقرب إلى الصواب لا يتردد في الأخذ به، وبيان ذلك أثناء تدريسه، ويؤكد هذا ما قاله أحمد بابا عن شيخه بغيغ « ... بل كتب عني أشياء من أبحاثي وسمعته يقول بعضها في درسه لإنصافه وتواضعه وقبوله الحق حيث تعين ... » [110] .

هذه هي بعض الأساليب التي توصلنا إليها من خلال كتب التراجم والتاريخ لمنطقة السودان.

---

106 – يراجع : السعدي ص : 46 / فتح الشكور ص : 32.

107 – يراجع : الفوائد الجمة لعبد الرحمن التمنارتي مخطوط بالخزانة العامة بالمغرب تحت رقم 3693 د. ص : 210-213.

108 – يراجع : الحياة العلمية في الأندلس في عصر الموحدين : يوسف العريني ص : 175-176.

109– يراجع : السعدي ص : 46 / فتح الشكور ص : 32.

110 – يراجع : السعدي ص : 46 / فتح الشكور ص : 32 / حركة التجارة والإسلام ص : 616.

وخلاصة القول، إن أسلوب التدريس في المنطقة، لا يختلف في شكله العام عما كان عليه الأمر في الغرب الإسلامي وخاصة المغرب الذي يعد المرآة المصقولة للسودان الغربي، إذا فلا عجب أن يكون التدريس في السودان الغربي وفي المغرب وجهين لعملة واحدة وإن اختلفا في بعض التفاصيل.

المطلب الثاني: أساليب التقويم

عرفت الحركة الفقهية عدة أساليب لتقويم المستوى العلمي لطلبة العلم. وتختلف أهمية هذه الأساليب حسب قوة مصدرها. ومن هذه الأساليب الإجازة ترشيح الشيخ للتلميذ للإقراء في مجلسه والاختبار.

أولا: الإجازة:

نحن نعلم أن الناس يحرصون على متابعة دراساتهم العليا أو الجامعية في أكبر وأعرق الجامعات في العالم وأشهرها قيمة علمية، لينالوا منها شهادة تقوم مستواهم المعرفي، وتبين تخصصاتهم العلمية.

أما في العصور الماضية فكان العلماء والطلبة يسعون إلى حصول الإجازة من العلماء المتضلعين الذين اعترف لهم أهل عصرهم بعلو الكعب والرسوخ في العلم.

وهذه الإجازة بمثابة شهادة علمية في عصرنا الحاضر، وهي أيضا أسلوب من أساليب تقويم مستوى الطالب العلمي.

فبقدر تضلع العالم المجيز وتبحره في العلوم التي يدرسها، وعلو كعبه فيها بقدر ما تعظم قيمة إجازته لدى أهل العلم.

وهذا يعني أن الإجازة تستمد قيمتها من مكانة العالم المجيز ومستواه المعرفي والتلقي.

والإجازة عند الاصطلاحيين هي « إذن الشيخ لتلميذه برواية مسموعاته أو مؤلفاته، ولو لم يسمعها منه ولم يقرأها عليه وذلك بقوله: أجزت لك أن تروي عني الكتاب الفلاني أو ما صح عندك من مسموعاتي » [111].

111 - يراجع: مقدمة ابن الصلاح ص: 110 / ألفية الحديث مع شرحها فتح المغيث للحافظ العراقي ص: 213-214. الطبعة الثانية 1412 / 1988 عالم الكتب بيروت / مدرسة الإمام البخاري يوسف الكتاني ج1 ص: 129 دار لسان العرب بيروت.

ولأهمية الإجازة اشترط العلماء « أن يكون المجيز عالما لما يجيزه، ثقة في دينه وروايته، معروفا بالعلم، وأن يكون المجاز من أهل العلم متسما به ...» [112].

ونظرا لقيمتها العلمية أيضا ذهب بعض العلماء إلى أنه لا غنى لطالب الحديث عنها خاصة وطالب العلم بصفة عامة. بل كانوا يعتبرونها « من أنفس الحليات ويعتقدونها رأس مال الطالب ويرون أن من عدمها المغلوب غير الغالب فإذا ذكر حديثا قراءة أو معنى ما أو رواية قالوا : أين إسناده وعلى من عماده، فإن عدم سندا ترك سدى ونفي قوله ولم يعرف فضله» [113] .

ومن أجل هذا « تسابق العلماء والأئمة والملوك إلى نيل الإجازة والحصول عليها وطلبها، وصار الحصول عليها أمنية محببة ومقصدا مطلوبا من جميع الطبقات، حتى كانوا يبذلون النفس والنفيس ويرحلون المسافات الطوال من أجل الحصول على إجازة عالم في كتاب أو حديث أو نحوهما...» [114].

وتعتبر الإجازة من أهم أساليب تقويم مستوى طالب العلم؛ ولهذا اهتم بها علماء السودان، فقد طلب كثير منهم من علمائهم المشارقة الإجازة، وهم بدورهم أجازوا كل من يرون من طلبة العلم أنه يستحق الإجازة.

على أن الإجازة لا تقدم للطالب إلا بعد ملازمة طويلة للشيخ، الأمر الذي يؤكد على أن الإجازة من أهم أساليب التقويم.

ومن نماذج هذه الإجازات : إجازة أبي البركات النويري لمحمد بن أحمد التازختي لماحج. [115]وإجازة ناصر اللقاني للعاقب ابن محمود اقيت. [116] وإجازة الفقيه الزموري للمختار النحوي. [117] وإجازة يحيى الحطاب لأحمد بابا مكاتبة .[118] وإجازة محمد بغيغ لأحمد بابا، حيث يقول بعدما ذكر مجموعة من الكتب التي درسها عنده » ...

---

112 - يراجع : مقدمة ابن الصلاح ص : 111 / مدرسة الإمام البخاري ليوسف الكتاني الجزء الأول ص : 135.

113- يراجع : مدرسة الإمام البخاري للكتالني ص : 131 نقلا عن فهرس السراج ص : 33.

114- يراجع : نفس المرجع ص : 131.

115- يراجع : السعدي ص : 39-40.

116- يراجع : نفس المصدر ص : 40-41.

117- يراجع : نفس المصدر ص : 65.

118- يراجع : نيل الابتهاج ص : 639.

وأجازني بخطه جميع ما يجوز له وعنه ... » [119]وغيرها من الإجازات التي تؤكد أن علماء السودان اهتموا بها كثيرا لتقويم مستوى الطلبة.

ثانيا: ترشيح الشيخ لتلميذه للإقراء في حلقته

من أساليب تقويم مستوى الطالب المعرفي ترشيحه للإقراء في المجلس أو الحلقة، حيث يقوم بعض الشيوخ بإنابة من وثق به في علمه للتدريس في حلقته العلمية.

وهذا الأمر إن دل على شيء فإنما يدل على ثقة الأستاذ بتلميذه وهو أيضا شهادة واعتراف منه على أن التلميذ قد وصل مرحلة عالية من التحصيل يؤهله لأن يتبوأ مكانه للتدريس في مجلسه.

ومن صورة هذا الأسلوب أيضا أن يوصي الشيخ أو الأستاذ أحد طلابه النجباء أن يستمر في إلقاء الدروس في مجلسه عند غيابه، أو إذا توفي لإحياء مجلسه حتى لا يتشتت طلاب المجلس.

وهكذا يستمر الطالب النائب عن الشيخ أو الأستاذ يلقي الدروس في مجلس شيخه الراحل، وهو في نفس الوقت قد يتردد إلى مجالس أخرى للاستزادة، إلى أن يصل مرحلة معينة تجعله في مصاف العلماء الذين يرجع إليهم في المشكلات، ويستفتون في الأمور الجسام.

ومن الذين نابوا عن أساتذتهم بعد وفاتهم الشيخ محمد بغيغ حيث ناب عن شيخه أحمد بن أحمد اقيت بعد وفاته. [120] وناب السيد منصور الفزاني عن شيخه أبي القاسم التواتي في حلقته بعد وفاته. ولما توفي هو أيضا ناب عنه تلميذه إبراهيم الزلفى في حلقته [121].

وهذا النوع من التقويم كان موجودا في المنطقة حتى في عهد قريب، إذ يفوض بعض الأساتذة أو الشيوخ أمر مجلسهم عند غيابهم لأحد طلابهم ليواصل في إحيائه أثناء غيابه إلى أن يرجع. أو يوصي بعض طلابه أن يواصلوا في إحياء مجلسه بعد وفاته.

ولا شك أن ثقة الشيخ بتلميذه إلى درجة يجعله ينوب عنه في مجلسه عند غيابه، يدل على أن الشيخ اطمأن إلى مستوى تلميذه العلمي والمعرفي، وأنه يمكنه أن يؤسس حلقة

---

119 – يراجع : السعدي ص : 46 / حركة التجارة والإسلام ص : 623.

120 – يراجع : السعدي ص : 43.

121 – يراجع : نفس المصدر ص : 58.

أو مجلسا أخر لنفسه يلقي فيه ما أتقنه من العلوم. وأعتقد أن هذا النوع من التقويم من أهم أساليب التقويم، وهو غالبا ما يكون قبل الإجازة والله أعلم.

ثالثا: الامتحان أو الاختبار:

من أساليب التقويم في السودان الغربي، الاختبار أو الامتحان.

ليس للمجالس العلمية امتحانات دورية أو شهرية أو سنوية كما هو الحال في العصر الحديث لتقويم مستوى الطالب، ينتقل بواسطتها إلى سنة دراسية أعلى.

ولم تكن هناك أيضاً مدة زمنية معينة ينبغي للطالب أن يكمل دراسته فيها ليقوم مستواه العلمي. وإنما يتم تقويم مستوى الطالب بواسطة اختباره فيما درسه، وهو امتحان مستمر في كل الأوقات، حيث كلما أتقن فنا أو درسا لا ينتقل إلى آخر إلا بعدما يمتحنه فيه.

وهذا الامتحان قد يكون: حل إشكال فقهي أو لغز أو غيرهما.

وفي هذا يقول الحاج محمد أحمد الأدرعي: «... وربما امتحن (الشيخ) بعض التلاميذ في مضمون الدرس فيما بين انتهاء درس اليوم وابتداء درس غده ليلا أو نهارا.

وربما عقد مجلسا للتلاميذ يتساءلون فيه من جزئيات ذلك الدرس أو عقدوه بأنفسهم، يحضر المدرس ذلك المجلس تارة ويغيب عنه في بعض الأحيان ولكن الأكثر أن يكون بحضرتهم واحد ممن كان أعلم منهم ليعرف المصيب من المخطئ وهكذا حالهم حتى يتم الكتاب...»[122].

فإذا خرج الطالب من هذا الامتحان سالما بدون ارتباك أو خطإ عد متقنا لما درسه فيجيزه الشيخ وهكذا.

وخلاصة القول: إن من أهم أساليب التقويم في السودان الغربي، اختبار الطالب فيما درسه وإجازته، وترشيحه للإقراء في مجلس شيخه أو مجلس آخر.

122 - يراجع : اللؤلؤ المنسوق في كيفية تعاليم أهل السوق لمحمد الحاج بن محمد أحمد السوقي الحسني الأدرعي، مخطوط بالمركز الإفريقي لإحياء التراث تحت رقم 987 ص : 12-13.

المبحث الثالث: آثار الحركة الفقهية وتقييمها

بعد ما رأينا فيما مضى نشأة الفقه الإسلامي في المنطقة وازدهاره، والميادين التي ازدهر فيها، والمراكز التي انتعشت فيها الحركة الفقهية، وأهم الكتب المتداولة، وطرق تدريسه وأساليب التقويم. سنحاول أن نبين في هذا المبحث أهم ما خلفته الحركة الفقهية في المنطقة من آثار ثم نقوم بتقييمها.

المطلب الأول: آثار الحركة الفقهية

خلفت الحركة الفقهية في السودان الغربي عدة آثار فقهية من كتاب ونوازل ورسائل فقهية ووثائق وغيرها. كانت لها أثر طيب في تكوين الأجيال في المنطقة فقهياً وعلمياً.

أولا: في مجال التأليف

تركت الحركة الفقهية عدة آثار فقهية من مؤلف مستقل وشروح وحواشي ورسائل فقهية وتقريرات أو تعليقات، ومن هذه الآثار مؤلفات أسرة أحمد بابا وأسرة بغيغ وأسرة السيوطي وكورد الفلاني والمجتهد وزنكنو ومغيا وأندغمحمد، وكعت والسعدي ومؤلفات الكنتيين والماسنيين...

ونذكر من هذه المؤلفات ما يلي:

1. الخطبة العلية في فضائل شهور البركة الحرمية لعبد الرحمن السيوطي بن محمد بغيغ مخطوط بمركز أحمد بابا تحت رقم 4431.
2. تحفة الزائر في حل ألفاظ ابن عاشر لمحمد المعروف بآي بن محمد أكنن بن البشير المسوفي ، مخطوط بمركز أحمد بابا تحت رقم 3249.
3. كتاب الفتوح القدسانية بالأجوبة الفلانية للشيخ سيد محمد بن أحمد الوافي ، مخطوط بمركز أحمد بابا تحت رقم 3276.
4. مكتوب للشيخ باي في الطهارة وما يتعلق بها مخطوط بمركز أحمد بابا رقمه 3385.

5. مكتوب في الفرق بين شهادة المضارع والماضي في البيع والطلاق للشيخ سيد المختار بن سيدي محمد الكنتي مخطوط بمركز أحمد بابا تحت رقم 4253 .

6. معاونة الإخوان في معاشرة النسوان للشيخ محمد بن محمد المعروف بتقر الفلاني مخطوط بمركز أحمد بابا تحت رقم 3933.

7. فتح الرب اللطيف في تخريج ما في المختصر من الضعيف للقاضي طالبن بن الوافي الأرواني مخطوط بمركز أحمد بابا تحت رقم 2110.

8. سراج العوام في علم الفرائض لرسالة ابن أبي زيد القيرواني لأحمد عثمان بن أحمد الماسني مخطوط بمركز أحمد بابا تحت رقم 5392.

9. الفتح الرباني في أمثلة فرائض القيرواني للقاضي محمد المولود بن عثمان الجناوي مخطوط بمركز أحمد بابا تحت رقم 5282.

10. مكتوب لحماد بن إبراهيم الأنصاري السوقي في إحياء ليلة المولد النبوي والتعريف بالسنة والبدعة مخطوط بمركز أحمد بابا تحت رقم 5433 .

11. منن الرب الجليل ببيان مبهمات خليل لأحمد بابا مخطوط بمركز أحمد بابا تحت رقم 5661، وهناك نسخ أخرى في المغرب.

12. إيضاح السبيل على توضيح ألفاظ خليل للإمام محمود السوداني مخطوط بمركز أحمد بابا تحت رقم 629.

13. رسالة فقهية إلى سيد عابد الأنصاري لهمهم بن محمد الصالح البشير مخطوط بمركز أحمد بابا تحت رقم 4996.

14. نبراس الهداية في دين الحنفية لأبي بكر بن المختار الزنجوي الكابري مخطوط بمركز أحمد بابا تحت رقم 5730.

15. تنوير المقالة على كلام صاحب الرسالة للشيخ محمد الأمين بن عبد الوهاب مخطوط بمركز احمد بابا تحت رقم 5717.

16. البرد الموشى في قطع المطامع والرشى لسيد المختار الكنتي مخطوط بمركز أحمد بابا تحت رقم 5726.

17. هداية الطلاب للشيخ سيد المختار الكنتي مخطوط بالخزانة العامة بالمغرب.

18. فتح الوهاب على شرح هدية الطلاب للشيخ سيد المختار الكنتي ورد في فتح الشكور ص 152.

19. إرشاد الواقف لمعنى وخصصت نية الحالف لأحمد بابا مخطوط موجود بالخزانة الملكية رقم 9615 .

20. أسئلة في المشكلات لأحمد بابا مخطوط موجود بالخزانة العامة رقم 470 ك، وهي النسخة الوحيدة المعروفة حتى الآن.

21. أنفس الأعلاق في فتح الاستغلاق من كلام خليل في درك الصداق لأحمد بابا مخطوط موجود بالخزانة الحسنية تحت رقم 9615 وفي الخزانة العامة تحت رقم 470 ك.

22. تنبيه الواقف على تحقيق معنى وخصصت نية الحالف لأحمد بابا مخطوط موجود بالخزانة الملكية تحت رقم 9226 .

23. تنوير القلوب بتكفير الأعمال الصالحة للذنوب لأحمد بابا مخطوط موجود بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم 1641د .

24. جلب النعمة ودفع النقمة بمجانبة الولاة الظلمة لأحمد بابا مخطوط موجود بالخزانة العامة تحت رقم 517 د.

25. الزند الورى في مسألة تخيير المشترى لأحمد بابا مخطوط موجود بالخزانة الملكية تحت رقم 9615 .

26. شرح الصدور وتنوير القلب لأحمد بابا مخطوط موجود بالخزانة.

27. غاية الأمل في تفضيل النية على العمل لأحمد بابا مخطوط موجود بخزانة تمكروت تحت رقم 2999 .

28. فتح الرزاق في مسألة الشك في الطلاق لأحمد بابا مخطوط بالخزانة الملكية تحت رقم 9615 .

29. الكشف والبيان لأصناف مجلوب السودان لأحمد بابا مخطوط بالخزانة العامة بالمغرب تحت رقم 100ج.

30. اللمغ في الإشارة لحكم تبغ مخطوط بالخزانة الملكية تحت رقم 100.

31. نيل المرام على التمام ببيان حكم الأقدام على الدعاء بما فيه من إيهام مخطوط بدار الكتب الوطنية بتونس تحت رقم 465.

32. حاشية محمد بن عمر أقيت على المختصر ورقمه في الخزانة الملكية 11574 وهذا الرقم هو الجزء الأول من الحاشية، حيث يبدأ من أول المختصر إلى باب النفقات، ويحتوي الكتاب على 240 ورقة ، والجزء الثاني تحت رقم 11221 في نفس الخزانة ويبدأ من باب البيوع إلى آخر الكتاب لكن آخره مبتور.

33. حاشية محمود بن عمر محمد أقيت ورقمها في الخزانة الملكية 11236. وهو مجلد ضخم آخره مبتور.

34. حاشية أحمد بن عمر على المختصر ، ورقم هذا الكتاب في الخزانة الملكية 4338، ويحتوي هذا الكتاب على 266 ورقة ويبدأ من بداية المختصر إلى النفقات[123].

35. تعليق على المختصر لمحمد بن الأمين ورقمه في مركز أحمد بابا : 624.

36. التلخيص المفيد على رسالة ابن أبي زيد القيرواني لمحمد الأمين بن عبد الوهاب الفلاني ورقمه في مركز أحمد بابا 1119.

37. الفرائض الرائعة والأجوبة الفائقة لباي محمد الصغير رقمه في مركز أحمد بابا 903.

38. مباحث في الحلال المحلل لترك الحرام المحرم لمحمد بن محمد بغيغ ورقمه في مركز أحمد بابا 728.

123 - ومن الغريب أن هذه الكتب الثلاثة - حاشية محمد بن عمر وحاشية محمود بن عمر وحاشية أحمد بن عمر - عبارة عن كتاب واحد، لأنني لما اطلعت على بعض فصول هذه الكتب الثلاثة لم أجد أي فرق بينها ولا أدري أين وجد مفهرس الخزانة الملكية هذه الأسماء الثلاثة مع أن الكتب الثلاثة عبارة عن كتاب واحد له نسخ عديدة. إذا فحاشية محمود الذي تحت رقم 11236 هو نفس الكتاب الذي نسب لأحمد بن عمر تارة ومحمد بن عمر تارة أخرى مع أرقام مختلفة.

39. النمط المسمى الردود على رد كتاب ابن ما ياب المطرود لمحمد المختار بن محمد الكنتي ورقمه في مركز أحمد بابا 590.

40. شرح على المرشد المعين لمحمد اكنن بن محمد ورقمه م أ ت: 1741.

41. التذييل الجليل للمختار الكبير بن أحمد الكنتي رقمه في مركز أحمد بابا 1805.

42. فقه الأعيان في حقائق القرآن والسنة للمختار الكبير رقمه في مركز أحمد بابا 2845و3684.

43. أطيب النزل والقرى للنار المستوفى شروط الجمعة من أهل بير لمحمد الفقيه بن محمد إبراهيم الملقب بحك الكلادي رقمه في المركز 2913.

44. رسالة في الطهارة لمحمد الصغير المعروف بباي رقمه في المركز3385.

45. موالاة أولياء الله ومعاداة أعداء الله لمحمد الفقيه بن محمد إبراهيم الملقب بحك الكلادي الأنصاري ورقمه في المركز 3391.

46. رسالة في حقوق النساء لمحمد بن المختار بن أحمد الكنتي رقمه في المركز 3989.

47. تحرير الكلام فيما ينقضه القضاة والحكام لسعيد بن بغيغ بن محمد كورد رقمه 745.

- رسالة في شأن الإمامة بتنبكت للمختار بن أحمد الكنتي رقمه في مركز أحمد بابا 1635.
- رسالة في أجرة الأطباء للمختار بن أحمد الكنتي رقمه في مركز أحمد بابا 3087.

ثانيا: في مجال النوازل أو الفتاوى

أما النوازل أو الفتاوى فقد خلقت الحركة الفقهية عدة نوازل فقهية كانت عمدة فقهاء المنطقة حتى في وقت قريب، وإن شئنا قلنا حتى الآن. ومن هذه النوازل أو الفتاوى:

فتاوى أسرة أقيت وفتاوى أسرة بغيغ وفتاوى كورد الفلاني وفتاوى أسرة مغيا والمجتهد والسيوطي وزنكنوو السعدي وكعت وأندغمحمد ومحمد بابا بن محمد الأمين والكونتيين والماسنيين وغيرها من الفتاوى.

على أن ما ينبغي الإشارة إليه هنا أن مجموعة من هذه الفتاوى قد ضاعت أو أحرقت أثناء الفتن والاضطرابات التي اجتاحت المنطقة ولم يبق منها إلا نتفاً يسيرة.

وقد حاول أحد العلماء المعاصرين أن يجمع بعض هذه الفتاوى في كتاب ضخم يتكون من أربعة أجزاء سماه نوازل التكرور على غرار المعيار للونشريسي.

ويوجد كثير من هذه الفتاوى في مركز أحمد بابا وبعض المكتبات الخاصة والعامة في المنطقة [124].

ومن هذه الفتاوى الموجودة حالياً ما يلي:

1. مجموع فتاوى لمحمد بن محمد بغيغ بن كورد الفلاني في شأن إرث الإمامة وفي الزواج وغير ذلك. مخطوط بمركز أحمد بابا تحت رقم 4007.
2. عدة فتاوى لمحمد بن محمد بن عمر أقيت، مخطوط بمركز أحمد بابا تحت رقم 3865
3. فتوى في شأن أمة لمحمد بن الطاهر محمد الأنصاري مخطوط بمركز أحمد بابا تحت رقم 4459.
4. فتوى لأحمد بن أحمد بن عمر أقيت في الفرائض مخطوط بمركز أحمد بابا تحت رقم 3925.
5. عدة فتاوى للشيخ باي: مخطوط بمركز أحمد بابا تحت رقم 3922.
6. مجموعة فتاوى للشيخ سيد المختار أحمد الكنتي مخطوط بمركز أحمد بابا تحت رقم 3948.
7. فتوى في المحاربين لمحمد بن محمد بغيغ مخطوط بمركز أحمد بابا تحت رقم 4894.
8. فتوى في البيوع لمحمد بن محمد الفلاني مخطوط بمركز أحمد بابا رقمه 4910.

124 - من أراد معرفة المزيد من التفاصيل يمكنه الرجوع إلى بحثنا في الدبلوم .

9. فتوى للقاضي أحمد بن محمد الأنوكندري فيمن خطب امرأة ودفع الصداق وشاع الخبر ثم افترسه الأسد، مخطوط بمركز أحمد بابا رقمه 4966.

10. الأجوبة المهمة لمن له بامور الدين همة للشيخ سيد المختار الكنتي مخطوط بمركز أحمد بابا تحت رقم 4634.

11. أجوبة للشيخ سيد بن المختار الكنتي على بعض الأسئلة الفقهية مخطوط بمركز أحمد بابا تحت رقم 3159.

12. أجوبة فقهية للشيخ محمد الصغير الملقب بباي مخطوط بمركز أحمد بابا تحت رقم 5205

13. أجوبة في مسائل فقهية وصوفية للشيخ سيد المختار الكنتي مخطوط بمركز أحمد بابا تحت رقم 5668.

14. فتوى في الطلاق للشيخ باي الكنتي مخطوط بمركز أحمد بابا رقمه 4961.

15. فتوى في قراءة الحزب في الصلاة وغيرها للمختار بن أحمد الكنتي مخطوط بمركز أحمد بابا تحت رقم 4992.

16. فتوى في النكاح لمحمدالصغير المعروف بباي مخطوط بمركز احمد بابا تحت رقم 4967

17. فتوى لسيد بن المختار بن الهيب فيمن صلى في ثوب نجس مخطوط بمركز أحمد بابا تحت رقم 5998.

18. ـأجوبة فقهية لسيد عبد الله بن الفق سيد أحمد مخطوط بمركز أحمد بابا تحت رقم 5010.

19. أجوبة للشيخ باي في مسائل مختلفة مخطوط بمركز أحمد بابا تحت رقم 5098.

20. ـفتوى للشيخ أحمد البكاي في حكم بيع الملح بالطعام مخطوط بمركز أحمد بابا تحت رقم 5381.

21. ـ أجوبة لمحمد بن عمر الغدامسي مخطوط بمركز أحمد بابا رقمه 5324

22. جواب عن ثلاثة أسئلة لأحمد بابا مخطوط موجود بالمكتبة الوطنية بالجزائر تحت رقم 532 .

23. جواب عن القوانين العرفية لأحمد بابا مخطوط موجود بالخزانة الملكية تحت رقم 5813

24. اللمع في أجوبة المسائل الأربع لأحمد بابا مخطوط موجود.بمركز احمد بابا تحت رقم 1102.

25. أجوبة في حكم الأموال المأخوذة من المحاربين للمختار بن أحمد الكنتي رقمه في مركز أحمد بابا 1077.

26. أجوبة نوح بن طاهر الفلاني رقمه في مركز أحمد بابا 317.

27. جواب في شأن قراءة بصوت عال قرب المصلين للمختار بن أحمد بن بكر الكنتي رقمه في مركز أحمد بابا 298.

28. رد على فتوى في شأن طلاق امرأة لمحمد المختار بن أحمد الكنتي رقمه في مركز أحمد بابا 1189.

29. فتوى في شأن حيازة الملك لمحمد بن عثمان الكابري رقمه في مركز أحمد بابا 19.

30. فتوى في شأن رجال اختصموا في أمة لمحمد بن المختار بن أحمد الكنتي رقمه 746.

31. فتوى في شأن صلاة الجمعة في سنسندي لمحمد بن المختار بن أحمد الكنتي رقمه في مركز أحمد بابا 1201.

32. فتوى في شأن بعض ما عمت به البلوى في السودان الغربي للمختار بن أحمد الكنتي رقمه في مركز أحمد بابا 933.

33. نازلة في شأن امرأة تزوجت بعد وضعها من حمل فاسد لمحمد بن أحمد بن محمود بغيغ رقمه في مركز أحمد بابا 1209.

34. نوازل محمد الصغير المعروف بباي الكنتي، وهذه النوازل جمعت في عدة أجزاء: وأرقامها في مركز أحمد بابا: مج1رقمه 118،والمجلد الثاني رقمه 119، ومج 3 رقمه 120 ، ومج 4 ورقمه 121، ومج 5 ورقمه 122، ومج 6 ورقم 123، ومج 7 ورقمه 124 ، ومج 8 ورقمه 125 ، ومج 9 ورقمه 126.

35. جواب لأحمد البكاي في أحكام الهدايا للسلاطين ورقمه في مركز أحمد بابا 912.

36. نوازل التكرور، وهي عبارة عن مجلدات وأرقامها في مركز أحمد بابا ما يلي: الجزء الأول والثاني والثالث تحت رقم: 521، والجزء الرابع والخامس تحت رقم 1031.

37. فتوى في شأن زواج البكر للبخاري بن محمد الأمين بن أحمد الكلسوكي رقمه في مركز أحمد بابا 3076.

38. أجوبة على أسئلة فقهية لمحمد بن المختار بن أحمد بن بكر الكنتي رقمه في المركز 3142.

39. فتوى في التخبيب للمختار بن أحمد بن أبي بكر الكنتي رقمه مركز أحمد بابا 3354.

40. فتوى في شان الشك في الصلاة لمحمد الصغير المعروف بباي رقمه في مركز أحمد بابا 3420.

41. فتوى في هبة الطوارق لمحمد الفقيه بن محمد المعروف بحك الكلادي الأنصاري رقمه في مركز احمد بابا 3684.

42. فتوى في البيوع لمحمد بن محمد بن أبي بكر بغيغ بن محمد كورد الفلاني رقمه في مركز أحمد بابا: 3759، 3760.

43. فتوى في النكاح لعثمان بن محمد بن عثمان الكابري مخطوط في مركز أحمد بابا.

44. مجموعة فتاوى لمحمد بن محمود بن عمر أقيت رقمه بمركز أحمد بابا 3865.

45. فتوى في البيوع لحك الكلادي الأنصاري رقمه في م أ ت :3895.

46. فتوى في شأن من خالف القاعدة الشرعية في الفتوى لمحمد بن محمود بن أبي بكر بغيع رقمه في مركز أحمد بابا 3898.

47. فتوى في شأن الرقيق لمحمد الطاهر بن محمد أحمد بن محمد قطب الأنصاري رقمه في مركز أحمد بابا 4459.

48. فتوى في شأن الضمان لطالبن بن سنبير الوافي رقمه في م أ ت : 4161.

49. الأجوبة البرهانية على الأسئلة الأروانية لمحمود بن محمد الصالح الدغوغي رقمه في مركز أحمد بابا 1729.

50. فتوى في الناشزة لمحمد الصغير المعروف بباي رقمه في م أ ت :1873.

51. فتوى في حكم وصية الميت لمحمد بت المختار بن أحمد الكنتي رقمه في مركز أحمد بابا 2052.

52. جواب في الفقه لطالبن بن الوافي رقمه في م أ ت : 2502.

المطلب الثاني: تقييم آثار الحركة الفقهية

بعد ما رأينا مخلفات الحركة الفقهية من كتب وشروح وحواشي وتقريرات ونوازل ورسائل ووثائق فقهية ، سنحاول في هذا المطلب أن نقوم هذه الآثار ونبين بعض محاسنها ومساوئها أو إيجابياتها وسلبياتها.

أولا: على مستوى الكم

إذا نظرنا إلى المؤلفات التي خلفتها الحركة الفقهية – التي تبلغ المئات – يتجلى لنا أن علماء السودان قد أسهموا بشكل فعال في إثراء الفقه الإسلامي في المنطقة حيث ألفوا عدة مؤلفات في مجال الفقه كانت معتمدة لدى طلاب العلم وأهله في المنطقة: كما شرحوا عدة كتب فقهية، لكن شرحهم تركز أساساً على مختصر خليل الذي كان عمدة المفتين والقضاة في الفتوى والقضاء في ذلك العصر.

كما وضعوا عليه عدة حواشي، ومن أهم هذه الحواشي التي حظيت باهتمام علماء المغاربة والسودان حاشية أحمد باب المسمى بمنن الرب الجليل. حيث كانت هذه الحاشية من الحواشي المعتمدة في المذهب المالكي في القرون المتأخرة[125] .

وإلى جانب هذه الشروح والحواشي وضعوا عليه عدة تقريرات أو تقييدات بينوا فيها الهفوات التي وقع فيها بعض شراح مختصر خليل، وتعد هذه التقريرات بالعشرات وإن لم نقل بالمئات.

أما من حيث الفتاوى والنوازل فإن الحركة الفقهية خلفت مئات من الفتاوى التي لا زال بعضها موجودا إلى الآن[126].

أما من حيث الوثائق الفقهية فإن الحركة الفقهية تركت عدة وثائق تبين المعاملات والقضايا التي كانت تجري بين الناس من تجارة وشراء وبيوع ونكاح وعتق.... ما بين القرنين الثامن والثالث عشر الهجريين.

وقد أدي هذا الإنتاج دوره الكامل في وقته حيث سد فراغاً كبيراً كان موجوداً في ذلك الوقت. ويكفي لهذا الإنتاج فخراً أنه استطاع أن يحل المشاكل والظروف التي كانت قائمة آنذاك..

كما أنه كان مرجعاً لمختلف طبقات علماء السودان في عدة قرون، كما حفظ لنا كثيراً من القضايا التي كانت تجري في المنطقة، ويعتبر هذا الإنتاج من أهم مظاهر الثقافة العربية الإسلامية في السودان الغربي.

ثانيا– على مستوى الكيف (الجدة والابتكار)

ذكرنا في المطلب السابق أن الحركة الفقهية تركت آثاراً كثيرة تعد بالمئات من حيث الكم، لكن من حيث الجدة والابتكار فإننا نرى أن الحركة الفقهية لم تضف شيئاً جديداً على الفقه الإسلامي العام.

---

125 – يراجع : المنهل العذب.السلسبيل في حل ألفاظ خليل : الملك مولاي عبد الحفيظ ص : 64-65 طبعة 1326 مطبعة أحمد يمني – فاس

126 – أغلب المخطوطات الموجودة في مركز أحمد بابا عبارة عن فتاوى حول القضايا التي كانت تدور بين الناس خلال القرن العاشر والحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر الهجرية.

وهذا الأمر يرجع إلى الوضع السائد في ذلك الوقت، حيث أن العلماء منذ القرن الخامس الهجري لم يضيفوا شيئاً جديداً على الفقه الإسلامي وإنما يكررون ما قاله الأوائل بطريقة أخرى، ولهذا لا يمكن أن نعتبر عدم إضافة شيء جديد على الفقه الإسلامي أمراً خاصاً بعلماء السودان الغربي.

وما يمكن قوله أن الحركة الفقهية في السودان الغربي وإن لم تضف شيئاً جديداً على صرح الفقه الإسلامي من حيث الابتكار والإبداع، فإنه يكفيها فخراً أنها حاولت تبسيط الفقه الإسلامي لطلاب العلم وحل القضايا المطروحة في المنطقة آنذاك في مجال الأحوال الشخصية وغيرها.

وهكذا نرى أن إنتاج الحركة الفقهية في المنطقة استطاع أن يسد فراغاً كبيراً يحل مشاكل بطريقة شرعية وأن ينير الطريق لأجيال متعددة التي لا زالت تنهل من معينه الصافي الذي لا ينضب.

كما أن علماء السودان الغربي قدموا خدمة جليلة للثقافة العربية الإسلامية قلما نجد من قام بها في إفريقيا السوداء.

فقد كان هؤلاء العلماء مرجعاً للذين جاءوا بعدهم، ولسنا نبالغ إذا قلنا أن كل من خدم الثقافة العربية الإسلامية في السودان الغربي، فإن الفضل يرجع إلى هؤلاء العلماء الذين يعتبرون الرعيل الأول من علماء هذه المنطقة التي تعد أول معقل آوى الثقافة العربية الإسلامية، ومنها انطلقت شرارة هذه الثقافة إلى المناطق المجاورة.

وصفوة القول إن آثار الحركة الفقهية وإن لم تضف شيئاً جديداً، على صرح الفقه الإسلامي، فإنها ساهمت في إرساء قواعد الفقه الإسلامي في المنطقة وإنشاء مراكز علمية كانت بمثابة شمس يسطع نورها على كافة أرجاء غرب إفريقيا وذاعت شهرتها في الآفاق، وإنشاء جيل من العلماء وطلبة العلم خدموا الثقافة العربية الإسلامية بشكل كبير وفعال أدى إلى انتشارها في كثير من المناطق في السودان الغربي.

وخلاصة هذا الباب:

إن الحركة الفقهية في السودان الغربي استهلت صارخة على أيدي التجار والدعاة الذين زاروا المنطقة منذ القرون الهجرية الأولى ثم تربت في حجر بعض علماء المغاربة والمشارقة والسودان الذين استوطنوا المنطقة، خلال القرن السادس والسابع والثامن.

ثم ترعرعت وبلغت أشدها في نهاية القرن الثامن وبداية القرن التاسع برعاية العلماء وحكام مالي. ثم نضجت وآتت ثمارا طيبة خلال القرن العاشر بعناية الأسكيين و العلماء. ثم توقف نموها في القرن الحادي عشر فترة من الزمن، ثم انتعشت من جديد طيلة القرن الحادي عشر والثاني عشر، لكن في كل مرة تتعرض للتوقف نتيجة الأزمات السياسية والطبيعية التي اكتسحت المنطقة. وبقيت على هذه الحال إلى أن طمس نورها مع دخول الاستعمار في المنطقة.

على أن الحركة الفقهية ازدهرت في عدة ميادين وبرزت فيها عدة اتجاهات، وظهرت في السودان مراكز علمية لعبت دورا كبيرا في إيواء الحركة الفقهية وعناصرها، لا يقل دورها عن العواصم الإسلامية الأخرى في المغرب والمشرق والأندلس، في النهضة العلمية في العالم الإسلامي.

كما أن الحركة الفقهية في السودان اعتمدت على مصادر متنوعة ووسائل عدة لتقويم مستوى الطلبة، وخلفت آثارا مهمة لا زال جلها أو كلها مخطوطا ينتظر من يقوم بخدمتها.

الباب الثاني:

رجال الحركة الفقهية في السودان الغربي

الفصل الأول:

دور العلماء في الحياة العامة في السودان الغربي

الباب الثاني:

رجال الحركة الفقهية في السودان الغربي

نتناول في هذا الباب مكانة العلماء في المجتمع السوداني، وألقابهم، وإسهامهم في الحياة العامة والخاصة بالسودان الغربي.

كما سنقدم نبذة مختصرة عن أهم العلماء الذين أسهموا في نشأة الحركة الفقهية ونموها وازدهارها في منطقة السودان الغربي، والذين تركوا بصمات واضحة على الحركة الفقهية.

الفصل الأول: دور العلماء في الحياة العامة في السودان الغربي

تمهيد:

حظي العلماء في المجتمع السوداني بمكانة مرموقة، واحترام كبير لدى العامة والخاصة، لأنهم ورثة الأنبياء.

وقد أدت مكانتهم في المجتمع واحترام الناس لهم، إلى إعطائهم ألقابا خاصة تميزهم عن غيرهم.

كما أن هذه المكانة العالية التي أذاعت شهرتهم في سماء العلم، جعلت دورهم لا يقتصر على التدريس فحسب، بل شمل مجالات أخرى، لما يتمتعون به من ثقة واحترام لدى العامة والخاصة.

ومن المجالات التي شارك فيها العلماء للإسهام في الحياة العامة والخاصة في السودان الغربي: القضاء والإمامة والخطابة والسفارة في الأغراض المختلفة والإشراف على مشروعات الدولة وغيرها من الوظائف التي أسندت إليهم لثقة المجتمع بهم.

المبحث الأول: مكانة العلماء في المجتمع وألقابهم

يعتبر العلماء ورثة الأنبياء، لما لهم من رسالة سامية أساسها تبليغ دعوة الأنبياء والرسل إلى مجتمعهم، ولهذا حظوا بمكانة مرموقة واحترام كبير لدى العامة والخاصة. وقد أدى هذا الأمر إلى تلقيبهم بألقاب خاصة تميزهم عن غيرهم.

إذاً فما مكانة العلماء في المجتمع السوداني؟ وما ألقابهم؟

المطلب الأول: مكانة العلماء في المجتمع السوداني

إن الإسلام دين اهتم بالعلم واعترف بمقدرته على تطوير المجتمع الإنساني ونموه وازدهاره، ويؤكد أن المجتمع الذي لا يهتم بالعلم مجتمع متأخر يسير وراء الركب الحضاري.

ولهذا أَولى الإسلام منذ بزوغ نوره اهتمامه البالغ بشأن العلم والعلماء، وأشاد بسمو العلم وجعله عنصرا هاما من عناصر نهضته الفكرية.

وفي القرآن والسنة النبوية آيات وأحاديث تبين مكانة العلم والعلماء، وتحث على طلب العلم.

ومن هذه الآيات التي تشيد بفضل العلم وسمو مكانة العلماء قوله تعالى ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾[1]

وقوله تعالى ﴿هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾[2]

وقوله تعالى ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾[3]

وقوله تعالى ﴿فاسألوا أهل الذكر﴾[4]

وغيرها من الآيات التي أعطت أهمية كبيرة للعلم وأشادت بفضل العلماء، وبينت أنهم مصدر النور ومبعث الهداية في الأرض.

1 سورة المجادلة آية: 11
2 سورة الزمر آية: 9
3 سورة فاطر آية: 28
4 سورة النحل آية: 43

أما السنة فمنها قوله صلى الله عليه وسلم«من سلك طريقا يبتغي فيه علما سهّل الله له طريقا إلى الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر»[5]

وقوله صلى الله عليه «طلب العلم فريضة على كل مسلم»[6]

وقوله صلى الله عليه « لموت قبيلة أيسر من موت عالم »[7]

وغير ذلك من الأحاديث التي أثرت عن الرسول صلى الله عليه وسلم والتي تحث المسلمين على الاجتهاد في طلب العلم في شتى الميادين، وأن لا يدعوا أدنى مكان للجهل في المجتمع؛ لأنه مصدر التأخر والانحطاط.

أما المأثورات الواردة في شأن مكانة العلماء فمنها:

ما روي عن أبي الأسود الدؤلي: «ليس شيء أعز من العلم، الملوك حكام على الناس، والعلماء حكام على الملوك»[8]

وما روي عن أحد العلماء: «ليت شعري أي شيء أدرك من فاته العلم وأي شيء فاته من أدرك العلم»[9]

وغيرهما من المأثورات التي أثرت عن السلف الصالحين التي تشيد بفضل العالم وتجلّ مكانته.

ونظرا لهذه الآيات والأحاديث والمأثورات – وغيرها مما لا يمكن إيراده هنا – التي تعظم من شأن العلماء وترفع من قيمتهم، وجد العلماء مركزا مرموقا في المجتمع السوداني، وحظوا باحترام كبير لدى العامة والخاصة.

---

5 يراجع: سنن الترمذي ج4 ص153، حديث رقم 2823 باب في فضل الفقه على العبادة/ سنن أبي داود ج3 ص317 حديث رقم 3641 باب الحث على طلب العلم/ سنن ابن ماجه ج1 ص81 باب فقد العلماء والحث على طلب العلم، حيث رقم 223.

6 يراجع: جامع بيان العلم وفضله، ابن عبد البر ج1 ص7 طبعة دار الكتب العلمية بيروت.

7 يراجع: جامع بيان العلم وفضله ج1 ص37 وأصل الحديث عن أبي الدرداء/ كتاب المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء بذيل إحياء علوم الدين للعلامة زين الدين العراقي ج1 ص16.

8 يراجع إحياء علوم الدين للغزالي ج1 ص18.

9 يراجع نفسه ص18.

فعندما يتحدث محمود كعت وأحمد بابا وعبد الرحمن السعدي عن العلماء في منطقة السودان الغربي، فإنه يخيل إلى القارئ أن سلطة العلماء أعظم من سلطة الحكام لما يتمتعون به من امتيازات وتقدير واحترام إلى حد التقديس.

وهذا الاحترام والتقدير اللذان حظي بهما علماء السودان جاءا نتيجة لسلوكهم الحسن واستقامتهم؛ ولهذا يستشارون ويستفتون في الأمور الجسام من قبل الملوك والحكام وعامة الشعب.

وهؤلاء ملوك الماليين لشدة احترامهم للعلماء، يتواضعون لهم ولا يسمحون لأحد لبس الطيلسان في غير أيام العيد إلا العلماء[10].

وهذا أسكيا الحاج محمد الكبير لما وصل إلى الحكم سنّ قانونا يسقط عن العلماء بموجبه وظائف الدولة وغراماتها، ولا يطالب أحد منهم بشيء من ذلك، ومنع عنهم ظلم الحكام، وإذا دخل عليه العلماء قام لهم إجلالا وتقديرا وأجلسهم على سريره...[11]

وسار على هذا النهج جميع أو أغلب خلفائه في المنطقة حتى أصبح سنة متبعة، وعلاوة على هذا فإن شفاعتهم تقبل في جميع الأحوال لدى السلاطين ومن دونهم، ويأمن كل من احتمى بدار أحد العلماء من عقاب السلاطين أو الحاكم[12].

وقد وصل احترام المجتمع للعلماء حد المبالغة، حيث اعتقد فيهم الولاية ونسبوا لهم كرامات ترفعهم إلى مصاف الأولياء أو الأنبياء ويقيمون الأضرحة لمن مات منهم ويزورونها[13].

فالعلماء في السودان الغربي، وفي تنبكت خاصة يشكلون النخبة التي لا راد لقضائها ولا معقب لحكمها، بيدهم الحل والربط، فهم قلب المجتمع النابض ومحركه وأمرهم نافذ في جميع الظروف[14].

وما ثورة أهل تنبكت ضد الباشاوات لما أهانوا العلماء إلا تأكيدا لهذا الأمر.

---

10 يراجع: رحلة ابن بطوطة ص: 668.

11 يراجع: تاريخ الفتاش ص: 73.

12 يراجع: رحلة ابن بطوطة ص: 671/ تاريخ الفتاش ص: 178/ السعدي ص: 83، 130/ تذكرة النسيان ص: 138.

13 يراجع: السعدي ص: 50 وما بعدها/ بداية الحكم المغربي في السودان الغربي ص: 514/ دولة المرابطين: حسن أحمد محمود ص:

14 يراجع: السعدي ص: 59/ تذكرة النسيان ص: 113–112.

وهذا محمود كعت يصور لنا تنبكت لما أجلي عنها العلماء بأسلوب مؤثر يشبّه المدينة فيه بإنسان توقفت نبضات قلبه، فأدى ذلك إلى الجمود والشلل تشخيصا لمكانة العلماء في المجتمع فقال:

«لما أجلاهم القوم وارتحلوا صارت تنبكت جسما بلا روح وانعكست أمورها وتغيرت حالها وتبدلت عوائدها ورجع أسفلها أعلاها وساد أرذالها على عظمائها وباعوا الدين بالدنيا واشتروا الضلالة بالهدى وعطلت الأحكام الشرعية وأميتت السنة وأحييت البدع...»[15].

هكذا يصوّر لنا كعت مدينة تنبكت بعد نكبة العلماء فيها وتشريدهم، فجعلها مدينة جامدة دون حركة، الأمر الذي يؤكد أهميتهم في المجتمع، كما يصور لنا هذا النص دور العلماء في الحياة الدينية والحفاظ على طهارة المجتمع من الآفات المختلفة.

وإذا كانت مكانة العلماء في المجتمع بهذه الأهمية، فلا عجب أن يصور لنا كعت تنبكت بهذا التصوير الدقيق الذي يجعل غياب العلماء عن المدينة أمرا يقلب حال المدينة رأسا على عقب[16].

وهذا آكل حاكم تنبكت من الطوراق، لما سمع بمجيء سني علي بير للهجوم على تنبكت، أحضر ألف جمّال ورحّل فقهاء سنكري ومشى بهم إلى بير فقال: «إن شأنهم (– أي العلماء) هو الأهم عليه[17]»[18]

ومما يؤكد ويجسد مكانة العلماء في السودان الغربي، أنه حتى ألدّ أعدائهم سني علي بير الذي شبه بالحجاج بن يوسف الثقفي، يقر بفضل العلماء ويفعل الخير لبعضهم ويقول: «لولا العلماء لا تحلو الدنيا ولا تطيب»[19] وكأنه بهذا يصرح ببعض الحقيقة ويكتم بعضها الآخر.

وهذا أسكيا داود أيضا الذي عرف باحترام العلماء والتواضع لهم يقول: «لولا العلماء لكنا من الهالكين..»[20]

ومما يدل على مكانة العلماء أيضا مجاهرتهم بالحق تجاه السلاطين دون خوف.

15 يراجع: تاريخ الفتاش ص: 175.
16 للتأكد من أهمية العلماء في المجتمع السوداني راجع تاريخ الفتاش ص: 124.
17 لعل الصواب هو الأهم بالنسبة له.
18 يراجع: السعدي ص: 65.
19 نفس المصدر ص: 67.
20 يراجع: تاريخ الفتاش ص: 113.

وفي هذا الصدد نجد الفقيه محمود بغيغ يجهر بالحق أمام أسكيا إسحاق دون خوف فيقول له «... ما عرفنا هنا أظلم منك أنت أبو كل ظالم وسببه ولا يغصب غاصب هنا مغصوبا إلا لك وبأمرك وبقوتك، إن كنت تقتل الظالم فابدأ بنفسك وبادر به، وهذا المال الذي يجلبه إليك من هنا وتترى إليك، ألك هنا عبيد يحرثون لك؟! أو مال يتجر به لك؟!.

فلما سمع بذلك تحير وتدهش وتنفس الصعداء وبكى وندم على قوله حتى رحمه الناس، وحتى عبس وجه قومه على محمود بغيغ وقال أرذالهم الجهلة والسفلة: أنت القائل للسلطان هذا القول؟! وكادوا أن يسطوا إليه، فردهم عن ذلك وانتهرهم، فما صدر منه إلا الإذعان والخشوع والحشمة، بل قال: صدقت والله، وأنا تائب لله وأستغفره، ثم نهض إلى منزله باكيا والدموع تقطر وتسيل من عينيه...»[21].

وهذا الفقيه القاضي محمود بن عمر أقيت يقول عنه أحمد بابا في ترجمته: «... لا يخاف في الله لومة لائم، هابه الخلق كلهم السلطان فمن دونهم، فصاروا تحت أمره، يزورونه في داره متبركين به فلا يقوم لهم ولا يلتفت إليهم ويهادونه بالهدايا والتحف تترى...»[22].

ولا شك أن هذه النصوص التي ذكرنا وغيرها مما لم نتمكن من سردها تؤكد أنه كانت للعلماء مكانة ومركز مرموقا في المجتمع السوداني وأن سلطتهم كانت تضاهي سلطة الحكام والسلاطين أو تفوقها.

وحتى في عصر الباشاوات أو الرماة الذي اضطربت فيه الحياة السياسية لكثرة الحروب والغارات والنهب والسلب التي تحدث فيما بينهم فإن مكانة العلماء لم تمس بأي أذى بصفة عامة، حيث وجدوا احتراما كبيرا منهم، وكانوا يستفتون ويستشارون في الأمور العامة والخاصة[23].

أما في عهد الماسنيين الذي يضاهي عهد المرابطين والموحدين بالمغرب فقد زادت مكانة العلماء، إذ أصبحت سياسة الدولة في أيديهم وأصبحوا جزءا أساسيا من رجال الدولة.

فأمير ماسنة هو نفسه عالم ويلقب بأمير المؤمنين، واشترط على كل من ينخرط في السلك الدبلوماسي للدولة أن يكون عالما[24].

21 يراجع: نفس المصدر ص: 89.
22 يراجع: نيل الابتهاج ص: 608-607/ السعدي ص: 38.
23 يراجع: تاريخ الفتاش ص: 178/ تذكرة النسيان ص: 22، 113-112، 138.
24 يراجع: مملكة فلانية في القرن التاسع عشر: بنت سننكوا ص:54.

فما من أمر يحدث في الدولة إلا وكانت للعلماء كلمتهم فيه.

وهكذا يظهر أن فئة العلماء في المجتمع السوداني تمثل القلب النابض للمجتمع، الذي إذا توقف شلت الحركة، ولذا فإنهم يستحقون كل تقدير وإجلال، وصدق شوقي الشاعر العربي المشهور الذي كاد يقول إن العلماء خير من تسعى به قدم حين قال:

قم للمعلم وفّه التبجيلا كاد المعلم أن يكون رسولا

أعلمتَ أعظم أو أجل من الذي يبني ويُنشئ أنفسا وعقلا؟[25]

لأن العلماء بمثابة إكسير الحياة، فإذا صلحوا صلح المجتمع. وجاء في الحديث «صنفان من أمتي إذا صلحا صلح الناس، وإذا فسدوا فسد الناس: العلماء والأمراء»[25]

ولله در من قال مبينا مكانة العلماء في المجتمع:

يا أيها العلماء يا ملح البلد ما يصلح الملحَ إذا الملحُ فسد[26]

ونظرا لهذه الامتيازات التي يحظى بها العلماء في المجتمع السوداني – بل في العالم الإسلامي بأسره – فإنه ليس من العجب أن نرى جميع فئات المجتمع يخضعون لهم، وإذا وقعت حادثة بينهم وبين أحد فإن ضمير هذا الأخير لا يطمئن حتى يستشفع عندهم ويطلب الصلح خوفا مما قد يلحقه من سوء العاقبة واللعنة[27].

ومن تصفح تاريخ الفتاش ونيل الابتهاج وتاريخ السودان وتذكرة النسيان وقف على كثير من أمثال هذه الحوادث، التي تنتهي في أغلبها أو كلها لصالح العلماء.

وخلاصة القول إن العلماء حظوا بمكانة رفيعة وإجلال كبير في مجتمع السودان الغربي والذي وصل أحيانا حدّ التقديس؛ ولذا سلطتهم تضارع سلطة الحكام أو تفوقها، وكلمتهم مسموعة لدى العامة والخاصة، فإذا صدر منهم شيئا يتمثل به الخاصة والعامة، كما أن هذه المكانة جعلت الناس يثقون بهم ويسندون إليهم عدة مهمات، ويلقبون بألقاب تميزهم عن غيرهم.

---

25 أخرجه ابن عبد البر وأبو نعيم من حديث ابن عباس بسند ضعيف. يراجع كتاب المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار بذيل إحياء علوم الدين ج1 ض: 17/ جامع بيان العلم وفضله ج1 ص184.
26 يراجع: الرسول والعلم: القرضاوي ص: 74، الطبعة الخامسة 1411/1991 مؤسسة الرسالة بيروت.
27 يراجع: حركة التجارة والإسلام والتعليم الإسلامي في غرب أفريقيا ص: 534-533.

المطلب الثاني: ألقاب العلماء

عرفت الحياة العلمية في السودان معايير دقيقة لبيان درجة العالم ومكانته العلمية، وتمكنه مما يحمل من علم وحجته فيه.

وهذه المعايير الدقيقة التي تبين درجة العالم ومكانته العلمية هي التي تسمى الألقاب العلمية.

وهي مصطلحات علمية متداولة بين العلماء تبين درجة كل واحد منهم ومكانته.

وهذه الألقاب لا تعطى بطريق الامتحان، بل إن شخصية العالم العلمية واشتهاره بين المشتغلين بالبحث والدراسة هي التي تؤهله لحمل هذا اللقب العلمي الذي يناسبه ويدل على قدره[28].

ومن هذه الألقاب العلمية المعروفة في الحياة بالسودان الغربي – خاصة في منطقة المثلث المشهور – وهي لا تختلف عما هو سائد في العالم الإسلامي ما يلي:

أولا: الإمام:

الإمام في اللغة مأخوذ من: أم القوم وأمّ بهم أي تقدمهم.

والإمام هو كل ما ائتم به قوم كانوا على الصراط المستقيم أو كانوا ضالين. قال ابن سيده: «الإمام ما ائتم به من رئيس وغيره». وقال الجوهري: «الإمام الذي يقتدى به وجمعه أئمة...».

والإمام يطلق في اللغة على عدة معان؛ لكن هنا يعني القدوة، ومنه سمي من يتقدم الناس في الصلاة إماما، لأن المؤمنين يتبعونه ويقتدون به[29].

وانطلاقا من هذا المعنى اللغوي للإمامة الذي يعني القدوة، فقد استعملت لفظة «إمام» في الحياة العلمية فصار يطلق على كل عالم برز في علم أو أكثر، وكان قدوة فيما يحمله من علم، بحيث يصبح مرجعا لعلماء عصره، ويرجعون إليه في حل المسائل العويصة[30].

---

28 يراجع: الحياة العلمية في الأندلس في عصر الموحدين: يوسف علي إبراهيم العريني ص: 192–191.
29 يراجع: لسان العرب مج12 ص26–24 حرف الميم فصل الهمزة.
30 يراجع: الحياة العلمية في الأندلس في عصر الموحدين ص: 198.

ويعرفه الونشريسي في المعيار نقلا عن الإمام الغزالي بقوله: «... الإمام هو الذي يقتدى به فمن حصل الاقتداء به في علم فهو إمام في ذلك العلم...»[31].

إذاً فالإمام لا يعني فقط من يؤم الناس في الصلاة بل تعدى معناه ذلك وأصبح لقبا من الألقاب العلمية التي تطلق على جهابذة العلماء الذين يقتدى بهم كالأئمة الأربعة وغيرهم من العلماء الذين تركوا بصمات واضحة في تاريخ الحياة العلمية في الإسلام.

وأطلق هذا اللفظ أيضا على من يلي أمور المسلمين كما في حديث «.. كلكم راع ومسؤول عن رعيته فالإمام راع وهو مسؤول عن رعيته...»[32].

على أن هذا اللقب كما استعمل في مختلف بلدان العالم الإسلامي على مر العصور فقد استعمل أيضا في السودان الغربي ولقب به بعض العلماء الذين يرجع إليهم الفضل في ترسيخ الثقافة العربية الإسلامية في المنطقة وحصل الاقتداء بهم.

ومن العلماء الذين أطلق عليهم هذا اللقب القاضي محمود بن عمر أقيت، الذي يقول بابا في ترجمته:

«... محمود بن عمر.. قاضي تنبكت أبو الثناء وأبو المحاسن، عالم التكرور وصالحها ومدرسها وفقيهها وإمامها بلا مدافع...»[33].

ويقول أحمد بابا أيضا في شيخه محمد بغيغ الذي يعتبره مجدد القرن العاشر في السودان:

وعاشر القرون فيه قد أتى محمد إمامنا وهو الفتى[34]

---

31 يراجع: المعيار المعرب: الونشريسي ج11 ص: 7.

32 حديث متفق عليه: صحيح البخاري ج3 ص: 242 باب العبد راع في مال سيده ولا يعمل إلا بإذنه/ فتح الباري ج5 ص:53/ صحيح مسلم بشرح النووي ج12 ص: 213 باب فضل الأمير العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق، الطبعة الأولى 1349/1930 المطبعة المصرية بالأزهر/ مختصر صحيح مسلم للحافظ المنذري ص: 322–323 حديث رقم 1201.

33 يراجع: نيل الابتهاج ص: 607/ كفاية المحتاج ج2 ص: 245/ السعدي ص: 37.

34 يراجع: روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين: مراكش وفاس: للمقري ص313.

ومن العلماء الذين أطلق عليهم هذا اللقب «شيخ الشيوخ الإمام محمد بن محمد كرى»[35]، والفقيه الإمام المصطفى بن أحمد بن محمود بغيغ[36]، والفقيه الإمام محمد بن محمد بن أحمد الخليل[37]...

على أن ما تجدر الإشارة إليه أن مفهوم هذا المصطلح قد تطور مع مرور الأيام وخاصة ما بين القرن الحادي عشر والثالث عشر الهجريين حيث أصبح يطلق على بعض زعماء الدين الذين تولوا رئاسة دولة قامت على أساس الدين كما حدث في ماسنة وفوتا تورو، حيث أطلق لفظ الإمام على حكام ماسنة، والحاج عمر تال...[38]

ويبدو أن إطلاق هذا اللقب على بعض زعماء الدين أيضا أمر وجيه جدا، لأن هؤلاء الزعماء أصبحوا قدوة للناس في الحياة العامة، وبذلك استحقوا هذا اللقب.

وخلاصة القول: إن هذا اللقب العلمي كما عرف في مختلف بلدان العالم الإسلامي عرف أيضا في السودان الغربي، ولقب به أكبر العلماء الذين تركوا أثرا واضحا على الثقافة العربية الإسلامية في المنطقة.

وبعد القرن الحادي عشر الهجري اتسع مدلول هذه الكلمة في السودان الغربي فأصبحت تطلق على كل زعيم ديني تولى رئاسة دولة أو مملكة قامت على أساس ديني.

ثانيا: الأستاذ:

من الألقاب العلمية التي استعمل في السودان الغربي لبيان درجة بعض العلماء كلمة «أستاذ».

وهذه الكلمة غالبا ما تُطلق ويراد بها، المعلم أو المدرس. فالسعدي – مثلا – استعملها وأراد بها المعلم أو المدرس، وذلك في قوله عن الفقيه: إبراهيم الزلفى: «وهو أستاذ

35 السعدي ص: 322/ السعادة الأبدية في التعريف بعلماء تنبكت ص: 46.
36 يراجع: السعدي ص: 212.
37 يراجع: نفسه ص: 244.
38 يراجع: حركة التجارة والإسلام والتعليم الإسلامي في غرب افريقية: د مهدي رزق الله أحمد ص: 517-518.

والدي» أي مدرس أو معلم والدي[39]. ويقول أحمد بابا عن شيخه محمد بغيغ «... فهو شيخي وأستاذي...»[40].

على أن استعمال هذه الكلمة نادر جدا، ولهذا قل إطلاقها على العلماء.

ثالثا: ألْفا أو الْفَعْ أو الفَقِّي

من الألقاب العلمية التي تطلق على العلماء في السودان الغربي مصطلح (ألفا أو الفع أو الفقي).

وقد اختلفت أراء الباحثين في أصل لفظ (ألفا أو الفع). هناك من يرى أنها اختصار وتحريف للكلمة العربية «الفاهم» أو «الفقيه»، ومنهم من يرى أنها تحريف لكلمة «مؤلف» أي من ألف يؤلف تأليفا.

ومهما تعددت الآراء في أصل هذه الكلمة فإن ما يمكن قوله أن هذه الكلمة من أهم الألقاب العلمية العامة التي تطلق على رجال العلم والأدب والمتعلمين بصفة عامة في غرب افريقية.

أما «الفقي» فهو تحريف أو اختصار لكلمة «الفقيه» بدون خلاف، وهذا المصطلح معروف عند الطوارق، فهم الذين يستعملونه كثيراً.

أما مصطلح «ألفا والفع» فهو معروف عند الفلانيين والصنغاويين خاصة؛ لاستعمالهم له أكثر.

ومن العلماء الذين حملوا هذا اللقب: الفع محمود كعت صاحب تاريخ الفتاش، الإمام الفا بابير، الفع أبكر الفلاني، ألفا عبد الله بن الفقيه أب موي، الفقيه محمود المعروف بالفع سِر...[41]

رابعاً: الحافظ:

هذه الكلمة مشتقة من الحفظ، وهي من ألقاب المحدثين، وتطلق على كبار علماء الحديث.

39 يراجع: السعدي ص: 58/ حركة التجارة والإسلام والتعليم الإسلامي في غرب افريقية ص: 517.
40 يراجع: نيل الابتهاج ص: 602.
41 يراجع: السعدي ص: 241، 295/ السعادة الأبدية في التعريف بعلماء تنبكت ص: 48، 51/ تاريخ الفتاش ص: 48، 54، 108/ حركة التجارة والإسلام والتعليم الإسلامي في غرب افريقية ص: 515.

وقد اختلف العلماء في تحديد عدد الأحاديث الذي يشترط حفظه لعدّ العالم حافظا.

فمنهم من يرى أن من حفظ ما يفوق أربعمائة حديث يستحق هذا اللقب. ومنهم من يشترط لكي يطلق هذا اللقب على العالم فلا بد أن يحفظ عشرة آلاف حديث.

ومن المتأخرين من يرى أن الحافظ هو من وعى مائة ألف حديث متنا وسندا ولو بطرق متعددة[42].

على أن معنى الحافظ الاصطلاحي لا يختلف عن المعنى اللغوي. قال الأزهري: «رجل حافظ وقوم حفاظ وهم الذين رزقوا حفظ ما سمعوا وقلما ينسون شيئا يعونه»[43].

وعرفه آخرون بأنه:

«هو من يرجع إليه في تصحيح الحديث وفي التعديل والتخريج لاطلاعه الواسع على أحوال الرجال ومعرفته للحديث الصحيح والضعيف وما به من إعلال»[44].

وقيل «هو الذي يكون ما يعلمه من الرجال وتراجمهم وأحوالهم وبلدانهم أكثر مما يفوته منها...»[45]

وقيل «هو من اجتمعت فيه صفات المحدث وضم إليها كثرة الحفظ وجمع الطرق...»[46]

وعرفه السيوطي بقوله:

وهو الذي إليه في التصحيح ... يرجع والتعديل والتخريج
أن يحفظ السنة ما صح وما ... يدري الأسانيد وما قد وهما
فيه الرواة زائدا أو مدرجا ... بين مراتب الرجال ميزا
في ثقة والضعف والطباق ... كذا الخطيب حدا للاطلاق
وصرح المزي أن يكون ما ... يفوته أقل مما علما[47]

42 يراجع: المختصر الوجيز في علوم الحديث: د محمد عجاج الدين الخطيب ص: 235/ حركة التجارة والإسلام والتعليم الإسلامي في غرب افريقية ص: 513-512.
43 يراجع: لسان العرب ج7 ص: 441 حرف الطاء فصل الحاء.
44 يراجع: منهج ذي النظر شرح منظومة الأثر للسيوطي: محمد محفوظ بن عبد الله الترمسي ص: 184-183.
45 يراجع: المعيار المعرب والجامع بين المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب: أحمد بن يحيى الونشريسي ج11 ص: 6/ منهج ذوي النظر ص: 184-183.
46 يراجع: المختصر الوجيز في علوم الحديث ص: 235.
47 يراجع: منهج ذي النظر شرح منظومة الأثر للسيوطي: محمد محفوظ بن عبد الله الترمسي ص: 183.

وكما استعمل هذا اللقب في المشرق والمغرب فقد استعمل في السودان الغربي أيضا لكن لم يبين السودانيون المعيار أو عدد الأحاديث التي إذا حفظها العالم عد حافظا.

أو الحد الذي إذا بلغه العالم في معرفة علوم الحديث متنا وسندا عد حافظا.

ومن العلماء الذين لقبوا بلقب الحافظ:

الفقيه المحدث الحافظ أبو العباس أحمد بن الحاج أحمد بن عمر[48] والفقيه أحمد بن سعيد الذي قال عنه أحمد بابا «كان عالما حافظا»[49] والفقيه عبد الله بن عمر الذي وصفه السعدي بأنه كان حافظا[50] والفقيه مخلوف بن علي بن صالح البلبالي الذي وصفه السعدي: بالحافظ الرحلة[51].

خامسا: المحدث:

يطلق هذا اللفظ عند أهل الحديث عادة على العالم المتخصص المتمكن من علوم الحديث.

وكان السلف يطلقونه مرادفا لكلمة الحافظ. وقد اختلف العلماء في حد هذا اللقب:

فقيل هو: «من عرف الأسانيد والعلل وأسماء الرجال وأكثر من حفظ المتون وسماع الكتب الستة والمسانيد والمعاجم والأجزاء الحديثية»[52].

وقال ابن سيد الناس:

«المحدث في عصرنا من اشتغل بالحديث رواية ودراية وجمع بين رواته واطلع على كثير من الرواة والروايات في عصره وتميز في ذلك حتى عرف فيه حظه، واشتهر فيه ضبطه، فإن توسع في ذلك حتى عرف شيوخه وشيوخ شيوخه طبقة بعد طبقة بحيث يكون ما يعرفه من كل طبقة أكثر مما يجهله فهذا هو الحافظ...»[53]

---

48 يراجع: السعدي ص: 55.

49 يراجع: نيل الابتهاج ص: 142.

50 يراجع نفس المصدر ص: 235/ السعدي ص: 38.

51 يراجع: نفسه ص: 608/ السعدي ص: 39.

52 يراجع: منهج ذوي النظر ص: 184/ قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث لمحمد جمال الدين القاسمي ص: 77–76 الطبعة الأولى 1399/1979 دار الكتب العلمية بيروت.

53 يراجع: تدريب الراوي في شرح تقريب النووي: جلال الدين السيوطي ج1 ص: 29–28/ قواعد التحديث ص: 77–76.

وقيل المحدث: «هو من مهر في الحديث رواية ودراية وميز سقيمه من صحيحه وعرف علومه واصطلاحات أهله والمؤتلف والمختلف من رواته وضبط ذلك عن أئمة هذا العلم كما عرف غريب ألفاظ الحديث وغير ذلك، بحيث يصلح لتدريس وإفادة...»[54]

وهناك من اختصر تعريف المحدث فقال: هو من دون الحافظ رتبة[55].

ومهما تعددت هذه التعاريف فإنها تصب في قالب واحد وهو أن المحدث هو من اشتغل بعلوم الحديث وتمكن منها متنا وسندا.

ولبيان مراتب علوم الحديث، الذي ينتج عنه معرفة درجة علماء الحديث، قسم الإمام أبو شامة علوم الحديث إلى ثلاثة أقسام حيث قال: «علوم الحديث الآن ثلاثة: أشرفها حفظ المتون ومعرفة غريبها وفقهها.

والثاني: حفظ أسانيدها ومعرفة رجالها وتمييز صحيحها من سقيمها.

والثالث: جمعه وكتابته وسماعه وتطريقه وطلب العلو فيه»[56].

وعلق ابن حجر على هذا النص بقوله: «من جمع هذه الثلاثة كان فقيها محدثا كاملا، ومن انفرد باثنين منها كان دونه»[57].

إذاً لكي يكون العالم فقيها محدثا فلا بد أن يتمكن من هذه الأقسام الثلاثة وإلا لم يعد فقيها محدثا.

وقد ورد هذا اللقب في تراجم بعض العلماء في السودان الغربي، لكن لم يصرح المترجمون بالمعيار المعتبر لإطلاق هذا اللقب على من ترجموا لهم.

ومن العلماء الذين حظوا بهذا اللقب في السودان الغربي والد أحمد بابا حيث جاء في ترجمته: «... كان رحمه الله علامة فهامة، دراكا محصلا، متقنا محدثا أصوليا...»[58]

---

54 يراجع: المختصر الوجيز في علوم الحديث: د محمد عجاج الدين الخطيب ص: 235.
55 يراجع: منهج ذوي النظر ص: 184.
56 يراجع: قواعد التحديث ص: 77–76.
57 يراجع نفس المرجع ص: 77.
58 يراجع: نيل الابتهاج ص: 141/ كفاية المحتاج ج1 ص137/ السعدي ص: 42/ فتح الشكور ص: 29.

والشيخ أحمد بابا التنبكتي الذي قال عنه التواتي إنه: «عالم الدنيا ومعلمها وحامل لواء الأحاديث ومفهمها، رافع راية مذهب الإمام مالك ومقدمها...»[59].

والفقيه محمد سعيد بن الإمام محمد كداد الذي قال عنه السعدي: «الشيخ الفاضل المحدث الفقيه الإمام...»[60]

والفقيه محمد بن أحمد التازخي، الذي قال عنه أحمد بابا «... كان فقيها عالما علامة محققا فهامة محدثا متفننا...»[61]

والفقيه باب سعيد بن عبد الرحمن الذي وصفه الأرواني بأنه فقيه محدث[62].

وغيرهم من العلماء الذين حملوا هذا اللقب من الذين لا مجال لذكرهم هنا.

وخلاصة القول: إن لقب الحافظ، والمحدث – الذي يعتبر دون الحافظ مرتبة – قد لقب بهما علماء السودان لبيان علو كعبهم في علوم الحديث رواية ودراية، لكن المترجمين لم يبينوا لنا المقاييس التي اعتمدوها لإطلاق هذين اللقبين الرفيعين – في علوم الحديث – عليهم.

سادسا: سيدي:

من الألقاب التي استعملت وشاعت في غرب أفريقيا لقب: «سيدي» أو «سيدنا». وهذا اللقب يطلق على بعض العلماء، لكن الغالب إطلاقه على العلماء الذين بلغوا رتبة معينة في التدين والعلم، والذين لهم نزعة صوفية كأصحاب الكرامات و«الأولياء» والصالحين وغيرهم من العلماء الذين نسب إليهم كرامات كثيرة.

ومن الذين حظوا بهذا اللقب: سيدي يحيى التادلسي، وسيدي محمد البكري، وسيدي عبد الرحمن التميمي، والسيد إبراهيم الزلفي، وسيدي عبد الله البلبالي، وسيدي أبو القاسم التواتي، وسيدي أحمد بابا...[63]

---

59 يراجع: فتح الشكور ص: 33.

60 يراجع: السعدي ص: 243.

61 يراجع: نيل الابتهاج ص: 587/ السعدي ص: 39.

62 يراجع: السعادة الأبدية في التعريف بعلماء تنبكت البهية ص: 50/ ويراجع أيضا: حركة التجارة والإسلام والتعليم الإسلامي في غرب افريقية ص: 512.

63 يراجع: السعدي ص: 63–47/ حركة التجارة والإسلام ص: 516.

ولعل استعمال هذا اللقب في السودان الغربي راجع إلى تأثر السودانيين بالمغاربة، لأن هذا المصطلح يستعمل في المغرب أكثر من غيره.

سابعا: سيسي:

من ألقاب العلماء في غرب أفريقيا وخاصة في المثلث المشهور لقب سيسي (Cissé) وهو ما يوازي لقب "الشيخ العالم" أو "الأستاذ".

فالمتعلمون فقط هم الذين كانوا يستحقون حمل هذا اللقب كامتياز دون غيرهم.

لكن مع مرور الزمن اتسع مفهوم هذا المصطلح رويدا رويدا ليشمل ذويهم تجاوزا، وليصبح – فيما بعد – لقبا للعائلة كلها متعلما وغير متعلم.

وهذا اللقب نجده في جميع القبائل وخاصة في الأسر العلمية.

على أن هذا اللقب وإن فقد مدلوله العلمي كما كان في السابق، إلا أنه في منطقة ماسنة لا زال خاصا بالعلماء والفقهاء[٦٤].

وخلاصة القول إن هذا اللقب من أهم ألقاب العلماء في السودان الغربي، لكنه مع مرور الوقت اتسع مدلوله ليعم العلماء وذويهم ويصبح لقبا للعائلة كلها متعلما أو غير متعلم.

ثامنا: الشيخ:

وردت هذه اللفظة بالإضافة إلى صيغ أخرى كثيرة دخلت في تركيبها باعتبارها أسماء وظائف وأحيانا ألقابا فخرية.

والشيخ في اللغة هو الطاعن في السن، وقد ورد بهذا المعنى في عدة سور في القرآن منها:

قوله تعالى: ﴿وهذا بعلي شيخا﴾[65].

وقوله تعالى: ﴿قالوا يا أيها العزيز إن له أبا شيخا كبيرا﴾[66].

64 يراجع: الثقافة العربية الإسلامية في الغرب الإفريقي: عمر محمد صالح ص: 119–118 الطبعة الأولى 1413/1993 مؤسسة الرسالة.
65 سورة هود آية: 72.
66 سورة يوسف آية : 78.

وقوله تعالى: ﴿وأبونا شيخ كبير﴾[67].

وربما أطلق هذا اللفظ على من يجب توقيره كما يوقر الطاعن في السن ومن ثم أطلق على العلماء.

كما استخدم هذا اللفظ للدلالة على وظيفة دينية تعليمية إذا أطلق على المعلم أو المدرس.

وأحيانا يضاف إلى لفظ الشيخ بعض الألفاظ لتحديد العلم الذي يقوم الشيخ بتدريسه كأن يقال: شيخ القرآن أو شيخ الزاوية...

كما دخل هذا اللفظ أيضا في تكوين بعض الألقاب الفخرية.

وربما تحمل دلالة[68] وظيفية مثل لقب شيخ الإسلام...

وهكذا يظهر أن هذا اللفظ يختلف مفهومه باختلاف سياق وروده، فطالب العلم يطلق على من درسه بأنه شيخه دون اعتبار للعلم الذي درسه عليه.

والشيخ بهذا المفهوم لا يدل على مكانة علمية بقدر ما يدل على أنه لقب لكل من علمك أو درسك[69].

وفي هذا السياق نجد كثيرا من المترجمين السودانيين يطلقون هذا اللقب على من تتلمذوا عليه فيقولون: «شيخنا فلان أو شيخي فلان».

والذي لم يتتلمذوا عليه: «الشيخ فلان».

على أن هذا اللفظ كثيرا ما استعمله المترجمون السودانيون لبيان مكانة المترجم له.

ومن أراد التأكد فليرجع إلى ما كتبه كعت وأحمد بابا والسعدي، وصاحب تذكرة النسيان، ومن الذين لقبوا بهذا اللقب:

القاضي محمود بن عمر حيث قال السعدي فيه: «... شيخ الإسلام أبو البركات

67 سورة القصص آية : 23.
68 يراجع: الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية د حسن الباشا ج2 ص639–627 طبعة 1966 دار النهضة العربية القاهرة.
69 يراجع: الحياة العلمية في الأندلس في عصر الموحدين: د يوسف علي العريني ص: 203.

محمود بن عمر...»[70]، والفقيه محمد بن الفقيه أحمد بغيغ الذي وصف بشيخ الإسلام[71]، والإمام محمد بن محمد كري الذي وصفه السعدي بشيخ الشيوخ[72]، والفقيه محمد بغيغ الذي وصف بشيخ الإسلام ومفيد الأنام[73]، والخطيب محمد سيسي الذي وصفه السعدي بالشيخ المبارك، عمدة المسلمين[74]... وغيرهم من العلماء الذين أطلق عليهم هذا اللقب.

كما استعمل المترجمون السودانيون هذا اللفظ للدلالة على أعلى مرتبة في العلم والدولة، وفي هذا الصدد لقب جميع ملوك الماسنيين بالشيخ نظرا لمكانتهم العلمية والدينية والسياسية[75].

وخلاصة القول: إن المترجمين السودانيين استعملوا هذا اللفظ بمختلف دلالاته، حيث أطلق على العلماء وهو الغالب، كما أطلق أحيانا على من يجب توقيره إما لسنه أو علمه، أو لوظيفته الدينية والتعليمية، أو لمكانته في القبيلة...

تاسعا: الفقيه:

الفقيه من فَقُه أي صار الفقه له سجية. والفقه لغة: هو العلم بالشيء والفهم له، وغلب على علم الدين لسيادته وشرفه وفضله على سائر أنواع العلوم.

وقيل الفقه في الأصل: هو الفهم، يقال أوتي فلان فقها في الدين أي فهما فيه. وقال الأزهري: «وأما فَقُه بضم القاف فإنما يستعمل في النعوت يقال: رجل فقيه: أي عالم... وكل عالم بشيء فهو فقيه...»[76]

أما عند الأصوليين: «فهو العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسبة من أدلتها التفصيلية»[77].

---

70 يراجع: السعدي ص: 33.

71 نفسه ص: 322.

72 نفسه ص: 322.

73 نفسه ص: 212.

74 يراجع: تاريخ الفتاش ص: 16، 24، 33/ السعدي ص: 30، 108 وما بعدها/ حركة التجارة والإسلام ص: 513-514.

75 يراجع: مملكة فلاته بماسينا: همباتي با وداغي ج 1 ص: 49/ مملكة دينا: بنت سننكوا ص: 49.

76 يراجع: لسان العرب ج13 ص: 522-523 حرف الهاء فصل الفاء.

77 الوجيز في أصول الفقه: عبد الكريم زيدان ص8 الطبعة السابعة 1420/2000 مؤسسة الرسالة بيروت - لبنان.

ولقب الفقيه يطلق في الجملة على العالم بالأحكام الشرعية. كما استخدم الفقيه كاسم وظيفة وكلقب فخري في كثير من الكتابات على الآثار العربية الإسلامية[78].

وفي غرب افريقية لم يقتصر المترجمون على إطلاق هذا اللقب على المشتغل بالفقه فحسب، بل أطلقوه أيضا على من اشتغل بالعلوم الإسلامية الأخرى غير الفقه كالنحو واللغة والأدب إجلالا له؛ لأن لقب الفقيه – في السودان الغربي – أجل الألقاب وأرفعها وأكثر تأثيرا ووقعا عند العامة من غيره.

وهذا اللقب يكاد يكون مشتركا بين العلماء السودانيين الذين ترجم لهم أحمد بابا والسعدي وكعت والبرتلي[79].

وخلاصة القول: إن لقب الفقيه من أكثر الألقاب انتشارا في السودان الغربي بين العلماء، وقد توسع المترجمون في مدلوله فلم يعد مقتصرا على المشتغل بالفقه، بل ربما أطلق على كل مثقف بالثقافة العربية الإسلامية بصفة عامة – وخاصة في القرون المتأخرة – إجلالا وتقديرا، وأن أهمية هذا اللقب يرجع إلى الدور الكبير الذي يلعبه الفقهاء والذي يتناسب مع مركز الدين في نفوس المسلمين شعوبا وحكاما.

عاشرا: المتفنن:

من الألقاب التي لقب بها بعض العلماء في السودان الغربي لقب المتفنن.

وجاء في لسان العرب: «رجل متفنن أي ذو فنون»[80].

ويطلق هذا اللقب على العالم المشارك الذي تبحر في عدة علوم أو فنون من العلوم الإسلامية المنتشرة في عصره أوفي بيئته.

ومن العلماء الذين لقبوا بهذا اللقب في السودان الغربي، والد أحمد بابا حيث جاء في ترجمته «... كان رحمه الله علامة فهامة ذكيا دراكا محصلا متفننا، محدثا أصوليا...»[81]

---

78 يراجع: الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية: د حسن باشا ص 807.

79 يراجع: السعدي ص: 30 وما بعدها/ نيل الابتهاج ص: 137، 141، 151، 353، 597، 600، 607/ فتح الشكور ص: 27 وما بعدها/ حركة التجارة والإسلام ص:511.

80 يراجع: لسان العرب ج13 ص: 328 حرف النون فصل الفاء.

81 يراجع: نيل الابتهاج ص141/ السعدي ص42.

والفقيه محمد بن أحمد التازخي الذي جاء في ترجمته «... كان فقيها عالما علامة محققا فهامة محدثا متفننا...»[82]

والفقيه محمد بن محمود بغيغ الذي جاء في ترجمته «... شيخنا وبركتنا الفقيه المتفنن الصالح...»[83]

والفقيه أبو العباس أحمد بن محمد الذي وصفه السعدي بأنه «فقيه لغوي متفنن في علوم الأدب والتفسير والأشعار...»[84]

وخلاصة القول: إن هذا اللقب من الألقاب النادرة التي استعملها المترجمون في السودان الغربي، في وصف من ترجم لهم، وذلك لبيان أن المترجم له عالم مشارك في علوم كثيرة.

حادي عشر: المدرس:

من الألقاب التي تطلق على العلماء في غرب أفريقيا مصطلح «مدرس»، وهو يطلق على كل من يمارس مهنة التدريس بغض النظر عن وظيفته الأخرى التي يمارسها أو ألقابه الأخرى، لأن هناك من العلماء من جمع بين معظم الألقاب العلمية والمهنية مثل القاضي محمود بن عمر بن محمد أقيت الذي جاء في ترجمته:

«... قاضي تنبكت أبو الثناء وأبو المحاسن، عالم التكرور وصالحها ومدرسها وفقيهها وإمامها بلا مدافع...»[85]، والفقيه أحمد بن سعيد الذي وصف بأنه: «كان عالما حافظا مدرسا»[86]. وغيرهما من العلماء.

ثاني عشر: المقرئ:

تعتبر قراءة القرآن من أجل الوظائف الدينية نظرا لتعلقها بكلام الله تعالى. ويطلق على من يقوم بقراءة القرآن وتجويده، وحفظه لفظ القارئ أو المقرئ، وكان القراء يحظون بمكانة رفيعة في المجتمع.

---

82 يراجع نفس المصدر ص: 587/ السعدي ص: 39.
83 نفسه ص: 600/ السعدي ص: 43.
84 يراجع: السعدي ص: 37/ حركة التجارة والإسلام ص: 512.
85 يراجع: نيل الابتهاج ص: 607/ السعدي ص: 40، حركة التجارة والإسلام ص: 511.
86 يراجع: نيل الابتهاج ص: 142.

وقد يطلق هذا اللفظ على قارئ الكتب الدينية على العامة في المؤسسات الدينية كالجوامع والمساجد والمدارس[87].

هذا عن معنى القارئ بصفة عامة، لكن المقرئ عند أهل التخصص هو: من له الإحاطة بعلم قراءة القرآن وتجويده بأن يكون عالما بالقراءات ووجوهها عارفا بقواعدها نظريا وتطبيقا[88].

وقد استعمل المترجمون السودانيون هذا المصطلح في وصف بعض من ترجموا لهم، دون أن يبينوا المعيار الدقيق الذي اعتمدوه لإطلاق هذا اللقب عليهم.

ومن العلماء الذين أطلق عليهم هذا اللقب في السودان الغربي الفقيه إبراهيم الزلفي الذي جاء في ترجمته: «... السيد الفاضل الصالح الخير الزاهد المقرئ عالم التجويد الفقيه إبراهيم الزلفي»[89].

والفقيه أبو العباس أحمد بن اندغمحمد الذي قال السعدي في ترجمته «كان مفتيا في زمنه نحويا لغويا متواضعا شهر في زمنه بعلم القرآن والتوثيق...»[90]، والفقيه المقري عبد الواحد[91].

والفقيه المقرئ سيدي عبد الرحمن بن سيد علي بن عبد الرحمن الأنصاري[92].

وتجدر الإشارة إلى أن الذين اهتموا بقراءة القرآن وعلومه في منطقة السودان الغربي هم الفلانيون، ولهذا فإن منطقة ماسنا – بمالي حاليا – لا زالت زاخرة بالقراء، وإن تراجع الاهتمام بقراءة القرآن بها حاليا لظروف لا مجال لذكرها هنا.

وخلاصة القول: إن لقب المقرئ من الألقاب النادرة التي استخدمها مترجمو السودان في بيان تخصص بعض فقهاء السودان، على الرغم من كثرة القراء في منطقة ماسنا وخاصة في الدولة الأحمدية الإسلامية.

---

87 يراجع: الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية ج2 ص: 833-828.
88 يراجع: الحركة العلمية في الأندلس في عصر الموحدين ص: 193.
89 يراجع: السعدي ص: 58.
90 نفسه ص: 30.
91 يراجع: رحلة ابن بطوطة ص: 664.
92 نفسه ص: 240، 299.

ثالث عشر: مودب (مودبو) Modibo

من الألقاب العلمية التي تطلق على العلماء في السودان الغربي لقب أو مصطلح «مُودبٌ» الذي يرى بعض الباحثين أنه تحريف لمصطلح «مُؤدّب» أي أدّب يؤدب تأديباَ.

وهذا المصطلح يستعمل خاصة عند قبيلة الفلاتة لقبا علميا، فإذا أطلق ينصرف المفهوم مباشرة إلى شخصية علمية. لكن هذا المصطلح مع مرور الأيام فقد مدلوله الحقيقي حيث أصبح يطلق أحيانا على شخص وليس لقبا علميا.

ولعل هذا الأمر يرجع إلى تبرك الناس بهذا اللقب لكي يكون المولود الذي سمي به عالما، وهو أمر قد يحصل وقد لا يكون، ففقد المصطلح مدلوله العلمي. والله أعلم.

وإلى جانب هذا المصطلح مصطلح آخر يستعمل في نفس السياق، وهو مصطلح (مُوبُو) بمعنى أيضاً: العالم.

وهناك من يرى أنه اختصار لمودبو الذي قلنا إنه تحريف لكلمة مُؤَدِّب.

إذاً يستعمل المصطلحان معا في نفس السياق إما أن يقال مودبو أو موبو.

ومن العلماء الذين عرفوا بهذا اللقب:

القاضي مودب محمد الكابري[93]، ومودب كسنب بن علي[94]، ومودب بكر تروري[95]، والفقيه القاضي مودب قاسم جنكاس[96].

وصفوة القول في هذا المبحث:

إن العلماء في منطقة السودان الغربي كانوا في موضع إجلال واحترام من قبل الشعب والحكام، لأنهم كانوا واسطة بين الشعب والسلاطين حتى كأنهم كانوا – وخاصة الفقهاء – ملوكا غير متوجين لقوة سلطتهم في نفوس العامة والخاصة، وللدور الكبير الذي يلعبونه في المجتمع، والذي يتناسب مع مركز الدين في نفوس الشعب

---

93 يراجع: السعدي ص: 47.
94 نفسه ص: 111.
95 نفسه ص: 19.
96 يراجع: تاريخ الفتاش ص: 52.

والحكام، الأمر الذي جعل بعضهم يشتهرون بقول الحق والتمسك به، وعدم خشية الملوك اعتمادا على تعلق الشعب بهم.

وقد أدت هذه المكانة الاجتماعية أيضا إلى ثقة المجتمع بهم، ونسب كرامات وخوارق للعادات إليهم ترفعهم إلى مصاف الأولياء، وتلقيبهم بألقاب تميزهم عن غيرهم، وتبين مكانة كل واحد منهم في العلوم أو العلم الذي يتقنه.

وبعد ما بينا مكانة العلماء في المجتمع وألقابهم فما هي أهم الوظائف التي أسندت إليهم؟ وهذا ما سنرى في المبحث القادم.

المبحث الثاني: دور العلماء في الأعمال الرسمية وشبه الرسمية

تعتبر النخبة المثقفة في المجتمع الإسلامي من أكثر الفئات الشعبية امتيازا ومكانة لدى العامة والخاصة، ولهذا أسند إليها بعض الوظائف المهمة، فشاركت بذلك في تفعيل الحياة العامة في عدة جوانب، وأسهمت في الأعمال الرسمية وشبه الرسمية.

ونقصد بالأعمال الرسمية تلك المناصب التي تسندها الدولة إلى العلماء حسب تخصصاتهم وشخصياتهم وما له علاقة بتلك الأعمال.

ومن هذه المناصب التي أسندت إلى العلماء القضاء، الإمامة، الكتابة، الحسبة، الخطابة...

المطلب الأول: القضاء والإمامة والخطابة ومتولي الشرع

أولاً: القضاء:

يعتبر لفظ القضاء الذي اشتق منه القاضي من الألفاظ التي اختلف العلماء في اشتقاقها اللغوي.

فأبو عبيد يقول إن القضاء: هو إحكام الشيء والفراغ منه. ويستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب﴾[97] أي أخبرناهم بذلك وفرغنا لهم منه، ويأتي أيضا بمعنى العهد والوصية كما في هذه الآية.

وأما أبو جعفر النحاس فيقرر أن القاضي سمي قاضيا لأنه يقال: قضى بين الخصمين، إذا فصل بينهما وفرغ منه.

ومن العلماء من يرى أن القضاء معناه: القطع، يقال قضى الشيء إذا قطعه، ويأتي بمعنى العمل، ومنه قوله تعالى: ﴿فاقض ما أنت قاض﴾[98] وسمي القاضي بذلك لأنه يقطع الخصومة بين الخصمين بالحكم[99].

---

97 سورة الإسراء آية: 4

98 سورة طه آية: 72

99 يراجع لسان العرب ج15 ص 189–186 باب الياء فصل القاف/ صبح الأعشى للقلقشندي ج5 ص 451/ الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية ج2 ص: 834.

ويعد القضاء من أهم المناصب والخطط الإدارية في الدولة الإسلامية التي لها صلة مباشرة برأس الدولة، وذلك للمهام الجسام الملقاة على عاتق القاضي ولخطورته.

ومن هذه المهام الملقاة على عاتق القاضي التي وردت في بعض المصادر والمراجع ما يلي:

1. الفصل في المنازعات وقطع التشاجر.
2. استيفاء الحقوق ممن مطل بها وإيصالها إلى أصحابها بعد ثبوت استحقاقها.
3. الولاية على من كان صغيرا أو مجنونا، والحجر على من يرى الحجر عليه لسفه...
4. الإشراف على الأوقاف والعناية بها وصرف مواردها إلى أصحابها.
5. تنفيذ الوصايا على شروط الموصي فيما لم يخالف الشرع.
6. تزويج الأيامى بالأكفاء إذا عدمن الأولياء وأردن التزويج.
7. إقامة الحدود على مستحقيها.
8. النظر في المصالح العامة والاهتمام بها ومنع كل ما يؤدي إلى الإخلال بها.
9. الإشراف على معاونيه الذين يساعدونه في مهام وظيفته واختيار نوابه عنه في حال اشتغاله أو غيابه والتعويل عليهم.
10. العدل والتسوية في الحكم بين القوي والضعيف وبين الشريف والمشروف، وعدم اتباع الهوى في الحكم[100].

أما خطورة القضاء فإنها تتجلى في بعض النصوص الواردة عن الرسول صلى الله عليه وسلم منها:

100 يراجع: الأحكام السلطانية في الولايات الدينية: لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي ص71–70 الطبعة الثالثة 1973/1393 شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر/ الحياة العلمية في الأندلس في عصر الموحدين ص: 361

– ما روي عن الرسول صلى الله عليه وسلم «يؤتى بالقاضي العدل يوم القيامة فيلقى من شدة الحساب ما يتمنى أنه لم يقض بين اثنين في تمرة قط»[101].

– «القضاة ثلاثة: واحد في الجنة واثنان في النار، فأما الذي في الجنة فرجل عرف الحق فقضى به، ورجل عرف الحق فجار في الحكم فهو في النار، ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار»[102].

– «من جعل قاضيا بين الناس فقد ذبح بغير سكين»[103].

ونظرا لأهمية القضاء في الدولة الإسلامية وخطورته فإن ملوك السودان الغربي، أحاطوا بهذه الوظيفة عناية كبيرة وقاموا باختيار العلماء المناسبين لهذا المنصب، فاختاروا القضاة الملمين بأحكام الشريعة المتضلعين فيها، المعروفين بالتقوى والورع وتحري العدل وغير ذلك من الصفات التي يجب توفرها فيمن يختار لهذا المنصب، كأن يكون ذكرا حرا بالغا عاقلا عدلا، عالما بالأحكام الشرعية ورعا[104].

ونظرا لحرص سلاطين السودان على أن يتولى هذا المنصب من يستحقه فقد كانوا يولون البيض الأجانب هذا المنصب، ولم يعتمدوا فقط على السودانيين.

فهذا منسا سليمان لما وصل إلى الحكم تولى بنفسه تعيين قضاة بلده، ويحضر أحيانا مجلس القضاء ليشاهد كيف يقضي القضاة[105]. وهذا أسكيا الحاج محمد الكبير لما وصل إلى السلطة تولى بنفسه تعيين القضاة في كل بلد يحتاج إليه[106] بمساعدة قاضي القضاة أو قاضي الجماعة بتنبكت، وبعد وفاته اتبع خلفاؤه هذه السنة الحميدة[107].

---

101 مسند الإمام أحمد وبهامشه منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال للمتقي الهندي ج6 ص 75 طبعة المكتب الإسلامي.

102 سنن أبي داود ج3 ص: 299 باب في القاضي يخطئ/ سنن ابن ماجه ج2 ص: 774 حديث رقم 2315 باب الحاكم يجتهد فيصيب.

103 نفسه ج3 ص: 299 كتاب الأقضية باب في طلب القضاء/ سنن الترمذي ج2 ص: 392 حديث رقم 1340 باب ما جاء عن رسول الله r في القاضي./ سنن ابن ماجه ج2 ص: 774 حديث رقم 2308 باب ذكر القضاة.

104 يراجع بداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد ج2 ص674 تحقيق وتعليق ودراسة الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الطبعة الثانية 1420/2000 دار الكتب العلمية بيروت.

105 رحلة ابن بطوطة ص: 664 وما بعدها/ مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ص: 64/ دولة مالي: طرخان ص: 131.

106 يراجع: تاريخ الفتاش ص: 59/ مملكة سنغاي في عهد الأسقيين ص: 73 وما بعدها.

107 يراجع: تاريخ الفتاش ص: 91–89، 113، 125–124/ السعدي ص: 308.

واستمر الأمر على هذا النهج في عصر الباشاوات أو الرماة والماسنيين[108].

على أن خطورة هذا المنصب جعل كثيرا من علماء السودان يرفضون أو يعزفون عن توليته، ويتدافعونه فيما بينهم أحيانا.

فهذا الفقيه العلامة أبو حفص عمر بن الفقيه محمد يسند إليه منصب قاضي القضاة بتنبكت فيرفض ويبقى المنصب شاغرا سنة ونصف سنة، ثم يرسل إليه أسكيا بلهجة إلحاح إن لم يقبله سيسنده إلى جاهل وبالتالي سيتحمل الوزر، ثم قبل المنصب[109].

وهذا محمود بغيغ يسند إليه أسكيا منصب القضاء بجنى فيرفض ولم يتوله إلا بعد إلحاح شديد وضغط كبير[110].

وهذا الفقيه محمد بغيغ يقول عنه بابا: كان متشبثا «بحوائج العامة وأمور القضاة لم يصيبوا عنه بديلا ولا نالوا له مثيلا، طلبه السلطان بتوليه ولاية محلته فأنف منه وامتنع وأعرض عنه واستشفع فخلصه الله تعالى...»[111]

ولا شك أن تحفظ علماء السودان من تولي هذا المنصب يدل على معرفتهم الحقيقية بخطورة هذا المنصب وما يترتب عليه من واجبات[112].

---

108 يراجع: السعدي ص: 309-308/ تذكرة النسيان ص: 179-178.

109 يراجع السعدي ص: 118.

110 يراجع تاريخ الفتاش ص: 90-89.

111 يراجع السعدي ص: 45-44.

112 إذا كان أسلافنا يتحفظون ويتهربون من هذا المنصب ويرفضونه لخطورته، فإن هذا المنصب في عصرنا الحاضر يتكالب عليه الناس ويشترونه بكل ما يملكون، لأنه منصب يدر أرباحا طائلة لأصحابه، ولأنه مجال خصب للارتشاء.

فقضاة زماننا لا يعطون هذا المنصب حقه حيث أصبحوا أشد الناس ارتشاء وجورا فالحق عندهم في الغالب لصاحب المال. وهكذا أصبحوا في منتهى الفساد، حتى إننا لا نبالغ إذا قلنا عنهم ما قال أحدهم:

قضاة زماننا أضحوا لصوصـا
ولو عند البرية صافحونـــا
لطالبوا من خواتمنا الفصوصـا

ونظرا لخطورة هذا المنصب نرى أنه لا ينبغي أن يسند إلى كل من هب ودب، بل لا بد من قيود دينية وأخلاقية صارمة، لمن يتولى هذا المنصب.

فزيادة أجور القضاة – كما يدعو إليه بعض الدول – لا يكفي لمنع القاضي من الفساد، بل لا بد من وجود صفات مميزة في القاضي تمنعه من الانحراف. فالإنسان الفاسد الذي لا يتوفر فيه بعض الأخلاق الدينية، حتى لو أعطيته بليون من الدولار شهريا فلا يكفيه. وصدق ρ «لو كان لابن آدم واديا من الذهب لطلب الثاني ولن يملأ فاه إلا التراب» أو كما قال.

ومن مشاهير القضاة في السودان:

القاضي محمود بن عمر أقيت الذي جاء في ترجمته:

«... قاضي تنبكت.. عالم التكرور وصالحها ومدرسها وفقيهها وإمامها بلا مدافع.. تولى القضاء عام 904 فشدد في الأمور وسدد وتوخى الحق في الأحكام ولذوي الباطل هدد، فظهر عدله بحيث لا يعرف له نظير في وقته...»[113]

والقاضي العاقب بن محمود بن عمر أقيت الذي جاء في ترجمته:

«... كان رحمه الله مسددا في أحكامه صلبا في الحق ثبتا فيه لا تأخذه في الله لومة لائم، قوي القلب مقداما في الأمور العظام التي يتوقف فيها غيره جسورا على السلطان فمن دونه... وكانوا يخضعون له فيطاوعونه في كل ما أراد إذا رأى ما يكره عزل نفسه عن القضاء وسد بابه...»[114]

والفقيه القاضي فودى بن الفقيه محمد ساقو الذي قال عنه السعدي: هو أول قاض ولاه أسكيا قضاء جنى بعد رجوعه من الحج.

والقاضي محمود بن أبي بكر بغيغ الونكري الذي تولى القضاء في عهد أسكيا إسحاق. والقاضي العباس كب. والقاضي أحمد ترف بن القاضي عمر[115].

والقاضي بكر الذي كان من أمراء المنطقة فزهد في السلطة، وتفرغ للدراسة حتى أصبح قاضيا مشهورا، والقاضي أحمد الفلاني، والقاضي مودب موسى داب، والقاضي سنبير، والقاضي سن شرف[116]، وغيرهم من مشاهير قضاة السودان الذين لا يمكن ذكر أسمائهم جميعا في هذا المقام.

وتجدر الإشارة إلى أن قاضي تنبكت يعتبر قاضي القضاة أو قاضي الجماعة في السودان؛ لأنه باستشارته يتم تعيين قضاة المدن الأخرى[117]. على أن القاضي غالبا لا تتوقف مهنته فقط على القضاء، بل قد يكون مستشارا للخليفة

113 يراجع نيل الابتهاج ص: 607.
114 نفسه ص: 354-353.
115 يراجع السعدي ص: 19-16، 71-27.
116 يراجع: السعدي ص: 20-16، 309-308/ السعادة الأبدية ص: 51 وما بعدها.
117 يراجع السعدي ص: 18.

ويشرف على بعض مشاريع الدولة مثل بناء المساجد والمدارس، ويتولى تنصيب قضاة المدن الصغيرة والقرى[118].

وبهذا يمكن القول إن صلاحية القاضي واسعة وعريضة جدا، ولهذا لهم مكانة عظيمة لدى العامة والخاصة..[119] كما لهم مستشارون من كبار علماء البلد، يستعينون بهم، يسمون بشهود القاضي[120].

والحق أن هذا المنصب، وخاصة منصب قاضي القضاة أشبه بمنصب وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية، المعروف حاليا، لأنه هو المكلف بكل ما يتعلق بالأمور الدينية، من بناء المساجد والمدارس والإشراف على الأوقاف..

وخلاصة القول:

يعتبر القضاء من أهم المناصب الإدارية التي أسندت إلى الفقهاء في السودان الغربي، والخليفة هو الذي يقوم باختيار القاضي، ويشترط فيه أن يكون عالما، عادلا، نزيها ورعا..

ويعتبر قاضي تنبكت هو قاضي الجماعة أو قاضي القضاة بتنبكت، وباستشارته يتم تعيين قضاة المدن الأخرى والقرى.

ويهتم القاضي – إلى جانب القضاء – ببناء المساجد وترميمها وبناء المدارس، والتعليم وغيرها من المشاريع التي لها علاقة وطيدة بالدين.

ثانياً: الإمامة:

يعتبر منصب الإمامة من أهم المناصب التي تولاها علماء السودان بعد خطة القضاء.

ومهمة الإمام هي إمامة المصلين في المسجد يوميا، وفي المناسبات الدينية والأسبوعية والسنوية.

118 يراجع تاريخ الفتاش ص: 107–106، 115/ السعدي ص: 111–108/ مملكة سنغاي في عهد الأسقيين ص: 78–76، 141/ حركة التجارة والإسلام ص: 526–521.
119 يراجع تاريخ الفتاش ص: 107–106، 115/ السعدي ص: 111–108/ مملكة سنغاي في عهد الأسقيين ص: 78–73/ حركة التجارة والإسلام ص: 526–521.
120 يراجع: تاريخ الفتاش ص: 110/ السعدي ص: 96.

ويعتبر هذا المنصب مفتاح باب الولوج في سلك القضاء، لأنه لا يسند القضاء إلى أي عالم إلا بعد ما يتولى الإمامة ويقضي فيها عدة سنوات.

ولا يتم إسناد الإمامة إلى أي عالم إلا باتفاق أهل المدينة أو البلدة وبموافقة القاضي، وهذا يعني أن القاضي يقوم بتعيين الإمام بعد إجماع أهل القرية أو المدينة عليه.

ومن مشاهير الأئمة في السودان الغربي:

الفقيه القاضي كاتب الملك منسا موسى الذي مكث في الإمامة أربعين سنة ولم يستتنب ولو مرة واحدة.

والفقيه الإمام سيدي عبد الله البلبالي الذي يعتبر أول البيضان الذين تولوا الإمامة في السودان.

والفقيه الإمام سيدي أبو القاسم التواتي. والفقيه الإمام أندغمحمد. والفقيه الإمام أحمد ترف... وغيرهم من الأئمة الذين تركوا بصمات واضحة على الحياة الدينية والعلمية في السودان الغربي.

وتعد الإمامة من الوظائف التي تكون شبه وراثية في بعض الأسر العلمية المشهورة في السودان الغربي كأسرة أقيت واندغ وكعت وكورد ومغيا...

ولذا نجد أغلب الأئمة في السودان من هذه الأسر العلمية المشهورة بالعلم والصلاح[121].

ومما يجمع بين هؤلاء الأئمة كلهم هو: العلم والصلاح والورع والتقوى، الأمر الذي يؤكد أن هذا المنصب لا يتقلده إلا من يستحقه وحظي بثقة المجتمع[122].

---

121 ومن أراد أن يقف على أسماء بعض العلماء الذين تولوا هذا المنصب في مختلف العصور بالسودان الغربي فليرجع إلى السعدي الذي خصص أبوابا في كتابه تاريخ السودان لأئمة تنبكت وجنى منذ عهد الماليين إلى عهد الباشاوات. وصاحب تذكرة النسيان الذي خصص فصولا للقضاة والأئمة في عهد الباشاوات، وبابير الأرواني الذي خصص فصولا لبعض أئمة وقضاة السودان.

122 يراجع: السعدي ص: 20–18، 63–27، 309–308/ تذكرة النسيان ص: 180–179/ السعادة الأبدية ص: 62 وما بعدها/ حركة التجارة والإسلام ص: 527–526.

ثالثاً: الخطابة:

الخطابة منصب خطير ومرتقى صعب السعود والمنال، لا يصل إليه طالبه، إلا بعد صبر ومعاناة ويحتاج مبتغيه إلى زاد عظيم.

«والخطابة مصدر خَطُب يخطب أي صار خطيبا، وهي على هذا صفة راسخة في نفس المتكلم يقتدر بها على التصرف في فنون القول لمحاولة التأثير في نفوس السامعين وحملهم على ما يراد منهم بترغيبهم وإقناعهم...»[123]

والخطابة لها أهمية كبيرة لأنها «تفض المشاكل وتقطع الخصومات وتهدئ النفوس الثائرة وتثير حماسة ذوي النفوس الفاترة وترفع الحق وتخفض الباطل وتقيم العدل وترد المظالم وهي صوت المظلومين ولسان الهداية»[124].

ويشترط في الخطيب أن يكون خاليا من العيوب الكلامية من فأفأة ونحوها، وأن يكون فصيحا طلق اللسان، وأن يكون مخارج حروفه صحيحة...[125]

ونظرا لمكانة الخطابة أو الخطباء في الوعظ الديني – الذي هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي قامت الدعوة على أسسه، ومن ينبوعه تغذت النفوس البشرية غذاءها الروحي، ومن ضوئه اقتبست نورانيتها – فإن حكام السودان خصصوا هذه الوظيفة للعلماء العاملين الناصحين ليؤدوا دورهم في المجتمع الذي هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من على المنابر كلما أتيحت لهم فرصة في المناسبات الدينية الأسبوعية والسنوية.

ومن أشهر الخطباء في السودان الغربي، الخطيب أحمد ترف، الذي جمع بين الإمامة والقضاء والخطابة في مدينة جنى[126].

والفقيه الخطيب عمر الذي كان خطيب مدينة غاو في عهد سني علي بير[127]. والفقيه الإمام المصطفى بن أحمد الذي كان خطيب تنبكت[128]. والفقيه الخطيب محمد

123 يراجع الخطابة: أصولها، تاريخها في أزهى عصورها عند العرب: الإمام أبو زهرة ص19 طبعة دار الفكر العربي./ لسان العرب مج1 ص 361 حرف الباء فصل الخاء.
124 نفس المرجع ص: 21.
125 نفسه ص: 23.
126 يراجع السعدي ص: 19.
127 نفسه ص73.
128 نفسه ص239.

كب بن جابر كب. والشيخ المبارك عمدة المسلمين الخطيب محمد سيسي[129]. والشيخ سيد المختار الكنتي. والشيخ أحمد البكاي...

ويرى الدكتور مهدي رزق الله أحمد أن الخطيب يطلق أيضا على القاضي أحيانا في السودان الغربي[130]. إلا أننا نرى غير ذلك.

فالخطيب هو الذي يتولى إمامة المسجد الجامع ويصلي بالناس في المناسبات الدينية الأسبوعية والسنوية.

ولعل ما حمل الدكتور مهدي على هذا القول هو أنه لاحظ أن القاضي يطلق عليه الخطيب أحيانا[131].

وهذا لا يعني – في نظرنا – أن القاضي هو الخطيب أو يعني الخطيب، بل غاية ما في الأمر أن القاضي أحيانا قد يعين خطيبا أيضا فيجمع بين القضاء والخطابة.

ومما يؤكد ما ذكرنا أن ابن بطوطة لما زار المنطقة وصف لنا العيد في السودان فقال: «... وحضرت بمالي عيد الأضحى والفطر، فخرج الناس إلى المصلى وهو بمقربة من قصر السلطان وعليهم الثياب البيض الحسان، وركب السلطان وعلى رأسه الطيلسان، والسودان لا يلبسون الطيلسان إلا في العيد، ما عدا القاضي والخطيب والفقهاء فإنهم يلبسون في سائر الأيام، وكانوا يوم العيد بين يدي السلطان وهم يهللون ويكبرون وبين يديه العلامات الحمر من الحرير، ونصب عند المصلى خباء فدخل السلطان إليه وأصلح من شأنه ثم خرج إلى المصلى، فقضيت الصلاة والخطبة، ثم نزل الخطيب وقد بين يدي السلطان وتكلم بكلام كثير وهناك رجل بيده رمح يبين للناس بلسانهم كلام الخطيب وذلك وعظ وتذكير وثناء على السلطان وتحريض على لزوم طاعته وأداء حقه...»[132]

ولا شك أن هذا النص يؤكد ما ذهبنا إليه أن الخطيب ليس هو القاضي كما يبين لنا وظيفة الخطيب في المجتمع السوداني. ومما يشفع لنا أيضا ما ذكره السعدي أن الفقيه أحمد ترف بن القاضي عمر هو أول من جمع بين الإمامة والخطابة والقضاء في مدينة جنى[133].

129 نفسه ص108.

130 يراجع: حركة التجارة والإسلام ص: 524–523.

131 يراجع: تاريخ الفتاش ص: 89/ السعدي ص: 111، 132، 141، 238، 239.

132 يراجع: رحلة ابن بطوطة ص: 669–668.

133 يراجع: السعدي ص: 19.

ونظرا لأهيمة الخطيب الذي يقوم بالوعظ والإرشاد في المناسبات المختلفة فإن العلماء اشترطوا فيه – بالإضافة إلى ما سبق ذكره – أن يكون على حظ عظيم من الشجاعة المعنوية، يصرح برأيه وبالحق الذي يراه في الدين واجب الرعاية، وأن يكون ورعا متدينا، ظاهر العفة عما في يد الناس، وأن يكون على علم تامل بكل ما يساعده في مهمته ويعينه في الوصول إلى غايته ونيل بغيته..[134].

ومما يؤسف له أن الخطابة وإن كانت وظيفة لم تسند إلا إلى العلماء فإن المصادر التاريخية في غرب أفريقيا لم تخلف لنا آثارا معتبرة من خطبهم في المناسبات المختلفة نعتمد عليها للحكم لهم أو عليهم. وخلاصة القول:

إن الخطابة من المناصب التي أسندت إلى العلماء في السودان الغربي لأهميتها، لأنها منصب له علاقة وطيدة بالحسبة التي تعنى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الذي يعتمد عليه في بناء الأمم وحفاظ الجماعة، حيث يمنعها من التردي في مهاوي الضلال والفساد.

وإن هذه الوظيفة لا يقوم بها إلا من له حظ وافر من العلم وله سمعة طيبة لدى العامة والخاصة، وإن السلطان هو الذي يعينه بمساعدة قاضي الجماعة بالسودان الغربي، وإن المصادر التاريخية لم تخلف لنا أثارا ملموسة يمكننا من الحكم لها أو عليها.

رابعاً: متولي الشرع:

من المناصب التي اختص بها العلماء في السودان الغربي منصب متولي الشرع، وهذا المنصب لم يرد ذكرها كثيرا في كتب تاريخ غرب أفريقيا، ولهذا معلوماتنا قليلة جدا حول هذه الخطة.

ويظهر أن صاحب هذا المنصب هو الذي يقوم بجمع تركات أو أموال الذين ماتوا من الحكام أو الباشاوات قبل توزيعها إلى من يستحقها.

ويبدو أن الذي يقوم بتعيين متولي الشرع هو القاضي.

وقد جاء ذكر هذا المنصب على لسان السعدي في معرض حديثه عن وفاة الحاكم

134 يراجع: الخطابة: أصولها، تاريخها في أزهى عصورها عند العرب: الإمام أبو زهرة ص 197–195.

سيدي منصور بن الباشا محمود لنك بمدينة جنى عندما قال: «... ودفن ليلتئذ في الجامع الكبير، وبتّ أنا وثلاثة من الشهود وأربع من الباشوات عند باب داره للحراسة عليها بأمر الكواهي بعدما طالعنا جميعا على ما احتوت عليها الديار، وفي الغد ضحوة زممنا تركته بحضرة الكواهي بعد استيذان متولي الشرع وذلك في زمن الباشا إبراهيم بن عبد الكريم الجرار...»[135]

ولعل عمله ينحصر في عد وحفظ أموال الأموات من التجار والباشوات الذين ليسوا سودانيين أصلا، أعني الذين يعتبرون أجانب في السودان – حتى لا تضيع أموالهم أو تختلس.

المطلب الثاني: الكتابة وشهود القاضي وتحرير الوثائق والعقود

أولاً: الكاتب:

من المناصب الإدارية التي أسندت لعلماء السودان في غرب أفريقيا منصب الكاتب.

وهذا اللفظ ورد في الآثار العربية الإسلامية بدلالات وظيفية مختلفة.

ولفظ «الكاتب» اسم فاعل من كتب، وهذا الفعل له عدة معان منها: جمع، يقال: تكتَّبت الخيل إذا تجمعت، ومنه قيل لجماعة الخيل كتيبة، ومن ثم سمي الخط كتابة لجمع الحروف وضم بعضها إلى بعض[136].

ويطلق لفظ «الكاتب» على كل من يقوم بالكتابة أو بالتحرير.

ولأهمية هذا المنصب اتخذ الرسول صلى الله عليه وسلم كُتّابا يكتبون له القرآن والوثائق المختلفة.

وبعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم اتبع خلفاؤه هذه السنة فاتخذوا كتابا من ذوي العلم والمعرفة الملمين بالكتابة، واستمر الأمر إلى يومنا هذا.

وكانت مهمة الكاتب في أول الأمر هي تحرير الرسائل والأوامر، ولما دونت الدواوين

---

135 يراجع السعدي ص: 245/ حركة التجارة والإسلام ص: 526–525.
136 يراجع لسان العرب ج1 ص701 حرف الباء فصل الكاف.

اتسعت أعماله فشملت إلى جانب ذلك ضبط حساب الدواوين وأسماء الجند...[137]

وإلى جانب إطلاق لفظ الكاتب على الموظف الذي يقوم بتحرير المكاتبات، أطلق أيضا على محرر العقود والوثائق على اختلافها كعقود البيع والزواج والأحكام والوصايا...

ويرى ابن خلدون أن هذه الوظيفة صناعة شريفة إذ هي مما يميز الإنسان من غيره من الحيوانات «فهي أيضا تطلع على ما في الضمائر وتتأدى بها الأغراض إلى البلاد البعيدة فتقضى الحاجات، وقد وقعت مؤونة المباشرة لها...»[138]

ويشترط لمن يتولى هذا المنصب أن يكون ذا ثقة عالية وأن يأخذ بأطراف العلوم كافة «لأنه معرض للنظر في أصول العلم لما يعرض في مجالس الملوك ومقاصد الحكام...»[139]

ولمكانة هذه الوظيفة اهتم بها ملوك السودان وحكامهم وأمراؤه، فكتبوا ما يصدر عنهم من قرارات أو مراسم أو رسائل إلى الولاة أو زعماء الدول الأخرى.

وكان يسند هذا المنصب دائما إلى العلماء سواء كانوا من السود أو من البيض.

ومما يدل على اهتمام السلاطين بهذا المنصب الذي خصّص للعلماء ما ذكره العمري عندما تحدث عن منسا موسى حيث قال:

«...وله قضاة وكتاب ودواوين...»[140]

وقوله أيضا «... ولقد جاء كتاب هذا السلطان إلى الحضرة السلطانية بمصر وهو بالخط المغربي في ورق عريض، السطر إلى جانب السطر وهو يمسك فيه ناموسا لنفسه مع مراعاة قوانين الأدب، كتبه على بعض خواصه ممن جاء يحج، ومضمونه: السلام والوصية بحامله...»[141]

---

137 يراجع: الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية ج2 ص: 919-901.
138 يراجع مقدمة ابن خلدون ص: 417 منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت لبنان.
139 يراجع: تاريخ ابن خلدون ج1 ص 247.
140 مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ص: 67.
141 نفسه ص: 74.

ولا شك أن هذا النص يدل على أن هذه الوظيفة كانت معروفة في السودان، وأن علماء السودان كانوا على علم تام بآداب الكتابة كما هو معروف عند العباسيين، وأن كتّاب السودان تأثروا كثيرا بالمغاربة.

ومن رجع إلى كتاب إبداع الأساليب في إنشاء الرسائل والمكاتب لأحمد البكاي تبين له هذا الأمر.

وكذلك من رجع إلى الرسائل التي كانت بين الكنتيين والماسنيين وبين الماسنيين والحاج عمر، يظهر له أن هذه الوظيفة كانت متقدمة جدا – بمعايير عصرهم – في السودان وخاصة ما بين القرنين الحادي عشر والثالث عشر الهجريين[142].

ومن مشاهير الكتاب في السودان الغربي: كاتب موسى الذي جاء به من المشرق، والفع أبو بكر لنبار أو الأنباري الذي كان كاتبا للأسكيين، والكاتب علي بن عبد الله بن عبد الجبار اليمني الذي كان كاتبا في عهد الأسكيين[143]. ومحمود كعت صاحب تاريخ الفتاش، والسعدي الذي رتبه الباشا محمد بن محمد بن عثمان كاتبا، والحسن بن علي الكاتب، وإبراهيم الخضر الفاسي الذي رتبه سني علي كاتبا[144].

ويظهر من خلال النصوص التاريخية أن هذا المنصب منصب ثانوي، حيث نجد الذين يمارسونه هم علماء لهم أعمال أخرى غير الكتابة، ولهذا قل ما نجد في تراجم العلماء من وصف بأنه كاتب.

وخلاصة القول: إن هذا المنصب، وإن قل وصف العلماء به في السودان الغربي، فإن سلاطين السودان اهتموا به كثيرا، وجعلوه خاصا بالعلماء لكتابة ما يصدر عنهم من قرارات أو مراسم أو رسائل إلى الولاة الذين هم في أقاليم الدولة، أو إلى زعماء الدول الأخرى.

وقد تطورت هذه الوظيفة في السودان الغربي تطورا ملموسا فيما بين القرنين الحادي عشر والثالث عشر الهجريين لكثرة الرسائل التي جرت فيما بين السلاطين من جهة، وبين ما جرى بين السلاطين والقبائل من جهة أخرى.

---

142 انظر على سبيل المثال رسالة أحمد البكاي إلى الحاج عمر، مخطوط بمركز أحمد بابا تحت رقم 5056/ وانظر أيضا الحق فيما وقع بين الحاج عمر والماسنيين.

143 يراجع: تاريخ الفتاش ص: 150، 74، 114/ السعدي ص: 57.

144 يراجع السعدي ص: 68، 277/ حركة التجارة والإسلام ص: 528.

ثانياً: شاهد القاضي:

يعتبر هذا المنصب منصبا ثانويا يسند دائما إلى العلماء الكبار، وهو منصب له صلة وثيقة بالقضاء كما يظهر في الاسم.

وكثيرا ما يتردد هذا الاسم على لسان السعدي، ويبدو أن شهود القاضي هم العلماء أو الفقهاء الذين يساعدون القاضي في قضائه ويوقعون معه على الوثائق المهمة كوثائق الصلح الذي يعقد بين الجماعات السياسية المتخاصمة أو بين القبائل المتحاربة.

ويظهر هذا الأمر جليا في قول السعدي: «... خرج قاضي ماسنة من جنى إلى تنبكت مع شاهدي قاضي جنى فقبلهم الباشا وقبل الصلح وأجازه...»[145]

وهؤلاء الشهود يكونون دائما مع القاضي في «المحكمة»، يستشيرهم في الأمور المهمة أو في المشاكل العويصة، مع أعيان البلد، وهم يشبهون إلى حد كبير أعضاء المحاكم اليوم: عضو اليمين والشمال أو ما يمكن تسميته مساعد القاضي[146].

وأحيانا يرسلهم القاضي نيابة عنه لحل بعض المشاكل، ويظهر ذلك جليا فيما حدث بين القائد علي بن الجسيم وبعض الرماة، فحبس أمتعة تجار كبَرَ وغيره من القرى غصبا، فاشتكى التجار أمره إلى القاضي فـ«... بعث إليه القاضي شهوده أن يكلموا له لأجل شكاية الناس أن طلق متاعهم...»[147]

ويبدو أن شهود القاضي ليس لهم عدد معين، أحيانا يكونون اثنين وأحيانا ثلاثة، وقد يكونون أكثر[148].

ومن مشاهير العلماء الذين أسندت إليهم هذه المهمة، الفقيه محمود بغيغ الذي يعتبر من أكبر شهود القاضي العباس كب.

والفقيه الإمام باب عم الفقيه المصطفى بن عبد الله كرى الوداني، والفقيه أحمد بن عثمان بن محمد بن محمد تاشفين الوداني، والفقيه العالم فريد دهره ومفتاح زمانه المفتي بابير بن الفقيه سيدي أحمد، الذين كانوا شهود القاضي بابا المختار[149].

---

145 نفسه ص: 276.

146 يراجع: حركة التجارة والإسلام ص: 529–528.

147 يراجع: تذكرة النسيان ص: 115.

148 يراجع: السعدي ص: 276/ تذكرة النسيان ص: 41، 115/ كعت ص110.

149 يراجع السعدي ص: 96/ تذكرة النسيان ص: 115.

ومن خلال النصوص يظهر أن هذا المنصب ازداد أهميته في عهد المغاربة أكثر مما كان عليه الأمر في عهد الأسكيين، كما أنه لا يسند إلا إلى العلماء الكبار الذين اعترف بفضلهم وعلمهم وورعهم.

وخلاصة القول: إن هذا المنصب من المناصب التي أسندت إلى العلماء، وهو منصب له علاقة وطيدة بالقضاء، ولا يسند إلا إلى الفقهاء المعترفين لهم بالفضل والصلاح، والنزاهة، وهو أشبه بما يسمى في الأندلس بالفقيه المشاور. وقد ازدادت أهمية هذا المنصب مع دخول المغاربة في المنطقة.

ثالثاً: تحرير الوثائق والعقود:

اهتمت الشريعة الإسلامية بكتابة العهود والعقود والمواثيق اهتماما خاصا، لما لذلك من أهمية عظيمة في حماية الحقوق وحفظ الأنفس وصيانة الأعراض.

واشترط على من يتولى هذا المنصب أن يكون عدلا، عارفا بالقانون حسن السيرة، مجتنبا للمعاصي سميعا بصيرا، عالما بفقه الوثائق، سالما من اللحن، وأن يكون خطاطا يقرأ خطه بسرعة وسهولة وبألفاظ غير محتملة ولا مجهولة[150].

ونظرا لأهمية هذا المنصب فقد كان يسند – دائما – إلى العلماء، لأن شروطه لا تتوفر إلا في العلماء؛ ولهذا حرص سلاطين السودان على أن يسندوه إلى العلماء الملتزمين العارفين لقوانين التوثيق.

ومن مشاهير الموثقين في السودان الغربي: الفقيه أبو العباس أحمد بن أندغمحمد الذي جاء في ترجمته: «... كان مفتيا في زمنه نحويا لغويا متواضعا شهر في زمنه بعلم القرآن والتوثيق..»[151].

وباب بن عبد الله بن محمود بن محمد بن محمد بغيغ بن كورد الفلاني، وعبد الرحمن السيوطي بن محمد بغيغ بن الفا بني، وباب سعيد بن الحاج عبد الرحمن بن إسماعيل يورو بن محمد كورد الفلاني...[152]

---

150 يراجع: التشريع الجنائي الإسلامي: عبد القادر عوده ج1 ص 58–55/ مباحث في تاريخ المذهب المالكي بالمغرب ص: 117–111.

151 يراجع: السعدي ص: 30.

152 يراجع: وثيقة بمركز أحمد بابا تحت رقم 5407/ وثيقة بمركز أحمد بابا تحت رقم 5949.

ويبدو أن الموثقين يوثقون الوثائق أمام القاضي أو شهوده، ولهذا نجد في نهاية أو في ختام مجموعة من الوثائق ذكر مجموعة من العلماء الذين تم كتابة الوثيقة أمامهم.

ومن هذه الوثائق التي نجد آخرها مذيلة بمجموعة من الشهود الذين حضروا العقد: وثيقة عتق في مركز أحمد باب رقم 5407، جاء في آخرها:

عبيد ربه محمود الملقب باب بن عبد الله بن محمود بن محمد بن محمد بغيغ بن محمد كورد الفلاني... وعبيد ربه أحمد بن عبد الله الملقب باب بن بابير... وعبيد ربه محمد المختار بن محمد السنوسي بن أحمد زروق بن صالح الفلاني، وعبيد ربه أحمد بن عمر بن سدزيان الحسني[153].

ووثيقة بيع تحت رقم 5949 جاء في آخرها:

«... عبيد ربه عبد الرحمن السيوطي بن محمد بغيغ بن الفا بني... وعبيد ربه عثمان بن محمد بن عثمان الكابري... وعبيد ربه محمد الملقب بباب بن عبد الله بن محمود بن محمد بن محمد بغيغ...»[154]

ووثيقة عتق في نفس المجموعة جاء في آخرها:

«... وأشهد بذلك عمه باب سعيد بن الحاج عبد الرحمن بن إسماعيل يرو بن محمد كورد الفلاني... وعبيد ربه محمد بن كورد بن باب سعيد بن الحاج عبد الرحمن بن إسماعيل يرو بن محمد كورد الفلاني... وشهد بذلك من كتبه على إذن والده... عبد الرحمن السيوطي بن باب سعيد، وفقير مولاه باب أحمد بن أبو بكر العتيق بن إبراهيم بن أحمد بن سعيد بن كورد الفلاني...»[155]

ولا شك أن هذه الوثائق التي أثبتنا أواخرها تدل على أن محرر العقود محاط بمجموعة من الشهود عند كتابة الوثيقة.

ولعل زيادة عدد الشهود على اثنين أحيانا يعود إلى الخوف من التزوير.

كما أن كتابة هذه الوثائق تتم أمام القاضي أو شهوده. ولا يستبعد أن شهود القاضي هم الذين يقومون بتحرير الوثائق أحيانا.

153 يراجع مخطوط بمركز أحمد بابا تحت رقم 5407.
154 يراجع: مخطوط بمركز أحمد بابا مع مجموعة تحت رقم 5949.
155 نفسه.

ويمكن القول أيضا بأن هذا المنصب له علاقة وطيدة بالقضاء، فلهذا جميع أعماله أو جله يتم أمام القاضي أو شهوده.

ويلاحظ أيضا من خلال ما أثبتنا أن نفس الشهود هم الذين تتكرر أسماؤهم، الأمر الذي يوحي بأن هناك أسرا علمية في السودان اشتهرت بهذه الصناعة، مثل أسرة كورد الفلاني، والسيوطي...

على أن ما ينبغي الإشارة إليه أيضا أن هذه الحرفة قد ازدادت أهميتها فيما بين القرنين الحادي عشر والثالث عشر الهجريين، لأن هذه الفترة من أحلك الفترات في السودان لكثرة الخلافات والنزاعات والشكاوى والظلم والنهب وقلة الوازع الديني، ولهذا اهتم المجتمع بتوثيق عقودهم وعهودهم حتى لا تضيع حقوقهم. وأغلب الوثائق الموجودة في مركز أحمد باب تنتمي إلى هذه الفترة.

وخلاصة القول: إن هذا المنصب من أهم المناصب التي أسندت إلى العلماء في القرون المتأخرة نظرا لأهميته، لأنه يساعد على حفظ الحقوق وصيانة الأعراض وإيصال الحقوق إلى أصحابها، وهو منصب له علاقة وطيدة بالقضاء ولذا يتم كتابة العقود – في الغالب – أمام القاضي وشهوده.

المطلب الثالث: الاستشارة، السفارة في الأغراض المختلفة، الإشراف على مشروعات الدولة

أولاً: المستشار (الاستشارة)

من الوظائف التي قام بها علماء غرب أفريقية وظيفة مستشار ونعني بالاستشارة هنا أن الخليفة أحاط بنفسه مجموعة من العلماء يستشيرهم في أموره السياسية والدينية.

وهذه الوظيفة أسندت إليهم نظرا لمكانتهم في المجتمع ونظرهم الثاقب وفهمهم الدقيق لكل ما يسألون عنه.

وهذا أسكيا الحاج لما أراد غزو شي بار «جمع أهل مشورته وذوي رأيه من العلماء والأكابر وأقيال جيشه وشاورهم فيما يفعل، هل يقاتل شي بار أو يرسل إليه ثالثاً، واتفقوا أن يرسل إليه رسولا ثالثاً يداريه ويلين له الكلام لعل الله يهديه إلى الإسلام...»[156]

---

156 يراجع: تاريخ الفتاش ص: 54.

وهذا أسكيا داود أحاط بنفسه مجموعة من العلماء كمستشارين في أموره الخاصة والعامة، من مستشاريه الفقيه الخطيب محمود جعيت خطيب كاغ وألفع كعت، وأسكيا الفع بكر لنبار وشريف علي أحمد وكاغ زكريا بن أحمد وولي الله ياجور بن ولي الله صالح جور ويوسف بن محمد تل...[157]

وهذا أسكيا إسحاق لما أراد ملاقاة جودر باشا وقتاله «جمع أشياخ كاغ وأعيان جيشه والقاضي الخطيب وكبراء شهوده وسألهم عن الرأي والتدبير... وبعض علماء تنبكت..»[158]

واستمر الخلفاء في استشارة العلماء في كل كبيرة وصغيرة في الأمور الخاصة والعامة حتى في عهد الباشاوات والماسنيين.

فهذا الباشا باحَدُّ لما انتصر على بعض الثوار عليه جمع مجموعة من فقهاء تنبكت وسألهم عما يجب فعله لهؤلاء المتمردين...[159]

وهذا أمير ماسنة أحمد بن أحمد لما أراد ملاقاة الحاج عمر تال، استشار أحمد البكاي الكنتي فيما ينبغي فعله، وفي هذا يقول أحمد البكاي:

«... وأما سلطان ماسنة أحمد بن أحمد فأرسل إليّ يستشيرني ويستعطفني بعهد الآباء والأجداد، فأشرت عليه بما يعلم، واعلم أنها نصيحة بلا غش ولا كذب، وأخبرته أنه لا يحل له قتالك ولا يحل لك قتاله فقلت له بالشريعة بالحق وقلت له بالنصح في الرأي، وإنما فعلت امتثالا لأوامر الله وقياما بحق المعرفة التي بيننا وبين آبائنا وآبائه والحر لا يغدر، ولو كان معاديا لي أو مؤذيا لي فإن الله يسألني عنه ويسأله عني ويلومني ويلومه، فأحببت أن يلومه على الإساءة ويحمدني على إحساني...»[160]

ولا شك أن هذه النصوص وغيرها التي لم نتمكن من إيرادها تؤكد أن علماء السودان كانوا في طليعة المستشارين للحكام، وأنهم قبلوا هذا المنصب لضرورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. أو أن قبولهم هذا المنصب كان لإسداء النصح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأنهم كلما استشيروا في مسألة سواء أكانت تتعلق بأمور داخلية أم

157 نفسه ص116.
158 نفسه ص150-149.
159 يراجع: تذكرة النسيان ص: 138-137.
160 رسالة أحمد البكاي إلى الحاج عمر مخطوط بمركز أحمد بابا تحت رقم 5056.

خارجية لم يألوا جهدا في تقديم ما يمكن تقديمه من نصح وإرشاد وأمر بمعروف ونهي عن منكر.

على أن سلاطين السودان اتخذوا بعض العلماء كمستشارين لأنهم أدركوا أن العلماء أعقل الناس وأكثرهم حكمة وحلما وأقدرهم على موازنة الأمور، ولهذا قبل أن يقرروا أو يقدموا على أي أمر لا بد أن يستشيروا العلماء، وما اتفق عليه العلماء – غالبا – هو القرار الأخير إلا في أمور نادرة.

وخلاصة القول:

إن سلاطين السودان اتخذوا بعض علماء السودان مستشارين في أمور الدين خاصة وفي بعض أمور الدولة عامة، وأن علماء السودان قبلوا هذه «الوظيفة» لضرورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأنهم لم يألوا جهدا في تقديم النصح والإرشاد للسلاطين كلما استشيروا.

ثانياً: السفارة في الأغراض المختلفة:

تعتبر السفارة من المناصب السياسية المهمة التي اهتمت بها الدول منذ القديم، ولا تسند إلى كل من هب ودب، بل توكل إلى أشخاص معروفة بالفطنة والذكاء والفصاحة.

وفي هذا الصدد حاول بعض حكومات غرب أفريقيا أن تسند أحيانا هذه المهمة إلى بعض العلماء الذين لهم القدرة في حل الأمور العويصة بروية وحكمة.

سواء أكانت هذه المشاكل قائمة ما بين دولتين أم بين القبائل...

فكلما أرادت الحكومات السودانية أن توطد علاقاتها مع الدول المجاورة، فإنها تلجأ إلى العلماء لإرسالهم في هذه المهمة سفراء، إما لتوطيد علاقة أو لمعالجة مشكلة قائمة بينهم وبين الدول المجاورة أو بين القبائل ليتم التصالح فيما بينهم، أو بينهم وبين الحكومات المركزية.

ومما يدل على اهتمام سلاطين غرب أفريقيا بالسفارة ما ذكره العمري أنه من عادة منسا موسى «... إذا عاد إليه أحد ممن ندبه في شغل أو مهمة يسأله عن كل ما تم له من حال من حين مفارقته إلى حين عودته مفصلا...»[161]

---

161 يراجع مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ص: 6.

ومما يشفع لما قلنا أن منسا موسى أرسل سفراء إلى ملك المغرب الحسن المريني ومعه هدايا[162].

وإلى جانب ما سبق ذكره نجد أن الحاج أسكيا الكبير لما حدثت مشكلة بينه وبين شي بار أرسل الفقيه العالم محمد تل إليه لينصحه لكنه لم يقبل النصح، ثم أرسل إليه الفقيه العالم ألفا صالح جور، لكن شي بار لم يزد إلا عتوا واستكبارا، ثم أرسل إليه الفقيه القاضي الفع محمود كعت لكنه تكبر وعلا، وبعد ذلك حاربه أسكيا الكبير[163].

وهذا أمير المؤمنين أسكيا الكبير لما أراد أن يجاهد القبائل الموشية[164] ليدخلهم في الإسلام، وأرسل إليهم الفقيه مورجور صالح مع رسالة ليسلمه إلى ملك الموسِي، وطلب منه أن يعتنق الإسلام، فرد عليه ملك الموسي ردا وقحا فقال له لن يدخل في الإسلام «حتى يستشير آباءه الذين في الآخرة، فمشى إلى بيت صنمهم مع وزرائه.. فقال ملك الموسي ما بيننا وبين أسكيا إلا الحرب، فحاربهم أسكيا...»[165]

ولا شك أن اختيار العلماء للقيام بهذه المهمة في الفترات العصيبة وجيه جدا؛ لأن العلماء هم أقدر الناس على إقناع الخصم، ويعرفون أن لكل مقام مقالا، فيضعون كل شيء في مكانه – في أغلب الأحيان – مما جعلهم أحسن الناس قياما بهذه المهمة.

وقد استمر العلماء في أداء هذا الواجب حتى في عصر الباشاوات والماسنيين.

ففي عصر الباشاوات كلما حدثت مشكلة فيما بينهم، أو بين القبائل يرسل العلماء كسفراء لحل هذه المشاكل.

وهذا الحاكم الفرنسي في منطقة تنبكت المقدم «لابيرين» يلتجئ إلى الشيخ باي الكنتى كقاض مبجل وعالم مشهور ليتوسط بين قبيلة تنتوي وبين إيفوغاس أدرار، فنجحت وساطته في حسم الخلاف بينهما[166].

---

162 يراجع تاريخ ابن خلدون ج6 ص: 201 منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت – لبنان طبعة 1391/1971.

163 يراجع: تاريخ الفتاش ص: 54–53.

164 قبيلة الموشي: هي قبيلة موجودة حاليا في بوركينا فاسو.

165 يراجع تاريخ الفتاش ص: 84.

166 يراجع كنتة الشرقيون: بول مارتي، عربه وعلق عليه ووضع له ملحقات: محمد محمود ولد ودادي ص: 133 طبعة 1405/1985 مطبعة زيد بن ثابت بدمشق.

وهذا أحمد البكاي كان مندوبا عن أخيه محمد الصغير للتفاوض لعقد اتفاقية سلام مع الفلان – الذين تم طردهم من تنبكت – ومع أهل تنبكت[167].

وفي عهد الماسنيين أيضا نجد أنهم يرسلون العلماء كسفراء كلما حدثت لهم مشكلة مع الدول المجاورة كما فعلوا مع الحاج عمر تال، أو مع بعض القبائل كما فعلوا أيضا مع أهل تنبكت وغيره.

ومن رجع إلى تاريخ السودان وكعت وتذكرة النسيان سيقف على كثير من المهمات التي كلفت بها العلماء كسفراء، وفي أغلب الأحيان نجحوا في مهمتهم[168].

وخلاصة القول: إن علماء غرب أفريقيا، اعتمد عليه سلاطين السودان فبعثوا كسفراء في حل بعض المشاكل العويصة، أو في إيصال بعض المعلومات خارج البلد أو داخله، أو لتوطيد العلاقات مع الدول المجاورة وفي غالب الأحيان ينجحون في مهماتهم، مما جعل السلاطين يختارونهم لأداء هذه المهمة بين فينة وأخرى.

ثالثاً: الإشراف على مشاريع الدولة:

من المهمات التي أسند إلى العلماء في السودان الغربي أحيانا الإشراف على بعض المشاريع المهمة التي تقوم بعض حكومات السودان بإقامتها مثل بناء المساجد أو ترميمها وبناء المدارس، أو الإشراف على الأوقاف، وتوزيع الصدقات إلى مستحقيها.

ففي عهد الأسكيين نجد أن أسكيا داود يسند إلى القاضي العاقب ترميم بعض المساجد في تنبكت، ويرسل إليه في كل سنة جزءا من صدقاته ليوزعها بين الفقراء المستحقين[169].

كما أرسل أيضا إلى القاضي الخطيب محمد جعيت، خطيب كاغ وقاضي البلد بعض الهدايا أو الصدقات ليتولى توزيعها بين المستحقين[170].

ومما يدخل في هذا الباب أيضا إسناد مهمة تعيين قضاء المدن أو القرى الصغيرة إلى قاضي الجماعة بتنبكت.

---

167 نفس المرجع ص: 100–99.

168 يراجع: تاريخ الفتاش ص: 74، 82، 83، 83، 54، 150/ تذكرة النسيان ص: 54، 71، 88.../ كنتة الشرقيون ص: 55، 66، 90، 133...

169 يراجع: تاريخ الفتاش ص: 115/ السعدي ص: 111–108.

170 يراجع تاريخ الفتاش ص: 107–106.

واستمر إسناد بعض المشاريع إلى العلماء للإشراف عليه حتى في عهد الباشاوات، وعهد الماسنيين، الذين شاركوا العلماء في كل ما يتعلق بأمور الدولة.

ففي عهد الماسنيين نجد أنهم أسندوا إلى الفقيه العالم ألفا نوح طاهر الإشراف على كل المشاريع التي تتعلق بالتربية والتعليم مثل بناء المدارس القرآنية والإشراف على الحلقات العلمية المنتشرة في مدينة حمد الله، وفي سائر أرجاء المملكة[171].

كما أسند بعض سلاطين السودان إلى بعض العلماء، الإشراف على بعض الأوقاف التي وقفوها إما على طلبة العلم أو على بعض المؤسسات الدينية أو التعليمية.

وفي هذا الإطار أيضا أسند ملوك الماسنيين إلى بعض العلماء مشروع جمع الزكوات والضرائب في مختلف أرجاء المملكة، من هؤلاء العلماء: الفا همدن كردى، إسماعيل بيلا، أمد بارو، أمد همبركى، وبارو نوح، وألفا علي أديون، وبوري همسلا...[172]

ويبدو أن اختيار بعض العلماء لهذا المهمة الحساسة – أحيانا – يرجع إلى أنهم أكثر الناس وعيا بهذه المسؤولية.

إذاً فلا غرو أن يثق سلاطين السودان بكفاءة العلماء ونزاهتهم وعدلهم، فيسندوا إليهم بعض مشاريع الدولة.

وتجدر الإشارة إلى أن أغلب المشاريع تسند إلى القاضي، ثم يقوم هو بدوره باختيار بعض العلماء للإشراف على بعضها.

وخلاصة القول:

إن الحكومات التي تعاقبت على سدة الحكم في السودان الغربي اهتمت بالعلماء، ووثقت بكفاءتهم فأسندت إليهم مجموعة من مشاريعها.

ومن أهم هذه المشاريع التي أسند إليهم بناء المدارس والمساجد ومراقبة الأوقاف وصرف ريعها إلى مستحقيها.

---

171 يراجع: مملكة فلاتة بماسنا: همباتي با ص: 49 وما بعدها.

172 يراجع مملكة فلاتة بماسنا: همبتى با ص: 67.

المبحث الثالث: إسهام العلماء في الأعمال التطوعية

يعتبر العلماء في السودان الغربي من أهم فئات المجتمع احتراما، فقاموا بأعمال تطوعية كثيرة نافعة، كانت كلها في صالح المجتمع.

ونظرا لقيمة هذه الأعمال التطوعية، أضحى العلماء قدوة، اقتدى بهم من جاء بعدهم من المسلمين المخلصين.

فما هذه الأعمال التطوعية التي أسهم بها العلماء في السودان الغربي؟

المطلب الأول: التوسط في قضاء حوائج أفراد مجتمعهم

حظـي العلماء في المجتمع السوداني بمكانة رفيعة لدى العامة والخاصة، ولهذا تمكنوا من القيام بدور كبير في مجتمعهم في التوسط في قضاء مصالح مدنهم وأفراد مجتمعهم.

ويرجع هذا الأمر إلى أن العلماء بمثابة حلقة وصل بين الحكام والرعية، فالعامة تلجأ إليهم للتوسط لدى الحكام والأمراء، بينما الحكام والأمراء وغيرهم من ذوي السلطة أو النفوذ يلجأون إليهم في حل بعض المشاكل العويصة، ولذلك يسارعون إلى تلبية حاجاتهم وشفاعاتهم[173].

ومن العلماء الذين لم يألوا جهدا في قضاء حوائج أفراد مجتمعهم، الفقيه العالم أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت الذي جاء في ترجمته: كان «عظيم الجاه وافر الحرمة عند الملوك وكافة الناس نفاعا بجاهه، لا يرد له شفاعة...»[174].

ومجدد القرن العاشر في السودان الفقيه محمد بن محمود بغيغ الذي قال عنه أحمد بابا «... يسعى في حوائجهم (الناس) ويضر نفسه في نفعهم ويتفجع لمكروههم ويصلح بينهم وينصحهم...»[175].

---

173 يراجع الحياة العلمية في الأندلس في عصر الموحدين ص: 401.
174 يراجع السعدي ص: 52.
175 نفسه ص: 44.

والفقيه العالم سيدي يحيى التادلسي الذي قال عنه السعدي «... وهو من له جاه بليغ وعظيم عند الأمراء..»[176] فنفع الناس بجاهه حيث توسط لهم في عدة مناسبات.

والفقيه صالح بن محمد اندعمر المعروف بصالح تكن الشيخ المعمر المستحرم عند السلاطين، الذي قال عنه السعدي: «كان يشفع للمساكين عندهم (السلاطين) ولا يردون شفاعته على كل حال..»[177]

والفقيه العالم القاضي سيدي أحمد بن الفقيه القاضي إبراهيم الذي سعى بالصلح بين القائد عبد الغفار والقائد باحد[178].

والفقيه العالم العلامة الشيخ سيدي المختار الكنتى الذي لم يأل جهدا في السعي في مصالح أهل بلده، فقد تمكن بمكانته العلمية أن يصالح بين قبائل الطوارق وبعض الكنتيين، وأن يرسي قواعد السلام بينهم بعد ما كانت بينهم عداوة شديدة[179].

والفقيه العالم سيدي المختار الصغير الذي توسط في عدة مناسبات بين أتباعه من أهل تنبكت وبين الماسنيين[180].

والفقيه العالم الشيخ أحمد البكاي الذي قام بالتوسط والصلح عام 1846 بين الفلان والطوارق وسلطات تنبكت[181].

والفقيه العالم الشيخ سيدي محمد الكنتى الذي كان نافعا لذريته ومعاصريه، فقد أنقذ تنبكت من التخريب المنظم الذي هددها به الفلان من أتباع الشيخ أحمد ما بين 1825-1826م، وعمل تدخله المتكرر على إيقاف عملية النهب والإحراق وأدى إلى وجود تمثيل حكومي منظم للفلان في تنبكت[182].

وفي هذا الصدد أيضا نجد أن علماء جنى وفقهاءها اجتمعوا وذهبوا عند الباشا للتصالح والتوسط لمدينتهم جنى[183].

---

176 نفسه ص: 48.
177 يراجع السعدي ص: 36.
178 يراجع: تذكرة النسيان ص: 54، 122.
179 يراجع: كنتة الشرقيون: بول مارتي ص: 55.
180 يراجع نفسه ص: 90.
181 نفسه ص: 90.
182 نفسه ص: 81.
183 يراجع: تذكرة النسيان ص: 38، 40، 78.

ولا شك أن هذه النماذج التي ذكرنا وغيرها التي لم نتمكن من إيرادها تبين مكانة العلماء ودورهم في التوسط وقضاء أغراض أو حوائج مواطنيهم ومدنهم لدى الحكام، الأمر الذي يجعل العلماء حلقة وصل بين العامة والخاصة ووسيطا فعالا بين الحكام والرعية.

إذاً فلا غرو أن يحظى الفقهاء والعلماء باحترام كبير في المجتمع السوداني.

المطلب الثاني: إسهام العلماء في أعمال الخير وأوجه البر والإحسان

حث الإسلام المسلمين على التكافل والتضامن بين أفراد المجتمع، ووردت عدة آيات وأحاديث تشيد وتنوه بالذين ينفقون أموالهم في سبيل الله، من هذه النصوص التي تمتدح المنفقين قوله تعالى «الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون»[184]

وقوله تعالى «وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين »[185]

وقوله تعالى «وما تنفقوا من خير يوف إليكم وأنتم لا تظلمون»[186]

وقوله صلى الله عليه وسلم «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها»[187].

إن هذه النصوص وغيرها التي لا يسع المقام لذكرها جعلت العلماء – الذين هم أعلم الناس بجزاء الله سبحانه وثوابه على فعل الخير – يجتهدون في تلمس حاجات إخوانهم، ويبذلون كل ما لديهم من غال ونفيس من أجل مواساتهم وتخفيف معاناتهم، والإسهام في تحرير الأرقاء من ذل العبودية.

184 سورة البقرة آية:
185 سورة سبأ آية: 39
186 سورة البقرة آية: 272
187 فتح الباري ج1 ص 136–135 باب الاغتباط في العلم/

فهذا الفقيه العالم أبو بكر بن أحمد بن عمر أقيت يصفه السعدي بأنه «... ظاهر الزهد والورع والبر، متين الدين كثير الصدقة والعطاء، قلّ أن يمسك شيئا مع قلة ذات يده مبرزا في الخير لا نظير له نشأ على ذلك...»[188]

وهذا الفقيه الصالح الولي أبو عبد الله القاضي مودب محمد الكابري أعطي ألف مثقال ففرقه بين الفقراء في الحال؛ لما رأى من حاجات الناس إلى ذلك[189].

وهذا الفقيه حاسر الرأس وصفه السعدي بأنه كان «... زاهد سخيا خرج من ماله كله صدقة لله ويأتيه النذور والفتوحات فلا يمسك منها شيئا بل يتصدق بها للفقراء والمساكين، واشترى كثيرا من المماليك وأعتقهم لوجه الله تعالى والدار الآخرة...»[190]

وهذا الفقيه القاضي العاقب، لما أراد ترميم المسجد الجامع سنكرى بتنبكت أنفق فيه ما لا يحصيه إلا الله طلبا للأجر والثواب. وقيل إنه كان يدفع كل يوم ما يقرب من أربعة وستين مثقالا حتى انتهى الترميم[191].

ولا شك أن هذه النماذج التي ذكرنا وغيرها التي لم نوردها تؤكد أن العلماء لم يكتفوا بتوجيه الناس في خطبهم إلى فعل الخير فحسب بل شاركوا بدورهم في أعمال البر والإحسان، للقضاء على الفقر، ومواساة الفقراء والمساكين والمحتاجين، ومساعدة الأرامل والأيتام الذين في أمس الحاجة إلى مثل هذه الصدقات.

وصفوة القول في هذا المطلب، أن فقهاء السودان لم يكتفوا بحث الناس على البر والإحسان بالقول المجرد، بل أسهموا في أعمال الخير وأوجه البر والإحسان بالفعل للقضاء على الفقر ومواساة الفقراء والمساكين وغيرهم من ذوي الحاجات، الأمر الذي جعل أقوالهم تترك وقعا كبيرا في نفوس أفراد مجتمعهم، ويصبحون قدوة للمجتمع.

المطلب الثالث: مشاركة العلماء في الحروب (الجهاد في سبيل الله)

عرف السودان فيما بين القرنين الثامن والثالث عشر الهجريين حروبا ونزاعات كثيرة، يمكن أن نعتبر بعضها جهادا في سبيل الله، وبعضها الأخرى نزاعا مسلحا.

وقد شارك العلماء في كثير من هذه الحروب التي اجتاحت منطقة السودان الغربي.

188 يراجع السعدي ص: 41

189 نفسه ص: 47.

190 نفسه ص: 52.

191 يراجع: تاريخ الفتاش ص: 122.

ففي عصر الحاج أسكيا الكبير نجد العلماء في طليعة الجيوش الذين يجاهدون معه لإدخال القبائل الوثنية في الإسلام[192].

وفي عهد الباشاوات والماسنيين أيضا شارك العلماء مشاركة فعالة في الحروب[193] والنزاعات التي حدثت في المنطقة.

ففي فترة الباشاوات نجد العلماء يحاربون معهم في قتال المعتدين عليهم في عدة مناسبات[194].

وهذا الشيخ باب أحمد بن سيدي محمد يصفه بول مارتي بأنه كان محاربا أكثر منه زاويا، وقد اشترك في كثير من النزاعات التي نشبت بين الفلان وكنتة من جهة وبين الحاج عمر تال من جهة أخرى، وكان من أكثر قواد عابدين بن الشيخ سيدي البكاي نشاطا[195].

وهذا سيدي المختار الصغير يشارك في قتال قطاع الطرق الذين كانوا يعتدون على التجار المغاربة والتواتيين عام 1833[196].

وفي عام 1844 حدث غزو طارقي كبير للمنطقة، فاشترك فيه هو وجماعته من كنتة لإيقاف زحفهم[197].

وفي عهد الماسنيين كان العلماء في طليعة المحاربين، وخاصة تلك الحروب التي وقعت بينهم وبين البمبارا الوثنيين في «نكوما»[198]، وتلك التي وقعت بينهم وبين الحاج عمر تال.

وما موت أربعمائة عالم من حفظة القرآن في معركة سايول التي وقعت بين الحاج عمر تال والماسنيين[199] إلا تأكيدا لمشاركة العلماء الفعالة في الجهاد وفي الحروب التي

---

192 يراجع: السعدي ص: 74.

193 لم نقل هنا جهادا لأن هذه الحروب غالبا تكون بين المسلمين ولذا فضلنا أن نسميها حروبا ونزاعات، لأنه لا يتصور أن يكون هناك جهاد بين المسلمين. يراجع السعدي ص: 273-272.

194 يراجع: تذكرة النسيان ص: 41.

195 يراجع: كنتة الشرقيون ص: 138.

196 نفسه ص: 90.

197 نفسه ص: 90.

198 يراجع: مملكة دينا بماسنا: بنت سننكوا ص: 49.

199 صور من كفاح المسلمين في أفريقيا الغربية ص: 64، ومعركة سايول أشبه بمعركة اليمامة، في تاريخ الإسلام لكثرة ما قتل من الحفاظ.

كانت تدور بين زعماء الدين، أو بين القبائل، وإن كانت بعض هذه الحروب حوادث يؤسف لها؛ لأنها كانت تدور بين المسلمين، ولم يستفد منها إلا الاستعمار، إنا لله وإنا إليه راجعون.

ومن رجع إلى ما كتب فيما وقع بين الحاج عمر والماسنيين سيقف على كثير من هذه الأحداث المؤسفة المؤلمة.

لمثل هذا يذوب القلب من كمد   إن كان في القلب إسلام وإيمان[200]

وخلاصة القول: إن العلماء لم يكتفوا بحثّ الناس على الجهاد والمشاركة في الحروب، بل شاركوا فيها وأبلوا فيها بلاء حسنا.

المطلب الرابع: الحسبة

ذكرت كتب النظم عدة تعريفات للحسبة، لكن أهم هذه التعريفات تعريف الماوردي وأبي يعلى الفراء حيث قالا: الحسبة «أمر بالمعروف إذا ظهر تركه ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله»[201].

والحسبة بهذا المعنى الواسع «هو القطب الأعظم في الدين وهو المهم الذي ابتعث الله له النبيين جميعا، ولو طوي بساطه وأهمل علمه وعمله لتعطلت النبوة واضمحلت الديانة وعمت الفتنة وفشت الضلالة وشاعت الجهالة واستشرى الفساد واتسع الخرق وخربت البلاد وهلك العباد ولم يشعروا بالهلاك إلا يوم التناد...»[202]

والحسبة بهذا المفهوم الواسع هي مهمة الأنبياء والرسل، ثم هي من خصال المؤمنين الصالحين، وهي بهذا المعنى أيضا سبب أفضلية هذه الأمة على الأمم الأخرى، حيث ربط سبحانه وتعالى خيرية هذه الأمة بالقيام بهذا الواجب فقال: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾[203]، وهي بهذا المعنى أيضا مسؤولية كل مسلم ومسلمة قادر عليها.

---

200 نفح الطيب للمقري ج6 ص: 281، الطبعة الأولى 1406/1986 دار الفكر للطباعة والنشر.

201 يراجع الأحكام السلطانية للماوردي ص 240/ الأحكام السلطانية لأبي يعلى الفراء ص: 320 طبعة 1414/ 1994 دار الفكر بيروت – لبنان.

202 يراجع إحياء علوم الدين للغزالي ج2 ص: 333.

203 سورة آل عمران آية: 110.

على أنه لما كان العلماء هم ورثة الأنبياء فإن هذه المسؤولية ملقاة على عاتقهم قبل غيرهم، ولهذا نجد علماء غرب أفريقيا – في الغالب – لم يقصروا في هذا الدور التوجيهي، الذي هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فمنذ عرف غرب أفريقيا الإسلام، قام التجار والعلماء الدعاة بنشر الإسلام، وبهذه المسؤولية في جميع أنحاء غرب أفريقيا.

فعلى أيديهم أسلم ملك غانا ورعاياه وكثير من أهل مالي وصنغاي، ولهم أيضا دور بارز في إسلام ملك جنى[204].

ففي عهد الماليين أضحت للعلماء مكانة عالية في المجتمع، مما ساعدهم على القيام بمهمتهم الأساسية التي هي نشر الإسلام والوعي والتعليم، ومحاربة كل فساد، فكانوا يجوبون أنحاء السودان لأداء هذه الرسالة السامية.

ولأهمية هذه المسؤولية الجسيمة لم يتهاون علماء السودان في توجيه كل من رأوه يمس أو يخالف التعاليم الإسلامية ملكا كان أو غيره.

وفي هذا الصدد تعرض كثير منهم لمضايقات وأخطار، لكن ذلك لم يثنهم عن القيام بدورهم التوجيهي.

ولا أدل على ذلك من موقفهم مع الملك سني علي بير، حيث عارضوه في بعض أفعاله القبيحة فاعتبر العلماء معارضين ينبغي التخلص منهم، فقتل منهم كثيرا؛ ولهذا وصفه مؤرخو السودان بالظالم الفاجر والفاسق، وشبهوه بالحجاج بن يوسف الثقفي.

فهذا السعدي يقول عنه «... أما الظالم الأكبر والفاجر الأشهر سني علي فإنه كان ذا قوة عظيمة... ظالما فاسقا، متسلطا، سفاكا للدماء قتل من الخلق ما لا يحصره إلا الله تعالى وتسلط على العلماء والصالحين بالقتل والإهانة...»[205]

ووصفه كعت «بالظالم الفاجر المعلون سني علي... وهو سلطان جبار قاس القلب... وكان فاجرا فاسقا... وانظر في أفعال كفره يقتل الفقهاء...»[206]

204 يراجع رحلة ابن بطوطة ص: 672/ السعدي ص: 13–12.
205 يراجع السعدي ص: 62.
206 يراجع تاريخ الفتاش ص: 43.

ومع قساوته لم يداهنه العلماء، بل وقفوا أمامه موقف الشجاع الذي لا يزحزحه أي موقف رهيب، حتى أهلكه الله في إحدى غزواته.

ولا غرو أن يعرض العلماء أنفسهم لهذا الخطر؛ لأن أكبر جهاد الصدع بالحق عند سلطان جائر، هذا هو موقف العلماء مع كل سلطان جائر.

أما إذا كان السلطان يلتزم بأمور الدين وقواعد الشرع فإن العلماء يقتربون منه ويحترمونه، كما حدث مع السلطان أسكيا محمد الكبير وبعض خلفائه، حيث وصفوهم بأسمى الأوصاف ودعوا لهم بأسمى الأدعية من طول البقاء والسداد والتوفيق في مهمته.

فهذا السعدي يصف أسكيا الكبير بقوله: «... الأسعد الأرشد، أمير المؤمنين وخليفة المسلمين... ففرج الله تعالى به عن المسلمين الكروب وأزال بهم عنهم البلاء والخطوب، واجتهد بإقامة ملة الإسلام وإصلاح أمور الأنام، وصاحب العلماء واستفتاهم فيما يلزمه من أمر الحل والعقد...»[207]

ويصفه كعت بقوله: «... وله من المناقب وحسن السياسة والرفق بالرعية والتلطف بالمساكين ما لا يحصى ولا يوجد له مثل لا قبله ولا بعده وحب العلماء والصالحين والطلبة وكثرة الصدقات وأداء الفرض والنوافل، وكان من عقلاء الناس ودهائهم، والتواضع للعلماء وبذل النفوس والأموال لهم مع القيام بمصالح المسلمين وإعانتهم على طاعة الله وعبادته، وأبطل جميع ما عليه شي من البدع والمناكر والظلم وسفك الدماء وأقام الدين أتم قيام... وجدد الدين وأقام القضاة والأئمة...»[208]

وهكذا يمكن القول بأن العلماء في السودان بصفة عامة لم يتهاونوا في دورهم التوجيهي.

فإذا كان السلطان عادلا متبعا لأحكام الشريعة فإنهم يحترمونه ويجلونه ويدعون له بطول العمر والتوفيق.

أما إذا كان فاسقا فاجرا منتهكا لحرمات الله فإنهم لا يتهاونون في الصدع بالحق أمامه ويضعونه في مكانه، ولا يترددون في الدعاء عليه.

---

207 يراجع السعدي ص: 72.
208 يراجع تاريخ الفتاش ص: 12-11، 59.

وتحدثنا كتب تاريخ السودان عن كثير من علماء السودان الغربي الذين كانوا قدوة في دورهم التوجيهي، فلم يقصروا في بيان الحق أمام السلاطين ومن دونهم، مما جعلهم يضربون أروع مثل في تاريخ غرب أفريقيا ويخلد التاريخ أسماءهم في صفحاته الخالدة.

ومن القصص التي تبين شجاعة العلماء الأدبية وعدم خوفهم لومة لائم أمام الحق: ما حدث بين أسكيا الحاج محمد الكبير وشيخ الإسلام القاضي محمود بن عمر أقيت، وخلاصة القصة أن أسكيا أرسل بعض جنوده إلى تنبكت في مهمة ما فطردهم القاضي محمود على أعقابهم خائبين، فغضب أسكيا وعاتبه على ذلك لكن لما أخبره القاضي سبب طرد الجنود، وهو أن أسكيا سبق أن طلب منه الحيلولة بينه وبين النار، وذلك بنصحه وإرشاده، إذا وقع في زلة، فتذكر أسكيا وندم وطلب منه العفو والصفح وأكرمه إكراما جميلا ودعا له بطول العمر، بأن يقبضه الله قبل موت القاضي محمود209.

هكذا تكون قوة الايمان وهكذا يكون الأخذ بتلك الشريعة المستقيمة والفريضة المحكمة، فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تلك الفريضة التي لو أخذ بها المسلمون كما أخذ بها سلف الأمة لارتبط حاضرها بماضيها ولأعادوا مجدهم الأثيل.

وفي هذا الصدد أيضا نجد القاضي محمود بغيغ يواجه أسكيا إسحاق بقول لو صدر من أي شخص غيره لكان جزاؤه التعذيب والتنكيل.

وذلك أن أسكيا إسحاق في إحدى جولاته مر بجنى فسألهم عن أحوالهم وهل هناك من يظلمهم؟ فسكت الناس جميعا، لكن الفقيه العالم العامل المخلص محمود بغيغ رد عليه بقوله:

«... إن علمناك بذلك الظالم فما تفعل له؟ فقال أفعل له ما يستحق من قتل أو ضرب أو سجن... فقال له الفقيه محمود... ما عرفنا هنا أظلم منك أنت أبو كل ظالم وسببه... إن كنت تقتل الظالم فابدأ بنفسك وبادر به...»[210]

هذا هو موقف العالم العامل المخلص الذي يعرف دوره في المجتمع ويقدر مسؤوليته حق التقدير، وصدق صلى الله عليه وسلم:

---

209 نفسه ص: 61-60.

210 انظر تفصيل القصة في مطلب مكانة العلماء، وفي تاريخ الفتاش ص: 80-88.

«احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم: أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف»[211].

فإذا كانت الأقلام قد رفعت وجفت الصحف، فلماذا يخاف الإنسان؟!

فقد كان جزاء الشيخ محمود بغيغ أن عينه أسكيا إسحاق قاضيا على جنى بعد موت قاضيها مباشرة.

ولا شك أن هذا النوع من العلماء هم الذين يستحقون هذا المنصب السامي الذي يحتاج إلى رجل عادل قوي متصلب قوي العارضة، يغلط السلطان ومن دونه ولا يجامل أحدا، ولا يخاف في الله لومة لائم.

وهذا ابنه محمد بن محمود بغيغ ضرب أروع الأمثلة لما أراد الباشا محمود زرقون أن يورطه في قضية القبض على أسرة أقيت بتنبكت، فطلب منه أن يوقع على وثيقة كتبها، فرفض، وهدده بقطع الأصابع إن لم يوقع على الوثيقة «... فتبسم الشيخ محمد ضاحكا وقال: قطعك اليد أفضل وأولى من كتب شهادة الزور فالعياذ بالله فأنا والله أختار قطع الرأس عليه...»[212]

ففعل الباشا كل ما يعرفه من الحيل والتهديدات لكن رفض الشيخ، وفي النهاية قام الباشا محمود زرقون إلى موضع جلوسه فأخذه بيده وقبلهما «وقال له: ارجع إلى دارك بالسلام، كثر الله أمثالك، ادع الله لنا وللسطان، الله ينصره بالنصر العزيز...»[213]

هذا هو موقف العالم الواعي المسؤول، يقوم بدوره التوجيهي في المجتمع ويرفض إباحة المنكر، ولو أدى ذلك إلى قتله وتعرضه للمخاطر.

وهكذا يتبين لنا أن العلماء في سبيل أداء فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يهابون سلطان ذي سلطة ولا تأخذهم رأفة في دين الله ولا هوادة في إقامة حقه والأخذ

---

211 سنن الترمذي ج4 ص 76 أبواب صفة القيامة.

212 يراجع: تاريخ الفتاش ص: 176.

213 نفسه ص: 177، يراجع تفصيل القصة من ص: 177–175.

بناصر دينه كل شيء هين في سبيل هذه الفريضة، وكل عذاب مساغ إذا كان من كلمة حق قالوها، لا يمنعهم من أن يصدموا بها أقوى الحكام قسوة وأشدهم بأسا[214].

ونفس الأمر نجده في عهد الباشاوات الذي تفاقمت الأوضاع فيه واختلط الحابل بالنابل لكثرة الظلم والطغاة، لكن كل ذلك لم يثن العلماء عن القيام بدورهم التوجيهي.

واستمرت هذه السنة الحميدة حتى في عهد الماسنيين الذين يعدون من أكثر ملوك السودان تشبثا بالإسلام ولهذا أحاطوا أنفسهم بالعلماء الأجلاء الذين لم يتوانوا في بيان الحق لهم وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر.

ومن أراد أن يقف على دور العلماء في توجيه رعايا السودان ملوكا وحكاما وشعبا فليرجع إلى كتب التاريخ والتراجم، وهذه النماذج التي ذكرنا ما هي إلا غيض من فيض[215]. والتاريخ الإسلامي في غرب أفريقيا خصب بأخبار هذه النفوس الأبية الذين صبروا وصابروا وجاهدوا وجالدوا في سبيل الله ولم يجعلوا لغير الله على قلوبهم سلطانا لا يخشون في الحق لومة لائم ولا يجعلون رضا الغير أو غضبه مقاما بجوار رضا الله أو سخطه...

وهكذا نخلص إلى القول بأن شجاعة العلماء الأدبية وصدعهم بالحق دون خوف ووعيهم بمسؤوليتهم في المجتمع جعلتهم مهاب الجانب محترمين لدى المجتمع، يهابهم السلطان فمن دونه، وغدت كلمتهم ذات تأثير كبير في نفوس العامة والخاصة، وتوجيههم توجيها سليما موفقا.

المطلب الخامس: الإفتاء

من الوظائف الشرعية التي اهتم بها الإسلام والمسلمون خطة الإفتاء لمكانتها في المجتمع الإسلامي، فعليهما تتوقف مصالح الناس وبها يهتدون إلى أمور دينهم ودنياهم من عبادات ومعاملات...

وبها تنتظم أمورهم وتصان حقوقهم وترعى مصالحهم، وإلى المفتي يفزع الناس عندما تحل بهم الملمات وتداهمهم المعضلات، وتكثر بينهم النزاعات. ولأهميتها

214 يراجع: الخطابة: أصولها تاريخها في أزهى عصورها عند العرب ص: 189.
215 يراجع: تاريخ الفتاش ص: 113-111/ حركة التجارة والإسلام ص: 542-537.

وعظمتها تولى الله أمرها بنفسه في محكم تنزيله وتولاها رسول الله r والصحابة من بعده والتابعون من بعدهم، ومن جاء بعدهم، من أهل العلم[216].

ولجسامة هذه الخطة روي عن الإمام الشافعي قوله:

«لا يحل لأحد أن يفتي في دين الله إلا رجلا عارفا بكتاب الله بناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه وتأويله وتنزيله ومكيه ومدنيه... ويكون بعد ذلك بصيرا بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وبالناسخ والمنسوخ ويعرف من الحديث مثل ما عرف من القرآن، ويكون بصيرا باللغة بصيرا بالشعر، وما يحتاج إليه للسنة والقرآن... ويكون بعد هذا مشرفا على اختلاف أهل الأمصار...»[217]

ولخطورة الفتوى أيضا كان الصحابة يتدافعونها فيما بينهم، ويود كل واحد منهم لو كفاه صاحبه عنها.

وفي ذلك روي عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قوله: «أدركت عشرين ومائة من الأنصار، من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منهم رجل يسأل عن شيء إلا ودّ أن أخاه كفاه، ولا يحدث حديثا إلا ودّ أن أخاه كفاه...»[218]

على أن الأصل في هذه الخطة أن لا تقيد بقيود ولا تخضع لتنظيم أو تقنين، بحيث تقوم السلطات بتنصيب شخص فيها بل شأنها أن تبقى مطلقة يتصدى لها كل من أنس في نفسه القدرة على إفتاء الناس فيما يعرض لهم من مشاكل وحوادث، ولهذا نجد أنها بقيت مرسلة في السودان الغربي، فالعلماء تولوها تطوعا، ولم نجد أحدا عينته السلطات المحلية في هذه الوظيفة، وإنما ترك أمرها لأفراد المجتمع، فيستفتون من العلماء من وثقوا به وأنسوا فيه العلم والورع. ولعل عدم تعيين السلطان السودانية مفتيا رسميا لكل منطقة من مناطق السودان، وترك هذه الخطة مرسلة يرجع إلى تأثرهم بالمغاربة حيث ذكر الدكتور عمر الجيدي أن المغاربة تركوا هذه الخطة مرسلة يتولاها كل من أنس في نفسه القدرة على ذلك[219].

---

216 يراجع: مباحث في المذهب المالكي بالمغرب: د عمر الجيدي ص: 125.

217 يراجع اعلام الموقعين لابن القيم ج1 ص 37 رتبه وضبطه وخرج آياته محمد عبد السلام إبراهيم، طبعة دار الكتب العلمية بيروت لبنان 1417/1996.

218 نفس المرجع ص: 28.

219 يراجع: مباحث في المذهب المالكي بالمغرب: د عمر الجيدي ص: 129.

ومن العلماء الذين اشتهروا بالفتوى في السودان الغربي، الفقيه المفتي أبو العباس أحمد بن اندغمحمد الذي قيل إنه كان مفتيا في زمنه[220].

والفقيه المفتي أحمد معيا، والفقيه محمد بغيغ[221]، والفقيه القاضي أبو حفص عمر الذي قيل فيه: لو كان حيا في زمن ابن عبد السلام لاستحق أن يكون مفتيا بتونس[222]، والفقيه أحمد بابا، وكثير من العلماء الذين ينتمون إلى أسرة أقيت وبغيغ والمجتهد ومعيا وكورد الفلاني والكنتين وغيرهم من العلماء الذين تركوا لنا آثارا خصبة في هذا المجال[223].

ومن رجع إلى مركز أحمد بابا التنبكتي ومركز ماما حيدر بتنبكت وخزائن بعض الأسر العلمية في المنطقة سيجد أنها مملوءة بهذه الفتاوى العلمية التي أفتى بها علماء السودان في مختلف العصور، في قضايا متعددة، الأمر الذي يدل على إسهامهم في حل قضايا عصورهم.

على أن هذه الفتاوى، وإن كانت الحروب والنزاعات المسلحة التي حدثت في المنطقة، والتهمت كثيرة منها، لكن بقي جزء مهم منها، وهو لا زال حبيسا بين الرفوف، يتعرض لهجمات الأرضة تارة وأحيانا أخرى للرطوبة، مما جعل كثيرا منه يتآكل ويتفتت.

---

220 يراجع السعدي ص: 30.

221 يراجع نيل الابتهاج ص: 600.

222 يراجع: السعدي ص: 34.

223 نيل الابتهاج ص: 607، 600/ السعدي ص: 30 وما بعدها/ فتح الشكور ص: 27 وما بعدها.

الفصل الثاني

نبذة عن أهم العلماء الذين آسهموا في ازدهار الحركة الفقهية في السودان الغربي

الفصل الثاني

نبذة مختصرة عن أهم رجال الحركة الفقهية في السودان الغربي

بعد ما رأينا في الفصل الأول مكانة العلماء وألقابهم ووظائفهم سنقدم في هذا الفصل نبذة مختصرة عن أهم العلماء الذين أسهموا في غرس بذرة الحركة الفقهية في المنطقة واعتنوا بها حتى ترعرعت وازدهرت ونضجت ثمارها

وسنبرز هذا الفصل من خلال ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: سنتناول فيه أهم العلماء الذين تركوا بصمات واضحة على الحركة الفقهية.

أما المبحث الثاني: فسنقدم فيه نظرة موجزة عن صنف من العلماء الذين أسهموا كثيرا في ازدهار الحركة الفقهية، وتردد أسماؤهم كثيرا على لسان المترجمين السودانيين لكن تاريخهم مجهول.

أما المبحث الثالث: فسنذكر فيه صنفا من العلماء الذين شاركوا في إذكاء نار الحركة الفقهية لكنه مجهول حيث لم يذكر المترجمون السودانيون عنهم شيئا، بل ذكروا أسماءهم فقط في زمرة العلماء دون أن يفصلوا القول في حياتهم.

المبحث الأول: صنف معروف

سنتناول في هذا المبحث نبذة مختصرة عن صنف من العلماء المعروفين في السودان الغربي.

المطلب الأول: من يبدأ اسمه بالهمزة.

1- الحاج أحمد بن عمر 862 - 943

هو أحمد بن عمر بن محمد أقيت بن عمر بن علي بن يحيى التكروري التنبكتي، عرف بالحاج أحمد جد أحمد بابا التنبكتي.

كان رحمه الله خيرا فاضلا متدينا صالحا ورعا، محافظا على السنة والمروءة والصيانة والتحري، فقيها نحويا لغويا عروضيا محصلا بارعا، حافظا، معتنيا بتحصيل العلم ونسخ كتبه.

كتب بيده عدة دواوين وكتب، وجمع كثيرا من الفوائد والتعاليق فترك نحو خمسمائة مجلد.

أخذ العلم عن جده لأمه الفقيه أندغمحمد الكبير، وعن خاله الفقيه المختار النحوي وغيرهما.

وحج عام تسعين وثمانمائة (890هـ) ولقي الجلال السيوطي وخالد الأزهري وغيرهما. ثم رجع إلى السودان فجلس للتدريس، وانتفع به خلق كثير منهم: أخوه الفقيه القاضي محمود بن عمر قرأ عليه المدونة وغيره. واجتهد في العلم درسا وتحصيلا، وأسندت إليه الإمامة في الجامع الكبير فرفض.

وبقي في التدريس والتأليف إلى أن توفي ليلة الجمعة من ربيع الثاني عام ثلاثة وأربعين وتسعمائة هجرية (943هـ) عن سن يناهز ثمانين سنة»[1]».

2- أحمد بن أحمد والد الشيخ أحمد بابا: 229 – 991 هـ

هو الفقيه أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت بن عمر بن يحيى التنبكتي المولود فاتح محرم عام تسعة وعشرين وتسعمائة.

كان رحمه الله فقيها علامة فهامة ذكيا دراكا محصلا متفننا محدثا أصوليا، بيانيا منطقيا مشاركا في فنون العلم، فصيحا متقنا خطاطا، بارعا في الأدب، رقيق القلب عظيم

---

1 نيل الابتهاج ص 137 – 138/ كفاية المحتاج جـ1 ص 132 – 133/ السعدي ص 37 – 38/ فتح النسكدر ص 27 – 28.ملاحظة: في نيل الابتهاج طبعة جمعية الدعوة تاريخ الوفاة عام 942 لكن في كفاية المحتاج السعدي والبرتلي تاريخ وفاته 943 ولعل هذا هو الصواب.

الجاه، وافر الحرمة عند الملوك وكافة الناس، نفاعا بجاهه، لا ترد له شفاعة، يغلظ على الملوك فمن دونهم، وينقادون له أعظم الانقياد ويزرونه في داره.

وكان متواضعا، محبوبا لدى الجميع لا ينطوى على حقد لأحد، منصفا للناس، جماعا للكتب، وافر الخزانة محتوية على كل علق نفيس سموحا بإعارتها.

أخذ العلم على إمام بلده عمه الفقيه القاضي محمود بن عمر وغيره من علماء بلده.

وفي سنة 956 هجرية رحل إلى الشرق فحج وزار، واجتمع بجماعة من جهابذة علماء المشرق كالناصر اللقاني والشريف يوسف الأرميوطي وجمال الدين بن الشيخ زكريا والشيخ التاجوري والأجهري. والتقى –بمكة والمدينة المنورة– بالشيخ أمين الدين الميمون والملاوا بن حجر المكي وعبد العزيز اللمطي وعبد المعطي السخاوي وعبد القادر الفاكهاني وغيرهم، وانتفع بهم كثيرا.

ولازم أبا المكارم محمد البكري وانتفع به، وقيد عنه فوائد كثيرة. وأجازه بعض علماء المشارقة.

ثم رجع إلى بلده السودان فجلس للإقراء، وأسمع الصحيحين نيفا وعشرين سنة. وأخذ عنه جماعة من فقهاء السودان كالفقيهين محمد وأحمد بغيغ ابني الفقيه محمود بغيغ، قرآ عليه الأصول والبيان والمنطق، والفقيهين الأخوين: عبد الله وعبد الرحمن ابني الفقيه القاضي محمود بن عمر أقيت، وقرأ عليه ابنه عدة فنون وأجازه جميع ما يجوز له وعنه، وسمع بقراءته الصحيحين والموطأ وغيرها.

ألف عدة مؤلفات منها: تعليقه على صغرى السنوسي والقرطبية وشرح مخمسات العشرنيات الفازازية لابن مهيب في مدح الرسول (ص)، وشرح منظومة المغيلى شرحا حسنا، وشرح جمل الخونجى، وألف في الأصول ولم يكمله، وعلق على مواضع من خليل وعلى شرحه للتتائي وبين فيه مواضيع السهو منه.

وبقي في التدريس والتأليف إلى أن توفي ليلة الاثنين السابع والعشرين من شعبان عام واحد وتسعين وتسعمائة هجرية"[2]».

---

2 – يراجع: نيل الابتهاج ص 141 – 142/ كفاية المحتاج جـ1 ص 137 – 139/ السعدي ص 42 – 43/ فتح الشكور ص 29 – 30.

3- أحمد بن محمد بن سعيد 931 – 976 هـ

هو الفقيه أحمد بن محمد بن سعيد سبط الفقيه القاضي محمود بن عمر بن محمد أقيت المولود عام 931 هجرية.

كان رحمه الله عالما علامة عاملا بعلمه ورعا ربانيا وليا صالحا جمع بين الحقيقة والشريعة، محدثا أصوليا بيانيا لغويا منطقيا، محصلا مدرسا، عالي الكعب في الفقه، ليس له نظير في الفهم والإدراك في عصره.

أخذ عن جده لأمه القاضي محمود بن عمر أقيت الرسالة ومختصر خليل وغيرهما وأخذ عن غيره المختصر والمدونة.

وجلس للتدريس وازدحم عليه الطلبة، وانتفع به ناس كثيرون وحضر مجلسه جماعة من علماء السودان للأخذ عنه منهم: الفقيه محمد بغيغ وأخوه أحمد فقرآ عليه الموطأ والمدونة ومختصر خليل وغيرها من الكتب. و حضر الشيخ أحمد بابا بعض دروسه عند ما كان صغيرا.، وأخذ عنه أيضا القاضي عمر بن محمود والفقيه محمود كعت وغير هم.

وله مؤلفات كثيرة منها: استدراكاته في الفقه، وحاشية لطيفة على مختصر خليل، اعتمد فيها على البيان والتحصيل.

وبقي رحمه الله في التدريس والتأليف والإفتاء إلى أن توفي عام فاتح المحرم سنة ست وسبعين وتسعمائة، وقيل سنة ست وتسعين وتسعمائة([3]) هجرية([4])

4- الفقيه أحمد بن محمود بغيغ الونكرى الجنوى التنبكتي شقيق الفقيه محمد بغيغ.

كان رحمه الله فقيها عالما علامة عاملا بعلمه عابدا ناسكا متفننا بارعا، متواضعا، سنيا، مطبوعا على الخير، حسن النية وقافا عند الحق لا يخاف في الله لومة لائم.

---

3 – يراجع: نيل الابتهاج ص 142 – 143/ كفاية المحتاج جـ1 ص 139/ السعدي ص 43، 53، 108/ فتح الشكور ص 28 / السعادة الأبدية ص 28، 40.

4 – ذهب بابير الأرواني في كتابه السعادة الأبدية إلى أنه توفي عام 999هـ خلافا لأحمد بابا والسعدي، ولعل الصواب هو ما ذهبا إليه.

انتقل مع أخيه محمد بغيغ من جنى إلى تنبكت، ولازما الفقيه أحمد بن محمد سعيد في مختصر خليل وغيره.

ثم رحل إلى الحج والتقى بمجموعة من كبار علماء المشارقة منهم: الفقيه الناصر اللقاني والتاجوري والشريف يوسف الأميوني والبرهموشي الحنفي والإمام محمد البكري وغيرهم، واستفاد منهم كثيرا ثم رجع إلى بلده بعد حجه فنزل تنبكت، ولازم مجلس الفقيه أحمد بن سعيد فأخذ عنه الفقه والحديث، وقرأ عليه الموطأ والمدونة والمختصر وغيرها ولازمه كثيرا.

كما لازم الفقيه الحاج أحمد بن أحمد – والد بابا – فأخذ عنه الأصول والبيان والمنطق، وقرأ عليه أصول السبكي وتلخيص المفتاح..

بقي رحمه الله في التدريس والإفتاء إلى توفي يوم الخميس الثاني عشر من رمضان عام ثمانية وسبعين وتسعمائة هجرية([5]).

5- أحمد بن الإمام صديق 1005هـ

هو أبو العباس الفقيه أحمد بن الإمام صديق بن محمد تعلى.

كان رحمه الله عالما فقيها ورعا تقيا زاهدا، عالي الكعب في الفقه عاملا بعلمه. تولى إمامة الجامع الكبير في تنبكت عام 989 هجرية بأمر القاضي العاقب بن القاضي محمود بعد وفاة الإمام محمد بن أبي بكر بن كداد الفلاني. ومكث في الإمامة والتدريس ستة عشر عاما وبضعة أشهر، عشر سنين منها في دولة سنغي وما بقي في دولة الشريف أحمد الذهبي.

وهو آخر أئمة الجامع الكبير في دولة سنغاي. كرس رحمه الله حياته في التدريس والإمامة والإفتاء إلى أن توفي يوم الجمعة التاسع من رمضان العام الخامس بعد ألف (1005) هجرية([6]).

6- أحمد بابا التنبكتي 963 - 1036

هو الفقيه الإمام سيدى أحمد بن الحاج أحمد بن الحاج أحمد بن عمر بن محمد أقيت التنبكتي، المولود بتنبكت عام 963 هجرية العالم العلامة، البحر الفهامة، عالم الدنيا

5 – يراجع: فتح الشكور ص: 28 – 29/ السعادة الأبدية ص: 39.
6 – يراجع: السعدي ص: 62، 112، 113/ فتح الشكور ص: 38/ السعادة الأبدية ص: 40.

ومعلمها، حامل لواء الأحاديث ومفهمها، رافع رواية مذهب الإمام مالك ومقدمه، سلطان العلماء في السودان الغربي.

نشأ رحمه الله في بيت علم وصلاح، ورث العلم والرياسة عدة قرون، جد رحمه الله في طلب العلم حتى فاق جميع معاصريه، فشهد له شيوخه بالعلم، فذاع صيته في الغرب وانتشر ذكره وسلم له علماء الأمصار في الفتوى.

وكان رحمه الله شجاعا وقافا عند الحق لا يداهن فيه ولو الأمراء بله من دونهم.

قرأ النحو على عمه أبي بكر، وأخذ على والده الحديث والمنطق وقرأ الرسالة تفقها ومقامات الحرير على غيرهما، وحضر بعض دروس الفقيه أحمد بن محمد بن سعيد.

ولازم شيخه محمد بغيغ أكثر من عشرين سنة فأخذ عنه التفسير والحديث والفقه والأصول والعربية وغيرها.

وختم عليه مختصر خليل بقراءته عليه وقراءة غيره نحو ثمان مرات.

وختم عليه الموطأ قراءة تفهم، وتسهيل ابن مالك قراءة بحث وتدقيق مدة ثلاث سنوات، وأصول السبكي بشرح المحلى ثلاث مرات قراءة تحقيق، وألفية العراقي بشرح مؤلفها، وتلخيص المفتاح بمختصر السعد مرتين، وصغرى السنوسى، وشرح الجزائرية له، وحكم ابن عطاء الله مع شرح زروق عليه...، وتحفة الحكام لابن عاصم و شرحها لابنه كلها بقراءته على شيخه. وقرأ عليه فرعي ابن الحاجب قراءة بحث والتوضيح لخليل والمنتقى للباجي، والمدونة بشرح أبي الحسن الزرويلى، والشفا للقاضي عياض. وقرأ عليه الصحيحين والمعيار للونشريسى، وغيرها من الكتب.

أجازه شيخه بخطه جميع ما يجوز له وعنه، كما أجازه والده أيضا في جميع ما يجوز له.

امتحن في فتنة الباشاوات في السودان الغربي، فقبض عليه الباشا محمود زرقون. هو وأسرته ومجموعة من فقهاء السودان فأرسلهم إلى مراكش. ولما خرج من المحنة طلب منه السلطان أحمد المنصور الذهبي أن يدرس في جامع الشرفاء فامتنع في البداية ثم جلس للتدريس، فيه.

كان يدرس مختصر خليل دراسة بحث وتدقيق ونقل وتوجيه، وتسهيل ابن مالك وألفية العراقي ، وتحفة الحكام، وجمع الجوامع للسبكي، وحكم ابن عطاء الله، والصحيحين، وغيرها من الكتب.

أخذ عنه مجموعة من علماء وتلاميذ المغرب منهم: قاضي الجماعة بفاس العلامة أبو القاسم بن أبي النعيم الغساني، وقاضي الجماعة بمكناس، ومفتي مراكش والرجراحى والفقيه أحمد المقري والسعدي، وغيرهم من العلماء والتلاميذ.

وبعد ما أفرج عنه رجع إلى بلده، وكرس حياته في التدريس والتأليف والإفتاء طول حياته، وقد بلغ مؤلفاته نيفا وستين مؤلفا منها:

المقصد الكفيل بحل مقفل خليل، منن الرب الجليل في بيان مبهمات خليل، تنبيه الواقف على تحرير وخصصت نية الحالف، إفهام السامع بمعنى قول خليل في النكاح بالمنافع، فتح الرزاق في الشك في الطلاق.

أنفس الأعلاق في فتح الاستغلاق من كلام خليل في درك الصداق، الزند الورى في مسألة تخيير المشتري، الكشف والبيان في حكم أصناف مجلوب السود، اللمغ في الإشارة لحكم تبغ، ترتيب جامع المعيار للونشريسى، أسئلة في المشكلات، نيل المرام على التمام ببيان حكم الإقدام على الدعاء بما فيه إيهام، نيل الابتهاج، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباح، درر السلوك بذكر الخلفاء وأفاضل الملوك، النكت الوفية بشرح الألفية النكت الزكية، غاية الإجادة في مساواة الفاعل للمبتدإ في شرط الإفادة، التحديث والتأنيس في الاحتجاج بابن إدريس، نزول الرحمة في التحدث بالنعمة ، أجوبة على الأسئلة المصرية، جلب النعمة ودفع النقمة بمجانبة الولاة الظلمة، تحفة الفضلاء ببعض فضائل العلماء، شرح صغرى السنوسى المأرب والمطلب في أعظم أسماء الرب، شرح الصدور وتنوير القلوب ببيان مغفرة ما نسب للجانب النبوي من الذنوب؛ نشر العبير بمعاني الصلاة على البشير النذير، نيل الأمل في تفضيل النية على العمل وغيرها من المؤلفات التي لا يمكن ذكرها جميعا، في هذا المقام.

بقي رحمه الله طوال حياته في التدريس والتأليف والإفتاء إلى أن توفي ضحوة الخميس السادس من شعبان عام ستة وثلاثين وألف هجرية"7".

---

7 – يراجع: كفاية المحتاج جـ2 ص: 281 – 285/ فتح الشكور ص: 31 – 37/ السعدي ص: 35/ السعادة الأبدية ص: 30 – 33/ انظر أيضا بحثنا في دد ع: أحمد بابا التنبكتي وجهوده في الفقه المالكي.

7- الفقيه أحمد بن اندغمحمد 1045

هو الفقيه القاضي سيدى أحمد بن اندغمحمد بن أحمد بري بن أحمد بن القاضي اندغمحمد التنبكتى.

كان رحمه الله عالما عاملا، فقيها نحويا لغويا أصوليا بلاغيا مشاركا في علوم عديدة، تولى القضاء بتنبكت عام 1020 بعد وفاة أبيه القاضي الفقيه محمد بن اندغمحمد بن أحمد بري بأمر الباشا محمود "8".

ألف عدة مؤلفات منها:

شرحه الحسن على الأجرومية سماه « الفتوح القيوم » فيه فوائد مهمة وفروع و تتمات يتشوف لها عالي الهمة يدل على علو كعبه في العربية وكثرة اطلاعه على دقائقها.

كرس جهوده في التدريس والتأليف والقضاء إلى أن توفي ضحوة الجمعة الثالث عشر من المحرم الفاتح للعام الخامس والأربعين والألف"9".

8- الفقيه سيدى أحمد بن البشير الكلسوكى: 1100 - 1184

هو الفقيه سيدى أحمد بن البشير بن محمد بن محمد بن موسى الكلسوكى المولود عام 1100 هجرية.

كان رحمه الله فقيها عالما، صالحا جوادا ورعا صموتا ذاكرا واعظا. نشأ في بلد السوقيين ثم قدم إلى أروان وهو ابن خمس وعشرين سنة وواصل دراسته الفقهية واللغوية والتفسيرية في أروان. أخذ الورد عن سيدى أحمد بن عبد القادر الرقادى، وأخذ القراءات السبع عن الشيخ سيدى الأمين بن حبيب الجكنى وسيدى إبراهيم بن الإمام العلوي وأجازه.

وأخذ روايات البخاري ومسلم والشفا والخصائص وغيرها عن القاضي سيدى الوافى بن طالبن الأروانى.

---

8 – السعدي ص: 219.

9 – السعدي ص: 257 – 295/ فتح الشكور ص: 39/ السعادة الأبدية ص: 40.

وكان رحمه الله كثير الاطلاع على كتب التفاسير والأحاديث والقراءات وكثيراً ما يرتل القرآن برواية قالون.

كرس جهوده في التدريس إلى أن توفي ضحوة الأحد سنة أربع وثمانين ومائة وألف عن سن يناهز أربعا وثمانين – ودفن بإزاء المسجد الجبيهي"[10]".

9- الفقيه أحمد بن همهم 1205 هـ.

يقول أحمد بحمد الأحد	مصليا على النبي الأحمدي
إن حديث المصطفى جرى على	خمسة أوجه يكون مرسلا
ومسندا ثمت مقطوعا كذا	موقوف البلاغ نظمها خذا

هو الفقيه أحمد بن همهم ويلقب بعام كان رحمه الله عالما فقيها مشهورا بالعلم والكرم والشجاعة وسخاء النفس والبر بقرابته قوي العارضة. له عدة مناظرات مع بعض علماء عصره منهم الشيخ سيدي المختار الكبير ترك رحمه الله عدة مؤلفات منظومة ومنثورة منها منظومته في مصطلح الحديث التي مطلعها

أقول بعد حمد رب العالمين	مصليا على إمام المرسلين
يا سائلي حل تراجع الحمل	وشرح ما مثله به خليل
خذ بعون الصمد الجميل	لتهتدي به إلى السبل

ومن منظوماته الفقهية أيضا أبيات في الفرق بين ما يجوز بيعه قبل قبضه من الأطعمة وبين ما لا يجوز بيعه وما اختلف فيه فرمز لما يجوز بيعه قبل قبضه بلفظ بجكن فالباء لطعام البيع والجيم لطعام الإجارة والكاف لطعام الكراء والنون لطعام النكاح فهذه الأنواع الأربعة هي التي لا يجوز بيعها قبل قبضها. ورمز لما يجوز قبضه بلفظ قسهم فالقاف لطعام القرض والسين لطعام الاستهلاك والهاء لطعام الهبة والميم لطعام الميراث فهذه الأربعة هي التي يجوز بيعها قبل قبضها. ورمز لما اختلف فيه بلفظ جكصخ فالجيم لطعام الجزاف والكاف لطعام الكتابة والصاد لطعام الصلح عن دية الخطأ والخاء لطعام الخلع. فهذه هي التي في بيعها قبل قبضها خلاف، والنظم الجامع لهذه الرموز مع فكها ما يلي: فبيع بجكن قبل قبض محرم طعام بيوع الآجال والإجارة والكراء

---

10 – يراجع: فتح الشكور ص: 54 – 56.

فبيع بجكن قبل قبض محرم طعام بيوع الآجال والإجارة والكراء
نكاح وقبل القبض، جوز قسهم عينت طعام القرض مستهلكا هبة
فميراثنا وخلف جكصخ يعلم جزاف كتابة وصلح عن الخطإ خلع

وله أرجوزة في نظم فصول مختصر الأخضري وترك باب السهو، ومطلعها

الحمد لله الذي قد أكملا لنا فروض دينه وفصلا
وتمم النعمة في تبيان نظافة القلوب والأبدان

وبعد فالعون من المقتدر في نظم ما تركه المزمري
محمد بن أب من مختصر سيدنا الشيخ الإمام الأخضري
فإنه بنظم سهوه أتى وعن جميع ما سواه سكتا

ظل رحمه الله في نشاطاته العلمية تعليما وتدريسا وتأليفا إلى أن وافته المنية سنة 1205 هـ.[11]

10- الشيخ سيدى أحمد البكاي 1803 - 1865م

هو الشيخ سيدى أحمد البكاي بن الشيخ محمد بن الشيخ سيدى المختار الكنتى، المولود عام 1803. وسمي بهذا الاسم تخليدا لذكرى الشيخ سيدى أحمد البكاي الكبرى.

كان رحمه الله عالما فقيها سياسيا صالحا ذكيا يزوره الناس من كل مكان، نشأ رحمه الله في بيت علم وصلاح، أتم دراساته الفقهية واللغوية والتفسيرية والعربية وغيرها بجوار جده الشيخ سيدى المختار.

وكان أخوه سيدى المختار الصغير يستخدمه كزعيم ديني مساعد وأحيانا كمفاوض في المعاملات السياسية.

11 – يراجع: الجوهر الثمين في أخبار صحراء الملثمين ومن يجاورهم من السوادين للشيخ العتيق ابن الشيخ سعد الدين صفحة 248 – 256.

ولما توفي أخوه المختار الصغير 1747 تولى الزعامة الدينية، وكان في الوقت نفسه زعيما سياسيا لقبيلة الكنته، والمعلم الأكبر لمريدي القادرية، فانتشر نفوذه على نطاق واسع في الصحراء.

وفي عام 1853 التقى بالرحالة بارت، ورحب به أحسن ترحيب ووفر له الحماية طول إقامته في تنبكت. وجرى بينه وبين الحكومات الإنجليزية عدة مراسلات تدل على طموحه وحنكته السياسية، وله عدة مراسلات ومؤلفات منها:

فتح الفردوس في جواب أبي عبد الله الكنسوس المراكشى.

كتاب بغية الإلف في جواب ابن بركة.

له عدة رسائل مع أمراء الماسنيين والشيخ الحاج عمر تال.

كرس جهوده للتدريس والطريقة القادرية إلى أن توفي عام 1865م"[12]".

11- سيدى أحمد بن أغ الشيخ أحمد بن الشيخ بن أحماد بن محمد السوقي المعروف بانك يعني (الأخ) في لهجة الطوارق

هو الفقيه سيدى أحمد بن اك الشيخ السوقي. كان رحمه الله تعالى فقيها نحويا لغويا محدثا أصوليا بيانيا منطقيا متفننا.

أخذ عن شيخه العلامة المحدث سيدى محمد بغيغ الونكرى التنبكتى صحيح البخاري وصحيح مسلم، وكتاب الشفا للقاضي عياض والموطأ والخصائص الكبرى والصغرى للسيوطي.

وأخذ عنه الشيخ سيدى أحمد بن سيدى محمد إيجل الزيدي والقاضي سنبير بن القاضي سيدى الوافى جميع مروياته في الحديث والفقه وغيرهما.

وأخذ عنه الشيخ أحمد بن سيدى صالح البلاغة والمنطق والأصول والحديث والتفسير. وأخذ عنه سيدى محمد الأمين بعض الكتب الفقهية والحديثية والتفسيرية واللغوية وغيرها.

12 – يراجع: إزالة الريب والشك والتفريط في ذكر المؤلفين من اهل التكرورو الصحراء وأهل شنقيط. أحمد بلعراف التكنى ص: 90 – 92. دراسة وتحقيق الدكتور الهادى المبروك الدالى. الطبعة الأولى 2001/ كنته الشرقيون، بول مارتى ص: 99 – 100.

كرس جهوده في التدريس وتكوين الأجيال إلى أن توفي خلال القرن الثاني عشر الهجرية"[13]".

12- سيدى أحمد بن هك الكلادى 1214هـ

هو الفقيه سيدى أحمد بن هك الكلادى. كان رحمه الله عالما فقيها مفسرا متواضعا، رقيق القلب مدرسا. كان يدرس الفقه والتفسير والحديث والعربية ومقامات الحريري درسا حسنا.

أخذ عن عدة علماء منهم: الشيخ وادّاي والقاضي مم بن احلون وغيرهما. وكان بقيد الحياة عام أربعة عشر ومائتين وألف، ولم نقف على تاريخ وفاته»[14]».

13- الفقيه الأمين بن أحمد 957 -1041هـ

هو الفقيه الأمين بن أحمد بن محمد، المولود عام سبعة وخمسين وتسعمائة.

كان رحمه الله شيخا فاضلا صالحا تقيا زاهدا وليا خيرا، فقيها نحويا تصريفيا لغويا مدرسا، فطنا، وقاد الذهن رطب اللسان، عالي الكعب في الفقه واللغة العربية، له حظ في معرفة الصحابة.

أخذ عن عدة علماء زمنه منهم: المحدث الشيخ محمد بغيغ الونكرى. وأخذ عنه مجموعة من علماء عصره منهم: عبد الرحمن السعدي مؤرخ السودان وغيره من العلماء.

كرس حياته في التدريس والإفتاء إلى أن توفي بكرة الثلاثاء عشرين من شوال العام الحادي والأربعين وألف عن نيف وثمانين سنة"[15]".

14- الفقيه سيدى الأمين بن الحبيب الجكانى 1108

هو الفقيه سيدى الأمين بن الحبيب الجكانى. كان رحمه الله شيخا فاضلا عالما فقيها أستاذا حاملا لكتاب الله تعالى، قارئا للقرآن بالقراءات السبع.

13 – يراجع: فتح الشكور ص: 50 – 51/ الجوهر الثمين في أخبار صحراء الملثمين ومن يجاورهم من السوادين العتيف بن الشيخ سعد ص: 214 – 215.

14 – يراجع: فتح الشكور ص: 70 – 71.

15 – يراجع السعدي ص: 36، 246 – 247/ فتح الشكور ص: 62 – 63/ السعادة ص: 45، ويذهب إلى أنه توفي 1027هـ لكن الراجح هو ما ذهب إليه السعدي والبرنلى.

أخذ القراءات السبع عن الشيخ العالم سيدى أحمد بن البشير الكلسوكى وأجازه.

كرس جهوده في التدريس إلى أن توفي عام ثمانية ومائة وألف"[16]".

15- ادورفق (الدرفق) بن الفقيه محمد

هو الفقيه الدرفق بن الفقيه محمد بن محمد انطمت السوقى.

كان رحمه الله عالما فقيها لغويا، تصريفيا مدرسا. له عدة مؤلفات منها:

كتابه: هبة المالك على خلاصة ابن مالك، وهو شرح حسن مفيد – في مجلد ضخم – على ألفية ابن مالك، جمع فيه ما تشتت في غيره من الشروح، مما يصعب استحضاره غالبا.

قد تلقى هذا الكتاب قبولا عند طلبة العلم، وانتفعوا به كثيرا ومن اطلع عليه يظهر له مهارة مؤلفه في علم النحو والتصريف.

وكان حيا سنة إحدى عشر ومائة وألف، ولم نقف على تاريخ وفاته"[17]".

16- الفقيه أبو عبد الله اندغمحمد (الحفيد) 986

هو الفقيه أبو عبد الله اندغمحمد بن المختار النحوي بن اندغمحمد إمام مسجد سنكرى بتنبكت.

كان رحمه الله عالما علامة، تقيا ورعا متواضعا فقيها واثقا بالله شهيرا في علم العربية، مادحا لرسول الله(ص) مسردا لكتاب الشفا للقاضي عياض في رمضان بمسجد سنكرى. سلم له شيوخ العلم بالعلم والصلاح. ولاه القاضي محمود بن عمر أقيت، عند كبر سنه إمامة مسجد سنكرى وبقي في التدريس والإمامة إلى أن توفي عام ستة وثمانين وتسعمائة"[18]".

17- الفقيه اندغمحمد بن ملوك 995

هو الفقيه اندغمحمد بن ملوك بن أحمد بن الحاج الدليمي الملقب بالمصلى لكثرة صلاته في المسجد.

16 – يراجع: فتح الشكور ص: 69.
17 – يراجع: فتح الشكور ص: 96.
18 – يراجع: السعدي ص: 29/ السعادة الأبدية ص: 29/ فتح الشكور ص: 107.

كان رحمه الله عالما فقيها، تقيا مواظبا لصلاة الجماعة بالمسجد. وكان أكبر شهود مجلس القاضي محمود. أخذ عن الفقيه القاضي محمود بن عمر بن محمد أقيت ولازم مجلسه إلى أن تفقه.

توفي عام خمسة وتسعين وتسعمائة هجرية"[19]".

المطلب الثاني: من يبدأ اسمه بحرف الباء والحاء والسين والصاد والطاء والعين والفاء

18- أبو بكر أحمد بن عمر أقيت 932 - 991

هو الفقيه أبو بكر بن الحاج أحمد بن عمر بن محمد أقيت التنبكتي المعروف بأبكرٍ بير المولود بمدينة تنبكت عام 932 هجرية.

كان رحمه الله عالما فقيها صالحا زاهدا ورعا تقيا أواها خيرا صينا متواضعا، متين الدين، مستقيما، منفقا على الفقراء والمساكين والأيتام والأرامل.

نشأ رحمه الله في بيت علم وصلاح ذي رياسة ودولة، وتفرغ لطلب العلم إلى أن وصل الغاية فيه، ثم رحل إلى المشرق وحج وبقي في المدينة مدة. ثم رجع إلى بلده ومكث فيه بضعة أعوام، ثم أخذ عائلته ورحل إلى المدينة المنورة ليجاور مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم.

أخذ عنه مجموعة من علماء المنطقة منهم: ابن أخيه الفقيه أحمد بابا الذي أخذ عنه علم العربية وغيره من العلوم.

وله عدة مؤلفات في التصوف وغيره منها: كتابه معين الضعفاء في القناعة وغيره من المؤلفات.

بقي رحمه الله في المدينة المنورة إلى أن توفي بها فاتح إحدى وتسعين وتسعمائة هجرية"[20]".

19- الفقيه أبو بكر بن أحمد بير 1039هـ

19 – يراجع: السعدي ص: 31/ فتح الشكور ص: 108.
20 – يراجع: نيل الابتهاج ص: 151/ كفاية المحتاج جـ1، ص: 181/ السعدي ص: 41 – 42/ السعادة الأبدية ص: 28.

هو الفقيه العالم أبو بكر بن أحمد بير بن الفقيه القاضي محمود بن عمر بن محمد أقيت التنبكتي.

كان رحمه الله عالما فقيها خيرا صالحا تقيا زاهدا ورعا. نشأ في أسرة علمية ذات دولة ورياسة وجاه، اجتهد في طلب العلم حتى بلغ الغاية القصوى، ثم تفرغ للتدريس.

ولما مرض القاضي عين إماما على المسجد الجامع كرها، وصلى بالناس الظهر والعصر والمغرب والعشاء. وفي الليل فر هاربا إلى قرية تنبهور ليعيش هناك بعيدا عن المسؤولية، وبقي فيها إلى أن توفي يوم سادس عشر من رجب عام تسعة وثلاثين وألف"[21].

20- الفقيه بابير بن سيدى أحمد معيا

هو الفقيه العالم العلامة البحر الفهامة فريد دهره ومصباح زمانه المفتي أبو عبد الله الشهير ببابير بن الفقيه القاضي سيدى أحمد ابن الفقيه القاضي إبراهيم الفقيه عبد الله بن العلامة الولي سيدى أحمد معيا.

كان رحمه الله عالما فقيها مفتيا قاضيا، عالي الكعب في العلوم الإسلامية عادلا خيرا نافعا للمسلمين منفقا على الفقراء واليتامى والأرامل.

ولاه الباشا بُبَكر قضاء تنبكت وأحوازها عام 1163 فسدد في الأمور وعدل في الأحكام وأحيا السنة وحارب الظلم والفساد والبدعة.

وبقي في القضاء إلى أن توفي خلال القرن الثاني عشر الهجري"[22].

21- الفقيه باب سي بن أبكر سي 1155هـ

هو الفقيه باب سي بن أبكر سي بن محمد سي بن الفقيه القاضي محمد جم قاضي ماسنة.

كان رحمه الله فقيها عالما، تولى قضاء منطقة ماسنة بعد وفاة أبيه، ثم عزل عن منصبه، فرحل إلى تنبكت وارتاد الحلقات والمجالس العلمية بها حتى تمكن في عدة فنون وفاق كثيرا من أهل زمانه.

---

21 – يراجع: السعدي ص: 35 – 63، 245 – 246/ فتح الشكور ص: 73 – 74.

22 – يراجع: تذكرة النسيان ص: 115، 148.

ثم رحل إلى أروان، فواصل في التحصيل والتدريس إلى أن توفي فيها يوم السبت سابع عشر من جمادى الثانية عام خمس وخمسين ومائة وألف"[23]".

22- باب أحمد بن الشيخ سيدى المختار 1834 - 1887هـ

هو الشيخ الفقيه باب أحمد بن الشيخ سيدى المختار الصغير بن الشيخ سيدى محمد بن الشيخ سيدى المختار الكبير.

كان رحمه الله عالما فقيها عابدا تقيا ورعا، تولى زعامة قبيلة كنتة غورمه ما بين 1860 – 1887 بعد وفاة أخويه حمادى ومحمد بادى.

ونظرا لمكانته العلمية خلف شهرة كبيرة بين القبائل الصحراوية.

وقام بتربية عدد لا بأس به من المشايخ منهم: ابن أخيه علواتة ومحمد بن أحمد. وقد كرس جهوده للتعليم وتربية الأجيال إلى أن توفي عام 1887م"[24]".

23- الفقيه الحاج البشير بن الحاج أبي بكر 1214 هـ

هو الفقيه الحاج البشير بن الحاج أبي بكر بن الطالب محمد بن عمر البرتلي. كان رحمه الله عالما فقيها محبا للنبي صلى الله عليه وسلم ملازما لقراءة قصائد مدحه صلى الله عليه وسلم خبيرا بضروب القصائد العشرينيات وتخميسها والهمزية يحضر كثيرا مجالس صحيح البخاري والشفا للقاضي عياض. أخذ الشفا عن الفقيه المحدث محمد الأمين بن الطالب سيدي أحمد السوقي وأجازه وأخذ علم السير عن الفقيه عمر بن مود محمد غع الفلاني. وفي عام 1204 حج وزار الحرمين الشريفين ولقي بعدة علماء في المشرق منهم الشريف المرتضى وأجازه له كتاب سماه الرحلة يذكر فيه مراحل طريق الحج من بلاد توات إلى الحرمين الشريفين توفي رحمه الله ليلة الخميس 11 من رمضان عام 1214 هـ.[25]

24- الشيخ حم بن أحمد السوقي 1207هـ

هو الشيخ الفقيه حم بن أحمد بن الشيخ السوقي.

---

23 – يراجع: نفسه ص: 84/ السعادة الأبدية ص: 48.

24 – يراجع: كنتة الشرقيون بول مارتى ص: 91.

25 – يراجع فتح الشكور للبرتلي صفحة 84-83.

كان رحمه الله عالما علامة، عاملا بعلمه، زاهدا ورعا تقيا سخيا قواما متفننا في العلوم العقلية والنقلية.

ومهر في علوم التفسير واللغوية والحديث حتى صار شيخ زمانه فيها.

كان رحمه الله مع كونه متبحرا في العلوم الإسلامية يتوقف في الفتوى أو القضاء بين اثنين، وروي عنه قوله «..إني أرجو أن ألقى الله وأنا لم أقض بين اثنين» بقي رحمه الله طوال عمره لم يتزوج خوفا من عدم الإيفاء بالحقوق الزوجية حتى توفي عام سبعة ومائتين وألف"[26].

25-الشيخ حمد بن حمد لوبو المعروف بسيكو امدو 1844 هـ

هو أمير المؤمنين خليفة المسلمين مؤسس دولة ماسينا الإسلامية الفقيه العالم حمد بن حمد لوبو كان رحمه الله عالما فقيها تقيا ورعا شجاعا إماما عادلا مجاهدا نشأ في بيت عز وسلطة وعلم رباه جده الفاغورو وحثه بطلب العلم فجد واجتهد حتى بلغ مبلغا من العلم فلقب بسيكوحمدو (الشيخ حمد) لعلمه ومكانته. حفظ القرآن وهو ابن 22 سنة ثم درس الفقه وبعض العلوم الإسلامية وهو لا يزال راعيا. ثم رحل إلى جني فأخذ عن الشيخ كبر فاما ومجموعة من علمائها وبعدما لازم كثيرا من علماء جني رحل عند الكنتيين وأخذ عن الشيخ سيدي المختار الكبير، وبقي عنده ثلاث سنوات فأجازه الشيخ سيدي المختار الكبير في جميع ما يجوز له. وفي عام 1800 اتصل بالشيخ عثمان دان فوديو وأخذ عنه وصاحبه في جهاده الكبير في غرب أفريقيا. وبعدما لازم الشيخ عثمان مدة رجع إلى ماسينا فأسس مدرسة للتعليم، وتتلمذ على يديه عدة طلبة فذاع صيته في المنطقة.

ولما رأى انتشار الفساد والبدعة في المنطقة أرسل بعض طلبته إلى الشيخ عثمان ليستشيره في إعلان الجهاد في المنطقة وليدعو له، ويرسل له رايات للجهاد. وقبل مجيء الرسل جمع أغلب علماء المنطقة وأعلن أمامهم بأنه أرسل لنصرة الإسلام في ماسينا، وتجول في كافة أرجاء ماسينا لبيان مشروعه ومذهبه -عله يجد من يسانده- لكن انزعج كثير من فقهاء المنطقة من مشروعه فطردوه من جني فذهب إلى قرية راندو سير وأعلن الجهاد على الكفار وعلى كل من يحارب الله ورسوله. وبعدما بدأ الجهاد ألغى لقب لاردو الذي يلقب به أسياد القوم في ماسينا فجعل نفسه أمير المؤمنين. وقد استطاع

---

26 - يراجع: فتح الشكور ص: 94.

الشيخ حمد بشجاعته وقوته وعزيمته وإخلاصه أن يقيم دولة إسلامية في ماسينا يحكم بالشريعة الإسلامية ويطبق أحكامها طيلة حكمه الذي دام من عام 1810 إلى 1844، وامتد من ماسينا إلى تنبكت.

ظل رحمه الله يجاهد بعلمه وقلمه وسيفه لمحاربة البدعة والجهل وإقامة دولة إسلامية في ماسينا إلى أن وافته المنية عام 1844 هـ[27].

ولما توفي رحمه الله رثاه عدة علماء بقصائد منها قصيدة ابن الباتن بن محمد الذي نقتطف منها هذه الأبيات:

سلام للأمير بن الأمير   كصرف الخندروس وكالعبير

بحر العلم ليس له كفاء   نعم كفاه كالمطر الغزير

مجدد دولة الإسلام ما إن   يروم على الإمارة من نقير

عفيف من عباد الله لا من   عبيد للجين وللنضير

أحقا إنه نعي الأمير   فما للأرض حزنا لا تمور

وما للبدر يطلع مستنيرا   وما للنجم وبحد لا يغور

فإن يك موته خبرا صحيحا   وكل فتى إلى الموت يصير

ثم تزلزلت البسيطة واقشعرت   لموت فتى تسر به القبور

فوجه الأرض مسود عبوس   وباطنها مداخله السرور

إمام هدي لديه التبر تبن   مهان في رضى المولى حقير

أمير دانت الأمراء قسرا   له أن كان ليس له نظير

أمير أمر بالرشد نا   عن العصيان والطغوى زجور

27 – يراجع أعالي السينغال والنيجر: موريس ديلافوس ج.2 صفحة 231 – 233، 234 – 239 / تاريخ أفريقيا الغربية: سيكني مودي سيسوكو صفحة 280 وما بعدها / للمزيد يراجع فتح الصمد ذكر نبذة من أخلاق شيخنا أمير المؤمنين أحمد بن محمد أمير ماسينا لمحمد ابن علي مخطوط بمركز أحمد بابا بتنبكت تحت رقم 5285.

جــريء شــتــت الــكــفــار شــمــلا	و فــأضــحــوا لا تــقــرهــم الــقــصــور
ودوخ دولـــــة الإشـــــراك حــتــى	غـــدت رشــــدا وجــانــبــهــا الــفــجــور
وكـــانـــت قــبــلــه بــالــكــفــر مــلــئ	لــــه فــيــهـــا صـــنـــاديـــد تــخـــول
فـــجـــازاه الإلـــــه عـــن الـــبــرايــا	وصـــافــحــه مــلائــكــة وحــور[28]

26- د الشيخ حمادى بن سيدى علواتة 1850 - 1900

هو الشيخ حمادى ولد سيدى علواتة بن الشيخ محمد الكنتى بن الشيخ سيدى المختار المولود عام 1850 هجرية في تنبكت.

كان رحمه الله عالما فقيها ذكيا منفقا متفتحا، خفيف الظل تاجرا مخلصا مؤرخا، نافعا لقبيلته، ناجحا في الوساطات التي يقوم بها.

درس في تنبكت في أسرته وجد واجتهد حتى أصبح عالما فقيها كبيرا. واشتغل بتجارة الملح إلى جانب تعليمه وتدريسه.

عيّن نائب كنتة لدى دائرة منطقة تنبكت – نظرا لمكانته العلمية – وبموجب هذا المنصب كان وسيطا بين قبيلة كنتة والفرنسيين، كما عيّن وسيطا – في كثير من الحالات – لحل بعض المشاكل الناشئة بين بعض القبائل في المنطقة.

وقد قدم خدمة جليلة وعديدة لقيادة المنطقة، توفي رحمه الله في نهاية القرن الثالث عشر الهجري والله اعلم"[28]".

27- حمادى بن محمد بادى 1869 - 1912

هو حمادى بن محمد بادى بن الشيخ سيدى المختار الصغير بن الشيخ سيدى محمد بن الشيخ سيدى المختار الكبير، المولود عام 1868م في بيرفونان بادرارا يفوغاس.

كان رحمه الله عالما فقيها، ذكيا متفتحا مبجلا محاربا شجاعا سياسيا محنكا، لطيفا، ذا دهاء، زعيما موهوبا مخلصا لقضايا قبيلته، ذا مكانة عالية لدى قبائل الصحراء. نشأ في أسرة علمية ذات جاه ودين، ودرس في المخيم العائلي تحت إشراف والده،

---

28 – يراجع: كنتة الشرقيون ص: 139.

وشارك في بعض الحروب التي وقعت بين قبيلته وبعض القبائل الطارقية مثل: إيلمدن وإيفوغاس.

وبعد وفاة والده تولى زعامة القبيلة، واستمر في زعامة وإدارة أمر القبيلة وتكوين أجيالها إلى أن توفي في بعض الحروب التي وقعت بينهم وبين بعض القبائل الصحراوية حوالي عام 1912م"29".

28- الفقيه القاضي: سن شرف بن محمد 1280

هو الفقيه القاضي سن شرف بن محمد بن عثمان الكابري. كان رحمه الله عالما فقيها متبحرا في العلوم الإسلامية، قواما صواما زاهدا.

جمع في عهده بين المراتب الثلاثة: الإمارة والإمامة والقضاء. فأقبلت عليه الدنيا واعرض عنها، ذاع صيتة في صحراء السودان لعلمه وعدله، فسخر الله له الخلائق كلها.

وكان رحمه الله لا تأخذه في الله لومة لائم فهابه الخلق كله.

وبقي في القضاء إلى أن توفي عام 1280 هجرية"30".

29- الفقيه سعيد بابا بن محمد الأمين 1044

هو الفقيه العالم سعيد بن بابا بن محمد الأمين بن حبيب الله. كان رحمه الله عالما فقيها مشاركا في الفنون عالي الكعب في العلوم الإسلامية، له فيها محاولة جيدة وعبارة محررة، برع في العلم ودرس وألف.

أخذ عن الفقيه عبد الله الرحمن بن الفقيه محمود بن عمر بن محمد أقيت وحضر مجالس الفقيه محمد بغيغ الونكرى فقها وحديثا ونحوا، ولم يباشر القراءة عليه، وكاتبه في عدة أسئلات الفقهية.

ولازم الشيخ سيدى أحمد بابا في النحو إلى أن أتقنه، وقرأ على الفقيه الأمين جملة من مختصر خليل وأتمه على الفقيه محمد بن محمد كرى لما تولى الإقراء في مسجد سنكرى. وله عدة مؤلفات منها:

---

29 – يراجع: نفسه ص: 96 – 98.

30 يراجع: السعادة الأبدية ص: 51.

شرح ألفية السيوطي في النحو سماه المنح الحميدة في شرح الفريدة وشرح شواهد الخزرجي، وله طرة على المقامات الحريري، وحاشية على البخاري لم يكمله، وله عدة قصائد في المدح النبوي.

بقي رحمه الله في التدريس والتأليف والإفتاء إلى أن توفي عام 1044 هجرية"[31]".

30- الفقيه صديق بن محمد تعلى 973هـ"[32]".

هو الفقيه صديق بن محمد تعلى، الكابرى الأصل الجنجوجي المولد. كان رحمه الله عالما فقيها فاضلا خيرا صالحا، ارتحل من قريته جنج إلى تنبكت وتوطن فيها ولازم المجالس العلمية فيها حتى مهر في عدة علوم.

ولاه القاضي محمود بن عمر أقيت إمامة الجامع الكبير بتنبكت بعد وفاة سيدى على الجزولى.

رحل إلى الشرق فحج وزار الحرمين الشريفين، واجتمع مع كثير من فقهاء المشارقة منهم: سيدى محمد البكرى، ثم رجع إلى تنبكت وواصل التدريس في مدرسته.

وبقي في الإمامة إلى أن توفي صدر ولاية القاضي العاقب القضاء بتنبكت عام ثلاثة وسبعين وتسعمائة هجرية، بعد ما مكث في الإمامة نحو أربع وعشرين سنة"[33]".

31- طالبن بن القاضي سيدى الوافى الأروانى 1180هـ

هو الفقيه العالم العلامة البحر الفهامة، قاضي أروان المشهور ذكره وعلمه الملقب بسنبير بن القاضي سيدى الوافى بن طالبن بن السيد الصالح بن سيدى أحمد بن أحمد آد الأروانى.

كان رحمه الله عالما علامة فقيها نحويا نبيلا رئيسا من عيون قضاة المنطقة، رفيع الدرجة عالي الهمة، راسخ القدم في الدراية والرواية، إماما محققا مشهورا، قاضي القضاة وإمام الفقهاء النجباء صرف همته العلية في فنون العلم فأوضح منها الإشكال، وحل المسائل العويصة فيه.

---

31 – يراجع: السعادة الأبدية ص: 44 – 45. يبدو أن بابير الأروانى خلط بين الأسماء؛ لأن المعلومات الواردة هنا هو لمحمد بابا بن محمد الأمين وليس لسعيد بابا، ولعل هذا وهم من المترجم.

32 – يذهب بابير الأروانى إلى أن المترجم له توفي عام 933 خلافا للسعدى والبرتلى، ويبدو أن هذا وهم منه، ولعل الصواب ما أثبتنا.

33 – يراجع: السعدي ص: 61 – 62/ فتح الشكور ص: 154 – 155/ السعادة الأبدية ص: 36 – 37.

أخذ عن الفقيه الحاج أبي بكر بن الحاج عيسى الغلاوى نحو ثلث خليل وأجازه الشيخ سيدى أحمد بن الشيخ السوقي أن يروي عنه جميع مروياته عن شيخه من الحديث والفقه وغيرهما. وأجازه في صحيح مسلم والخصائص الكبرى للسيوطي.

وله عدة مؤلفات منها: فتح الرب اللطيف في تخريج بعض ما في المختصر من الضعيف، صنجة الوزان في نوازل أروان، وغيرهما من المؤلفات.

بقي رحمه الله في التأليف والتدريس والقضاء إلى توفي الليلة الأخيرة من رمضان عام ثمانين ومائة وألف هجرية"34".

32- العاقب بن عبد الله الأنصمى التكداوى

هو الفقيه العاقب بن عبد الله الأنصمى المسوفي من من أهل تكدة. كان رحمه الله عالما فقيها نبيها، سريع الفهم وقاد الذهن، مشتغلا بالعلم.

أخذ عن الفقيه العالم الإمام المغيلى والسيوطي وغيرهما، وله عدة مؤلفات ورسائل وتعليقات منها: تعليقه على قول خليل: وخصصت نية الحالف، رسالة في وجوب الجمعة في قرية انضمن، خالف شيوخ بلده في هذه المسألة فأرسلوه إلى علماء مصر فصوبوه، الجواب المجدود عن أسئلة القاضي محمد بن محمود بن عمر أقيت، وأجوبة الفقير عن أسئلة الأمير أجاب فيها عن السلطان أسكيا الحاج الكبير وغيرها من الرسائل والمؤلفات له مناظرة فقهية مع الحافظ مخلوف البلبالى. كان رحمه الله حيا عام الخمسين وتسعمائة، وتوفي خلال القرن العاشر الهجري والله اعلم"35".

33- الفقيه العاقب بن محمود بن عمر بن محمد أقيت 913 - 991هـ

هو الفقيه القاضي العاقب بن محمود بن عمر بن محمد أقيت بن عمر بن علي بن يحيى قاضي تنبكت المولود عام 913 هجرية.

كان رحمه الله عالما فقيها، عالي الكعب في العلوم الإسلامية مسددا في أحكامه، صليبا في الحق لا يخاف في الله لومة لائم، قوي العارضة، مقداما على الأمور العظام التي يتوقف فيها غيره، مهيب الجانب، ذا بصيرة نافذة في الأمور لا تخطئ فراسته كأنه

34 – يراجع: فتح الشكور ص: 102 – 103، 211 – 212.
35 يراجع: السعدي ص: 16 – 19.

ينظر في الغيب، جسور على السلطان فمن دونه، موسعا عليه في دنياه، مجدود في أموره، ملأ أرضه بالعدل حتى لا يعرف له نظير لما تولى القضاء عام 973 هجرية.

ولشدة عدله وجرأته كان السلاطين يخضعون له ويطاوعونه في كل ما أراد. فإذا رأى ما يكره عزل نفسه عن القضاء وسد بابه ثم يلاطفونه حتى يرجع.

أخذ عن أبيه محمود بن عمر وعن عمه الحاج أحمد، ورحل إلى الشرق فحج وزار الحرمين الشريفين والتقى بمجموعة من علماء المشرق، كالناصر اللقانى وأبي الحسن البكرى والشيخ البسكري وغيرهم.

أجازه الناصر اللقانى في جميع ما يجوز له وعنه. ثم رجع إلى بلده فواصل التدريس والقضاء.

وممن أخذ عنه الفقيه أحمد بابا وأجازه.

توفي رحمه الله يوم الحادي عشر من رجب عام أحد وتسعين وتسعمائة هجرية بعد ما ملأ أرضه بالعدل والحق"36".

34- الفقيه عبد الله بن عمر بن محمد أقيت 866 - 829هـ

هو الفقيه العالم عبد الله بن عمر بن محمد أقيت المولود عام 866.

كان رحمه الله عالما فقيها حافظا زاهدا ورعا وليا تقيا متحريا فاضلا، متفننا محصلا محدثا ليس له نظير في زمنه في الفهم والعلم.

درس بولاتة ثم انتقل إلى تنبكت وواصل في تحصيل العلم والتدريس.

ولما هاجم الملك سني علي على تنبكت رجع إلى ولاتة وبقي فيها إلى أن توفي بها عام تسعة وعشرين وتسعمائة عن سن يناهز ثلاثا وستين سنة"37".

35- أبو محمد عبد الله بن الفقيه القاضي محمود 1006هـ

هو الفقيه عبد الله بن الفقيه القاضي محمود بن عمر بن محمد أقيت.

36 – يراجع: نيل الابتهاج ص: 353 – 354/ كفاية المحتاج جـ1 ص: 377/ السعدي ص: 40 – 41/ شجرة النور الزكية ص: 286/ السعادة الأبدية ص: 34 – 35.

37 – يراجع: نيل الابتهاج ص: 235/ كفاية المحتاج جـ1 ص: 255/ السعدي ص: 38/ السعادة الأبدية ص: 26 – 27.

كان رحمه الله عالما فقيها، رحيما، رقيق القلب ورعا زاهدا مع ما أوتي من العلم والمال والجاه.

له باع طويل في الفقه المالكي، مستحضرا لمسائل الفقه ونوازله، معتنيا بذلك.

أخذ عن ابن عمه الفقيه الحاج أحمد بن أحمد وغيره. قضي حياته في التدريس إلى أن امتحن مع أهل بيته فنقل إلى مراكش وبقي فيها حتى توفي يوم الاثنين أول شعبان عام ستة وألف إثر مرض الطاعون الذي اجتاح مراكش"[38].

36- الفقيه عبد الله السعدي 960 - 1026هـ

هو الفقيه عبد الله بن عمران بن عامر السعدي المولود عام 960 هجرية.

كان رحمه الله عالما فقيها ورعا سخيا، محبوبا لدى العامة والخاصة مهتما بالقراءات القرآنية وغيرها من العلوم الإسلامية.

أخذ عن الفقيه المقرئ إبراهيم الزلفى حتى تمكن في العلوم، ثم اشتغل بالتدريس حتى توفي يوم الثاني من صفر السادس والعشرون بعد ألف عن سن يناهز سبعا وستين سنة.

ولما توفي شيّع جنازته كل من لم يحبسه عذر من الأكابر والأشياخ والصلحاء والفقهاء والأعيان في تنبكت"[39].

37- الفقيه عبد الرحمن بن الفقيه القاضي محمد بن عمر بن محمد أقيت 1006هـ

هو الفقيه العالم الشيخ الصلاح الولي الناصح الناسك العابد الزاهد الورع أبو زيد عبد الرحمن بن محمود بن عمر بن محمد أقيت.

كان رحمه الله عالما صالحا وليا ناصحا ناسكا عابدا ورعا واعظا زاهدا عن الدنيا بكلية ذا مكاشفات وفراسة إذا تكلم كأنه ينظر في الغيب.

أخذ عن ابن عمه الحاج أحمد وغيره من علماء تنبكت. وأخذ عنه محمد بابا بن محمد الأمين.

38 – يراجع: نيل الابتهاج ص: 236/ السعدي ص: 34، 214/ فتح المشكور ص: 159.
39 – يراجع: السعدي ص: 58 –، 239 – 240.

قضي حياته في التدريس إلى أن امتحن مع أهل بيته فرحل إلى مراكش ومكث فيها إلى أن توفي يوم الخميس خامس صفر العام السادس بعد ألف بمدينة مراكش ودفن قريبا من ابن القطان بازاء جامع علي بن يوسف بن تاشفين"40".

38- الفقيه عبد الرحمن السعدي

هو الفقيه العالم الكاتب المؤرخ عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران السعيدى التنبكتى المولود عام 1004 هجرية.

كان رحمه الله عالما فقيها مشاركا، مؤرخا، كاتبا، له باع طويل في علم التاريخ والسير.

حضر عدة مجالس علمية بتنبكت، وأخذ عن كثير من علماء تنبكت منهم: الفقيه أحمد بابا والفقيه محمد بن علي بن الزياد والشيخ محمد بن المختار والفقيه الأمين بن أحمد والفقيه محمد بغيغ الحفيد والفقيه محمد الخليل وغيرهم من العلماء.

تولى إمامة مسجد سنكرى عام 1036 هجرية ثم رتبه الباشا محمد ابن عثمان كاتبا للديوان عام 1056 وتجول كثيرا في ماسنا. ألف عدة مؤلفات ورسائل من أهمها:

كتاب تاريخ السودان الذي سجل فيه كثيرا من الحوادث التي وقعت في السودان من عهد سنغي إلى عهد الباشاوات. ويعتبر مؤلفه هذا من أهم ما ألف في تاريخ السودان.

بقي رحمه الله في التدريس والكتابة وتكوين الأجيال إلى أن توفي. ولم نقف على تاريخ وفاته لكن كان حيا عام 1065 هجرية"41".

39- الشيخ علواته بن حمادى

هو الشيخ الفقيه علواته بن الشيخ حمادى بن محمد بادى بن الشيخ سيدى المختار الصغير بن الشيخ سيدى محمد بن الشيخ سيدى المختار الكبير المولود عام 1874

كان رحمه الله عالما فقيها زعيما دينيا متصّوفا ذكيا متسامحا أديبا شاعرا، محافظا للعهد، ذا شهرة ومكانة كبيرة لدى القبائل الصحراوية.

---

40 – يراجع السعدي ص: 34، 214/ فتح الكشور ص: 175/ السعادة الأبدية ص: 35 – 36..
41 – يراجع السعدي ص: 213، 238، 239، 244، 277/ فتح الكشور ص: 176/ محمد الغربي ص: 533 – 536/ السعادة الأبدية ص: 43.

نشأ الشيخ علواتة في محيط أسرته وأتم دراسته بجوار عمه سيدى بابا، ثاني زعيم قبيلة كنتة غورمة.

وفي حدود عام 1894 حل محل أخيه الأكبر في زعامة كنتة غورمة واتخذ صفة شيخ القبيلة وزعيمها الديني. وانصرف إلى التصوف والتدريس وأعمال

وكان رحمه الله جماعا للكتب وله مكتبة غنية جدا زاخر بالكتب في مختلف الفنون.

وكان الشيخ يظهر تسامحا دينيا كبيرا حيث لم يكن يوصي اتباعه بالسلام فحسب، بل كان يأمرهم أيضا بحفظ العهد مع الأوروبيين.

وإلى جانب ما سبق ذكره فهو مثقف كبير تترك رسائله الشعرية والنثرية وقعا كبيرا في نفوس القبائل الصحراوية.

وقد منحته مكانته العلمية والدينية محبة كبيرة لدى العامة والخاصة، وعلى أن يلعب – في عديد من المناسبات – دور حكم في النزاعات الناشئة بين العشائر الصحراوية.

ظل رحمه الله يؤدي دوره العلمي والديني والسلطوي إلى أن توفي"[42]".

40- الفقيه عمر بن أقيت

هو الفقيه العالم عمر بن محمد أقيت بن عمر بن علي بن يحيى الصنهاجي الماسني التنبكتي. كان رحمه الله عالما فقيها صالحا مدرسا، تقيا صالحا.

أخذ عنه عدة علماء من السودان منهم: الفقيه القاضي مؤدب محمد الكابرى مؤلف بستان الفوائد.

ظل رحمه الله في تنبكت يواصل نشاطاته العلمية حتى هاجم الملك سني على تنبكت عام 873هـ فأخذ أولاده معه ورحل بهم إلى ولاتة، فأدرك فيها الإمام الزموري وأخذ عنه الشفا للقاضي عياض فأجازه فيه، ومكث في ولاتة طوال حياته إلى أن توفي فيها"[43]".

42 – يراجع: كنتة الشرقيون ص: 93 – 95.

43 – يراجع: السعدي ص: 30/ فتح الشكور ص: 177/ السعادة الأبدية ص: 25.

41- الفقيه عمر بن محمود بن عمر بن محمد أقيت 1003هـ

هو الفقيه العالم القاضي أبو حفص عمر بن محمود بن عمر بن محمد أقيت التنبكتي.

كان رحمه الله عالما فقيها عالي الكعب في الفقه المالكي بارعا في علم الحديث والسير والتاريخ وأيام الناس، صادعا بالحق، بلغ الغاية القصوى في الفقه حتى قال بعض معاصريه من الشيوخ: «لو كان موجودا في زمن ابن عبد السلام بتونس لاستحق أن يكون مفتيا فيها».

ولما تولى القضاء في تنبكت حكم بالعدل وأعطى كل ذي حق حقه، ومحى الظلم والفساد وأحيا العدل.

أخذ عن مجموعة من علماء تنبكت منهم والده الفقيه القاضي محمود. وأخذ عنه جماعة من علماء السودان.

امتحن مع أهله فرُحّل إلى مراكش مع بعض أفراد أسرته، وبقي فيها إلى أن التحق بالرفيق الأعلى ليلة الجمعة فاتح محرم العام الثالث بعد ألف"44".

42- الفقيه عمر الحاج أحمد بن عمر بن محمد أقيت 1006هـ

هو الفقيه العالم أبو حفص عمر بن الحاج أحمد بن عمر بن محمد أقيت المعروف ببابا كُرَيْ.

كان رحمه الله عالما فقيها نحوي، مادحا لرسول الله ρ مسردا لكتاب الشفا في كل رمضان في مسجد سنكرى، واصلا لرحمه، متعاهدا لأقاربه، يتفقدهم في صحتهم ويعودهم في مرضهم، طليق الوجه للخاصة والعامة، امتحن مع أهل بيته فرحل إلى مركش، وبقي إلى أن توفي في شهر ربيع الثاني عام ستة بعد ألف"45".

43-الفقيه عمر الولي بن الشيخ محمد عبد الله بن عبد الله

هو الفقيه عمر الولي بن الشيخ محمد عبد الله بن عبد الله المحجوبي، وحيد عصره وفريد دهره قطب أوانه ومصباح زمانه، له حظ وافر في العلم والصلاح جمع بين

44 – يراجع: السعدي ص: 34، 212/ فتح الشكور ص: 178. ذكر البرتلى عند ترجمة هذا العالم معلومات غير صحيحة؛ لأنه أخذ ما في ترجمة القاضي العاقب ووضعه في ترجمة هذا العالم، ولا أدري أين وجد البرتلى المعلومات التي وضعها في ترجمة الفقيه عمر بن الحاج أحمد..

45 – يراجع: السعدي ص: 31، 214/ فتح الشكور ص: 178.

العلم والزهد والورع والإيثار. وكان آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر معظما عند الخاصة والعامة، مشهورات بالعلم والصلاح والتقوى في زمنه، فهو شمس ضحاها وقمر سناها، وكان يميل إلى الوعظ والإرشاد، منفقا على الفقراء والمساكن والأرامل واليتامى والغرباء ولا يترك شيئا في يده. أخذ الإجازة في صحيح البخاري عن القاضي عبد الرحمن بن معيا التنبكتي عن القاضي أحمد بن أندغمحمد بن أحمد بن أحمد رحمه الله عن شيخ الجماعة أبي عبد الله محمد بن محمد بن أبي بكر بغيوغو الونكري عن الفقيه أندغ محمد بن الفقيه محمد بن أحمد الأثري التازختي عن شيخ الإسلام وقاضي الجماعة جمال الدين أبي الفتح إبراهيم بن علاء الدين...

وأخذ عنه الفقيه سيدي محمد بن المختار بن الأعمش وغيره. ولرحمه الله قصيدة في علم الكلام، ومقدمة في الفقه، وقصيدة مفيدة في شرح الأسماء الحسنى، وقصيدة طويلة في نحو 248 بيتا يستسقي بها إذا أمسك المطر، وله تأليف في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم. عاش خلال القرن الثاني عشر والله أعلم"[46].

44- الشيخ سيدى عمر بن الشيخ سيدى محمد 1820 - 1885هـ

هو الشيخ الفقيه سيدى عمر بن الشيخ سيدى محمد بن الشيخ سيدى المختار الكبير، المولود عام 1820 ميلادية.

كان رحمه الله عالما فقيها زاهدا ورعا تقيا، ذا شهرة كبيرة بين القبائل الصحراوية.

تجول كثيرا في المناطق الصحراوية، ثم استقر أخيرا في وادي تلية بمنطقة أدرار إيفوغاس، وبنى قصبة كبيرة فيها عام 1865 وسميت باسمه (قصبة سيدى عمر).

وقد منحت الشيخ سيدى عمر حياته المتقشفة وتقواه وصلاحه مكانة كبيرة بين القبائل الصحراوية فأصبحت قصبته وزاويته مقصودة من كل الجهات من طرف سكان المناطق المجاورة، وأضحت مركزا دينيا مهما لهم، يزورونه أو يقصدونه في جميع أيام السنة.

وقد بقي الشيخ يدير قبيلته في وادي تلية ويكوّن النشأة من أبناء القبيلة وغيرها من أبناء القبائل المجاورة إلى أن توفي عام 1885 ميلادية بقصبة تلية"[47].

46 يراجع: السعدي ص: 16 – 19.
47 – ذكر بول مارنى في ص: 130 بأنه توفي عام 1896 لكنه ذكر في صفحة 129 بأنه توفي عام 1885، ولا أدري أي التاريخين أصح، ولعل الصحيح هو ما أثبتنا. يراجع: بول مارنى ص: 129 – 130.

45-الفقيه علي بن عبد الله 1052هـ

هو الفقيه الإمام سيد علي بن عبد الله سيد بن الإمام سيدى علي الجزولي.

كان رحمه الله عالما فقيها ورعا زاهدا، تولى الإمامة بمدينة تنبكت بعد وفاة الإمام عبد السلام بن محمد دك الفلاني، بإذن القاضي سيدى أحمد بن اندغمحمد، في ولاية القاضي يوسف بن عمر القصرى.

مكث في الإمامة حوالي ستة عشرة سنة وبضعة أشهر.

توفي رحمه الله ضحوة الاثنين الرابع عشر من شهر المحرم العام الثاني والخمسين وألف بمدينة تنبكت"[48]".

46- الفقيه فودي بن محمد ساقو

هو الفقيه العالم فودي بن الفقيه محمد ساقو الونكرى عاش خلال القرن العاشر الهجري بجنى.

كان رحمه الله عالما فقيها صالحا وليا، سكن بمدينة جنى في أواسط القرن التاسع الهجري بعد ما غادر بلدته بيط.

ولما وصل إلى جنى رحب به سلطان مدينة جنى، وطلب منه أن يستقر ويسكن بها، وأكرمه غاية الإكرام.

ولما زار قاضي القضاة الفقيه محمود مدينة جنى أعجب بفقهه ومكانته العلمية، فطلب من الملك أسكيا الحاج الكبير أن يعينه قاضيا على جنى فعينه بعد رجوعه من الحج.

ويعتبر الفقيه فودى أول قاض – عين من طرف السلطة المركزية رسميا – قضى بين الناس بالأحكام الشرعية.

وكان الناس قبله يتحاكمون عند الخطيب فيفصل بينهم بالصلح ولما تقلد القضاء انتقل إليه خطة القضاء بجنى. وظل في القضاء إلى أن توفي خلال القرن العاشر الهجري والله اعلم"[49]".

---

48 – يراجع: السعدي ص: 243 ، 298، 309.

49 يراجع: السعدي ص: 16 – 19.

47- الفقيه سيدي أبي القاسم التواتي 935 هـ

هو الشيخ الفاضل الصالح الولي سيدي أبو القاسم التواتي، كان رحمه الله عالما فقيها فاضلا صالحا خيرا زاهدا عابدا عارفا بالله تعالى، مدرسا. تولى إمامة المسجد الجامع بعد وفاة عبد الله البلبالي، وأسس محضرا قرب المسجد يدرس فيه الأطفال. وكان رحمه الله منفقا على المداحين في المولد النبوي، وهو أول من ابتدأ قراءة الختمة في المصحف بعد صلاة الجمعة مع قراءة حروف من العشرينيات، ولأجل هذه الختمة حبس الأمير أسكيا الحاج تابوتا فيه 60 جزءا من المصحف على ذلك المسجد. ظل رحمه الله في التدريس والإمامة والإفتاء إلى أن وافته المنية العام الخامس والثلاثين بعد تسعمائة"[50].

48- الفقيه القاضي: كاتب موسى

هو الفقيه القاضي كاتب موسى، كان رحمه الله عالما فقيها زاهدا كاتبا، مستشارا للملك منسا موسى، قاضيا عادلا، صحيح البدن إماما مكث في الإمامة أربعين سنة ولم يستنب ولو في صلاة واحدة لصحة بدنه. وكان لرحمه الله شجرة كبيرة وراء داره ينصب تحتها المنصة ويقضي بين الناس. ويعتبر هذا الفقيه من أوائل علماء السودان الذين رحلوا إلى فاس للتعليم بأمر السلطان العادل الحاج منسا موسى. أو هو من العلماء السودانيين الذين شكلوا البعثات الثقافية الأولى التي حدثت بين المغرب ومالي، وخلفه في الإمامة الفقيه عبد الله البلبالي. وبعدما رحل إلى فاس جد واجتهد وعمق دراساته الفقهية ثم رجع إلى السودان. ظل رحمه الله في التدريس والقضاء إلى أن وافته المنية خلال القرن التاسع الهجري والله أعلم."[51]

---

50 يراجع: السعدي ص: 16 – 19.
51 يراجع: السعدي ص: 16 – 19.

المطلب الثالث: من يبدأ اسمه بحرف الميم والواو والياء

حرف الميم:

49- الفقيه محمد بن أحمد التازختى: 936هـ

هو الفقيه محمد بن أحمد بن أبي محمد التازختي المشهور بأيْدَ أحمد.

كان رحمه الله فقيها عالما علامة محققا فهامة محدثا متفننا رحالا شهيرا محصلا، ثاقب الذهن جيد الخط سريع الفهم والإدراك، قوي العارضة.

أخذ عن الفقيه الحاج أحمد بن عمر أقيت وعن خاله الفقيه أحمد علي، جد واجتهد حتى بلغ غاية في العلم، ثم رحل إلى تكدة ولقي بها الفقيه العالم محمد المغيلى وحضر بعض دروسه.

وبعد فترة رحل إلى الشرق – صحبة قاضي الجماعة الفقيه محمود بن عمر – فلقي بمجموعة من علماء الأجلاء كشيخ الإسلام زكريا والبرهانين، والقلقشندى وابن أبي شريف وغيرهم فأخذ عنهم، وظل رحمه الله يلازمهم حتى تميز في الفنون وصار من المحدثين الذين لا يشف لهم غبار.

حضر دروس الأخوين اللقانين (الشمس اللقانى وأخوه الناصر اللقانى) وصاحب أحمد بن محمد وعبد الحق السنباطى.

أجازه من أهل مكة أبو البركات النويري وابن عمته عبد القادر وعلي بن ناصر الحجازي وأبو الطيب البستي وغيرهم من جهابذة المشرق.

اجتهد رحمه الله حتى أصبح من جهابذة العلماء، ثم رحل إلى بلده فسكن بكشن (كتسنا) وأكرمه حاكمها غاية الإكرام وأسند إليه خطة القضاء، وبقي فيها يقضي بين الناس ويدرس إلى أن توفي في حدود عام ستة وثلاثين وتسعمائة عن سن يناهز بضعا وستين سنة، ترك عدة مؤلفات ورسائل ونوازل منها: تقاييده وطرره على مختصر خليل"52".

52 – يراجع: نيل الابتهاج ص: 587/ السعدي ص: 39 – 40.

50- محمد بن محمود بن عمر بن محمد أقيت 909 - 973هـ

هو القاضي محمد بن الفقيه القاضي محمود بن عمر بن محمد أقيت التنبكتى المولود عام 909 هجرية.

كان رحمه الله عالما فقيها، فهاما ثاقب الذهن، ذا فهم عميق وذهن صاف، يقظا، دراكا، من دهاة الناس وعقلائهم.

نشأ في بيت علم وصلاح ورياسة وجاه ودين، تعلم على أفراد أسرته وظل يتلقى العلم حتى شهد له أشياخه بالعلم. ثم مارس التدريس وأخذ عنه عدة علماء منهم: أحمد بن الحاج أحمد الذي أخذ عنه البيان والمنطق.

ولما توفي والده قاضي الجماعة بتنبكت الفقيه محمود بن عمر تولى القضاء فساعدته الدنيا فنال ما شاء من دولة ورياسة، واكتسب من الدنيا عرضا وطولا. ولرحمه الله عدة مؤلفات منها: تعليقه على رجز المغيلى في المنطق.

ظل في القضاء إلى أن توفي عام ثلاثة وسبعين وتسعمائة هجرية"[53]".

51- الفقيه محمد كداد الفلاني 989هـ

هو الفقيه الإمام محمد بن أبي بكر بن كداد الفلاني.

كان رحمه الله عالما فقيها إماما، صالحا من خيار عباد الله الصالحين.

تولى إمامة الجامع الكبير بتنبكت بعد وفاة الإمام عثمان بن الحسن التشيتي، بأمر القاضي العاقب.

وبقي في الإمامة اثني عشر سنة حتى توفي ليلة الأحد التاسع والعشرين من المحرم سنة تسع وثمانين بعد تسعمائة هجرية"[54]"

---

53 – يراجع: نيل الابتهاج ص: 587/ كفاية المحتاج جـ2 ص: 234/ السعدي ص: 40/ شجرة النور الزكية ص: 287.

54 – يراجع:السعدي ص: 62، 109/ فتح الشكور ص: 108/ السعادة الأبدية ص: 38.

52-الفقيه محمد بن محمود بغيغ 930 - 1002هـ

هو الفقيه العالم العلامة البحر الفهامة مجدد القرن العاشر في السودان الغربي الشيخ محمد بن محمود بن أبي بكر الونكرى التنبكتى المعروف ببغيغ المولود عام ثلاثين وتسعمائة هجرية.

كان رحمه الله عالما علامة متفننا،محققا دراكا، ذكيا فطنا، غواصا على اللطائف، حاضر الجواب، سريع الإدراك وجودة الفهم، صالحا، عابدا ناسكا، متواضعا، لين الجانب، نزيها عادلا محبوبا لدى العامة والخاصة مفتيا من خيار عبد الله الصالحين والعلماء العاملين ملازما للعبادة مبتعدا عن ردئ الأخلاق والخوض في الفضول، يسعى في حوائج الناس ويبذل مجهودا كبيرا في حرمة الناس، ويتفجع لمكروههم ويصلح بينهم وينصحهم .بمحبة العلم وملازمة مجالسه، جماعا للكتب. بذك نفائس كتبه العزيزة النافعة لطلبة العلم.

ولرحمة الله صبر عظيم على التعليم آناء الليل والنهار وعلى إيصال الفائدة بلا ملل ولا ضجر، قضى عمره في التعليم والتدريس.

أراد سلطان جنى أن يسند إليه القضاء فامتنع وفر من المدينة من أجل هذا فذهب وسكن في تنبكت.

أخذ العربية والفقه عن والده أبي بكر بغيغ وعن خاله، ثم انتقل إلى تنبكت فلازم أحمد بن سعيد في المختصر ثم حج مع خاله فلقي بمصر الناصر اللقانى والتأجوري والشريف يوسف البرهموشي الحنفي والإمام محمد البكري وغيرهم فاستفاد منهم كثيرا. ثم رجع بعد أداء فريضة الحج. وملاقاة بعض علماء المشارقة إلى بلده فانتقل نهائيا إلى تنبكت، ولازم الفقيه أحمد بن سعيد فأخذ عنه الفقه والحديث والمدونة والموطأ والمختصر وغيرها من الكتب.

وأخذ عن الفقيه الحاج أحمد بن أحمد الأصول والبيان والمنطق وقرأ عليه أصول السبكي وتلخيص المفتاح، وحضر عليه جمل الخونجي، ولازم مع ذلك التدريس حتى صار أخيرا شيخ وقته في الفنون لا نظير له.

أخذ عنه عدة علماء المنطقة منهم الفقيه أحمد بابا الذي لازمه أكثر من عشرين سنة، فختم عليه مختصر خليل وفرعي ابن الحاجب قراءة بحث وتحقيق وتحرير، وختم

عليه مختصر خليل أكثر من عشر مرات وحضر عليه التوضيح. وقرأ عليه الموطأ قراءة تفهم، وختمه عليه، وحضر عليه المنتقى والمدونة وغيرها من الكتب الفقهية والعربية واللغوية.

أجاز أحمد بابا جميع ما يجوز له وعنه، ولرحمه الله عدة فتاوى ومؤلفات منها: تعاليقه على مختصر خليل، نبه فيه على ما وقع فيه شراح خليل من الهفوات.

وله طرر تتبع فيه شرح التتائي من أوله إلى آخره فبين ما فيه من السهو نقلا وتقريرا في غاية الإفادة، جمعها تلميذه أحمد بابا في عدة كراريس تأليفا مستقلا، وله عدة فتاوى، لا زالت مخطوطة ومتناثرة بين المكتبات الخاصة والعامة في شمال مالي.

بقي رحمه الله طول حياته في التدريس والفتوى والقضاء بين الناس إلى أن توفي يوم الجمعة من شوال عام اثنين وألف هجرية"55".

53- الفقيه مودب محمد الكابري

هو الفقيه الولي الصالح شيخ الشيوخ أبو عبد الله القاضي مودب محمد الكابري.

كان رحمه الله عالما فقيها وليا صالحا برع في الفقه وغيره من العلوم الإسلامية، سكن تنبكت في القرن التاسع الهجري، وعاصر فيها كثيرا من الأشياخ منهم: الفقيه سيدى عبد الرحمن التميمي، جد القاضي حبيب والفقيه أندغمحمد الكبير والفقيه عبد الرحمن بن عمر بن محمد أقيت والعلامة القطب سيدى يحيى التادلسي وغيرهم من جهابذة شيوخ مدينة تنبكت.

بلغ الغاية القصوى في العلم والصلاح، فأسرع إليه الطلبة لتلقي العلم عنه. وأخذ عنه كثير من علماء تنبكت مهنم: الفقيه عمر بن محمد أقيت وسيدى يحيى التادلسي، وغيرهما من العلماء.

وكانت تنبكت في عصره غاصة بطلبة العلم من السودان وأهل المغرب المجتهدين في العلم، لكثرة طلابه قيل لا ينسلخ شهراً إلا ويختم عليه تهذيب البرادعي.

ويبدو أنه توفي خلال القرن العاشر الهجري، ولما توفي رثاه الفقيه العالم يحيى التادلسي بقصيدة نظمها، منها هذه الأبيات

55 – يراجع: نيل الابتهاج ص: 600 – 603/ كفاية المحتاج جـ2 ص: 237 – 240/ السعدي ص: 43 – 47/ السعادة الأبدية ص: 38 – 39.

وبالقبض للنظار في العلم قبضة وفي ذاك إنذار بقرب الشدائد
أطلاب علم الفقه تدرون ما الذي يثير هموم القلب من كل وافد
يثير هموم القلب فقد سميدع فقيه حليم حامل للفرائد
بحسن تعليم مقرب فهمه وفتاق تهذيب بحسن الفوائد
محمد الأستاذ مودب ذي النهى ربّاطا، صبارا أمره بالتزايد
فيا عجبا هل بعده من مبيّن ويا عربا هل بعده من مجالد
فلولا التعزي بالنبي وصحبه وأعلام علم الدين منه وراشد
لحق لدمع العين سيح على الولا لا فناء أشياح واطفاء وافد
لقد أظلم الورى وبانت همومه صبيحة أسرى نفيه في الأساود
أينكر ذو حجر زحاما لحمله ففي السلف الأسى قوي التكابد"[1]

54- الفقيه محمد بن اندغمحمد 956 - 1020هـ

هو الفقيه القاضي محمد بن اندغمحمد بن أحمد بري بن أحمد بن القاضي اندغمحمد الجد.

كان رحمه الله عالما فقيها، فاضلا محدثا قاضيا، له قدم راسخ في الفقه. أخذ عن الشيخ بركات بن محمد بن عبد الرحمن الحطاب المكي وأخبره بصحيح مسلم وأجازه فيه بمنزله بمكة سنة 981هـ.

أخذ عنه إجازة ومناولة الإمام محمد كورد الفلاني تولى القضاء بتنبكت عام 1016 هجرية بأمر الباشا محمود لنك بعد وفاة القاضي محمد بن أحمد بن القاضي عبد الرحمن، وكان عمره يومئذ ستين سنة.

ومكث في القضاء أربع سنين. وتوفي يوم التاسع من شوال عام عشرين بعد ألف. وعمره أربعا وستين سنة"[56]".

55- الفقيه محمد بابا بن محمد الأمين 981 - 1063هـ

هو الفقيه العالم العلامة الخير الفاضل، البارع المدرس أبو عبد الله محمد بن بابا بن محمد الأمين بن حبيب بن الفقيه المختار المولود سنة 981 في تنبكت.

---

56 – يراجع: السعدي ص: 219، 308/ فتح المشكور ص: 109.

كان رحمه الله عالما فقيها بارعا، مدرسا مؤلفا مشاركا في الفنون له فيها محاولة جيدة وعبارة محررة، برع في العلم ودرس وألف.

أخذ عن الفقيه عبد الرحمن بن الفقيه محمود بن عمر أقيت، وحضر مجلس محمد بغيغ فقها ونحوا وأجازه.

ولازم الشيخ أحمد بابا في النحو إلى أن أتقنه، وقرأ على الفقيه معيا جملة في مختصر خليل وأكمله على الفقيه محمد بن محمد كري، لما تولى التدريس في مسجد سنكري، وسمع منه التوضيح وابن الحاجب. وقرأ عليه جمع الجوامع.

وسمع من الفقيه عبد الرحمن بن أحمد المجتهد المدونة والموطأ.

وأخذ عن الفقيه المقرئ حامل لواء القراءة في وقته سيدى بن عبد المولى الجلالي روايتي: ورش وقالون رواية ودراية. وأخذ عن الفقيه أحمد بري وأجازه في الشفا والبخاري.

وكان رحمه الله مطبوعا على التأليف، وله عدة كتب ورسائل وفتاوى منها:

شرح ألفية السيوطي في النحو سماه «المنح الحميدة في شرح الفريدة « وله طرة على مقامات الحريري، وله حاشية على البجائي ولم يكملها، وله قصائد في الأمداح النبوية، وله قصيدتين في رثاء شيخيه: محمد بغيغ والفقيه عبد الرحمن المجتهد.

اختلف المترجمون في تاريخ وفاته، فذهب السعدي إلى أنه توفي اليوم الخامس وعشرين من شعبان العام الرابع عشر بعد ألف عن سن يناهز اثنتين وثمانين سنة.

وذهب بابير الأرواني إلى أنه توفي عام 1044 هجرية"[57]".

56- الفقيه محمد بن المختار 942 - 1026هـ

هو الفقيه العالم الفاضل الصالح الزاهد محمد بن المختار شيخ المداحين المعروف بسَنْ. كان رحمه الله عالما فقيها بارعا في الفقه مداحا للنبي (ص) ،تلقى عنه العلم عدة علماء

57 – من خلال ما ذكره السعدي من أن محمد بابا توفي عن سن يناهز 82 سنة يبدو أن المترجم له لم يمت 1014 ولا عام 1044، بل توفي عام 1063، ولهذا يظهر أن ما ذكره السعدي الأرواني فيه خطأ؛ لأنه إذا مات عن 82 سن كما ذكر السعدي فلا يمكن أن يكون تاريخ وفاته 1014 أو 1044، بل يكون 1063 كما سبق أن ذكرنا ولعل هذا هو الصواب. يراجع السعدي ص: 216 / فتح الشكور ص: 111 – 112/ السعادة الأبدية ص: 44 – 45.

من السودان منهم: عبد الرحمن السعدي الذي لازمه منذ طفولته إلى أن توفي الشيخ، واستفاد منهم كثيرا.

بقي رحمه الله في التدريس والإفتاء إلى أن توفي شهر المحرم عام السادس والعشرين عن سن يناهز أربعا وثمانين سنة"58"

57- الفقيه محمد بن محمد بن علي عريان الرأس 955 - 1027هـ

هو الفقيه الولي العارف بالله صاحب الكرامات أبو عبد الله محمد بن محمد بن علي بن موسى المعروف بعريان الرأس (حاسر الرأس).

كان رحمه الله عالما فقيها زاهدا سخيا، كريما من خيار عباد الله الصالحين محبوبا لدى العامة والخاصة، ثبوتا، صبارا ضابط الأمور.

يتصدق على الفقراء والمساكين ويشتري المماليك ويعتقهم في سبيل الله، وكان بيته مفتوحا لجميع الناس بدون استثناء في جميع الأوقات.

أخذ عن الفقيه عبد الرحمن بن محمود وعن عبد الله بن محمود والفقيه محمد بغيغ وعن الفقيه أحمد معيا، جد واجتهد حتى بلغ الغاية القصوى واشتهر بين الناس بالولاية، يزوره الباشاوات وغيره في كل وقت.

بقي رحمه الله في التدريس وأعمال البر إلى أن توفي ليلة الجمعة تسعة وعشرين من المحرم عام سبع وعشرين بعد ألف"59".

58- الفقيه محمد بن محمد بن علي 1050هـ

هو الفقيه العالم سيدي محمد بن علي بن محمد بن محمد بن عمر بن دندى بن عمر بن اندغمحمد بن عمر بن عثمان الولاتي المعروف بالتنبكتي.

كان رحمه الله عالما فقيها صالحا، عابدا زاهدا جليل القدر مشهور الذكر، أمينا، من فضلاء ولاتة وأعيانهم، نهج مسلك أسلافه. انتقل أجداده من ولاتة إلى تنبكت.

ونشأ فيها وتعلم بها، وقضي شطرا كبيرا من حياته في تنبكت ثم انتقل إلى ولاتة، وتقلد منصب القضاء فيها.

58 – يراجع: السعدي ص: 239.

59 – يراجع: السعدي ص: 53 – 55، 241/ فتح الشكور ص: 111/ السعادة الأبدية ص: 43 – 44.

وظل في ولاتة يتقلد منصب القضاء إلى أن توفي عام خمسين بعد ألف"[60]".

59- الفقيه محمد بن الإمام بن محمد الحفيد 995 - 1062هـ

هو الفقيه القاضي محمد بن الفقيه الإمام محمد بن محمد كُرَي.

كان رحمه الله عالما فقيها، زاهدا ورعا، راسخ القدم في العلوم الإسلامية، ولاه الباشا عبد الرحمن بن القائد أحمد بن سعدون الشاظمي قضاء تنبكت، بعد وفاة القاضي أبي العباس العلامة الفقيه سيدى أحمد بن اندغمحمد عام 1045.

تولى القضاء وعمره خمسون سنة ولبث فيها سبعة عشر عاما.

وتوفي في ظهر الأربعاء الثاني من ربيع الثاني عام الثاني والستين والألف بتنبكت، وكان عمره يومئذ سبعة وستين سنة"[61]"

60- الفقيه محمد بغيغ الحفيد 1066هـ

هو الفقيه العالم، شيخ الإسلام مفيد الأنام محمد بن الفقيه أحمد بن الفقيه القاضي محمود بن أبي بكر بغيغ الونكري.

كان رحمه الله عالما فقيها خيرا صالحا عاملا فاضلا تقيا ورعا ناسكا وليا، خاتمة الأشياخ وآخرهم موتا، وبه تم انقراضهم.

أخذ عنه عدة علماء من تنبكت منهم: الفقيه المؤرخ عبد الرحمن السعدي.

ظل يمارس التدريس والإفتاء إلى أن توفي ليلة الخميس العاشر من صفر، العام السادس والستين وألف"[62]".

61- الفقيه محمد كورد الفلاني 982 - 1066هـ

هو الفقيه الإمام محمد كورد بن الفقيه القاضي محمد ساج الفلاني المولود عام 982 هجرية. كان رحمه الله عالما فقيها، ماهرا في الفقه والحديث والأصول.

رحل إلى تنبكت في مقتبل عمره عن نحو 23 سنة ودخلها سنة 1002.

---

60 – يراجع: السعدي ص: 45/ فتح الشكور ص: 114.

61 – يراجع: السعدي ص: 257، 291، 308.

62 – يراجع: نفسه ص: 239 – 240، 322.

وصاحب عبد الله بن عمران السعدي، وأخذ عنه عدة علوم، فمهر وبرع في اقتباس العلم، وأخذ أيضا عن الفقيه القاضي محمد بن أحمد بن القاضي عبد الرحمن، وعن شيخ الشيوخ الإمام محمد كري والقاضي محمد بن اندغمحمد والفقيه عمر بن محمد بن عمر أقيت والعلامة الفقيه بابا بن الفقيه الأمين والفقيه القاضي سيدى أحمد بن اندغمحمد وغيرهم.

وحضر مجلس العلامة أحمد بابا بعد مجيئه من المغرب فحصل عدة فنون من العلم كالفقه والحديث والبيان والنحو والصرف والمنطق والعروض والحساب وغيرها من العلوم.

وبعد ما تمكن في العلوم جلس للتدريس وظل فيه إلى أن توفي رحمه الله يوم الأحد السادس من صفر العام السادس والستين وألف عن سن يناهز أربعا وثمانين سنة"63".

62- سيدى محمد الأمين بن الطالب سيدى أحمد السوقي 1135هـ

هو الفقيه العالم العلامة سيدى محمد الأمين بن الطالب سيدى أحمد بن البشير بن محمد السوقي نسبا الجبيهي دارا و وطنا.

كان رحمه الله إماما يقتدى به عالما علامة كلاميا محدثا، فقيها، نحويا له باع طويل في النحو والصرف، متقنا للقراءات السبعة فاق أشياخه فيها عالما بتوجيهها رواية ودراية، أمينا، صدوقا، زاهدا قاضيا عادلا، يحكم بين الناس بالعدل، مجتهدا في أحكامه، لا يخاف في الله لومة لائم، اشتهر عدله بين الناس حتى عدّ من أبى حكمه ظالما. وإليه انتهى رياسة الإفتاء والقضاء في بلده بُجْبَيْهَ.

اجتهد رحمه الله في طلب العلم حتى بلغ الغاية القصوى، تصدر للتدريس منذ صغر سنه وواصل فيه إلى أن شاخ.

أخذ عن والده وغيره من علماء عصره. وكان رحمه الله آية في الفهم ولهذا يبعث إليه بالمشكلات من جهات مختلفة، ويستند إليه في حل المعضلات، ويرحل إليه من الأقطار للتعليم.

استمر رحمه الله في القضاء والتدريس والإفتاء إلى أن توفي عام خمسة وثلاثين ومائة وألف"64".

---

63 – يراجع: السعدي ص: 321 – 322.
64 – يراجع: فتح الشكور ص: 149 – 150/ اتلسعادة الأبدية ص: 48.

63- الفقيه القاضي محمد بن يَدَّغُورُ 1188هـ

هو الفقيه القاضي محمد بن يدغور بن أحمد بن الشيخ بن الأمين بن محمد بن كب الماسنى الكابي.

كان رحمه الله عالما فقيها، عالما بأصول الدين، نحويا، قارئا بقراءة نافع، عابدا تقيا صالحا وليا، كثير الحياء، قاضيا في تشيت. وله حظ وافر في الحديث، ملازما لمجالسه.

وكان مواظبا لقراءة عقائد السنوسي الخمسة، وإضاءة الدجنة وجوهرة التوحيد والرسالة ومختصر خليل وقطر الندى وألفية ابن مالك.

أخذ عن الفقيه الشريف أحمد بن أحمد بن الإمام أحمد وأخيه الشريف حمي الله وعن الفقيه الحاج سيدى محمد بن الحاج الحسن الزيدي.

تولى القضاء في تشيت وبقي فيها إلى أن وافته المنية يوم ثمانية وعشرين من شوال عام ثمانية وثمانين ومائة وألف هجرية"65"

64- الشيخ سيدى بن محمد بن سيدى المختار الكبير 1765 - 1826هـ

هو الشيخ العالم الفقيه القطب سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار الكبير المولود حوالي عام 1765 ميلادية.

كان رحمه الله عالما فقيها مجتهدا ورعا زاهدا متصوفا، أديبا، شاعرا مطبوعا على التأليف.

نشأ في أسرة علمية ذات دين وجاه، اصطفاه والده منذ صغره على إخوته الآخرين ليكون خليفة له. وبقي تحت أمر والده حتى توفي عام 1811 وتولى الزعامة الدينية لقبيلة كنته خلال خمسة عشر عاما ودفن بجانب والده في بوالا نوار. ترك رحمه الله عدة مؤلفات في فنون مختلفة منها:

إرشاد السالك إلى أقوم المسالك، الغلاوية، الفوائد النورانية في شرح الاسم الأعظم، العقد النظيم في أقوال العلماء في الاسم الأعظم، نظم الورقات لأبي المعالي الجويني لإمام الحرمين في الأصول، الطرائف والتلائد في كرامات الشيخين الوالدة والوالد، علم اليقين وسنن المتقين بحسم الإتاوة المزورة بحق المستحقين، رسالة إلى مريد، رسالة

65 – يراجع: فتح الشكور ص: 134.

في التصوف، اقليد الكنوز على ما في الياقوت من الرموز منهج الفعال وشرحه ترجمان المقال ورافع الإشكال، الخاتمة على الأبيات والألقاب للأجزاء والأعاريض والأسباب (عروض)، الوسيلة الكبرى في إصلاح الدين والدنيا الأخرى، الفتوحات الدنيات الأشعريات (شرح الصلاة الناصرية الدرعية) بهجة النفوس (في الكلام) كتاب الإسراء (التصوف) الذراري السارية بالأجوبة الخيرة، مفسر العقال، السلم الأسنى إلى أسماء الله الحسنى، جنة المريد، الإشارة الأدرارية (في التصوف) الصوارم الهندية في جسم الدعوى المهدية، أوثق عرى الاعتصام للأمراء والوزراء والحكام، شرح المثلث خالي الوسط، وغيرها من المؤلفات"[66].

65-الفقيه محمد المصطفى المعروف بِوَانْدَايَ الكلادي

هو الفقيه القاضي محمد المصطفى بن عثمان المعروف بوانداي الكلادي.

كان رحمه الله تعالى عالما فقيها، مفسرا، محدثا، لغويا، فهاما وراعا مدرسا للفقه والتفسير والحديث والعربية.

أخذ عن الشيخ الصالح محمد الطاهر بن القطب سيدى علي بن النجيب وعن فريد دهره محمد أمان بن سيدى قطب.

وكان تلاميذه أكثر الطلاب فهما ومستوى في المنطقة.

أخذ عنه عدة علماء منهم: محمد الكلادي الذي أخذ عنه ألفية بن مالك ولاميته، وبعض تقرير المكودي، ومنظومات ابن الهائم في الجمل.

لم نقف على تاريخ وفاته لكنه كان حيا عام 1214هـ"[67].

66- الفقيه سيدى محمد بن المختار 1840 - 1909هـ

هو الفقيه الشيخ سيدى محمد بن المختار بن سيدى حيبلله بن الشيخ سيدى المختار الكبير المعروف عند الطوارق بسيدى أغ بالله وعند العرب الشرقيين باسم سيدى محمد الكنتي المولد 1840 بمدينة تنبكت.

---

66 – يراجع: كنتة الشرقيون: يول مارتي ص: 82 ، 213 – 214/ إزالة الريب والشك والتفريط في ذكر المؤلفين من أهل التكرور والصحراء وأهل شنقيط ص: 142.

67 – يراجع: فتح الشكور ص: 145.

كان رحمه الله عالما ذكيا، عميق الثقافة مبجلا، مشهورا بين القبائل الصحراوية بالعلم والذكاء والدهاء السياسي.

نشأ رحمه الله في بيت علم وصلاح، وأمضى فترة شبابه في مدينة تنبكت وصواحبها وأتم معظم دراساته فيها.

وظل رحمه الله فقيها ومساعدا ومستشارا لشيخ قبيلة ايلمدن إلى أن وافته المنية عام 1909 ميلادية"[68]".

67- الفقيه محمود بن عمر بن محمد أقيت 868 - 955هـ

هو قاضي الجماعة في السودان الغربي، أبو الثناء محمود بن عمر بن محمد أقيت بن عمر بن يحيى الصنهاجي التنبكتي، قاضي السودان، وعالم التكرور وإمامها وفقيهها بلا منازع المولود عام 868 هجرية.

كان رحمه الله من خيار عباد الله الصالحين، سخيا، جوادا، اشتهر علمه وصلاحه في البلاد وذاع صيته في الأقطار شرقا وغربا. ظهر صلاحه وورعه ونزاهته وعدله في القضاء، لا تأخذه في الله لومة لائم، هابه الخلق كلهم السلطان فمن دونه.

ولي القضاء بمدينة تنبكت عام 904 هجرية فسدد في الأمور وتوخى الحق وهدد الظلمة، واشتهر عدله بحيث لا يعرف له نظير في وقته.

لازم التدريس نحو خمسين سنة، وللفقه من فيه حلاوة وطلاوة سهل العبارة، حسن التقريب فلا يتكلف، انتفع به كثيرون. وأحيا العلم ببلده، وكثر طلابه، ونجب جماعة منهم: فصاروا علماء، وأكثر ما يدرس المدونة والرسالة ومختصر خليل والألفية والسلاجية، وعنه انتشر قراءة خليل في السودان الغربي.

حج عام 915 هجرية، فلقي بالمشرق مجموعة من جهابذة الشرق منهم: الشيخ إبراهيم المقدسي والشيخ زكريا والقلقشندى من أصحاب ابن حجر واللقانيين وغيرهم.

أخذ عنه عدة علماء منهم: أولاده الثلاثة القضاة محمد والعاقب وعمر وغيرهم، وقيد عنه بعض تلاميذه تقاييد أبرزها بعضهم شرحا في سفرين.

---

68 – يراجع: كنتة الشرقيون ص: 83 – 87.

وبعد الحج واللقاء ببعض علماء المشارقة رجع إلى بلده، ولازم التدريس و الإفادة وإنفاذ الحق حتى وافته المنية سنة خمس وخمسين وتسعمائة، ليلة الجمعة سادس عشر من رمضان، بعد ما طار صيته في الآفاق ووجد شهرة لم ينله غيره"[69]".

68- الفقيه محمود بن محمد الزغراني 947 - 1011هـ

هو الفقيه العالم الفاضل محمود بن محمد الزغراني التنبكتي مولدا ومنشأ.

كان رحمه الله عالما فقيها، خيرا فاضلا. ولد في تنبكت عام 947 هجرية ونشأ فيها، ولازم مجالس العلماء فيها حتى بلغ الغاية القصوى في العلوم الإسلامية.

أخذ الفقه عن الفقيه أحمد بن سعيد وأخذ النحو عن الفقيه عبد الله بن محمود بن عمر أقيت، وجد واجتهد حتى مهر في النحو وغيرهما، ثم لازم التدريس، وتولى إمامة جامع التواتيين.

وفي آخر عمره غلبته علة السعال فلازم بيته، لكن ظل في التدريس إلى أن وافته المنية ليلة الخميس ثاني من رجب الفرد عام أحد عشر وألف عن سن يناهز أربعا وستين سنة"[70]".

69- الفقيه محمود بن الإمام صديق تعلى 934 - 1030هـ

هو الفقيه الإمام محمود بن الإمام صديق بن محمد تعلى.

كان رحمه الله عالما فقيها ورعا، إماما في الجامع الكبير بتنبكت، وهو أول الأئمة الذين تولوا الإمامة في عهد المغاربة، ولاه القاضي محمد بن أحمد بن القاضي عبد الرحمن إمامة الجامع الكبير بعد وفاة أخيه الإمام أحمد عام 1025، وذلك بعد استشارة الباشا، وكان عمره يومئذ سبعين سنة. ومكث في الإمامة إلى أن توفي في جمادى الأولى من العام الثلاثين بعد ألف عن سن يناهز ستا وتسعين سنة"[71]".

70- الفقيه المختار النحوي 922هـ

هو الفقيه المختار النحوي بن الفقيه اندغمحمد بن محمد بن عثمان بن نوح.

---

69 – يراجع: نيل الابتهاج ص: 607 – 608/ السعدي ص: 38 – 39.
70 – يراجع: السعدي ص: 215/ فتح الشكور ص: 110/ السعادة الأبدية ص: 40 – 41.
71 – يراجع: السعدي ص: 241، 309.

كان رحمه الله عالما فقيها نحويا لغويا مشاركا، فاق علماء عصره في النحو.

أخذ عن الفقيه مودب محمد الكابرى، عاصر الشيخ سيدى يحيى التادلسي رحل مع أولاد أخيه الفقيه الحاج أحمد والفقيه عبد الله والفقيه محمود إلى ولاتة عندما غزا الملك سني علي تنبكت، فأدرك الإمام الزموري فيها ولازمه مدة فأجازه كتاب الشفا للقاضي عياض وغيره.

توفي رحمه الله أواخر العام الثاني والعشرين بعد تسعمائة"[72]".

71- الفقيه مخلوف البلبالي 940هـ

هو الفقيه العالم التاجر الحافظ الرحلة المخلوف بن علي بن صالح البلبالي.

كان رحمه الله عالما فقيها حافظا، تاجرا. اشتغل بالعلم مع كبر سنه. ولازم الشيخ سيدى عبد الله بن عمر أقيت فحضه على طلب العلم سافر إلى المغرب فأدرك ابن غازي وغيره من علماء المغرب فلازمهم حتى مهر في العلم. ثم رجع إلى بلده فطاف في عدة مدن في السودان ككنو وكتسنا وغيرهما من مدن السودان، ودرس أهلها.

وكان رحمه الله مشهورا بقوة الذاكرة حتى قيل إنه يحفظ صحيح البخاري. وله مجادلات فقهية ونوازل مع الفقيه العاقب الأنصمي.

وبعد ما مكث مدة في كنو وكتسنا رجع إلى تنبكت ودرس فيها فترة ثم عاد إلى المغرب فدخل مراكش ودرس فيها. وظل فيها إلى أن سم فرجع إلى بلده تنبكت وتوفي بها عام الأربعين وتسعمائة هجرية"[73]".

72- الشيخ الفقيه سيدى المختار الكبير 1730 - 1811هـ

هو الشيخ الفقيه القطب الرباني والغوث الحمداني الولي الصالح سيدي المختار الكبير بن الولي أحمد بن أبي بكر الوافي الكنتي.

كان رحمه الله عالما فقيها، موسوعيا مشاركا، علي الكعب في العلوم الإسلامية ورعا سياسيا، زاهدا.

---

72 – يراجع: السعدي ص: 29/ فتح الشكور ص: 113/ السعادة الأبدية ص: 27.

73 – يراجع: نيل الابتهاج ص: 608/ السعدي ص: 39/ فتح الشكور ص: 146/ السعادة الأبدية ص: 36.

نشأ رحمه الله في بيت علم وصلاح ودين بمنطقة أزواد، وارتحل في سن مبكر لطلب العلم، فدرس على عدة علماء عصره.

أخذ مختصر خليل وتحفة ابن العاصم عن شيخه وأستاذه محمد بن أحمد التيماتيهي، وأخذ عن شيخه سيدي علي النجيب الرسالة وحدود ابن عرفة ومنابع الحق لابن النجيب. ومقدمة ابن آجروم والخلاصة الكافية لابن مالك والمنح الفريدة للسيوطي. وألفية السيوطي وعقود الجمان.

وأخذ الورقات في أصول الفقه للجويني وجمع الجوامع للسبكي وكافية ابن الحاجب وتنقيح الفصول وقواعد المنصوري عن الأستاذ أند عبد الله الولاتي.

وأخذ جامع الأصول لابن لأثير وجامعي السيوطي والشفا للقاضي عياض وكشف الغمة للشوكاني والترغيب والترهيب لابن المنذر عن الأستاذ سيدي علي.

وأخذ الجلالين تفسير البغوي ولباب التأويل للخازن وتفسير ابن عطية وشرح النسفي والبيضاوي عن الأستاذ علي النجيب الذي ينتهي سنده إلى الشيخ أحمد بابا وغيرها من الكتب المنتشرة في عصره.

وبعد تمكنه في العلوم الإسلامية وغيرها، تفرغ للتدريس فأفاد واستفاد وكثر طلابه في جميع أرجاء السودان.

وبعد وفاة شيخه علي النجيب – الذي ترك عليه أثرا كبيرا – أصبح المرجع الأعلى لمريدي الطريقة القادرية.

ألف رحمه الله عدة مؤلفات في فنون مختلفة أوصلها بعضهم إلى أربعة عشر وثلاثمائة مؤلف نذكر منها:

هداية الطلاب في الفقه، فتح الوهاب على هداية الطلاب وهو شرح للكتاب الأول، فقه الأعيان، الرشاد على الفقه، كتاب المنة في اعتقاد أهل السنة ويسمى أيضا الإرشاد في الهداية وحسن الاعتقاد الممزوج (بين الشريعة والحقيقة)، الأجوبة الإباتية، الأجوبة المهمة لمن له بأمر الدين همة، كشف النقاب عن فاتحة الكتاب، بلوغ الوسع في شرح الآيات التسع، الشموس الأحمدية في العقائد الأحدية (توحيد)، تفسير البسملة (كراسات)، يتيمة اللآلي في الرد على علماء تنيالي، البرد الموشي في قطع المطامع والرشى (جزآن)، الجرعة الصافية والنصيحة الكافية، زوال الألباس في طرد الشيطان الخناس،

نزهة الراوي وبغية الحاوي (جزآن)، نضار الذهب في كل فن منتحب (ثلاثة أجزاء)، كشف اللبس فيما بين الروح والنفس، نصيحة المنصف المبصر المتعطف، نفح الطيب في الصلاة على النبي الحبيب، جذوة نورانية تبين للسالك ما يعرض له مما هو رباني وشيطاني، الروض الخصيب في شرح نفع الطيب، الرسالة (في التصوف)، جنة المريد، جذوة الأنوار في الذب عن مناقب أولياء الأخيار، الكوكب الوقاد في فضل المشايخ والأوراد، ألفية (في اللغة)، فاتحوا أفريقيا وقبائلها وملوكها، فتح الودود في شرح تحفة المودود على المقصور والممدود، العلم النافع، التذييل الجليل العادم المثيل الذهب الابريز (على القرآن الكريم)، كتاب التعارف (في أخبار أهل الزمان)، كشف الغمة، الأجوبة اللدنية (شرح الناصري)، لطائف القدسي في فضائل آية الكرسي، الألباب في الأنساب، القصيدة الفيضية (التصوف)، فوائد نورانية وفرائد سرية رحمانية (شرح الاسم الأعظم)، الأجوبة الشافية للمختار في حقيقة التقوى والإيمان بالله القهار.

وغيرها بالإضافة إلى مئات الفتاوى النثرية والنظمية والقصائد التي لا يزال العديد منها محفوظا لدى الناس.

كرس رحمه الله جهوده في تكوين الأجيال وتربيتهم في المنطقة إلى أن وافته المنية يوم الأربعاء 29/ ميه 1811 بعد عمر بلغ 84 عاما ودفن في بوالأنوار"74".

73- الشيخ سيدى المختار الصغير بن سيدى محمد الكنتي 1790 - 1846هـ

هو الفقيه العالم الشيخ سيدى المختار الصغير بن الشيخ سيدى محمد بن الشيخ سيدى المختار الكبير المعروف بسيدى المختار النتيمي أو باسم سيدى بادي المولود عام 1790 ميلادية.

كان رحمه الله عالما فقيها ورعا زاهدا عادلا، مبجلا محاربا محترما عالي الكعب في العلوم الإسلامية.

نشأ في بيت عز ومعرفة وصلاح ودين، ودرس كثيرا من العلوم تحت إشراف جده الشيخ سيدى المختار الكبير الذي تشرف بحمل اسمه.

74 – يراجع: فتح الشكور ص: 152 – 153/ كنتة الشرقيون ص: 39 – 54، 210 – 212/ إزالة الريب والشك والتفريط في ذكر المؤلفين من أهل التكرور والصحراء وأهل شنقيط ص: 158 – 159.
ملاحظة: فإذا توفي 1811 فإنه لم يلد لا في 1729 أو 1730، أو 1723 أو 1722 كما يذهب إليه بعض الروايات، بل يكون ولادته 1727.

وبعد وفاة جده انتقل إلى والده واهتم بتربيته وتثقيفه.

وبعد وفاة والده عام 1826 تولى القيادة الدينية القادرية لقبيلة كنتة واهتم بتربية الأجيال روحيا.

توسط عدة مرات لإنقاذ مدينة تنبكت من هجمات الفلاتة وغيرهم من المحاربين الذين تموج بهم المنطقة.

وفي عام 1831 ميلادية طلب منه تجار المغاربة والتواتيين والغدامسيين أن يحميهم من هجمات قطاع الطرق من وغدة الصحراء فاستجاب طلبهم.

وفي عام 1844 شارك في حرب حدثت بين الطوارق والكنتيين.

بقي رحمه الله في تربية الأجيال روحيا، وزعامة قبيلة كنتة إلى أن وافته المنية عام 1846 ميلادية عن سن يناهز ستا وخمسين سنة"[75]".

74- الفقيه العالم مختار بن وديعة الله 1280هـ

هو الفقيه العالم العامل المحقق العارف الواصل مختار بن وديعة الله (يركوي تلف) الماسيني. كان رحمه الله عالما فقيها عاملا بعلمه محققا صوفيا زاهدا مطبوعا على التأليف جامعا بين الشريعة والحقيقة، وله مناقب كثيرة، قال عنه بعض الكنتيين:

«العلماء في ماسنا كثيرون إلا أنه ما فهم منهم ما في بطون الكتب حقيقة إلا آل وديعة» ولرحمه الله عدة مؤلفات منها:

البروق اللامعة في أصحاب الفيوض الهامعة، الفتوح الربانية في إعراب شواهد المغني القرآنية، تحفة أهل الجبال في معرفة أحوال الرجال، إخراج الدرر في أرض الحجر، جامع الأسرار والأنوار في الصلاة على النبي المختار، تبكية البكاي، وله أشعار كثيرة في الطريقة التيجانية، وله في شيخه الحاج عمر قصائد وأشعار شهيرة. ومن هذه القصائد قصيدته الكاملية التي مطلعها:

أخيال سلمى أم أميمة جندب منع الرقاد فبت مثل معذب

لا ذا ولا ذا بل لذكر مقطب هاد دليل الحائر المتذبذب

---

75 – يراجع: كنتة الشرقيون ص: 89 – 91.

شيخ له همم سمت فسمت بـه آراؤه عن كل أدنـى مطلب

وقال في قصيدة أخرى:

ألا أيها الشيخ المخلف في الورى عن الله يا سعد الورى ابن سعيد

وكان رحمه الله محاربا شجاعا قتله الماسنيون في بعض حروبهم مع تيجان بن الفاهم أحمد بن سعيد في شهر ذي الحجة عام 1280 وقيل في شهر شوال."76"

75-الفقيه المصطفى بن أحمد بن محمود بغيغ 973 - 1025هـ

هو الفقيه الإمام المصطفى بن أحمد بن محمود بن أبي بكر بغيغ الونكري.

كان رحمه الله عالما علامة فقيها فهامة دراكا، لينا صموتا، صبورا، على مخالطة الناس. ولد عام 973 هجرية، ونشأ في بيت علم ودين.

أخذ عن عمه محمد بغيغ الرسالة والمختصر وغيرهما، وأخذ عن الفقيه عثمان الفلاني، والفقيه محمد بن محمد كري، والفقيه عبد الرحمن بن أحمد المجتهد، الذي حضر عليه المدونة والموطأ.

وأخذ عن الفقيه أحمد بابا – في أول طلبه للعلم – شيئا من العربية والمختصر وغيرهما.

وأخذ عن ابن عمه الفقيه محمود الألفية وغيرها. وحضر مجالس الفقيه أحمد بابا بعد رجوعه من مراكش.

وفي عام 1008 تولى إمامة جامع محمد نض، وفي سنة 1016 عيّن نائب الخطيب في الجامع الكبير.

وبقي في الإمامة والنيابة إلى أن وافته المنية يوم الأربعاء الخامس من الربيع الأول، عام خمس وعشرين بعد ألف"77".

76- الفقيه القاضي مم بن إحَلّوَن الكلادي 1208هـ

هو الفقيه القاضي مم بن احلّون الكلادي.

76 – يراجع: كنتة الشرقيون ص: 89 – 91.
77 – يراجع: السعدي ص: 238 – 239.

كان رحمه الله عالما فقيها متفننا في العلوم العقلية والنقلية له حظ وافر في العربية والفقه واللغة والتفسير والمنطق مشاركا في غيرها، عمّر أوقاته بالمطالعة والتدريس والعبادة، ولا ينزع الكتاب من يده إلا ظلمة الليل.

أخذ عنه عدة علماء منهم: ابن أخيه أحمد بن أبي بكر احلّون، وعلي بن أنبار السوداني، وخلق كثير.

وله عدة مؤلفات منها: تعليقه على المكودي.

بقي رحمه الله في التدريس والتأليف إلى أن وافته المنية في العقد الثاني من القرن الثالث عشر – والله اعلم – وكان حيا عام 1208"[78]".

77- الفقيه مورمغ كُنكي Konaké

هو الفقيه العالم العلامة البحر الفهامة مورمغ كُنكي. كان رحمه الله عالما فقيها فهاما صالحا عابدا زاهدا جليل القدر من العلماء الذين سكنوا في جني المحترمة، وأصله من تاي.

نشأ في طلب العلم، فرحل إلى كابر لأخذ العلم عن علمائها، فجد واجتهد، ولما بلغ مرحلة معينة رحل إلى جني في أواسط القرن التاسع، فأسرع إليه الطلبة لاقتباس فوائده وفرائده.

عمر رحمه الله جميع أوقاته بالتدريس والعبادة. في نصف الليل يخرج من داره إلى الجامع الكبير لنشر العلم فيحيط به الطلبة للأخذ عنه إلى صلاة الفجر.

وبعد الصلاة يرجع الطلبة إلى بيوتهم، ثم يعودون إليه بعد الزوال من الظهر إلى العصر هكذا عادته مع الطلبة.

قضي في مدينة جنى مدة، ثم ارتحل مع مجموعة من طلبته إلى قرية جنج وسكن فيها فازدحم عليه أهلها من طلبة العلم.

ظل رحمه الله في جنج يدرس ويفتي إلى أن وافته المنية، خلال القرن التاسع الهجري والله أعلم"[79]".

78 – يراجع: فتح الشكور ص: 140.
79 – يراجع: السعدي ص: 16، 84.

78- الفا نوح طاهر 1860 م.

الفا نوح طاهر هو أحد الوجوه البارزة في ماسينا في عهد مملكة دينا التي أسسها سيكو أحمد حمادي بوبو. كان رحمه الله عالما فقيها واسع المعرفة لطيفا كاتبا مرموقا سياسيا محاربا شجاعا. نشأ رحمه الله في بيت عز وسلطة وجاه فانصرف في صغره إلى دراسة القرآن في الكتاب، وبعد ما ختم القرآن انصرف إلى نشاطاته الأخرى كمحارب وراع للأغنام.

وبعدما بلغ سن الأربعين قرر أن يترك الرعي ويواصل دراساته القرآنية، فذهب إلى أروان، والتزم حلقة أسرة الشيخ سيدي علي النجيب. وبعدما قضى عدة سنوات مع أسرة الشيخ علي النجيب اتصل بالشيخ سيدي المختار الكبير لينهل من معينه، فأتم دراساته على يديه فأجازه. ثم رحل إلى شمال نيجيريا فاتصل بالشيخ عثمان دان فودي فتتلمذ على يديه، وبقي معه بضع سنوات ثم رجع إلى شيخه سيدي المختار الكبير. وبعد وفاة الشيخ بقي إلى جانب ابنه سيدي محمد الكنتي إلى سنة 1820 م، ولما سمه بقيام دولة إسلامية في ماسينا التحق بقائد الثورة سيكو أحمد، الذي طلب منه المساعدة لتوطيد أركان الدولة، فعينه الخليفة عضوا في المجلس الأعلى للدولة، ووزيرا للتربية والتعليم وناطقا رسميا للدولة الإسلامية الفتية التي ظهر ت في ماسينا. ويعتبر ألفا نوح طاهر المنظر الحقيقي للدولة الإسلامية في ماسينا لدوره الكبير في تثبيت أركان الدولة ومساهمته في دعم انتشار الإسلام وثقافته العربية في غرب أفريقيا. ظل رحمه الله عالما فقيها منظرا للدولة الإسلامية بماسينا إلى أن وافته المنية عام 1860 م."[80]

79- الفقيه سيدى الوافي بن طالبن الأرواني

هو الفقيه سيدى الوافي بن طالبن بن محمد بن سيدى أحمد بن آد الغلادي أو الكلادي الأرواني. كان رحمه الله فقيها محدثا، قاضيا في أروان مفتيا، من فضلاء العلماء والأعيان.

تخرج على يده عدة علماء من المنطقة منهم: ابنه القاضي سنبير الذي أخذ عنه صحيح البخاري ومسلم والشفا والموطأ والخصائص والمعجزات الكبرى والصغرى للسيوطي. وأخذ عنه الشيخ سيدى أحمد الكلسوكي وابنه محمد الأمين.

---

80 – يراجع فتح الشكور ص: 216.

بقي رحمه الله في التدريس إلى أن وافته المنية خلال القرن الثاني عشر الهجري والله أعلم"81".

80- الفقيه سيدى يحيى التادلي أو التادلسي 866هـ

هو الفقيه الإمام الولي السالك العارف الرباني، القدوة المكاشف القطب الغوث، سيدى يحيى التادلي أو التادلسي بن عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن يحيى البكاء.

كان رحمه الله عالما علامة، عابدا زاهدا ربانيا ورعا، مكاشفا مربيا وليا صالحا، قدوة، فقيها بحرا فهامة لغويا، شاعرا تاجرا.

قدم رحمه الله إلى تنبكت في عهد محمد نض – حاكم تنبكت – فأحبه وأكرمه غاية الإكرام، وبني له مسجدا وجعله إماما فيه.

جد رحمه الله في التحصيل والعبادة حتى بلغ الغاية القصوى في العلم والصلاح والولاية فانتشر ذكره في الآفاق والأقطار، وظهرت بركته للخاصة والعامة.

وكان رحمه الله تاجرا في أول أمره ثم ترك التجارة وتفرغ للعلم والتدريس.

ويعتبر رحمه الله من الرعيل الأول من العلماء الذين أججوا نار الحركة الفقهية في تنبكت بصفة خاصة، وفي السودان بصفة عامة.

تلقى العلم على يديه عدة علماء من السودان الغربي.

ولرحمه الله قصيدة يرثي فيها الفقيه القاضي مودب الكابري مطلعها:

تذكر ففي التذكار جل الفوائد وفي طيه ورد على خير وارد

ألم تر سفر الحث بالفضل خصصوا وسفر ذوي الأفكار أحظى بزائد"2"

ونظرا لمكانته العلمية أثني عليه عدة علماء من المنطقة، منهم: القاضي محمود أقيت الذي قال عنه: »ما وطئت قدم تنبكت قط إلا وسيدي يحيى أفضل صاحبه..."82".

وقال الفقيه عبد الرحمن بن محمود أقيت: »فواجب على أهل تنبكت أن يزوروا روضة سيدي يحيى للتبرك في كل يوم ولو كانت على مسافة ثلاثة أيام..."83".

81 – يراجع فتح الشكور ص: 216.
82 – يراجع: نفسه ص: 50.
83 – يراجع: نفسه ص: 50.

بقي رحمه الله في التعليم والتأليف والإفتاء إلى أن وافته المنية العام السادس والستين بعد ثمانمائة هجرية"84".

المبحث الثاني: صنف معروف لكن تاريخه مجهول

سنتناول في هذا المبحث صنفا من علماء السودان الذين تتكرر أسماؤهم كثيرا في الكتب لكن تاريخه مجهول، حيث لم تسعفنا الكتب التاريخية والتراجم إلا بمعلومات ضئيلة عن حياتهم العلمية ، مع أنهم من العلماء الذين أسهموا كثيرا في النهضة الفقهية في المنطقة.

المطلب الأول: من يبدأ اسمه بالهمزة والباء

أولا- من يبدأ اسمه بالهمزة:

أ-من اسمه إبراهيم:

1-الفقيه إبراهيم الزلفى المتوفى سنة 922هـ

هو الفقيه الفاضل الصالح الزاهد المقرئ إبراهيم الزلفى، كان رحمه الله عالما فقيها فاضلا خيرا زاهدا مقرئا، عالما بالتجويد، إماما في المسجد الجامع بتنبكت. له جاه عظيم في مجتمع السودان.

ويعتبر هذا الفقيه أول من ابتدأ قراءة الختمة في المصحف بعد صلاة الجمعة، مع قراءة حرف واحد من العشرينيات؛ ولهذا حبس أسكيا الحاج الكبير على المسجد الذي يؤم فيه تابوتا فيه ستون جزءا من المصحف.

وقد اخذ عن الفقيه إبراهيم الزلفى عدة علماء من السودان الغربي منهم : الفقيه عمران السعدي، والسيد أبو القاسم التواتي وغيرهما.

ظل رحمه الله في الإمامة والتدريس إلى أن وافته المنية، العام الثاني والعشرين بعد تسعمائة هجرية."85"

84 – يراجع: نفسه ص: 50 – 51/ فتح الشكور ص: 217 – 218/ السعادة الأبدية ص: 22 – 23.
85 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71

2-الفقيه إبراهيم بن أحمد بغيغ المتوفى سنة 1048هـ

هو الفقيه العالم الفاضل البارع الكامل النافع، أبو إسحاق إبراهيم بن الفقيه أحمد بغيغ الونكري، كان رحمه الله عالما فقيها نحويا أصوليا لغويا من كبار علماء المنطقة خلال القرن الحادي عشر الهجري. ظل رحمه الله يمارس حياته العلمية: تدريسا وتأليفا وإفتاء إلى أن وافته المنية يوم الخميس الثاني من ربيع الثاني، العام الثامن والأربعين و الألف."86"

3-الفقيه القاضي إبراهيم بن الفقيه عبد الله 1110 هـ

هو الفقيه القاضي إبراهيم بن الفقيه عبد الله بن ولي الله تعالى سيدي أحمد معيا.

كان رحمه الله عالما فقيها قاضيا عادلا ورعا، عالي الكعب في الفقه المالكي. ظل رحمه الله في القضاء إلى أن وافته المنية يوم الأحد التاسع والعشرين من شعبان بعد صلاة العصر العام العاشر ومائة وألف، عن سن يناهز أربعا وسبعين سنة"87".

–4الفقيه إبراهيم بن عبد الله المتوفي سنة 1162هـ

هو الفقيه الإمام إبراهيم بن عبد الله ، كان رحمه الله عالما فقيها سنيا ورعا زاهدا، عين إماما في مسجد سيدي يحي التادلسي أو التادلي بتنبكت، وظل فيها إماما إلى أن وافته المنية سنة 1140 هجرية ، وقيل سنة 1162 هجرية. وسمي عام وفاته بعام النازلة لكثرة من مات في ذلك العام. "88"

5-الفقيه إبراهيم بن أحمد المتوفى سنة 1178هـ

هو الفقيه إبراهيم بن أحمد، كان رحمه الله عالما فقيه متمكنا في العلوم الإسلامية ، تولى إمامة مسجد سيدي يحي بتنبكت، بعد وفاة ابن عمه إبراهيم بن عبد الله سنة 1162 هجرية، ومكث في الإمامة سبعة عشر عاما إلى أن توفي سنة 1178 وقيل 1179 هجرية."89"

86 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
87 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
88 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
89 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71

6-الفقيه إبراهيم بن القاضي سيدي أحمد المتوفى سنة 1249 هجرية

هو الفقيه القاضي إبراهيم بن القاضي سيدي أحمد، كان رحمه الله عالما فقيها متمكنا قاضيا عادلا. توفي سنة تسع وأربعين ومائتين وألف هجرية."90"

ب- من اسمه أحمد:

7- الفقيه سيدي أحمد الفزازي

هو الفقيه سيدي أحمد الفزازي بن محمد بن يعقوب الحاجي اليعقوبي الوداني، كان رحمه الله عالما فقيها متمكنا. أخذ عن الحاج أحمد بن عمر بن محمد أقيت مختصر خليل، عن سيدي محمد بن بركات، عن سيدي محمد الحطاب. جد واجتهد في طلب العلم حتى بلغ غاية فيه، ثم جلس للتدريس. وأخذ عنه عدة شيوخ منهم: سيدي أبو القاسم الحاجي وغيره ، لم نقف على تاريخ وفاته، ولعله من أعيان القرن العاشر، وبداية القرن الحادي عشر، والله أعلم."91"

8- الفقيه أحمد بن أحمد بن أندغمحمد

هو أبو العباس الفقيه أحمد بُري بن أحمد بن الفقيه أندغمحمد الكبير. كان رحمه الله عالما فقيها متمكنا، زاهدا ورعا متواضعا تقيا مدرسا. أخذ عنه جماعة من شيوخ المنطقة. لم نقف على تاريخ وفاته، ولكنه من أهل القرن العاشر والله أعلم."92"

9- الفقيه الشيخ أحمد البكاي الكبير:

هو الشيخ سيدي أحمد البكاي بن سيدي محمد الكنتي، الفقيه الولي العارف بالله تعالى المتبرك به جد كنته أزواد.

كان رحمه الله عالما فقيها متمكنا من عباد الله الصالحين والأولياء المعروفين في المنطقة، يزوره الناس من كل حدب وصوب، ويزوره الأولياء والشرفاء والصالحون وغيرهم.

---

90 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71

91 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71

92 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71

ظل رحمه الله يدرس ويربي الأجيال في الصحراء روحيا إلى أن وافته المنية. ولم نقف على تاريخ وفاته، ولعله من أهل القرن العاشر الهجري، والله أعلم."93"

10-الفقيه القاضي أحمد ترف بن القاضي عمر ترف

هو الفقيه القاضي أحمد ترف بن القاضي عمر ترف الجنوي،

كان رحمه الله عالما فقيها متمكنا خطيبا قاضيا عادلا ، إماما في المسجد الجامع بمدينة جني.

و يعتبر الفقيه أحمد ترف أول من جمع بين المراتب الثلاثة في جني، حيث كان خطيبا، ثم عين إماما على الجامع الكبير ثم اسند إليه منصب القضاء، وهكذا جمع بين المراتب الثلاثة: الإمامة والخطابة والقضاء.

ولما أراد أن يذهب إلى الديار المقدسة للحج ويزور بيت الله الحرام، والمسجد النبوي، استناب الخطيب ماما علي على الخطبة، والإمام يحي على إمامة المسجد الجامع، والقاضي مودب تروري على القضاء.

توفي رحمه الله في أرض الحرمين، خلال القرن العاشر الهجري والله أعلم."94"

11-الفقيه أحمد - والد نان سرك المتوفى سنة 935 أو 936هـ

هو الفقيه أحمد. كان رحمه الله عالما علامة فقيها متمكنا، عالي الكعب في الفقه تولى إمامة الجامع الكبير إثر وفاة سيدى أبي القاسم التواتي، بعدما اتفق الناس على إمامته ورفعوا أمره إلى القاضي محمود بن عمر فنصبه إماما في الجامع.

وبعد سبعة أشهر من ولايته الإمامة، توفي رحمه الله سنة خمس وثلاثين وتسعمائة وقيل أيضا سنة ست وثلاثين وتسعمائة هجرية والله أعلم"95"

12- الفقيه أحمد بن محمد بن عثمان

هو الفقيه أبو العباس أحمد بن محمد بن عثمان بن عبد الله بن أبي يعقوب التنبكتي.

---

93 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
94 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
95 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71

كان رحمه الله عالما فقيها متمكنا لغويا نحويا، مفسرا بيانيا متقنا للتفسير متفننا في علوم الآداب والأشعار.

شهد له جماعة من أهل العلم بطول باعه وعلو كعبه ورسوخ قدمه في العلم. ولم نقف على تاريخ وفاته ولعله من أهل القرن العاشر الهجري."96"

13- الفقيه سيدى أحمد بن اندغمحمد

هو أبو العباس الفقيه أحمد بن اندغمحمد بن الفقيه محمود بن الفقيه اندغمحمد الكبير.

كان رحمه الله عالما فقيها متمكنا فطنا متفننا مشاركا، نحويا متفننا في الأشعار والآداب.

جد واجتهد حتى بلغ الغاية من العلم، ثم جلس للتدريس.

ولم نقف على تاريخ وفاته ولعله من أهل القرن العاشر الهجري"97"

14- الفقيه أحمد معيا المتوفى سنة 1002 هجرية

هو الفقيه العالم العلامة الولي العارف بالله أحمد معيا.

كان رحمه الله عالما علامة، فقيها بارعا، إمام العلماء المستبحرين وأحد الأولياء العارفين، زاهدا ورعا عالي الكعب في الفقه، وله باع طويل في فنون مختلفة.

أخذ العلم والتصوف عن كثير من أئمة المنطقة، وأخذ عنه كثير من سادات الأئمة وله كرامات ومكاشفات.

ظل رحمه الله طول حياته في التدريس والتأليف والإفتاء إلى أن قتل في فتنة الباشاوات لما اجتاحوا المنطقة وكان ذلك يوم الأربعاء الرابع والعشرين من المحرم العام الثاني بعد ألف الهجري"98".

---

96 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
97 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
98 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71

15- الفقيه الإمام صديق المتوفى سنة 1004هجرية

هو الفقيه الإمام أحمد بن الإمام صديق.

كان رحمه الله عالما علامة، فقيها متمكنا ورعا زاهدا، نشأ وترعرع وتعلم في مدينة تنبكت، وكرس جهوده في التدريس والإفتاء إلى أن وافته المنية يوم الجمعة التاسع من رمضان الرابع بعد ألف في مزرعة كربع فحمل إلى تنبكت وصلي عليه بعد صلاة الجمعة ودفن في مقابر سنكري."99"

16- الفقيه أحمد تروي المتوفى سنة 1024هجرية

هو الفقيه الخير الصالح المتدين أبو العباس أحمد تروي"100".

كان رحمه الله عالما فقيها متبحرا خيرا صالحا زاهدا ورعا قاضيا عادلا.

تولى القضاء في جني بعد وفاة القاضي موسى داب.

وظل رحمه الله يدرس ويقضي بين الناس بالعدل إلى أن وافته المنية في شهر جمادى الأولى في العام الرابع والعشرين والألف بمدينة جني."101"

17 -الفقيه أحمد بن محمد الفلاني الماسني المتوفى سنة 1035 هجرية

هو الفقيه الفاضل الخير الصالح العالم أبو العباس أحمد بن محمد الفلاني الماسني.

كان رحمه الله فقيها متمكنا، عالما علامة، وليا من أولياء الله صوفيا تقيا زاهدا ورعا، له قدم راسخ في الفقه، ليس له نظير في زمنه في العلم والورع.

كرس جهوده في التدريس والإفتاء إلى أن وافته المنية عام 1035 ودفن في مقابر الجامع الكبير بتنبكت."102"

18- الفقيه القاضي سيدى أحمد بن اندغمحمد 1045 968- م

99 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
100 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
101 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
102 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71

هو أبو العباس الفقيه العالم القاضي سيدى أحمد بن اندغمحمد ابن أحمد بريُ بن أحمد بن القاضي اندغمحمد الكبير المولود سنة968 هجرية.

كان رحمه الله عالما علامة فقيها متمكنا قاضيا عادلا ورعا زاهدا عالي الكعب في العلوم الإسلامية.

تولى القضاء عام 1020 بأمر الباشا محمود لنك بعد وفاة أخيه القاضي محمد بن اندغمحمد بن أحمد بري.

ولما تولى القضاء كان عمره يومئذ خمسين سنة، وظل في القضاء إلى أن وافاه الأجل ضحوة الجمعة الثالث عشر من المحرم العام الخامس والأربعين والألف الهجري بعد ما قضى في سلك القضاء سبعا وعشرين سنة. وكان عمره يوم وفاته سبعا وسبعين سنة."103"

19- الفقيه القاضي أحمد داب المتوفى سنة1061 هجرية

هو الفقيه القاضي أحمد بن القاضي موسى داب.

كان رحمه الله عالما فقيها متمكنا ورعا قاضيا عادلا، تولى القضاء في مدينة جني في عهد المغاربة عام 1026 بعد وفاة القاضي سعيد.

ظل في القضاء إلى أن وافته المنية يوم إحدى وعشرين من شوال العام الحادي والستين وألف بعد ما مكث في القضاء إحدى وثلاثين سنة."104"

20- الفقيه أحمد بن محمد كورد الفلاني المتوفى سنة 1070 هجرية

هو الفقيه الإمام أحمد بن الفقيه الإمام محمد كورد الفلاني.

كان رحمه الله عالما علامة فقيها متمكنا له باع طويل في الفقه المالكي، نشأ في بيت علم وصلاح، وجد واجتهد حتى بلغ غاية من العلم.

تولى الإمامة في المسجد الجامع بتنبكت، وظل فيها إلى أن وافته المنية سنة 1070 هجرية، بعد ما كرس جهودا كبيرا في سبيل ازدهار الحركة الفقهية في المنطقة."105"

---

103 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
104 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
105 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71

21- الفقيه القاضي أحمد الفلالي

هو الفقيه الإمام أحمد الفلالي.

كان رحمه الله عالما فقيها قاضيا ورعا، ولاه القائد ما مي على القضاء في مدينة جني بعد ما عزل القاضي محمد بنب كناتي.

وظل في القضاء إلى أن وافاه الأجل خلال القرن الحادي عشر والله أعلم."106"

22 -الفقيه القاضي معيا الحفيد : 1072- 1121هـ

هو الفقيه القاضي سيد أحمد معيا بن الفقيه القاضي إبراهيم بن الفقيه عبد الله بن العلامة الولي الصالح سيدى أحمد معيا، المولود العام 1072 الهجري،

كان رحمه الله عالما علامة فقيها متمكنا بارعا، عالي الكعب في الفقه المالكي.

نشأ في بيت علم وصلاح ودين، وجد واجتهد حتى بلغ غاية من العلم، وجلس للتدريس.

تولى القضاء بعد وفاة والده الفقيه القاضي إبراهيم بن الفقيه عبد الله عام 1110، وكان عمره يومئذ ثمان وثلاثين سنة، ومكث في القضاء إحدى عشر سنة.

ظل في القضاء إلى أن وافته المنية في شهر ذي القعدة العام الحادي والعشرين ومائة وألف عن سن يناهز تسعا وأربعين سنة"107".

23 - الفقيه أحمد المرجاني المتوفى سنة 1122هجرية

هو الفقيه أحمد المرجاني.

كان رحمه الله عالما فقيها مقرئا معلما، يقضي جميع أوقاته في التدريس. وكان يدرس في الكتاب.

أخذ عنه عدة شيوخ، منهم: صاحب كتاب تذكرة النسيان.

---

106 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
107 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71

وظل يدرس إلى أن وافته المنية في شهر ذي القعدة من العام الثاني والعشرين ومائة بعد ألف"[108]".

24 - الفع أحمد بن الإمام عبد الرحمن المتوفى سنة 1157هجرية

هو الفع أحمد بن الإمام عبد الرحمن بن أحمد بن الإمام محمد كورد الفلاني.

كان رحمه الله عالما فقيها متمكنا ورعا زاهدا، عيّن إماما لمسجد السوق. وظل في الإمامة إلى أن وفاه الأجل في بلد ننبع يوم الجمعة الثاني والعشرون من جمادى الأولى عام سبع وخمسين ومائة وألف."[109]"

25 - الإمام أحمد بن عثمان الوداني المتوفى سنة 1158الهجري

هم الفقيه الإمام أحمد بن عثمان بن أحمد بن محمد الوداني.

كان رحمه الله عالما فقيها عاملا بعلمه صالحا، عابدا زاهدا صوفيا غلب عليه التصوف، توفي سنة 1158 هجرية."[110]"

26- الفقيه سيدى أحمد بن سيدى صالح بن الوافي

هو الشيخ الفقيه سيدى أحمد بن سيدى صالح بن الوافي بن سيدى أحمد آد.

كان رحمه الله عالما فقيها متمكنا نحويا بارعا في العلم، صالحا ورعا وليا تقيا من خيار العلماء الصالحين، متصوفا عابدا زاهدا فاضلا ، إماما في الأدب والعربية والتعبير، مقبلا على العلم متفننا في علوم شتى، عالما بتعبير الرؤيا من أهل الباطن.

وكان عنده مجلس علم، كثيرا ما يشنف آذان طلابه فيه بأخبار الأولياء و الصالحين.

ظل رحمه الله مقبلا على العلم والتدريس والعبادة إلى أن وافته المنية خلال القرن الثاني عشر أو بداية القرن الثالث عشر الهجري"[111]".

108 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
109 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
110 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
111 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71

27 - الفقيه أحمد بن أبي بكر احلّون

هو الفقيه أحمد بن أبي بكر احلّون بن القاضي مم"112".

كان رحمه الله عالما فقيها، مقبلا على العلم، جماعا للكتب متقنا لمختصر خليل والتفسير والعربية ومقامات الحريري، مواظبا على قيام الليل قوي الإدراك.

أخذ عن عدة شيوخ منهم: عمه القاضي مم وابن الشيخ حم ومحمد وأحمد.

وأخذ عنه مجموعة من الشيوخ منهم: علي بن أنباره وغيره.

ظل في التدريس إلى أن توفي،. ولم نقف على تاريخ وفاته، لكنه كان حيا سنة1214 هجرية."113"

28- الفقيه الإمام أحمد بن ألفا بابير المتوفى سنة 1250 هجرية

هو الفقيه الإمام أحمد بن ألفا بابير.

كان رحمه الله عالما فقيها زاهدا ورعا، تولى الإمامة في الجامع الكبير بعد وفاة والده ألفا بابير، ومكث في الإمامة مدة طويلة، وظل فيها إلى أن توفي سنة خمسين ومائتين وألف هجرية."114"

29 - الفقيه أحمد بن الحاج عبد الرحمن

هو الفقيه أحمد بن الحاج عبد الرحمن بن إسماعيل يرو بن محمد كورد الفلاني.

كان رحمه الله عالما فقيها متمكنا موثقا، نشأ في بيت علم ودين وتفرغ للعلم حتى بلغ فيه الغاية، وجلس للتدريس والتوثيق.

ويعتبر الفقيه أحمد بن الحاج من الموثقين المشهورين في تنبكت خلال القرن الثاني عشر الهجري.

---

112 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
113 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
114 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71

ظل في هذا العمل إلى أن وافته المنية خلال القرن الثاني عشر أو الثالث عشر الهجري والله أعلم."115"

بقية الأسماء من حرف الهمزة:

30- الفقيه أبو عبد الله اندغمحمد

هو الفقيه أبو عبد الله اندغمحمد بن محمد بن عثمان بن محمد بن نوح معدن العلم والصلاح قاضي المسلمين في السودان الغربي.

كان رحمه الله عالما علامة فقيها ورعا صالحا زاهدا. تولى القضاء في تنبكت في أواسط القرن التاسع الهجري وذلك في دولة الطوارق.

ويعتبر اندغمحمد جدا لأحمد بابا من جهة أمه، ومن هذا الشيخ تنسل كثير من شيوخ العلم والصلاح في مدينة تنبكت.

وقال عنه حفيده أحمد بابا: «إنه أول من خدم العلم من أجداده».

أخذ رحمه الله عن الفقيه مودب محمد الكابري وغيره من علماء المنطقة.

ظل رحمه الله في القضاء إلى أن وافته المنية خلال القرن التاسع الهجري والله أعلم"116".

31 - الفقيه الأمين بن أحمد

هو الفقيه العالم الزاهد الصالح الأمين بن أحمد أخ الفقيه عبد الرحمن بن أحمد المجتهد لأمه.

كان رحمه الله عالما فقيها عاملا بعلمه ورعا زاهدا متواضعا، صالحا تقيا رطب اللسان، كثير الذكر.

توفي خلال القرن الحادي عشر والله أعلم."117"

---

115 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
116 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
117 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71

32 -الفقيه سيدى الأمين الملقب بذي النقاب المتوفى سنة 1717م

هو الفقيه الشيخ سيدى الأمين خليفة الشيخ سيدى أحمد الخليفة الكنتي.

كان رحمه الله عالما فقيها متمكنا عابدا ورعا تاجرا.

تولى الزعامة الدينية والروحية لقبيلة كنتة بعد وفاة أخيه سيدى أحمد الخليفة عام ثلاثة وتسعين وست مائة وألف الميلادي. ظل يدرس أبناء القبيلة وغيرهم من أبناء المنطقة إلى أن وافته المنية سنة سبع عشرة وسبعمائة وألف ميلادية."118"

33- الفقيه الإمام بن باب سعيد المتوفى سنة 1210هجرية

هو الفقيه الإمام بن باب سعيد.

كان رحمه الله عالما فقيها ورعا زاهدا نشأ في بيت علم وصلاح، وتفرغ للعلم حتى بلغ فيه الغاية ثم عيّن إماما في الجامع الكبيربتنبكت، مكث فيها عشرة أعوام، توفي سنة عشر ومائتين وألف (1210) هجرية."119"

حرف الباء:

من اسمه باب

34- الفقيه باب كُور بن الحاج محمد الأمين كانو

هو الفقيه المؤرخ باب كور بن الحاج محمد بن الحاج الأمين كانوا.

كان رحمه الله فقيها عالما مؤرخا بارعا، متفننا في علوم شتى، له عدة مؤلفات منها: كتابه المفقود: «درر الحسان في أخبار بعض ملوك السودان» وهو كتاب نفيس جدا لكنه حتى الآن لم يتم العثور عليه، ويعتبر هذا من المصادر الأساسية التي اعتمد عليه صاحب كتاب تاريخ الفتاش. ولم نقف على تاريخ وفاته ولعله توفي في نهاية القرن العاشر أو بداية القرن الحادي عشر والله أعلم."120"

---

118 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
119 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
120 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71

35- الفقيه باب بن عمران السعدي

هو الفقيه باب بن عمران السعيدي – عم عبد الرحمن السعدي،

كان رحمه الله عالما فقيها متمكنا عاملا بعلمه صالحا، ليس له نظير في زمنه في حسن الخلق، نشأ في بيت علم وصلاح واجتهد حتى تحصل العلم. توفي رحمه الله سنة1043 وقيل 1016 .هجرية. "121"

36 - الإمام باب بن الفقيه محمد

هو الفقيه باب بن الفقيه محمد بن الإمام محمد بغيغ.

كان رحمه الله عالما فقيها متمكنا بارعا ورعا، تولى إمامة مسجد السوق بعد وفاة ألفع أحمد بن الإمام عبد الرحمن بإذن الفقيه القاضي المختار بن القاضي محمد.

ظل في الإمامة إلى أن وافته المنية. ولم نقف على تاريخ وفاته لكنه كان حيا سنة 1157 هجرية. "122"

37 - الفقيه باب بن سعيد المتوفى سنة 1198 هجرية

هو الفقيه باب بن سعيد بن عبد الرحمن.

كان رحمه الله عالما فقيها متمكنا محدثا سنيا بيانيا، صالحا عابدا زاهدا، لا يخاف في الله لومة لائم. توفي سنة ثمان وتسعين ومائة وألف هجرية. "123"

38- الفقيه الموثق باب أحمد بن أبي بكر العتيق

هو الفقيه الموثق باب أحمد بن أبي بكر العتيق بن إبراهيم بن أحمد بن سعيد بن الإمام محمد كورد الفلاني.

كان رحمه الله عالما فقيها موثقا، له قدم راسخ في فروع الفقه المالكي.

---

121 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
122 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
123 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71

ويعتبر من الفقهاء الموثقين المشهورين في تنبكت خلال القرن الثاني عشر الهجري."124"

39- الفقيه باب المختار بن إبراهيم المتوفى سنة 1264 هجرية

هو الفقيه القاضي باب المختار بن إبراهيم.

كان رحمه الله عالما فقيها عابدا زاهدا ورعا قاضيا عادلا، كثير العبادة، يحيي لياليه بالعبادة، قليل النوم، يعمر جميع أوقاته بالذكر والعبادة، له باع طويل في الفقه. توفي سنة أربع وستين ومائتين وألف هجرية."125"

40- الفقيه باب عثمان بن محمد المتوفى سنة 1290 هجرية

هو الفقيه باب عثمان بن محمد – أخ القاضي سن شرف –.

كان رحمه الله عالما فقيها زاهدا ورعا تقيا صوفيا. نشأ في بيت علم ودين فجد واجتهد حتى بلغ مبلغا من العلم، ثم جلس للتدريس وبقي فيه إلى أن وافته المنية عام تسعين ومائتين وألف الهجري."126"

ب– بقية الأسماء من حرف الباء

41- الفقيه الإمام ألفا بابير المتوفى سنة 1236هجرية

هو الفقيه الإمام ألفا بابير بن الفقيه الإمام باب.

كان رحمه الله عالما فقيها تقيا زاهدا عالي الكعب في العلوم الإسلامية.

تولى إمامة الجامع الكبير ومكث فيها خمسة أعوام، توفي سنة ست وثلاثين ومائتين وألف هجرية. "127"

---

124 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
125 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
126 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
127 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71

42- الإمام البخاري المتوفى سنة 1220هجرية

هو الفقيه الإمام البخاري.

كان رحمه الله عالما فقيها متمكنا مشتغلا بالعلم والتعليم لا يفتر عنه ولو ساعة، عابدا صالحا ناسكا ناسخا زاهدا ورعا عاملا بعلمه.

ظل رحمه الله في التدريس والتحصيل إلى أن وافته المنية سنة عشرين ومائتين وألف هجرية."128"

43 - الفقيه أبو بكر بن القاضي الحي

هو الفقيه أبو بكر بن القاضي الحي.

كان رحمه الله عالما فقيها قاضيا عادلا ورعا زاهدا له قدم راسخ في الفقه، وجاه عظيم عند الأمير أسكيا الحاج.

ولمكانته العلمية أشار الفقيه القاضي محمود قاضي الجماعة بالسودان إلى الملك أسكيا الحاج أن يوليه القضاء فأسند إليه هذا المنصب.

ظل رحمه الله في القضاء إلى أن وافته المنية خلال القرن التاسع الهجري والله أعلم."129"

44- الفقيه الكاتب بكر الأنباري أو لنباري

هو الفقيه الكاتب أسكي الفع بكر لنباري أو الأنباري.

كان رحمه الله عالما فقيها كاتبا، رتبه أسكيا الكبير مستشارا أو كاتبا في الديوان الملكي بغاوو.

ظل رحمه الله في هذا المنصب حتى توفي أسكيا الكبير ثم ولاه خلفاء أسكيا هذا المنصب، وبقي كاتبا ومستشارا إلى أن سقطت الدولة السنغوية.

ويعتبر ألفع بكر لنباري من العلماء المخضرمين الذين عاشوا في الدولة السنغوية أثناء ازدهارها وأوجها، وشهد أيضا أفول نجمها عندما سقطت في أيد المغاربة.

128 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71

129 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71

توفي رحمه الله خلال القرن الحادي عشر لكن لم نقف على تاريخ وفاته"130".

45 -الفقيه أبو بكر المختار

هو الفقيه العالم أبو بكر المختار الزنجوي منشئا الكابري نسبا.

كان رحمه الله عالما فقيها بارعا مؤلفا، زاهدا ورعا، له باع طويل وقدم راسخ في الفروع الفقهية.

ويعد الفقيه أبو بكر بن المختار من أهم علماء القرن الحادي عشر والثاني عشر في السودان الغربي الذين تركوا بصمات واضحة على الثقافة العربية الإسلامية بمؤلفاته وفتاويه.

على أنه بالرغم من كثرة مؤلفاته لم يصل إلينا منها إلا كتابه «نبراس الهداية في دين الحنفية»، وهو كتاب فقهي قيم يؤصل المسائل ثم يعقبها بأقوال العلماء. ولم نقف على تاريخ وفاته."131"

46-الفقيه أبو بكر سعنتر المتوفى سنة 1053هجرية

هو الفقيه أبو بكر سعنتر المعروف بموركيبا.

كان رحمه الله عالما فقيها ورعا زاهدا عاملا بعلمه، له قدم راسخ في الفقه المالكي.

ظل رحمه الله يعلم ويفتي إلى أن وافته المنية عشية الإثنين السابع من ذي الحجة المكمل للعام الثالث والخمسين والألف الهجري في بلد شبل"132"

47- الفقيه مودب بكر تراوري

هو الفقيه القاضي بكر تراوري.

كان رحمه الله عالما فقيها متمكنا عابدا زاهدا ورعا قاضيا عادلا.

ويعتبر أسرته من الأسر المالكة في منطقة جني، فنشأ في كنف الأسرة لكنه زهد في السلطة وتفرغ للعلم فنال بركته.

---

130 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
131 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
132 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71

جد واجتهد في طلب العلم حتى بلغ غاية من العلم. استخلفه أحمد ترف في القضاء لما ذهب إلى الحج، وظل فيها إلى أن وافته المنية، ويعد من أبرز علماء جني الذين عاشوا في القرن العاشر الهجري."[133]

المطلب الثاني: حرف الحاء والسين والصاد والكاف.

أولا: من يبدأ اسمه بالحاء:

48- الفقيه الحاج جد القاضي عبد الرحمن بن أبي بكر

هو الفقيه القاضي الحاج جد القاضي عبد الرحمن بن أبي بكر بن الحاج.

كان رحمه الله عالما فقيها متمكنا زاهدا ورعا قاضيا، تولى القضاء بتنبكت في أواخر دولة مالي، وذلك في بداية القرن التاسع الهجري.

ويعتبر هذا الفقيه أول من أمر الناس بقراءة نصف حزب من القرآن للتعليم في جامع سنكري بعد صلاة العصر والعشاء.

سكن رحمه الله في قرية بنك، وظل في القضاء إلى أن وافته المنية خلال القرن التاسع الهجري.

وكان أهل قرية بنك يعتبرونه وليا صالحا ولهذا يزورون قبره دائما."[134]

49- الفقيه القاضي حبيب حفيد عبد الرحمن التميمي المتوفى سنة 904 هجرية.

هو الفقيه القاضي حبيب حفيد عبد الرحمن التميمي.

كان رحمه الله عالما فقيها متمكنا، قاضيا عادلا، زاهدا عابدا ناسكا. ولاه الملك سني علي بير قضاء تنبكت، بعد رحيل العلماء، إلى بير.

ويعد هذا الفقيه من الفقهاء الذين له جاه عظيم عند الملك سني علي بير على الرغم من تشدده على بعضهم.

133 – يراجع السعدي ص: 60-58 / فتح الشكور ص: 71
134 – يراجع السعدي ص: 60-58 / فتح الشكور ص: 71

ظل رحمه الله في القضاء إلى أن وافته المنية سنة أربع وتسعمائه هجرية ، وولي القضاء بعده شيخ الإسلام أبو البركات القاضي محمود. "135"

50 -الفقيه الحبيب بابا المتوفى سنة 1114هجرية

هو الفقيه الحبيب بابا الشهير بسَنبير.

كان رحمه الله عالما فقيها ورعا زاهدا عابدا ناسكا صالحا عالي الكعب في الفقه المالكي، وله باع طويل في علوم شتى.

ظل رحمه الله في التدريس والإفتاء إلى أن وافته المنية سنة أربع عشرة ومائة وألف هجرية. "136"

51- الفقيه الشيخ حمادي بن الشيخ سيدي المختار المتوفى 1869م (1190)هـ

هو الشيخ الفقيه حمادي بن الشيخ سيدي المختار الصغير.

كان رحمه الله عالما فقيها زاهدا ناسكا، نشأ في بيت علم ودين، جد واجتهد حتى بلغ مبلغا من العلم.

ولما مات والده لم تسمح له سنه بخلافته في الزعامة الدينية لقبيلة كنته، فأخذ مكانه عمه سيدى أحمد البكاي.

ظل رحمه الله في تربية الأجيال روحيا إلى أن وافته المنية سنة تسع وستين وثمانمائة وألف ميلادية، الموافق لسنة تسعين ومائة وألف هجرية. "137"

ثانيا: حرف السين:

---

135 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71

136 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71

137 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71

52 - الفقيه القاضي سعيد المتوفى سنة 1026 هجرية

هو الفقيه القاضي سعيد.

كان رحمه الله عالما فقيها متمكنا قاضيا عادلا، عيّن إماما في الجامع الكبير بمدينة جني، وظل فيها إلى أن توفي القاضي أحمد تروري فأسند إليه القضاء بعد مشاورة الباشا علي بن عبد الله التلمساني حاكم تنبكت، وحاكم جني البلبالي وسلطانها السوداني الجنكي أبي بكر ساكر.

ظل رحمه الله في القضاء إلى أن وافته المنية في شهر صفر العام السادس والعشرين بعد ألف الهجري."138"

53- الفقيه سعيد بن محمد كورد

هو الفقيه سعيد بن محمد بغيغ بن محمد كورد الفلاني.

كان رحمه الله عالما فقيها متمكنا نبيها ذكيا مطبوعا على التأليف، له باع طويل في الفقه المالكي، له تأليف في القضاء والأحكام، لكنه مفقود.

ظل رحمه الله في التدريس والتأليف والإفتاء إلى أن وافته المنية خلال القرن الحادي عشر الهجري."139"

54 -الفقيه سعيد بن أحمد بابا المتوفى سنة 1150هجرية

هو الفقيه سعيد بن أحمد بابا شيخ عبد الكريم التنبكتي.

كان رحمه الله عالما فقيها متمكنا عالي الكعب، طويل الباع في الفقه، مفتيا، زاهدا تقيا ورعا، توفي خلال القرن الثاني عشر. ورجح بابير الأرواني أنه توفي سنة خمسين ومائة وألف هجرية."140"

---

138 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
139 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
140 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71

55 - الفقيه سعيد بن بغيغ المتوفى سنة 1189هجرية

هو الفقيه سعيد بغيغ."141"

كان رحمه الله عالما علامة فقيها، جليلا فاضلا سخيا عالي الكعب وراسخ القدم في الفقه المالكي، منفقا على الفقراء والأرامل والأيتام.

توفي رحمه الله سنة تسع وثمانين ومائة وألف هجرية."142"

56 -الفقيه سعيد بن الإمام محمد

هو الفقيه الإمام سعيد بن الإمام محمد كداد.

كان رحمه الله عالما فقيها متمكنا ورعا زاهدا، عالي الكعب في العلوم الإسلامية. نشأ في بيت علم وصلاح ودين.

رتبه الباشا محمود زرقون إماما في جامع القصبة بتنبكت سنة999 هجرية، وبقي في الإمامة إلى أن وافته المنية خلال القرن الحادي عشر والله أعلم."143"

57 -الفقيه سليمان بن داود

هو الفقيه سليمان بن داود الحسني التنبكتي.

كان رحمه الله عالما فقيها متمكنا، دراكا، محدثا، منطقيا، متفننا، محصلا حسن الفهم والنظر قوي العارضة، له فتاوى تدل على طول باعه في الفقه. تاريخ وفاته مجهول"144".

58- الفقيه سن شرف الصقلي المتوفى سنة 1189 هجرية.

هو الفقيه سن شرف الصقلي.

كان رحمه الله عالما فقيها علامة لغويا نحويا مفسرا وليا صوفيا ورعا زاهدا عن الدنيا مقللا فيها سخر الله له الخلائق كلها.

---

141 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
142 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
143 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
144 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71

ظل رحمه الله في التدريس والإفتاء والتأليف إلى أن وافته المنية سنة ثمان وتسعين ومائة وألف هجرية. "145"

59- الفقيه صالح بن محمد

هم الفقيه صالح بن محمد أندغمد المعروف بصالح نُكُنْ

كان رحمه الله عالما فقيها متمكنا، زاهدا ورعا، شيخا معمرا، له حرمة كبيرة عند السلاطين، يشفع للفقراء والمساكين عندهم ولا يردون شفاعته في كل حال و له عدة مؤلفات منها:

مؤلفه على مختصر خليل، وهو مؤلف حسن، لكنه مفقود.

لم نقف على تاريخ وفاته، ولعله توفي خلال القرن العاشر الهجري والله أعلم. "146"

60 -الفقيه صديق بن الحسن : 979- 1073هـ

هو الفقيه الصالح الطالب صديق بن الطالب الحسن بن ألفع محم.

كان رحمه الله عالما فقيها متمكنا، تقيا صالحا ورعا متدينا، ملازما للعبادة، قل نظيره في هذا الشأن.

له مراسلات فقهية مع الشريف الشاب، تدل على طول باعه في الفقه.

توفي رحمه الله عن سن يناهز أربعا وتسعين سنة، وكان ذلك في شهر ذي القعدة سنة ثلاث وسبعين وألف هجرية. "147"

ثالثا: من يبدأ اسمه بالعين:

61 - الفقيه القاضي العباس كب

هو الفقيه القاضي العباس كب الجنوي بلدا الوعكري أصلا.

كان رحمه الله عالما فقيها قاضيا جليلا فاضلا خيرا سخيا، له قدم راسخ في الكرم.

---

145 – يراجع السعدي ص: 60-58 / فتح الشكور ص: 71

146 – يراجع السعدي ص: 60-58 / فتح الشكور ص: 71

147 – يراجع السعدي ص: 60-58 / فتح الشكور ص: 71

ويعتبر القاضي العباس كب من العلماء المشهورين الذين عاشوا في جني في القرن التاسع والعاشر الهجريين.

توفي في جني خلال القرن العاشر والله أعلم."148"

62-الفقيه عبد الرحمن التميمي

هو الفقيه عبد الرحمن التميمي.

كان رحمه الله عالما فقيها، جاء من أرض الحجاز صحبة السلطان موسى حين رجع من الحج، فسكن مدينة تنبكت، ووجدها حافلا بالفقهاء السودانيين.

ولما رأى أنهم يفوقونه في العلم، رحل إلى فاس وتعلم ثم رجع إلى تنبكت وجلس للتدريس والإفادة إلى أن توفي خلال القرن التاسع الهجري والله أعلم.

وكان معاصرا لكثير من أشياخ السودان الغربي مثل القاضي محمد الكابري.

وقد أثنى عليه كثير من علماء السودان منهم: القاضي سيدى يحيى التادلي الذي يقول : –إذا جاء طلابه للأخذ عنه– " يا أهل سنكري كفاكم سيدي عبد الرحمن التميمي». "149"

63- الفقيه عبد الرحمن بن الفقيه اندغمحمد

هو الفقيه عبد الرحمن بن الفقيه اندغمحمد بن محمد بن عثمان بن محمد بن نوح، معدن العلم والصلاح.

كان رحمه الله عالما فقيها تقيا حليما زاهدا ورعا، عالما بالتهذيب للبرادعي، ملازما لقراءته، له باع طويل في الفقه.

ويعتبر هذا الفقيه من أهم علماء السودان الغربي الذين عاشوا في القرن التاسع الهجري"150"

---

148 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71

149 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71

150 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71

64 -الفقيه عبد الرحمن بن أبي بكر

هو الفقيه القاضي عبد الرحمن بن أبي بكر بن الحاج.

كان رحمه الله عالما فقيها متمكنا، قاضيا عادلا تقيا ورعا زاهدا، تولى القضاء في تنبكت في أواخر دولة أهل مالي.

ظل رحمه الله في القضاء إلى أن وافته المنية خلال القرن التاسع أو العاشر الهجري والله أعلم."151"

65 -الفقيه القاضي عبد الرحمن بن أبي بكر

هو الفقيه القاضي عبد الرحمن بن أبي بكر.

كان رحمه الله عالما فقيها متمكنا، استخلفه القاضي محمود بن عمر أقيت في القضاء بتنبكت لما حج إلى بيت الله الحرام بأمر الأمير أسكيا الحاج. مكث في القضاء عشر سنين ثم رد القضاء إلى القاضي محمود.

ويعتبر هذا العالم من علماء السودان الغربي الذين أسهموا كثيرا في ازدهار الحركة الفقهية في السودان الغربي خلال القرن العاشر الهجري."152"

66 - الفقيه عبد الرحمن المتوفى سنة 1018هجرية

هو الفقيه عبد الرحمن بن الفقيه الإمام القاضي سيد علي بن عبد الرحمن الأنصاري المسناني.

كان رحمه الله عالما فقيها متمكنا، مقرئا مجودا بلغ الغاية في الفقه، له باع طويل في العلوم العربية.

توفي رحمه الله يوم الخامس من شهر رجب العام الثامن بعد ألف الهجري ودفن في مقابر الجامع الكبير."153"

151 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
152 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
153 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71

67- الفقيه عبد الرحمن بن أحمد المجتهد المتوفى سنة 1019 هجرية.

هو الفقيه عبد الرحمن بن أحمد المجتهد.

كان رحمه الله عالما فقيها متمكنا، محدثا، له باع طويل في الفقه والحديث.

أخذ عنه عدة علماء من المنطقة منهم: الشيخ سيد أحمد أغ الشيخ الذي قرأ عليه الموطأ والمدونة.

ظل رحمه الله في التدريس والإفتاء إلى أن وافته المنية يوم الخميس الخامس عشر جمادى الأولى العام التاسع عشر بعد ألف"[154].

68- الفقيه القاضي عبد الرحمن بن القاضي موسى داب المتوفى سنة 1062هـ

هو الفقيه القاضي عبد الرحمن بن القاضي موسى دابُ.

كان رحمه الله فقيها قاضيا، تولى القضاء في جنى بعد وفاة أخيه القاضي أحمد دابُ عام واحد وستين والف الهجري

مكث رحمه الله في القضاء خمسة أشهر ثم توفي ليلة الأربعاء الثالثة والعشرين من ربيع الثاني العام الثاني والستين وألف الهجري."[155]

69 - الفقيه عبد الرحمن بن أحمد معيا المتوفى سنة 1108هجرية

هو الفقيه أبو زيد عبد الرحمن بن الفقيه أحمد معيا.

كان رحمه الله فقيها متمكنا قاضيا، تولى القضاء ضحوة الخميس العاشر من ربيع الثاني العام الثاني وألف – في المشور السعيد بأمر من الباشا أحمد بن الباشا باحدٌّ – بعد وفاة القاضي محمد بن محمد بن محمد كري، وكان عمره يومئذ ثلاثة وسبعين سنة.

ظل رحمه الله في القضاء إلى أن وافته المنية سنة ثمان ومائة وألف هجرية."[156]

154 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
155 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
156 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71

70-الفقيه الحاج عبد الرحمن بن إسماعيل يُرُ (YORO)

هو الفقيه الحاج عبد الرحمن بن إسماعيل يُرُ بن الإمام محمد كورد.

كان رحمه الله عالما فقيها متمكنا موثقا مشهورا في زمنه.

ويعتبر هذا الفقيه من الموثقين البارعين في تنبكت خلال القرن الثاني عشرالهجري.

توفي رحمه الله في زمن الباشا باحدُّ الذي توفي سنة 1141 هجرية."[157]

71- الفقيه الحاج عبد الرحمن

هو الفقيه الحاج عبد الرحمن الشهير بألفع بير.

كان رحمه الله عالما فقيها متمكنا موثقا.

ويعد هذا العالم من الموثقين المشهورين في تنبكت خلال القرن الثاني عشر الهجري، ولم نقف على تاريخ وفاته."[158]

72- الفقيه الإمام عبد السلام بن محمد المتوفى سنة 1035هجرية

هو الفقيه الإمام عبد السلام بن محمد دك الفلاني.كان رحمه الله عالما فقيها متمكنا متواضعا، قضى فترة طويلة نائبا للإمام محمود بن صديق ، ولما توفي عام ثلاثين وألف الهجري ، تولى الإمامة ومكث فيها أربع سنين وبضعة أشهر.

توفي رحمه الله يوم الأحد الثاني والعشرين من جمادى الثانية العام الخامس والثلاثين وألف"[159].

73- الفقيه عبد الله البلبالي

هو الفقيه الفاضل العابد الناسك سيدى عبد الله البلبالي

كان رحمه الله عالما فقيها متمكنا، خيرا فاضلا عابدا تقيا زاهدا ورعا لا يأكل إلا من عمل يده. جاء إلى تنبكت صحبة كاتب موسى لما رجع من فاس.

---

157 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71

158 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71

159 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71

وكان الملك سني علي بير بالرغم من تشدده على العلماء، يحترمه كثيرا ويجله؛ لمكانته العلمية.

ويعتبر هذا الفقيه أول البيضان الذي صلى بالناس في الجامع الكبير بتنبكت في أواخر دولة الطوارق، وفي بداية دولة سني علي بير.

ظل رحمه الله في الإمامة إلى أن وافته المنية خلال القرن التاسع الهجري والله أعلم."160"

74- الفقيه أبو محمد عبد الله بن أحمد بري المتوفى سنة 1010هجرية

هو الفقيه أبو محمد عبد الله بن الفقيه أحمد بري بن أحمد بن الفقيه القاضي اندغمحمد الكبير.

كان رحمه الله عالما فقيها متمكنا نحويا لغويا مفتيا في زمنه متواضعا، اشتهر في زمنه بعلم التوثيق وعلم القراءات.

ظل رحمه الله يدرس ويفتي إلى أن وافته المنية في شهر رجب العام العاشر بعد ألف."161"

75 - الفقيه عبد الله بن عمران السعدي المتوفى سنة 1014 هجرية

هو الفقيه عبد الله بن عمران السعدي – والد عبد الرحمن السعدي–.

كان رحمه الله عالما فقيها صوفيا ورعا زاهدا، خيرا صالحا، حسن النية.

أخذ عن عدة علماء منهم: الفقيه المقرئ إبراهيم الزلفي. وأخذ عنه أيضا مجموعة من التلاميذ منهم: ابنه عبد الرحمن السعدي

ظل رحمه الله يؤدي دوره العلمي في المجتمع إلى أن وافته المنية سنة أربع عشرة وألف هجرية"162".

---

160 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
161 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
162 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71

76 -الفقيه عبد اللّه بن الفقيه أحمد معيا المتوفى سنة1048 هجرية.

كان رحمه الله عالما فقيها زاهدا ورعا مدرسا، كان يسرد الجامع الصحيح للبخاري في القصبة بدار السلطنة كل سنة.

توفي رحمه الله يوم السابع والعشرين من رمضان العام الثامن والأربعين والألف بتنبكت."163"

77 -الفقيه عبد اللّه بن الفقيه أبّ موي المتوفى سنة 1153هجرية

هو ألفا عبد الله بن الفقيه آب موي

كان رحمه الله عالما فقيها عابدا تقيا صالحا زاهدا ورعا، توفي سنة ثلاث وخمسين ومائة وألف هجرية."164"

78- الفقيه عبد اللّه بن الفقيه أَبُكّنْ المتوفى 1161 هجرية

هو الفقيه عبد الله بن الفقيه أبكن بن الفقيه القاضي محمد بن المختار بن محمد زنكن بن الفع أبكر المداح.

كان رحمه الله عالما فقيها متمكنا، زاهدا ورعا، توفي يوم الثلاثاء الخامس من ربيع الأول سنة إحدى وستين ومائة وألف هجرية."165"

79- الفقيه عتيق بن الفقيه سيدي محمد

هو الفقيه عتيق بن الفقيه سيدي محمد بن محمد علي سل الولاتي الملقب بالتنبكتي.

كان رحمه الله عالما فقيها نبيها فاضلا خيرا من أهل الفضل والعقل، ونصح وتعليم وإرشاد وتفهيم. تولى القضاء بولاتة، وظل فيها إلى أن وافته المنية.

وكان الفقيه سيدي محمد المختار بن الأعمش يثني عليه كثيرا ويصفه بالعلم، لم نقف على تاريخ وفاته لكنه كان حيا سنة سبع وسبعين وألف هجرية."166"

---

163 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71

164 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71

165 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71

166 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71

80 -الفقيه عتيق المتوفى سنة 1188 هجرية

هو الفقيه الإمام عتيق، إمام جامع الكبير.

كان رحمه الله عالما فقيها متمكنا ورعا زاهدا تقيا، معرضا عن الدنيا بكليتها، تولى إمامة الجامع الكبير بتنبكت ومكث فيها ثمانية أعوام، توفي سنة ثمان وثمانين ومائة وألف هجرية."167"

81-الفقيه عثمان بن الحسن التشيتي المتوفى سنة 977 هجرية

هو الفقيه عثمان بن الحسن بن الحاج التشيتي.

كان رحمه الله عالما فقيها متمكنا زاهدا ورعا عينه القاضي محمود نائبا للإمام الفقيه سيدى علي الجزولي.

وبعد ما توفي الإمام علي الجزولي عينه القاضي محمود إماما راتبا على الجامع الكبير فامتنع، وطلب منه أن يعين صديق بن محمد تعلي إماما فرتبه.

وبعد ما توفي صديق بن محمد تعلي عينه القاضي محمود إماما على الجامع الكبير قسرا.

وبقي فيها إلى أن وافته المنية في شهر شوال العام السابع والسبعين بعد تسعمائة هجرية"168"

82- الفقيه عثمان درم

هو الفقيه القاضي عثمان درم.

كان رحمه الله عالما فقيها قاضيا عادلا صالحا ورعا زاهدا، عابدا وليا مكاشفا.

عينه الأمير أسكيا إسحاق بن الحاج أسكيا الكبير قاضيا على قرية تندرما، فامتنع ثم استقضاه قهرا.

وبعد ما عين قاضيا زار الحرمين الشريفين وحج ثم رجع إلى بلده، وله من الكرامات والمناقب مالا يحصى.

ظل رحمه الله في القضاء إلى أن وافته المنية خلال القرن العاشر الهجري والله أعلم."169"

167 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
168 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
169 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71

83- الفقيه عثمان بن الحاج عبد الرحمن

هو الفقيه عثمان بن الحاج عبد الرحمن بن إسماعيل يُرُو بن محمد كورد الفلاني.

كان رحمه الله عالما فقيها موثقا ورعا عادلا.

ويعد هذا الفقيه من الموثقين المشهورين في تنبكت خلال القرن الثاني عشر.

ظل رحمه الله في التدريس والتوثيق إلى أن وافته المنية خلال القرن الثاني عشر الهجري والله أعلم."170"

84 -الفقيه سيدي علي الجزولي

هو الفقيه سيدي علي الجزولي

كان رحمه الله عالما فقيها إماما من خيار عباد الله الصالحين.

ولاه القاضي محمود إمامة الجامع الكبير بعد وفاة الفقيه أحمد، ومكث في الإمامة ثمان عشرة سنة، وكان الفقيه القاضي محمود يثني عليه كثيرا لعلمه ومكانته.

توفي رحمه الله خلال القرن العاشر الهجري والله أعلم."171"

85 - الفقيه علي سِلَّ المتوفى سنة 1013هجرية

هو الفقيه الفاضل صاحب الكرامات علي سِلَّ بن أبي بكر بن شهاب الولاتي التنبكتي مولدا ومنشئا، سبط ولي الله تعالى بابا مسر بير.

كان رحمه الله عالما فقيها زاهدا ورعا، له باع طويل في الفقه والعربية.

توفي رحمه الله في شهر ذي القعدة العام الثالث عشر بعد ألف."172"

86 -الفقيه الشيخ علي بن النجيب المتوفى سنة 1757 ميلادية

هو الشيخ علي بن النجيب بن محمد بن شعيب.

---

170 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
171 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
172 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71

كان رحمه الله عالما فقيها عالي الكعب في العلوم الإسلامية.

ويعد هذا الفقيه جد قبيلة سيدى علي الذي عاش في ضواحي تنبكت على هامش كنته وتحت تبعيتهم الكلية المعنوية والدينية.

اشتهر رحمه الله في عصره بعلمه وورعه وزهده، وتخرج على يديه عدة علماء أجلاء منهم: الشيخ سيدي المختار الذي يعتبره شيخه الروحي وأستاذه الذي أثر فيه كثيرا.

توفي رحمه الله سنة سبع وخمسين وسبعمائة وألف ميلادية."173"

87- الفقيه عمار بن الإمام الحاج المتوفى سنة 1176هجرية

هو الفقيه عمار بن الإمام الحاج.

كان رحمه الله عالما فقيها متمكنا إماما. أسند إليه منصب الإمامة في القصبة عام 1172 هجرية ومكث فيها خمس سنوات.

توفي رحمه الله يوم الاثنين ثالث شوال عام السادس والسبعين ومائة وألف الهجري."174"

88 -الفقيه عمر بن محمد المتوفى سنة1012 هجرية.

هو الفقيه العالم الفاضل بقية السلف ومفيد الطلبة أبو حفص عمر بن محمد بن عمر صنو الفقيه معيا.

كان رحمه الله عالما فقيها متمكنا، عاملا بعلمه زاهدا ورعا حريصا على العلم، له قدم راسخ في العلوم الإسلامية.

توفي رحمه الله في شعبان عام الثاني عشر بعد ألف."175"

89- الفقيه عمران السعيدي

هو الفقيه عمران السعيدي أو السعدي – جد المؤرخ الفقيه الكاتب عبد الرحمن السعدي– .

كان رحمه الله عالما فقيها زاهدا ورعا غلب عليه التصوف، مشتغلا بأمور الآخرة عن أمور الدنيا.

173 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
174 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
175 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71

توفي رحمه الله سنة سبع وسبعين وتسعمائة، وقيل أيضا سنة إحدى عشر وألف هجرية. ودفن في تنبكت بجوار أبي القاسم التواتي"[176]".

المطلب الثالث: من يبدأ اسمه بحرف الميم

أولا– من اسمه محمد

90 - الفقيه محمد كب بن جابر كب المتوفى سنة 985هجرية

هو الفقيه الخطيب محمد كب بن جابر كب.

كان رحمه الله عالما فقيها متمكنا خطيبا ورعا زاهدا كان ساكنا في مدينة غاو بطلب الفقيه العلامة محمد بغيغ، ثم واصل إلى تنبكت.

وبعد وفاة الخطيب محمد سيسي خطيب غاو، عين خطيبا في مدينة غاو، وبقي فيها إلى أن وافته المنية سنة خمس وثمانين وتسعمائة هجرية في مدينة غاو."[177]"

91-الفقيه محمد بابا بن الإمام اندغمحمد المتوفى سنة 999 هجرية

هو أبو عبد الله محمد بابا بن الإمام اندغمحمد.

كان رحمه الله عالما فقيها زاهدا ورعا حافظا لقصائد مدحه صلى الله عليه وسلم، مسردا لكتاب الشفا للقاضي عياض في مسجد سنكرى بعد وفاة أبيه.

توفي رحمه الله سنة تسع وتسعين وتسعمائة هجرية"[178]".

92- الفقيه محمد بابا مسر بن اندغمحمد المتوفى سنة 1002 هجرية.

هو الفقيه محمد بابا مسر بن الفقيه اندغمحمد بن أحمد بن ملوك بن الحاج الدليمي المعروف بالمصلى.

كان رحمه الله عالما فقيها جليل القدر، له باع طويل في الفقه.

توفي رحمه الله في جني شهر جمادى الأولى العام الثاني وألف هجرية."[179]"

176 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
177 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
178 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
179 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71

93 -الفقيه محمد الزغراني المتوفى سنة 1011هجرية

هو الفقيه محمد الزغراني، أحد مشاهير العلماء الذين اجمع الناس على ولايتهم.

كان رحمه الله عالما فقيها وليا زاهدا راسخ القدم في الفقه، توفي سنة إحدى عشر وألف هجرية. "180"

94-الفقيه القاضي محمد بنب كناتي

هو الفقيه القاضي محمد بنب كناتي الونكري الجنوي، من قضاة جني المشهورين.

كان رحمه الله عالماً فقيهاً جليل القدر قاضياً ، تولى القضاء بجني بعد وفاة القاضي بكر تراوري . ظل رحمه الله في القضاء حتى دخل المغاربة في السودان الغربي فعزله القائد مامي وسجنه وبعد مدة أفرج عنه.

ويعتبر القاضي محمد كناتي آخر القضاة في عهد دولة الأسكيين بمدينة جيني. توفي رحمه الله خلال القرن الحادي عشر الهجري و الله أعلم."181"

95 -الفقيه القاضي محمد بن القاضي عبد الرحمن المتوفى سنة 1016 هجرية

هو الفقيه القاضي محمد بن القاضي عبد الرحمن.

كان رحمه الله عالما فقيها متمكنا قاضيا، جوادا كريما واسع القلب رحب الصدر.

تولى القضاء بتنبكت سنة 1002 هجرية بعد إجلاء أولاد القاضي محمود ونفوا إلى مراكش.

مكث في القضاء أربع عشرة سنة وبضعة أشهر. ولما رجع أحمد بابا من المنفى ذهب إليه يهنئه.

توفي رحمه الله يوم الثلاثاء لست بقين من ذي القعدة عام سادس عشر بعد ألف."182"

96-الفقيه القاضي محمد بن أحمد : 1017-952م

هو الفقيه القاضي محمد بن أحمد بن القاضي عبد الرحمن بن أبي بكر.

---

180 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
181 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
182 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71

كان رحمه الله عالما فقيها متمكنا قاضيا.

يعتبر القاضي محمد بن أحمد أول القضاة الذين تولوا القضاء في عهد المغاربة، وعيّن في القضاء يوم السبت التاسع عشر من صفر العام الثاني بعد ألف الهجري بأمر الباشا محمود بن علي زرقون بعد ما قبض على أولاد محمود.

ولما تولى القضاء كان عمره خمسين سنة. ومكث في القضاء خمس عشرة سنة. وتوفي سنة سبع عشرة وألف هجرية، عن سن يناهز خمسا وستين سنة."183"

97- الفقيه محمد المختار

هو الفقيه محمد بن المختار المعروف بسن كُمُ.

كان رحمه الله عالما فقيها متمكنا، له قدم راسخ وباع طويل في العربية.

توفي سنة 1020هجرية وقيل 1026 هجرية."184"

98- الفقيه محمد بن تكن المتوفى سنة 1022هجرية.

هو الفقيه محمد بن تكن.

كان رحمه الله عالما فقيها زاهدا ورعا تقيا متمكنا في العلوم الإسلامية.

توفي رحمه الله سنة اثنتان وعشرين وألف هجرية. "185"

99- الفقيه محمد صالح بن علي الزياد المتوفى سنة 1025هجرية

هو الفقيه الشيخ محمد صالح بن علي الزياد.

كان رحمه الله عالما فقيها متمكنا مدرسا خيرا خبيرا بالعلم، أخذ عنه عدة علماء من تنبكت منهم: الفقيه المؤرخ عبد الرحمن السعدي، توفي رحمه الله في شهر صفر العام الخامس والعشرين بعد ألف."186"

183 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
184 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
185 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
186 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71

100- الفقيه محمد بن محمد كري المتوفى سنة 1029هجرية.

هو شيخ الشيوخ، إمام مسجد سنكري الفقيه محمد بن محمد كري. كان رحمه الله عالما فقيها متمكنا. تولى إمامة مسجد سنكري بعد ما قبض محمود زرقون على أسرة أقيت وظل في الإمامة إلى أن وافته المنية يوم الجمعة لثلاث بقين من المحرم عام التاسع والعشرين بعد ألف. "187"

101-الفقيه محمد سن المتوفى سنة 1030هجرية

هو الفقيه محمد سن بن الفقيه المختار بن محمد بن الفقيه المختار النحوي بن اندغمحمد.

كان رحمه الله عالما فقيها ورعا ذا مروءة ووفاء شب وشاب عليه، وقورا هادئا، مادحا لرسول الله (ص) أمينا توفي سنة ثلاثين وألف هجرية. "188"

102- الفقيه محمد بن أحمد المتوفى سنة 1016 هجرية

هو القاضي محمد بن أحمد بن القاضي عبد الرحمن توفي عام السادس عشر بعد ألف. "189"

103- الفقيه محمد بن أحمد الخليل المتوفى سنة 1036هجرية

هو الشيخ الفاضل المبارك الفقيه الإمام محمد بن محمد بن أحمد الخليل.

كان رحمه الله عالما فقيها ورعا زاهدا، عيّن إماما في بلد بينا، وكانت يومئذ زاخرا بأولى الفضل والعلم.

ظل رحمه الله في الإمامة إلى أن وافته المنية يوم الجمعة الثاني من جمادى الثانية، العام السادس والثلاثين بعد ألف فنقل إلى جني ودفن في مقابر الجنان. "190"

104- الفقيه محمود الأمين المتوفى سنة 1036هجرية.

هو الفقيه محمد الأمين القاضي سيد أحمد.

187 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
188 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
189 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
190 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71

كان رحمه الله عالما فقيها زاهدا ورعا مدرسا لكتاب الشفا عياض في مسجد الكبير نحو ثلاث سنين في رمضان المبارك.

ظل رحمه الله في تدريس الشفا للقاضي عياض إلى أن وافته المنية، وهو في ريعان شبابه يوم الأحد أو الإثنين الثاني عشر من ربيع الثاني سنة ست وثلاثين وألف هجرية."[191]"

105-الفقيه محمد بن أحمد بن القاضي بن أبي بكر بغيغ المتوفى سنة 1040 هجرية

هو الفقيه محمد بن أحمد بن القاضي محمد بن بكر بغيغ الونكري.

كان رحمه الله عالما فقيها متمكنا مفتيا مدرسا، أقبل عليه خلق كثير للأخذ عنه، حتى قيل إن له من كل قبيلة ألفين من التلاميذ.

له عدة مؤلفات منها: نظمه البديع لأم البراهين، لم نقف على تاريخ وفاته لكنه كان حيا سنة أربعين وألف هجرية"[192]".

106- الفقيه محمد سعيد كداد المتوفى سنة 1035هجرية.

هو الفقيه الشيخ الفاضل المحدث الإمام محمد بن سعيد بن الإمام محمد كداد بن أبي بكر الفلاني.

كان رحمه الله إماما عادلا عالما فقيها متمكنا مدرسا محدثا، عالي الكعب في علوم الحديث رواية ودراية، وله باع طويل في الفقه.

توفي رحمه الله يوم الأحد العاشر من جمادى الأولى عام الخامس والثلاثين وألف ودفن في مقابر الجامع الكبير بتنبكت."[193]"

107- الفقيه محمد الوديعة

هو الفقيه الإمام محمد الوديعة بن الإمام محمد سعيد بن الإمام محمد كداد الفلاني.

كان رحمه الله عالما فقيها متمكنا إماما ورعا زاهدا، تولى إمامة الجامع الكبير بعد وفاة الإمام سيدي على بن عبد الله سر بن الإمام علي الجزولي عام 1052. الهجري.

---

191 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
192 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
193 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71

وظل رحمه الله فيها إلى أن وافته المنية خلال القرن الحادي عشر والله أعلم."194"

108- الفقيه محمد بن الشريف الحاج الحسني المتوفى سنة 1056هجرية

هو الشيخ سيدي الشريف محمد بن الشريف الحاج الحسني.

كان رحمه الله عالما فقيها زاهدا ورعا، توفي يوم الخامس من ذي الحجة عام السادس والخمسين والألف الهجري، ودفن في مقابر الجامع الكبير بتنبكت."195"

109- الفقيه سيدي محمد بن أحمد بابا المتوفى سنة 1057 هجرية

هو الفقيه سيدي محمد بن العلامة الفقيه أحمد بابا بن أحمد بن الحاج أحمد بن عمر بن أقيت.

كان رحمه الله عالما فقيها ناسكا شاعرا، عابدا ، زار عدة أقطار إسلامية منها مصر والتقي فيها بمجموعة من العلماء منهم أحمد المقري الحفيد تلميذ والده أحمد بابا التنبكتي.

توفي رحمه الله ليلة السبت العاشر من ذي القعدة العام السابع والخمسين وألف ودفن في مقابر سنكري."196"

110 - الفقيه القاضي محمد بن محمد كري المتوفى سنة 1062هجرية

هو الفقيه القاضي محمد بن محمد كري.

كان رحمه الله عالما فقيها متمكنا قاضيا عادلا عابدا صالحا، زاهدا.

ظل رحمه الله في القضاء إلى أن وافته المنية يوم الأربعاء الثاني من الربيع الثاني، العام الثاني والستين وألف."197"

111- الفقيه محمد بن مرزوق المتوفى سنة 1062هجرية

هو الفقيه محمد بن مرزوق مولى الهواري.

---

194 – يراجع السعدي ص: 60-58 / فتح الشكور ص: 71
195 – يراجع السعدي ص: 60-58 / فتح الشكور ص: 71
196 – يراجع السعدي ص: 60-58 / فتح الشكور ص: 71
197 – يراجع السعدي ص: 60-58 / فتح الشكور ص: 71

كان رحمه الله عالما فقيها قاضيا عادلا ورعا زاهدا، تولى القضاء بمدينة جني بعد وفاة القاضي عبد الرحمن بن القاضي موسى داب.

ظل رحمه الله في القضاء إلى أن وافته المنية سنة اثنتين وستين وألف هجرية. "198"

112 - الفقيه سيد محمد بن محمود

هو الفقيه سيدي محمد بن محمود بن محمد بغيغ بن أبي بكر كورد الفلاني.

كان رحمه الله عالما عاملا بعلمه فقيها نبيها مطبوعا على التأليف عالي الكعب في الفقه المالكي، له تأليف مهم في القضاء وغيره.

ويعتبر هذا الفقيه من أهم علماء القرن الحادي عشر، ولم نقف على تاريخ وفاته. "199"

113- الفقيه محمد بن أحمد بن الشيخ السوقي المتوفى سنة 1107 أو 1108هـ

هو الفقيه محمد بن أحمد بن الشيخ السوقي.

كان رحمه الله عالما فقيها محققا متفننا، حافظا للقرآن نجيبا، موصوفا بجودة القريحة.

توفي رحمه الله في الوباء الذي حدث عام سبعة أو ثمانية بعد المائة والألف"200".

114- الفقيه محمد طاغ بن الفقيه عبد الكريم المتوفى سنة1111هجرية

هو الفقيه محمد بن طاغ بن الفقيه عبد الكريم بن الفقيه القاضي عبد الرحمن بن العلامة أحمد معيا.

كان رحمه الله عالما فقيها متمكنا ورعا زاهدا، مجتهدا في طلب العلم توفي رحمه الله في شهر رجب العام الحادي عشر ومائة بعد ألف"201".

---

198 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
199 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
200 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
201 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71

115- الفقيه محمد بن طاهر التارقي المتوفى سنة 1132هجرية

هو الفقيه محمد بن طاهر التارقي.

كان رحمه الله عالما فقيها بارعا نحويا لغويا، له باع طويل في علم الأسرار، لا نظير له في زمنه في علم النحو، ولذا كان مشهورا في عصره.

قتله الكاهية الشيخ في بلد بنبا عام الثاني والثلاثين ومائة وألف."[202]

116-الفقيه محمد بن الإمام محمد بغيغ

هو الفقيه محمد بن الإمام محمد بغيغ بن الإمام محمد كورد الفلاني.

كان رحمه الله عالما فقيها متضلعا في الفقه، توفي في عهد الباشا بَاحَدُّ الذي توفي سنة 1141هجرية"[203]

117 - الفقيه محمد بن عبد الكريم التنبكتي المتوفى سنة 1190هجرية

هو الفقيه محمد بن عبد الكريم التنبكتي.

كان رحمه الله عالما فقيها تقيا زاهدا ورعا، ليس له نظير في الفهم في عهده.

ولم نقف على تاريخ وفاته، لكن رجح بابير الأرواني أنه توفي عام 1190هـ"[204].

118- الفقيه محمد بن سلّك الكلادي

هو الفقيه محمد بن سُلك الكلادي.

كان رحمه الله عالما فقيها مدرسا مفسرا بارعا في التدريس، واسع الفهم سريع الإدراك، حسن الإقراء والعبارة، كثير السفر، تاجرا.

كان يدرس الفقه والتفسير والعربية ومقامات الحريري، وكان يمارس التجارة إلى جانب تدريسه.

ولم نقف على تاريخ وفاته لكنه كان حيا عام أربعة عشر ومائتين وألف هجرية."[205]

202 – يراجع السعدي ص: 60-58 / فتح الشكور ص: 71
203 – يراجع السعدي ص: 60-58 / فتح الشكور ص: 71
204 – يراجع السعدي ص: 60-58 / فتح الشكور ص: 71
205 – يراجع السعدي ص: 60-58 / فتح الشكور ص: 71

119 - الفقيه محمد كورد

هو الفقيه الموثق محمد كورد بن باب سعيد بن الحاج عبد الرحمن بن إسماعيل يُرُو بن محمد كورد الفلاني.

كان رحمه الله عالما فقيها متمكنا، موثقا، أحد الموثقين المشهورين في مدينة تنبكت خلال القرن الثاني عشر الهجري.

ظل رحمه الله يمارس التدريس والإفتاء والتوثيق إلى أن وافاه الأجل المحتوم خلال القرن الثاني عشر والله أعلم."[206]"

120 - الفقيه محمد سنوسي المتوفى سنة 1260هجرية

هو الفقيه محمد سنوسي،

كان رحمه الله عالما فقيها متمكنا، أديبا لغويا نحويا عابدا زاهدا ورعا تقيا. يحيي لياليه كلها بالعبادة، ولا يشتغل إلا بطاعة الله، ويعمر أوقاته بالعبادة من تعليم وصوم وذكر وغير ذلك من أنواع الطاعات.

توفي رحمه الله سنة ستين ومائتين وألف هجرية."[207]"

121 - الفقيه محمد الأمين بن محمد المصطفى

هو الفقيه القاضي محمد الأمين بن محمد المصطفى بن محمد المبارك بن على بن النجيب.

كان رحمه الله عالما فقيها قاضيا عادلا.

ظل رحمه الله في القضاء إلى أن وافته المنية خلال القرن الثالث عشر الهجري، وكان حيا عام 1268.هـ"[208]"

122 - الفقيه محمد بادي المتوفى سنة 1295هـ 1874م

هو الفقيه محمد بادي بن سيدى المختار الصغير.

206 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
207 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
208 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71

كان رحمه الله عالما فقيها ، نشأ في بيت علم وصلاح، وعاش في كنف أخيه الأكبر حمادي الذي كان يحكم مخيم أهل الشيخ ، وبعد وفاة أخيه حمادي عام 1865 م تولى الزعامة الروحية والقيادة العامة لكنته أهل الشيخ.

ظل رحمه الله يمارس الزعامة الروحية والقيادية إلى أن وافته المنية سنة خمس وتسعين ومائتين وألف هجرية."209"

ثانيا من اسمه محمود

123- الفقيه القاضي محمود بن أبي بكر بغيغ

هو الفقيه القاضي محمود بن أبي بكر بغيغ الونكري الجنوى.

كان رحمه الله عالما فقيها متمكنا زاهدا ورعا، عالي الكعب في الفقه، واسع الفهم، سريع الإدراك جريئا شجاعا لا يهاب أحدا ما دام يتكلم بالحق ولا يخشى سلطانا ما دام يرى أن الحق معه، وسجل حياته وتاريخه حافل بمواقع الرجولة والشجاعة مع الخلفاء والأمراء.

تولى القضاء بمدينة جني عام 959هـ بعد وفاة القاضي العباس كب بأمر الأمير أسكيا إسحاق بن أسكيا الحاج محمد الكبير.

أخذ عنه عدة علماء من مدينة جني منهم: أبناء محمد بغيغ والفقيه أحمد بغيغ.

ظل رحمه الله في التدريس والقضاء إلى أن وافته المنية خلال القرن العاشر والله أعلم."210"

124- الفقيه محمود درمي المتوفى سنة 1000هجرية

هو الفقيه الخطيب محمود درمي.

كان رحمه الله عالما فقيها، خطيبا شيخا، عينه الأمير أسكيا داود خطيبا على مدينة غاو عام ستة وثمانين وتسعمائة الهجري.

وظل رحمه الله في الخطابة حتى دخل المغاربة في غاو ووجدوه شيخا هرما، واستضافهم ضيافة فاخرة وأكرمهم غاية الإكرام.

---

209 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71

210 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71

توفي رحمه الله سنة ألف هجرية في مدينة غاو"[211]".

125 - الفقيه القاضي المؤرخ محمود كعت المتوفى سنة 1002هجرية

هو الفقيه القاضي المؤرخ والكاتب محمود كعت بن الحاج المتوكل الكرمن دارا والتنبكتي مسكنا، والونكري أصلا.

كان رحمه الله عالما فقيها ورعا مؤرخا كاتبا مستشارا للملك أسكيا الحاج حافظا، له باع طويل في الفقه وقدم راسخ في التاريخ، بارعا في الأدب.

ولد في منطقة كورما غرب مدينة غاو وعاصر أسكيا الحاج فأحبه وجعله قاضيا ومستشارا، تلقى العلم عن علماء المنطقة وفقهائها، صاحب الحاج أسكيا في حجه سنة خمس وتسعين وأربعمائة وألف ميلادية الموافق للعام الثاني وتسعمائة هجرية) 1495م/ 902هـ) . التقى بمجموعة من علماء المشارقة، توفي رحمه الله عام الثاني بعد الألف في أركيا ودفن بتنبكت"[212]".

126- الفقيه محمد بن سليمان بن محمد كرمع المتوفى سنة 1028هجرية

هو الفقيه محمود بن سليمان بن محمد كرمع الونكري المعروف بالفع سر.

كان رحمه الله عالما فقيها زاهدا ورعا مدرسا، توفي العام الثامن والعشرين والألف الهجري في مدينة جني."[213]"

127- الفقيه محمود بن صالح ونكرب المتوفى سنة 1046هجرية

هو الفقيه محمود بن صالح ونكرب.

كان رحمه الله عالما علامة فقيها متمكنا ورعا زاهدا مدرسا، آية في الفهم.

توفي رحمه الله سنة ست وأربعين وألف هجرية."[214]"

211 – يراجع السعدي ص: 60-58 / فتح الشكور ص: 71
212 – يراجع السعدي ص: 60-58 / فتح الشكور ص: 71
213 – يراجع السعدي ص: 60-58 / فتح الشكور ص: 71
214 – يراجع السعدي ص: 60-58 / فتح الشكور ص: 71

128- الفقيه محمود بن المصطفى المتوفى سنة 1154هجرية

هو الفقيه الإمام محمود بن الفقيه المصطفى بن عبد الله.

كان رحمه الله عالما فقيها متمكنا زاهدا ورعا، حافظا للقرآن مليح الصوت في قراءة القرآن وفي المدح.

تولى إمامة مسجد جامع الهنا بعد وفاة أخيه الأكبر الإمام باب أحمد، ومكث فيها إلى أن وافته المنية يوم السبت الرابع من ذي الحجة العام الرابع والخمسين ومائة بعد ألف."215"

129- الفقيه الإمام محمود بن محمد بغيغ المتوفى سنة 1189هجرية

هو الفقيه الإمام محمود بن محمد بغيغ.

كان رحمه الله عالما فقيها متمكنا زاهدا ورعا، تولى الإمامة بعد وفاة أخيه باب ، ومكث فيها عشرين سنة.

توفي ليلة الثاني والعشرين من جمادى الأولى، العام التاسع وثمانين ومائة وألف."216"

130-الفقيه القاضي محمود بن القاضي أحمد المتوفى سنة 1190هجرية

هو الفقيه القاضي محمد بن القاضي أحمد.

كان رحمه الله عالما علامة فقيها متمكنا قاضيا بارعا، عين قاضيا في تنبكت، ومكث فيها خمسة أشهر، توفي سنة تسعين ومائة وألف هجرية ."217"

ثالثا– من اسمه مختار:

131 - الفقيه المختار بن محمد بن الفقيه المختار النحوي المتوفى سنة 1004هجرية

هو الفقيه المختار بن محمد بن الفقيه المختار النحوي بن اندغمحمد الجد.

كان رحمه الله عالما فقيها كريما، جوادا مادحا لرسول الله r منفقا على المداحين في المولد النبوي ويطرب لذلك غاية الطرب.

215 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
216 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
217 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71

توفي حوالي العام 1004 الهجري كما ذهب إليه بابير الأرواني"[218]

132 - الفقيه المختار سبط القاضي العاقب 1036

هو الفقيه المختار سبط القاضي العاقب بن محمد زنكن بن أبي بكر بن أحمد بن أبي بكر خديم النبي (ص).

كان رحمه الله عالما فقيها متمكنا، جوادا كريما. توفي في شهر ربيع الأول العام السادس والثلاثين بعد ألف

133-الفقيه القاضي المختار بن القاضي محمد قنبل

هو الفقيه القاضي المختار بن القاضي محمد قنبل.

كان رحمه الله عالما فقيها متمكنا قاضيا ورعا زاهدا.

تولى القضاء في بلده تندرم بعد وفاة والده القاضي محمد قنبل سنة 1122 هجرية.

ظل رحمه الله في القضاء إلى أن وافته المنية خلال القرن الثاني عشر الهجري والله أعلم."[219]

134 -الفقيه الإمام المختار بن الإمام أحمد المتوفى سنة 1114هجرية

هو الفقيه الإمام المختار بن الإمام أحمد بن الإمام سعيد بن الإمام محمد كداد.

كان رحمه الله عالما فقيها متمكنا زاهدا ورعا. نشأ في بيت علم وصلاح، وتقلد أغلب أفراده أسرته خطة الإمامة ورثوها جدا عن جد. عيّن في منصب الإمامة في إحدى المساجد بتنبكت وظل فيها إلى أن وافته المنية يوم الثلاثاء سادس من شعبان العام الرابع عشر ومائة بعد ألف."

218 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71

219 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71

135 -الفقيه الإمام المختار بن محمود المتوفى سنة 1230هجرية

هو الفقيه الإمام المختار بن محمود.

كان رحمه الله عالما فقيها، له باع طويل في الفقه، أديبا حسن الخلق، طيب الأخلاق، واسع الصدر لا يغضب إلا لله.

عين إماما في الجامع الكبير بتنبكت، وبقي فيها إلى أن وافته المنية عام ثلاثين ومائتين وألف."220"

136- الفقيه سيدى المختار بن أحمد البكاي المتوفى عام 1878م

هو الشيخ سيدى المختار بن أحمد البكاي الملقب ببادي.

كان رحمه الله عالما فقيها متمكنا زاهدا صوفيا.

خلف والده في الإدارة الروحية للطريقة القادرية بعد وفاة والده. ظل رحمه الله يربي النشء روحيا إلى أن وافته المنية في قرية أتار سنة ثمان وسبعين وثمانمائة وألف ميلادية."221"

رابعا- بقية الأسماء من حرف الميم:

137- الفقيه مور جور صالح

هو الفقيه مور جور صالح الونكري.

كان رحمه الله عالما فقيها متمكنا ورعا .أحبه أسكيا محمد الحاج فجعله مستشارا، يستشيره في أمور الدولة.

وكان للشيخ مور جور صالح تأثير كبير على الملك أسكيا محمد، حيث ينفذ كل ما يقول له في أمور الدولة وغيرها.

صحب أسكيا إلى الحج فالتقى بمجموعة من علماء المشارقة، ولما رجع من الحج ظل مستشارا للملك، وهو الذي حث الملك أسكيا ليجاهد قبائل الموسي الوثنية في سبيل الله.

وكانت عنده مدرسة يدرس فيها طلبة العلم ويناقش معهم بعض القضايا الفقهية.

220 – يراجع السعدي ص: 60-58 / فتح الشكور ص: 71

221 – يراجع السعدي ص: 60-58 / فتح الشكور ص: 71

ظل رحمه الله يدرس ويكون النشء إلى أن وافته المنية خلال القرن العاشر الهجري والله أعلم. "222"

138- الفقيه مسر بوب الزغراني

هو الفقيه الشيخ مسر بوب أو موسى أربوب الزغراني، صاحب الفقيه محمود بن عمر.

كان رحمه الله عالما فقيها زاهدا ورعا خيرا فاضلا صالحا عابدا نادر المثل في قبيلته.

كان ملازما للفقيه الواعظ عبد الله بن الفقيه محمود فاهتدى بهديه وتأثر به كثيرا.

فجد واجتهد في طلب العلم حتى صار شيخ وقته، توفي خلال القرن العاشر أو الحادي عشر والله أعلم. "223"

139 - الفقيه الإمام المصطفى بن أحمد المتوفى سنة 1025 هجرية

هو الفقيه الإمام المصطفى بن أحمد بن محمود.

كان رحمه الله عالما فقيها متمكنا إماما عادلا، تقيا، صوفيا عابدا، معتزلا عن الناس، صالحا، له باع طويل في الفقه توفي سنة خمس وعشرين وألف هجرية. "224"

ملحق

140-الشيخ محمود بن عالّ : (960-1030 هـ)

هو الفقيه الشيخ محمد بن عالّ – بفتح اللام وتشديدها – بن محمد المعروف باسم آدّ بن الغزالي بن علي بن يحيى بن إبراهيم الدغوغي المولود عام 960 هجرية.

كان رحمه الله عالما علامة متبحرا مشاركا في الفنون، من رؤساء العلماء، لا يعرف له نظير في زمنه.

ترك رحمه الله عدة مؤلفات ورسائل ضاعت جلها، ومن آثاره العلمية شرح لامية الأفعال سماه فك اللامية، وتوضيح القاعدة سماه فتح الأقفال، وله شرح على متن

---

222 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
223 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
224 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71

الأجرومية، وله رسالة وجهها إلى الملك أسكيا إسحاق بن أسكيا داود يبين فيها أصول السوقيين وأنهم من ذرية الصحابة.

توفي رحمه الله سنة ثلاثين وألف هجرية. "225"

141- الفقيه محمد المختار الملقب بتبَّلَ

هو الفقيه محمد بن المختار الملقب بتبل بن محمد بن البكري بن محمد الملقب بآدّ بن الغزالي.

كان رحمه الله عالما جليلا فقيها، متمكنا نحريرا. له عدة مؤلفات منظومة ومنثورة. وقد ساهم كثيرا في حل بعض مشاكل عصره بفتاواه ومشاركاته الفعالة.

أخذ عنه عدة علماء منهم:

محمد أكنن بن محمد سيدي الأنصاري الذي أخذ عنه الفقه وترجمة مختصر خليل بالطارقية.

ظل رحمه الله يؤدي دوره العلمي إلى أن وافته المنية خلال القرن الثاني عشر أو الثالث عشر الهجري والله أعلم. "226"

142 - محمد أحمد المعروف باسم هَمّهم

هو الفقيه محمد أحمد المعروف باسم همهم بن أحماد بن أحماد الكبير بن محمد المعروف باسم انك (الأخ (بن أبي بكر آدّ بن الغزالي.

كان رحمه الله عالما فقيها نحريرا، مشهورا في عصره بالعلم، لكنه لم يشتغل بالتصنيف.

عاش خلال القرن الثاني عشر الهجري. "227"

---

225 – يراجع السعدي ص: 60-58 / فتح الشكور ص: 71
226 – يراجع السعدي ص: 60-58 / فتح الشكور ص: 71
227 – يراجع السعدي ص: 60-58 / فتح الشكور ص: 71

143- الفقيه محمد بن محمد أحمد المعروف بهمهم (الابن) المتوفى سنة 1205هجرية

هو الفقيه محمد بن محمد أحمد المعروف بهَمّهم.

كان رحمه الله عالما فقيها مشهورا بالعلم والصلاح والتصوف والورع، جوادا حليما.

اجتهد رحمه الله في تكوين الأجيال، لكنه لم يترك أثرا علميا معروفا.

توفي رحمه الله سنة خمس ومائتين وألف من الهجرة."228"

---

228 – يراجع السعدي ص: 60-58 / فتح الشكور ص: 71

المبحث الثالث

صنف غير معروف

بعدما تناولنا في المبحث السابق صنف العلماء المعروفين في المنطقة لكن تاريخهم مجهول، سنبين في هذا المبحث صنفا من العلماء الذين أسهموا كثيرا في ازدهار الحركة الفقهية في المنطقة لكنهم غير معروفين، حيث لم يذكر كتب التراجم إلا أسماءهم فقط.

المطلب الأول: من يبدأ اسمه بحرف الهمزة والباء:

أولا/ من يبدأ اسمه بحرف الهمزة:

أ – من اسمه إبراهيم

1 - الفقيه إبراهيم بن أحمد بغيغ:

هو الفقيه العلامة أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بغيغ، كان–رحمه الله– عالما فقيها مدرسا، وكان يدرس طلبته مقصورة ابن دريد، عاش خلال القرن العاشر والحادي عشر الهجريين. والله أعلم."1"

2 - الفقيه إبراهيم:

هو الفقيه إبراهيم صاحب ألفع كنك بن أبي بكر بن القاضي الحي، كان–رحمه الله– عالما فقيها، عاش خلال القرن الحادي عشر الهجري. والله أعلم."2"

3- الفقيه القاضي إبراهيم بن القاضي عمر 1004:

هو الفقيه إبراهيم بن ولي الله تعالى الفقيه القاضي عمر الساكن بقرية يندبغ، كان– رحمه الله– عالما فقيها، توفي ليلة الثلاثاء الثامن والعشرين من شوال العام الرابع وألف في يندبغ."3"

---

1 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
2 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
3 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71

4- الفقيه إبراهيم:

هو الفقيه إبراهيم– أخ الفقيه الحاج، كان–رحمه الله– عالما فقيها عاش خلال القرن العاشر، والله أعلم."4"

ب– من اسمه أبكر

5 - الفقيه أبكر الفلاني 1043:

هو الفقيه العالم الفع أبكر الفلاني، كان– رحمه الله– عالما فقيها، توفي العام الثالث والأربعين بعد ألف في مدينة جنى ودفن في مقابر الجامع الكبير."5"

6- الفقيه أبكر بن الفقيه القاضي محمد 1121:

هو الفقيه أبكر بن الفقيه القاضي محمد بن الفقيه المختار بن محمد زنكن بن الفقيه بكر المداح، كان– رحمه الله– عالما فقيها، توفي ليلة العاشر من شعبان، العام الحادي والعشرين ومائة بعد ألف، ودفن بتنبكت."6"

7- الفقيه القاضي أبكر بن القاضي المختار 1193:

هو الفقيه القاضي أبكر بن القاضي المختار، كان–رحمه الله– عالما فقيها قاضيا، عينه الباشا باحد قاضيا على الناس عام 1180 هجرية، ومكث في القضاء ثلاثة عشر عاما، وتوفي يوم تسعة شعبان العام الثالث والتسعين ومائة بعد ألف هجرية."7"

ج– من اسمه أحمد

8- الفقيه القاضي سيدي أحمد بن أحمد بن اندغمحمد:

هو الفقيه القاضي أبو العباس سيدي أحمد بن أحمد بن اندغمحمدن كان– رحمه الله– عالما علامة فقيها قاضيا، عاش خلال القرن العاشر. والله أعلم."8"

---

4 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
5 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
6 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
7 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
8 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71

9- الفقيه أحمد بير:

هو الفقيه أحمد بير الماسني، كان– رحمه الله– عالما فقيها، عاش خلال القرن العاشر والحادي عشر. والله أعلم."9"

10- الفقيه أحمد بن عبد العزيز:

هو الفقيه العالم السيد المبارك، التقي الزاهد، سيدي أحمد بن عبد العزيز الجراري، كان–رحمه الله– عالما فقيها تقيا زاهدا، عاش خلال القرن العاشر والحادي عشر الهجريين. والله أعلم."10"

11- الفقيه أحمد بن إبراهيم:

هو الفقيه أحمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن القاضي الحاج– والدمام سر– كان رحمه الله عالما فقيها.

ويعتبر هذا الفقيه من علماء سنكرى الأجلاء، عاش خلال القرن العاشر. والله أعلم."11"

12- الفقيه أحمد بوس 1114:

هو الفقيه الإمام أحمد بوس بن العلامة الفقيه العالم الولي الصالح محمد بن أحمد بن محمود بن أبي بكر بغيع، كان–رحمه الله– عالما فقيها، توفي صبيحة الاثنين الثامن والعشرين من رجب الفرد العام الرابع عشر ومائة بعد ألف."12"

13- الفقيه أحمد بن الإمام أحمد بوص أو بوس:

هو الفع أحمد بن الإمام أحمد بوص بن الفقيه الأجل محمد بغيغ بن أحمد بن محمود بن أبي بكر الونكري، كان– رحمه الله– عالما فقيها عاش خلال القرن الثاني عشر الهجري. والله أعلم."13"

---

9 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
10 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
11 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
12 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
13 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71

14- الفقيه القاضي سيدي أحمد بن الفقيه القاضي إبراهيم:

هو الفقيه القاضي سيدي أحمد بن الفقيه القاضي إبراهيم، كان- رحمه الله- عالما فقيها قاضيا، كانت له حظوة كبيرة عند الباشاوات، وكانوا يلجئون إليه كثيرا للصلح بينهم أو بينهم وبين المجتمع، ونجح في عدة مناسبات لإقامة الصلح بينهم، وكان حيا عام 1144، توفي خلال القرن الثاني عشر. والله أعلم."14"

15- الفقيه أحمد بن محمود بغيغ 1151:

هو الفقيه الإمام الصالح النافع بغية السلف أبو العباس أحمد بن محمود بغيع بن إبراهيم بن أحمد بغيغ الونكري، كان- رحمه الله- عالما فقيها نافعا صالحا، توفي عام أحد وخمسين ومائة بعد ألف."15"

16 - الفقيه الإمام أحمد بن عثمان 1155:

هو الفقيه الإمام أحمد بن عثمان بن أحمد بن محمد بن محمد بن تاشفين الوداني، كان-رحمه الله- عالما فقيها، توفي يوم الأحد الثامن عشر من جمادى الثانية سنة خمس وخمسين ومائة بعد ألف."16"

17- الفقيه سن الفع أحمد 1155:

هو سن الفع أحمد بن عبد الله بن الفقيه أحمد طاغ بن الفقيه الأجل الإمام إبراهيم بن أحمد بن محمود بغيع الونكري، كان- رحمه الله-عالما فقيها، توفي غرقا يوم الجمعة السابع والعشرين من ذي الحجة العام الخامس والخمسين ومائة وألف."17"

18- الفقيه أحمد بن إبراهيم:

هو الفقيه الإمام أحمد بن إبراهيم، كان-رحمه الله- عالما فقيها، تولى إمامة مسجد سيدي يحيى بعد وفاة الإمام صالح بن محمد عام 1181، وظل فيها إلى أن وافته المنية خلال القرن الثاني عشر. والله أعلم."18"

---

14 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71 .
15 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
16 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
17 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
18 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71

19- الفع أحمد زروق:

هو الفقيه أحمد زروق بن الفقيه أحمد معيا بن العلامة الفقيه عبد الله بن أحمد معيا، كان–رحمه الله– عالما فقيها عاش خلال القرن الثاني عشر. والله أعلم."19"

د– بقية الأسماء من حرف الهمزة:

20- الفقيه القاضي إسماعيل:

هو الفقيه القاضي إسماعيل بن الفقيه القاضي محمود كعت، كان– رحمه الله– عالما فقيها قاضيا، عاش خلال القرن العاشر الهجري. والله أعلم."20"

21- الفع أيد الماسني:

هو الفقيه القاضي الفع أيد الماسني، كان–رحمه الله– عالما فقيها قاضيا في ماسنة، عاش خلال القرن التاسع والعاشر الهجريين. والله أعلم."21"

22- الفع بن الفقيه محمد بن عيد 1193:

الفع بن الفقيه محمد بن عيد ، كان–رحمه الله– عالما فقيها، توفي العام الثالث والتسعين ومائة وألف هجرية."22"

24- الفقيه الفا معيا بن القاضي محمود 1194:

هو الفقيه القاضي ألفا معيا بن القاضي محمود، كان–رحمه الله– عالما فقيها قاضيا، تولى القضاء بعد وفاة القاضي أبكر بن باب المختار عام 1193، ومكث في القضاء تسعة أشهر، وتوفي اليوم الرابع والعشرين من جمادى الأولى، العام الرابع والتسعين ومائة وألف هجرية."23"

---

19 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
20 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
21 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
22 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
23 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71

25- الفقيه الإمام بن باب سعيد:

هو الفقيه الإمام بن باب سعيد بن الحاج عبد الرحمن، كان-رحمه الله- عالما فقيها، تولى إمامة جامع السوق بعد وفاة أبيه عام 1199، وظل فيها إلى أن وافته المنية خلال القرن الثالث عشر. والله أعلم."24"

26- الفع الأمين بن محمود صود 1067:

هو الفع الأمين بن محمود صود، كان-رحمه الله- عالما فقيها، معلما للصبيان في الكتاتيب، وهو جد والد مؤلف تذكرة النسيان، توفي سنة سبع وستين وألف هجرية."25"

27- الفقيه إن آتن 1247:

هو الفقيه إن آتن بن أحمد بن محمد المختار بن الطالب الحبيب، كان- رحمه الله- عالما فقيها، توفي سنة سبع وأربعين ومائتين وألف هجرية."26"

ثانيا/ حرف الباء:

من اسمه بب أو باب

28- الفقيه الإمام باب سعيد: 1102:

هو الفقيه الإمام بابا سعيد بن الإمام أحمد بن الإمام سعيد بن الإمام محمد كداد، كان-رحمه الله- عالما فقيها، تولى إمامة الجامع الكبير، وظل فيها إلى أن وافته المنية يوم الخميس، خمسة أيام خلون من صفر، العام الثاني ومائة بعد ألف."27"

29- الفقيه باب الشهير بسنبير: 1114:

هو الفقيه الحبيب بابا الشهير بسنبير بن الفقيه العالم الإمام سعد بن الحبيب بابا بن الهادي الوداني، كان-رحمه الله- عالما فقيها، توفي في شهر ربيع الثاني العام الرابع عشر ومائة بعد ألف."28"

---

24 – يراجع السعدي ص: 60-58 / فتح الشكور ص: 71
25 – يراجع السعدي ص: 60-58 / فتح الشكور ص: 71
26 – يراجع السعدي ص: 60-58 / فتح الشكور ص: 71
27 – يراجع السعدي ص: 60-58 / فتح الشكور ص: 71
28 – يراجع السعدي ص: 60-58 / فتح الشكور ص: 71

30- الإمام بب بن الإمام بوي:

هو الفقيه الإمام بب بن الإمام بوي بن الفقيه يوسف، كان–رحمه الله– عالما فقيها، تولى الإمامة بعد وفاة والده عام 1123، وظل فيها إلى أن وافته المنية خلال القرن الثاني عشر. والله أعلم."29"

31- الفقيه الإمام بابا أحمد: 1151:

هو الفقيه الإمام بابا أحمد بن الفقيه المصطفى بن عبد الله الكوري، كان– رحمه الله– عالما فقيها، إماما في جامع إلهنا.

ظل في الإمامة إلى أن وافته المنية يوم الأحد آخر شوال سنة إدى وخمسين ومائة بعد ألف هجرية."30"

32- الفقيه الإمام بب بن الإمام بوي: 1152هـ:

هو الفقيه الإمام بب بن الإمام بوي، كان–رحمه الله– عالما فقيها إماما، تولى إمامة مسجد الفع أبكرن وظل فيها إلى أن وافته المنية يوم الأربعاء، الثاني من شعبان سنة اثنتين وخمسين ومائة بعد ألف إثر غرقه في بحر إنال."31"

33- الفقيه باب المختار 1163:

هو الفقيه الإمام باب المختار بن القاضي محمد، كان–رحمه الله– عالما فقيها قاضيا، عين قاضيا بحضرة جماعة المسلمين في المشوار يوم السبت السادس عشر من جمادى الثانية، سنة سبع وأربعين ومائة وألف(1147). ظل–رحمه الله– في القضاء إلى أن وافته المنية في شهر شوال العام الثالث والستين ومائة وألف هجرية."32"

34- الفقيه باب بن الفقيه محمد بغيغ : 1169هـ

هو الفقيه الإمام باب بن الفقيه محمد بغيغ، كان–رحمه الله– عالما فقيها، توفي يوم الجمعة السادس والعشرين من رمضان، العام التاسع والستين ومائة وألف."33"

29 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
30 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
31 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
32 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
33 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71

35- الإمام باب بن عتيق: 1199هـ

هو الفقيه الإمام باب بن عتيق، كان-رحمه الله- عالما فقيها إماما.

تولى إمامة القصبة بعد موت الإمام عمار عام 1176، ومكث فيها ثلاثا وعشرين سنة توفي العام التاسع والتسعين ومائة وألف."34"

36- الإمام باب سعيد: 1199:

هو الفقيه الإمام باب سعيد بن الحاج عبد الرحمن، كان-رحمه الله- عالما فقيها وليا صالحا، حامل لواء الأحاديث.

تولى الإمامة بعد وفاة الإمام محمود بن محمد بغيغ، ومكث في الإمامة عشرة أعوام، توفي يوم التاسع من المحرم، العام التاسع والتسعين ومائة وألف."35"

37- الإمام باب بن الإمام إبراهيم:

هو الفقيه الإمام باب بن الإمام إبراهيم، كان-رحمه الله- عالما فقيها، تولى إمامة جامع التواتيين بعد وفاة الإمام باموي عام 1181 هجرية، وظل فيها إلى أن وافته المنية خلال القرن الثاني عشر الهجري. والله أعلم."36"

38- الإمام باب، عم الفقيه المصطفى:

هو الفقيه الأمام باب عم الفقيه المصطفى بن عبد الله كري الوداني، كان-رحمه الله- عالما فقيها، وهو أحد شهود القاضي باب المختار، ويعتمد عليه في كثير من الأحكام، عاش خلال القرن الثاني عشر. والله أعلم."37"

بقية الأسماء من حرف الباء:

39- الفقيه أبو بكر بن الفع علي:

هو الفقيه أبو بكر بن الفع علي كار بن الخطيب عمر، كان-رحمه الله- عالما فقيها

---

34 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
35 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
36 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
37 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71

خطيبا، ويعتبر هذا الفقيه من العلماء الذين قربهم أسكيا الحاج الكبير، وكان من العلماء الذين حضروا كتابة الوثيقة التي كتبها أسكيا لأحفاد مورهوكار، توفي خلال القرن العاشر الهجري والله أعلم."38"

40- الفقيه أبو بكر بن محمود أيد: 1004:

هو الفقيه أبو بكر بن محمود أيد، أحد الأئمة والعلماء العاملين– كان رحمه الله– عالما فقيها وليا صالحا، توفي يوم الثلاثاء الثاني والعشرين من جمادى الأولى، العام الرابع بعد ألف."39"

41- الفقيه أبو بكر بن عبد الرحمن:

هو الفقيه أبو بكر بن عبد الرحمن الغدامسي، والد الفقيه عبد الرحمن المعروف بألفع كم، كان–رحمه الله– عالما فقيها، عاش خلال القرن العاشر والحادي عشر الهجريين. والله أعلم."40"

42- مور بكر صالح ونكرب:

هو الفقيه الشيخ مور بكر بن صالح ونكرب، كان–رحمه الله– عالما فقيها، عاش خلال القرن التاسع الهجري. والله أعلم."41"

43- الفقيه بكر سن بن عمر:

هو الفقيه الإمام بكر أو أبو بكر سن بن عمر، كان–رحمه الله– عالما فقيها، كان حيا عام 999 هجرية، توفي في قرية موركويرا خلال القرن الحادي عشر. والله أعلم."42"

44- الفقيه بو بكر مود:

هو الفقيه بو بكر مود، كان–رحمه الله– عالما فقيها، عاش خلال القرن العاشر والحادي عشر الهجريين. والله أعلم."43"

---

38 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
39 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
40 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
41 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
42 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
43 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71

45- الفقيه بُر السلنكي:

هو الشيخ الفقيه الصالح بر السلنكي، كان– رحمه الله– عالما فقيها مدرسا، أخذ عنه عدة علماء منهم محمود كعت، عاش خلال القرن العاشر والحادي عشر الهجريين. والله أعلم."44"

46- الفقيه بوبكار: 1042:

هو الفقيه العالم الصالح التقي الخير الفاضل الشيخ بو بكار أو بو بكر الفلاني، كان– رحمه الله– عالما فقيها، توفي في العام الثاني والأربعين والألف."45"

47- الفقيه أبو بكر المصطفى: 1114:

هو الفقيه أبو بكر بن المصطفى الونكري، كان–رحمه الله– عالما فقيها، توفي في ربيع الثاني العام الرابع عشر ومائة بعد ألف."46"

48- الإمام بوي: 1123:

هو الفقيه الإمام بوي بن الفقيه يوسف بن مام أتى، كان– رحمه الله– عالما فقيها إماما، توفي في صفر العام الثالث والعشرين ومائة بعد ألف."47"

49- الفقيه القاضي بابير 1169:

هو الفقيه القاضي بابير، كان–رحمه الله– عالما فقيها قاضيا، ولاه الباشا ببكر على القضاء بعد وفاة القاضي باب المختار، ومكث في القضاء تسعة أعوام، توفي يوم الأحد الرابع عشر من رمضان، العام التاسع والستين والألف."48"

50- الفقيه الفع بني (Bania) 1181هـ

هو الفقيه ألفع بني، كان–رحمه الله– عالما فقيها، يعلم الصبيان في الكتاتيب، توفي جمادى الأولى، العام الحادي والثمانين ومائة وألف."49"

---

44 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71

45 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71

46 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71

47 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71

48 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71

49 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71

51- الفقيه ببكر 1172:

هو ألفع ببكر بن الفقيه الأمير، كان- رحمه الله- عالما فقيها، توفي العام الثاني والسبعين ومائة وألف."50"

52 - الفقيه الإمام باموي 1181:

هو الفقيه الإمام باموي بن محمد ونكراب، كان- رحمه الله- عالما فقيها، تولى إمامة جامع التواتيين، ومكث فيها عامين ونصف، توفي اليوم السابع من شعبان العام الحادي والثمانين ومائة وألف."51"

المطلب الثاني: من يبدأ اسمه بحرف الحاء والسين والشين والصاد والطاء والعين:

أولا/ حرف الحاء:

53- سيدي الحسن الكاتب 1056:

هو الفقيه سيدي الحسن الكاتب بن علي بن سالم الفضوني/ كان- رحمه الله- عالما فقيها كاتبا، توفي يوم الاثنين السادس من الربيع الأول العام السادس والخمسين والألف."52"

54- الفقيه حمد بن ولي الله محمد:

هو الفقيه حمد بن ولي الله تعالى الفقيه الزاهد الورع محمد بن الفقيه بابا عبد الرحمن بن أحمد المجتهد، كان- رحمه الله- عالما فقيها، توفي في زمن الباشا باحد الذي توفي عام 1141 هجرية."53"

55- الفقيه الحبيب بابا الشهير بسنبير 1114هـ

هو الفقيه الحبيب بابا الشهير بسنبير الفقيه العالم الإمام سعد بن الحبيب بابا بن الهادي الوداني، كان- رحمه الله- عالما فقيها، وتوفي شهر ربيع الثاني، العام

---

50 – يراجع السعدي ص: 60-58 / فتح الشكور ص: 71
51 – يراجع السعدي ص: 60-58 / فتح الشكور ص: 71
52 – يراجع السعدي ص: 60-58 / فتح الشكور ص: 71
53 – يراجع السعدي ص: 60-58 / فتح الشكور ص: 71

الرابع عشر ومائة بعد ألف."54"

ثانيا/ حرف السين:

56- الفقيه سعيد المعروف بسنكم 1025هـ

هو الفقيه سعيد المعروف بسنكم بن باب كري، كان- رحمه الله- عالما فقيها، توفي بمدينة جنى في شهر ذي القعدة، العام الخامس والعشرين وألف، ودفن في مقابر الجنان."55"

57- الفع سعيد الكاتب 1170هـ

هو الفقيه الكاتب سعيد، كان- رحمه الله- عالما فقيها كاتبا، توفي يوم الاثنين الثاني والعشرين من جمادى الثانية، العام السبعين ومائة وألف."56"

58- الفقيه سعيد بن محمد بغيغ 1175هـ

هو الفقيه الجليل العلامة سعيد بن محمد بغيغ، كان-رحمه الله- عالما فقيها جليلا، توفي في ليلة استهلال ذي القعدة، العام الخامس والسبعين ومائة وألف."57"

59- الفقيه سعيد بن محمد كورد:

هو الفقيه العالم سعيد بن الفقيه محمد بن محمد كورد، كان- رحمه الله- عالما فقيها، عاش خلال القرن الثاني عشر. والله أعلم."58"

60- الفقيه الخطيب سنكمو:

هو الفقيه الخطيب سنكمو، كان- رحمه الله- عالما فقيها خطيبا في مدينة جنى له حظوة كبيرة عند أسكيا إسحاق، وهو الذي اقترح على أسكيا إسحاق أن يعين محمود بغيع قاضيا على جنى، توفي خلال القرن العاشر الهجري. والله أعلم."59"

54 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
55 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
56 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
57 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
58 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
59 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71

61- الفقيه سنب:

هو الفقيه سنب تنين، كان– رحمه الله– عالما فقيها، عاش خلال القرن العاشر، وتوفي بقرية جوكل."60"

62- الفقيه سنتاعو:

هو الفقيه سنتاعو بن الهادي الوداني، كان– رحمه الله– عالما فقيها، تولى إمامة جامع سنكري– بعد وفاة الفقيه محمد بن محمد كري– بإذن القاضي عبد الرحمن بن أحمد معيا، ظل فيها إلى أن وافته المنية خلال القرن الحادي عشر. والله أعلم."61"

63- الفقيه سي بن أبي بكر 1054هـ

هو الفقيه سي بن أبي بكر، وهو ابن عم الفقيه القاضي آدّ، كان– رحمه الله– عالما فقيها شجاعا محاربا، توفي في القتال الذي دار بين جيش حمد فاطمة وحمد آمنة، وذلك في العام الرابع والخمسين وألف."62"

ثالثا/ حرف الشين:

64- الفقيه شيب 1168هـ

هو الفقيه الإمام شيب، كان– رحمه الله– عالما فقيها إماما، توفي في العام الثامن والستين ومائة وألف."63"

65- الفقيه الشيخ بن الطالب ببكر 1281هـ

هو الفقيه الشيخ بن الطالب ببكر بن الشيخ السيد الكوناتي، كان– رحمه الله– عالما فقيها، توفي العام الحادي والثمانين ومائتين وألف."64"

رابعا/ حرف الصاد:

60 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
61 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
62 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
63 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
64 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71

66- مور صادق بن الفقيه مور معمك:

هو الفقيه مور صادق بن الفقيه معمك بن مور محمد هوكار، كان– رحمه الله– عالما فقيها، عاش خلال القرن العاشر الهجري. والله أعلم."65"

67- الفقيه صالح جور:

هو الفقيه ألفا صالح جور، كان– رحمه الله– عالما فقيها ورعا زاهدا وليا متفننا، مستشارا للحاج أسكيا الكبير، وكانت له حظوة كبيرة لدى الملك أسكيا، وصاحبه عام 902 في حجه المشهور فالتقى بمجموعة من علماء المشارقة ثم عاد مع أسكيا إلى السودان بعد الحج، توفي خلال القرن العاشر. والله أعلم."66"

68- ألفا صالح بن إبراهيم 1019هـ

هو الفقيه صالح بن ولي الله تعالى الفقيه إبراهيم، كان– رحمه الله– عالما فقيها توفي يوم الأحد الثاني عشر من جمادى الثانية، العام التاسع عشر وألف."67"

69- الفقيه صالح بن سعيد 1056هـ

هو الفقيه صالح بن سعيد السلنكي كان– رحمه الله– عالما فقيها، توفي في قرية تندرما، في شهر رجب، العام السادس والخمسين بعد ألف."68"

70- الفقيه الإمام صالح بن محمد 1181هـ

هو الفقيه الإمام صالح بن محمد، كان– رحمه الله– عالما فقيها، تولى إمامة جامع سيدي يحيى بعد وفاة الإمام إبراهيم بن أحمد عام 1178 ، ومكث في الإمامة نحو عامين ونصف، وتوفي في شهر رجب ، العام الحادي والثمانين ومائة وألف."69"

71- الفقيه الإمام صالح بن أحمد:

هو الفقيه الإمام صالح بن الإمام أحمد بن الإمام سعيد بن الإمام محمد كداد،

---

65 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
66 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
67 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
68 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
69 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71

كان– رحمه الله– عالما فقيها، وكان حيا عام 1126 ، توفي خلال القرن الثاني عشر. والله أعلم."70"

72- ألفع الصديق بن الإمام محمد بغيغ 1154هـ

هو الفع الصديق بن الإمام محمد بغيغ بن الإمام كورد، كان– رحمه الله– عالما فقيها، توفي يوم السبت السادس والعشرين من رجب الفرد العام الرابع والخمسين ومائة بعد ألف."71"

خامسا/ حرف الطاء:

73- الفقيه ألفع طاغ بن ألفع علي 1148هـ

هو شيخ المداحين، لأهل الجامع الكبير ألفع طاغ بن ألفع علي بن الفقيه الإمام محمد كورد، كان– رحمه الله– عالما فقيها مداحا للنبي–(ص)– توفي ليلة عيد الفطر، العام الثامن والأربعين ومائة بعد ألف."72"

سادسا/ حرف العين:

من اسمه عبد الرحمن:

74- الفقيه عبد الرحمن الأنصاري:

هو الفقيه الزاهد المؤدب سيدي عبد الرحمن بن سيدي علي بن عبد الرحمن الأنصاري، كان– رحمه الله– عالما فقيهان مؤدبا زاهدا، عاش خلال القرن العاشر الهجري والله أعلم."73"

75- الفقيه عبد الرحمن المعروف بألفع كم:

هو الشيخ الفاضل الفقيه عبد الرحمن المعروف بالفع كم بن ولي الله تعالى الفقيه أبي بكر بن عبد الرحمن الغدامسي.

كان– رحمه الله– عالما فقيها، توفي في العام الخامس والأربعين وألف."74"

70 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
71 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
72 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
73 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
74 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71

76- الفقيه القاضي عبد الرحمن بن أحمد معيا:

هو الفقيه القاضي عبد الرحمن بن الفقيه المفتي أحمد معيا، كان– رحمه الله– عالما فقيها قاضيا، توفي في شهر محرم عام 1070 هجرية."[75]"

الفقيه عبد الرحمن بن الحاج محمد كانو 1070هـ

هو الفقيه عبد الرحمن بن الحاج محمد كانو، كان رحمه الله عالما فقيها، توفي سنة سبعين وألف هجرية.

77- الفقيه عبد الرحمن بن الإمام سعيد:

هو الفقيه الإمام عبد الرحمن بن الإمام سعيد بن الإمام حمد كداد الفلاني.. كان– رحمه الله– عالما فقيها، عاش خلال القرن الثاني عشر الهجري. والله أعلم."[76]"

78- الفقيه عبد الرحمن بن سنبير:

هو الفع عبد الرحمن بن سنبير بن الإمام سعد، كان– رحمه الله– عالما فقيها، توفي في شهر شوال، العام الثاني ولاستين ومائة وألف، وليس هذا العام عام النازلة لكثرة الوفيات فيه."[77]"

79- الفقيه عبد الرحمن بن باب:

هو الفقيه عبد الرحمن بن باب بن عبد، كان– رحمه الله– عالما فقيها، تولى إمامة جامع الهنا، وظل فيها إلى أن وافته المنية في العام الخامس والثمانين ومائة وألف هجرية."[78]"

80- الإمام عبد الرحمن:

هو الفقيه الإمام عبد الرحمن، كان– رحمه الله– عالما فقيها إماما عين إماما في جامع ألفا بكر، وظل فيها إلى أن وافته المنية يوم الثلاثاء في شهر ربيع الأول، العام السادس والثمانين ومائة وألف."[79]"

---

75 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
76 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
77 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
78 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
79 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71

81- الإمام عبد الرحمن:

هو الفقيه عبد الرحمن، إمام جامع الجزولة، كان– رحمه الله– عالما فقيها إماما، تولى إمامة جامع الجزولة وظل فيها إلى أن وافته المنية يوم الجمعة، الثاني من شهر شعبان، العام السابع ومائتين وألف."80"

من اسمه عبد الله:

82- الفك عبد الله بن محمد الإغلالي:

هو الفك عبد الله بن محمد الإغلالي، كان– رحمه الله– عالما فقيها أحبه أسكيا الحاج الكبير فقربه إليه، ويعتبر هذا الفقيه أحد الفقهاء الذين يشهدهم أسكيا الكبير في كتابة وثائقه، ولهذا كان من العلماء الذين حضروا الوثيقة التي كتبها أسكيا لأحفاد مور محمد هوكار، عاش خلال القرن العاشر الهجري. والله أعلم."81"

82- الفقيه عبد الله بن عثمان:

هو الفقيه الإمام عبد الله بن الإمام عثمان بن الحسن بن الحاج الصنهاجي، كان–رحمه الله– عالما فقيها، توفي بمدينة جنى في شهر ذي الحجة المكمل للعام السادس عشر بعد ألف."82"

84- الفع عبد الله بن الفقيه أب موي:

هو الفع عبد الله بن الفقيه العلامة أب موي ونكرب، كان– رحمه الله– عالما فقيها، توفي ليلة الأحد عشرين من محرم، العام الثالث والخمسين ومائة بعد ألف."83"

85- الفع عبد الله بن الفقيه إبراهيم:

هو الفع عبد الله بن الفقيه الإمام إبراهيم بن محمد ونكرب، كان– رحمه الله– عالما فقيها، وكان على قيد الحياة عام 1150، توفي خلال القرن الثاني عشر. والله أعلم."84"

---

80 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
81 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
82 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
83 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
84 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71

86- الفقيه عبد الله بن الفقيه الولي محمد بن بابا عبد الرحمن:

هو الفقيه الفع عبد الله بن الفقيه الولي محمد بن بابا عبد الرحمن ابن أحمد المجتهد، كان– رحمه الله– عالما فقيها، عاش خلال القرن الثاني عشر. والله أعلم."85"

87- الفقيه الإمام عبد الله الشهير ببابا ير

هو الفقيه الإمام عبد الله الشهير ببابا ير بن الفقيه القاضي سيدي أحمد بن الفقيه القاضي إبراهيم بن الفقيه عبد الله بن العلامة الولي سيدي أحمد معيا، كان– رحمه الله– عالما فقيها، تولى الإمامة عام 1155 هجرية بعد وفاة الإمام أحمد بن عثمان بن أحمد بن محمد بن محمد بن تاشفين، ظل– رحمه الله– فيها إلى أن وافته المنية خلال القرن الثاني عشر.والله أعلم."86"

ج– من اسمه عثمان:

88- الفقيه عثمان الكابري:

هو الفقيه عثمان الكابري، كان– رحمه الله– عالما فقيها، عاش خلال القرن العاشر الهجري، توفي بمدينة كبرا."87"

89- الفقيه عثمان بن محمد:

هو الفقيه العالم عثمان بن محمد بن محمد بن دنب سل الفلاني، كان– رحمه الله– عالما فقيها، عين إماما على مسجد محمد نض، وظل فيها إلى أن وافته المنية في العام الثامن بعد ألف."88"

90- الفقيه عثمان الفلالي:

هو الفقيه عثمان الفلالي، كان– رحمه الله– عالما فقيها، عاش خلال القرن الحادي عشر الهجري، والله أعلم."89"

---

85 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
86 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
87 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
88 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
89 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71

91- الفقيه عثمان بن عثمان:

هو الفقيه عثمان بن عثمان، كان- رحمه الله- عالما فقيها إماما، تولى إمامة الجامع الكبير وظل فيها إلى أن وافته المنية عام 1184 هجرية."90"

د- من اسمه عمر:

92- الفقيه الخطيب عمر:

هو الفقيه الخطيب عمر، كان-رحمه الله- عالما فقيها، أحبه سني علي بير فقربه إليه، ولما مات سني علي كان أغلب ماله في يده، توفي خلال القرن التاسع الهجري. والله أعلم."91"

93- الفقيه القاضي عمر:

هو الفقيه عمر الساكن في قرية يندبغ، كان-رحمه الله- عالما فقيها، عينه أسكيا الحاج قاضيا على قرية يندبغ وبقي فيها إلى أن وافته المنية خلال القرن العاشر الهجري. والله أعلم."92"

94- الفقيه عمر بن محمد بن عمر 1041هـ

هو الفقيه عمر بن محمد بن عمر أخو الفقيه أحمد معيا، كان- رحمه الله- عالما فقيها، توفي في العام الحادي والأربعين بعد ألف."93"

95- الفقيه عمر كري 1047هـ

هو الفقيه عمر كري بن يمزغر الوداني، كان-رحمه الله- عالما فقيها، توفي ليلة الأربعاء الثالثة والعشرين من صفر، العام السابع والأربعين وألف."94"

هـ من اسمه علي:

---

90 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
91 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
92 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
93 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
94 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71

96- الفقيه علي بن عبد الله:

هو الفقيه علي بن عبد الله بن عبد الجبار اليمني، كان–رحمه الله– عالما فقيها كاتبا، عينه الملك أسكيا كاتبا في ديوانه، توفي خلال القرن العاشر الهجري. والله أعلم."95"

97- الفقيه سيدي علي بن عبد الله سر:

هو الفقيه الإمام سيدي علي بن عبد الله سر بن الإمام سيدي يحيى بن علي الجزولي، كان–رحمه الله– عالما فقيها، عين إماما على الجامع الكبير، بعد وفاة الإمام عبد السلام بن محمد دك الفلاني عام 1035، بإذن القاضي سيدي أحمد بن اندغمحمد، ظل–رحمه الله– فيها إلى أن وافته المنية خلال القرن الحادي عشر. والله أعلم."96"

98- الفقيه القاضي علي سر(Sory أو Sira)

هو الفقيه القاضي علي سر، كان–رحمه الله– عالما فقيها قاضيا، عاش خلال القرن الحادي عشر الهجري. والله أعلم."97"

و– بقية الأسماء من حرف العين:

99- الفقيه عبد الجبار دك:

هو الفقيه عبد الجبار دك، كان–رحمه الله– عالما فقيها، عاش خلال القرن التاسع الهجري، ويعتبر هذا الفقيه من العلماء الذين عاصروا سني علي بير وذاقوا مرارة قسوته، ولهذا لما حج عام 892، ووقف على جبل عرفة دعا علي سني علي بير. توفي خلال القرن التاسع أو العاشر الهجريين. والله أعلم."98"

95 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
96 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
97 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
98 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71

100- الفقيه عبد بن الفقيه أبكر بن القاضي محمد 1161:

هو الفقيه عبد بن الفقيه أبكر بن القاضي محمد، كان–رحمه الله– عالما فقيها، توفي اليوم الخامس من ربيع الثاني، العام الحادي والستين ومائة وألف."[99]"

101- الفقيه عبد الكافي:

هو الفقيه عبد الكافي بن الإمام عبد الرحمن، كان–رحمه الله عالما فقيها، تولى إمامة الجامع الكبير، وظل فيها إلى أن وافته المنية خلال القرن الحادي عشر. والله أعلم."[100]"

102- الفقيه الإمام عتيق 1164هـ

هو الفقيه الإمام عتيق، كان–رحمه الله– عالما فقيها إماما، عين إماما على الجامع الكبير، وظل فيها إلى أن وافته المنية، اليوم الثامن والعشرين من شوال، العام الرابع والستين ومائة وألف."[101]"

103- الفقيه عمار بن سنبير 1160هـ

هو الفقيه القاضي عمار بن سنبير، كان–رحمه الله– عالما فقيها قاضيا، توفي في شهر رمضان، العام الستين ومائة وألف."[102]"

104- الفقيه القاضي عمران:

هو الفقيه القاضي عمران، كان–رحمه الله– عالما فقيها قاضيا، عاش خلال القرن الحادي عشر. والله أعلم."[103]"

المطلب الثالث: حرف الكاف والميم

أ– حرف الكاف

99 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
100 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
101 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
102 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
103 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71

105- الفقيه كاغ زكرياء:

هو الفقيه كاغ زكرياء، كان–رحمه الله– عالما فقيها مستشارا لأسكيا، ويعتبر هذا الفقيه من العلماء الذين اختارهم أسكيا محمد لمرافقته إلى الحج عام 902، توفي خلال القرن العاشر الهجري. والله أعلم."104"

106- الإمام مور كسنب:

هو الفقيه الإمام مور كسنب، كان–رحمه الله عالما فقيها إماما، عين إماما على مسجد كبرا، وظل فيها إلى أن وافته المنية خلال القرن العاشر الهجري. والله أعلم."105"

أ– من اسمه محمد:

107- الشيخ مور محمد هوكار:

هو الشيخ الفقيه مور محمد هوكار، جد أهل هوكار، كان–رحمه الله– عالما فقيها زاهدا صالحا، أحبه الخليفة أسكيا محمد فقربه إليه وجعله مستشارا، رافق أسكيا محمد أثناء زيارته للحرمين الشريفين عام 902 هجرية فالتقى بمجموعة من علماء المشرق، وبعد الحج رجع إلى السودان، توفي خلال القرن العاشر الهجري. والله أعلم."106"

108- الفقيه محمد تل:

هو الفقيه محمد تل الشريف المنسوب إلى بني مداس، كان–رحمه الله– عالما فقيها لغويا نحويا تصريفيا، له حظ في معرفة الصحابة، أحبه أسكيا فقربه إليه وجعله مستشارا، ويعتبر هذا الفقيه من العلماء الذين رافقوا أسكيا إلى الحج عام 902 هجرية، وبعد رجع إلى السودان، توفي خلال القرن العاشر. والله أعلم."107"

---

104 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
105 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
106 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
107 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71

109- الفقيه محمد تننك:

هو الفقيه محمد تننك، كان–رحمه الله– عالما فقيها، أحبه أسكيا فقربه إليه، رافق أسكيا إلى الحج عام 902 هجرية، وبعد الحج رجع إلى السودان، توفي خلال القرن العاشر. والله أعلم."108"

110- الفقيه ألفا محمد بن المدان:

هو الفقيه محمد بن المدان، كان–رحمه الله– عالما فقيها، عاش خلال القرن العاشر الهجري. والله أعلم."109"

111- الشيخ محمد تكاد:

هو الشيخ الفقيه محمد تكاد بن مور محمد بن عبد الكريم فوفانا، كان–رحمه الله– عالما فقيها، عاش خلال القرن التاسع الهجري. والله أعلم."110"

112- الشيخ محمد باب بن يوسف:

هو الفقيه الشيخ محمد باب بن يوسف، كان–رحمه الله– عالما فقيها، عاش خلال القرن التاسع الهجري. والله اعلم."111"

113- الشيخ محمد بن علي درام:

هو الشيخ الفقيه محمد بن علي درام، كان–رحمه الله– عالما فقيها، عاش خلال القرن العاشر الهجري. والله اعلم."112"

114- الفقيه محمد الأمين بن القاضي محمود:

هو الفقيه القاضي محمد الأمين بن القاضي محمود كعت، كان–رحمه الله– عالما فقيها، عاش خلال القرن العاشر الهجري. والله أعلم."113"

---

108 – يراجع السعدي ص: 58–60 / فتح الشكور ص: 71
109 – يراجع السعدي ص: 58–60 / فتح الشكور ص: 71
110 – يراجع السعدي ص: 58–60 / فتح الشكور ص: 71
111 – يراجع السعدي ص: 58–60 / فتح الشكور ص: 71
112 – يراجع السعدي ص: 58–60 / فتح الشكور ص: 71
113 – يراجع السعدي ص: 58–60 / فتح الشكور ص: 71

115- الفقيه الخطيب محمد جغيت:

هو الفقيه الخطيب محمد جغيت، كان-رحمه الله- عالما فقيها خطيبا قاضيا، عينه أسكيا داود قاضيا وخطيبا على مدينة غاو، وظل فيهما إلى أن وافته المنية خلال القرن العاشر الهجري. والله أعلم."114"

116- الفقيه محمد بن عثمان 970هـ

هو الفقيه محمد بن عثمان، كان-رحمه الله- عالما فقيها، توفي يوم الأربعاء التاسع عشر من ربيع الثاني سنة سبعين وتسعمائة هجرية."115"

117- الفقيه الخطيب محمد سيسى 974 هـ

هو الشيخ الفقيه المبارك عمدة المسلمين، الخطيب محمد سيسى، كان-رحمه الله- عالما فقيها خطيبا في غاو، توفي يوم السبت الثامن عشر من ربيع الثاني، العام الرابع والسبعين بعد تسعمائة هجرية."116"

118- الفقيه محمد الأمين:

هو الفقيه الزاهد محمد الأمين بن القاضي محمد، كان-رحمه الله- عالما فقيها زاهدا، عينه القاضي محمد بن محمود أقيت إماما، فرفضت أمه أن يتولاها، توفي خلال القرن العاشر أو الحادي عشر. والله أعلم."117"

119- الفقيه محمد الأمين بن القاضي محمد بن محمود أقيت 1002هـ

هو الفقيه محمد الأمين بن القاضي محمد بن محمود بن عمر بن محمد أقيت، كان-رحمه الله- عالما فقيها، قتله الرماة مع الذين أسروا يوم الواقعة عام 1002 هجرية."118"

114 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
115 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
116 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
117 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
118 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71

120- الفقيه القاضي محمد بن أحمد 1002هـ

هو الفقيه القاضي محمد بن أحمد بن عبد الرحمن، كان- رحمه الله- عالما فقيها قاضيا تقيا صوفيا، توفي سنة 1002 هجرية."[119]"

121- الفقيه محمد بن القاضي العاقب 1005 هـ

هو الفقيه محمد بن القاضي العاقب، كان- رحمه الله- عالما فقيها وليا صالحا، توفي سنة خمس وألف هجرية."[120]"

122- الفقيه القاضي محمد الأمين بن القاضي محمد 1020هـ

هو الفقيه محمد الأمين بن القاضي محمد، كان-رحمه الله- عالما فقيها علامة فهامة دراكة، توفي عام 1020 هجرية."[121]"

123- الفقيه محمد بن بدر 1037 هـ

هو الفقيه الفاضل النافع محمد بن بدر بن حمود الفزاني، كان-رحمه الله- عالما فقيها فاضلا، توفي يوم السابع والعشرين من رمضان العام السابع والثلاثين وألف."[122]"

124- الفقيه الفاضل محمد سنب 1052 هـ

هو أبو عبد الله القاضي محمد سنب بن القاضي محمد جم بن الفقيه سنب مريم قاضي ماسنة، كان-رحمه الله- عالما فقيها نافعا فاضلا قاضيا في ماسنة، توفي ليلة السبت الثانية عشر من شوال، العام الثاني والخمسين بعد ألف."[123]"

125- الفقيه محمد بن محمد بن أبي بكر 1067 هـ

هو الفقيه محمد بن محمد بن أبي بكر صادق ، جد مؤلف تذكرة النسيان، كان- رحمه الله- عالما فقيها، توفي في أواخر العام السابع والستين بعد ألف."[124]"

119 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
120 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
121 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
122 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
123 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
124 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71

126- الفقيه سيدي محمد بن الوافي 1121 هـ

هو الفقيه سيدي محمد بن الوافي بن طالبنا بن السيد الفاضل الولي الصالح سيد أحمد أغاد، كان-رحمه الله- عالما فقيها، توفي يوم الحادي عشر من شعبان العام الحادي والعشرين ومائة بعد ألف."125"

127- الفقيه القاضي محمد قنبل 1122 هـ

هو الفقيه القاضي محمد بن محمود قنبل، كان-رحمه الله- عالما فقيها، عين قاضيا على مدينة تندرما، وظل فيها إلى أن وافته المنية اليوم التاسع من شوال ، العام الثاني والعشرين ومائة بعد ألف."126"

128- ألفع محمد صنو الإمام علي 1156 هـ

هو الفع محمد صنو الإمام علي بن الإمام ببكر الكبير، كان- رحمه الله- عالما فقيها، توفي ليلة الأحد، السابع من شهر جمادى الأولى العام السادس والخمسين ومائة بعد ألف. "127"

129- الفقيه محمد بن المختار:

هو الشيخ الفقيه محمد بن المختار، الملقب بمحمد بن كرتم، كان- رحمه الله- عالما فقيها، عاش خلال القرن العاشر والحادي عشر الهجريين. والله أعلم."128"

130- الفقيه محمد بن المصطفى:

هو الفقيه محمد بن الإمام المصطفى بن أحمد بن القاضي محمود بن أبي بكر بغيغ الونكري-ابن أخ الفقيه محمد بغيغ بن الفقيه أحمد الونكري- كان-رحمه الله- عالما فقيها، عاش خلال القرن الحادي عشر. والله أعلم."129"

---

125 – يراجع السعدي ص: 60-58 / فتح الشكور ص: 71
126 – يراجع السعدي ص: 60-58 / فتح الشكور ص: 71
127 – يراجع السعدي ص: 60-58 / فتح الشكور ص: 71
128 – يراجع السعدي ص: 60-58 / فتح الشكور ص: 71
129 – يراجع السعدي ص: 60-58 / فتح الشكور ص: 71

131- الفقيه محمد بغيغ بن إبراهيم:

هو الفقيه محمد بغيغ بن العلامة أبي إسحاق الفقيه الإمام إبراهيم ابن أحمد بن محمود بغيغ الونكري، كان–رحمه الله– عالما فقيها، عاش خلال القرن الحادي عشر. والله أعلم."130"

132- الفقيه محمد بن عبد اللّه:

هو الفقيه محمد بن سعدي بن عبد الله بن عمران بن عامر السعدي–أخ السعدي– كان–رحمه الله– عالما فقيها، توفي خلال القرن الحادي عشر والثاني عشر. والله أعلم."131"

133- الفقيه محمد السنوسي 1209 هـ

هو الفقيه محمد السنوسي بن أحمد زنغ، كان–رحمه الله– عالما فقيها، توفي في شهر رجب، العام التاسع ومائتين وألف."132"

134- الفقيه محمد بن الأمين:

هو الفقيه محمد الأمين بن محمد آي السوقي، كان–رحمه الله– عالما فقيها، عاش خلال القرن الثالث عشر الهجري. والله أعلم."133"

135- الفقيه محمد بن محمد بن مالك:

هو الفقيه محمد بن محمد بن مالك الفلاني، كان–رحمه الله– عالما فقيها، عاش خلال القرن الثالث عشر. والله أعلم."134"

136- الفقيه محمد المختار:

هو الفقيه محمد المختار بن محمد بن إبراهيم بن أحمد الكلسوكي، كان–رحمه الله– عالما فقيها، عاش خلال القرن الثالث عشر الهجري. والله أعلم."135"

---

130 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
131 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
132 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
133 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
134 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
135 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71

ب- من اسمه محمود:

137- الفقيه القاضي محمود يدبغ:

هو الفقيه القاضي محمود يدبغ، كان-رحمه الله- عالما فقيها مستشارا لأسكيا الحاج الكبير، رافقه إلى الحج عام 902، توفي خلال القرن العاشر. والله أعلم."136"

138- الفقيه محمود بن محمود:

هو الشيخ الفقيه محمود بن محمود، كان-رحمه الله- عالما فقيها، درس عليه صاحب تاريخ الفتاش، توفي خلال القرن العاشر الهجري. والله أعلم."137"

139- الفقيه محمود كعت بن علي بن زياد 1058 هـ

هو الفقيه محمود كعت بن علي بن زياد، كان-رحمه الله- عالما فقيها، توفي ليلة الثلاثاء السابعة عشر من شوال، العام الثامن والخمسين وألف، ودفن في بينا."138"

140- الفقيه محمود بن الأمين بن أحمد:

هو الفقيه محمود بن العالم العلامة الأمين بن أحمد بن محمد بن محمد بن تاشفين الوداني، كان-رحمه الله- عالما فقيها، تولى إمامة مسجد جامع الهنا بعد وفاة الإمام بابلا طواج، وظل فيها إلى أن توفي خلال القرن 12. والله أعلم."139"

141- الفقيه محمود بن الشيخ 1179 هـ:

هو الفقيه الإمام محمود بن الشيخ محمد، إمام جامع الجزول في الفجر، كان-رحمه الله- عالما فقيها ظل في الإمامة إلى أن وافته المنية يوم الأربعاء عشرين من شعبان، العام التاسع والسبعين ومائة وألف هجرية."140"

---

136 - يراجع السعدي ص: 60-58 / فتح الشكور ص: 71
137 - يراجع السعدي ص: 60-58 / فتح الشكور ص: 71
138 - يراجع السعدي ص: 60-58 / فتح الشكور ص: 71
139 - يراجع السعدي ص: 60-58 / فتح الشكور ص: 71
140 - يراجع السعدي ص: 60-58 / فتح الشكور ص: 71

142- الفقيه القاضي محمود بن القاضي أحمد 1179هـ:

هو الفقيه القاضي محمود بن القاضي أحمد، كان-رحمه الله- عالما فقيها قاضيا، تولى القضاء بعد وفاة أخيه بابير عام 1169 بأمر القائد علي بن عبد الرؤوف باش، ومكث في القضاء تسعة أعوام، وتوفي العام الثامن والسبعين ومائة وألف أو العام التاسع والسبعين ومائة وألف. والله أعلم."141"

ج- بقية الأسماء من حرف الميم:

143- الفقيه المختار بن عمر 968هـ

هو الفقيه المختار بن عمر، كان-رحمه الله- عالما فقيها، توفي العام الثامن والستين وتسعمائة هجرية."142"

144- الفقيه مسر اندغمحمد:

هو الفقيه مسر اندغمحمد، كان-رحمه الله- عالما فقيها، عاش خلال القرن العاشر الهجري. والله أعلم."143"

145- الفقيه المصطفى بن مسر اندعمر 1002هـ

هو الفقيه المصطفى بن الفقيه مسر اندعمر، كان-رحمه الله- عالما فقيها، قتله الرماة مع بعض الأسرى يوم الواقعة عام 1002 هجرية."144"

146- الفقيه السيد منصور الفزاني:

هو الفقيه السيد منصور الفزاني، كان-رحمه الله- عالما فقيها مدرسا، خلف أبا القاسم التواتي في تدريس الأطفال، توفي خلال القرن العاشر. والله أعلم."145"

141 – يراجع السعدي ص: 60-58 / فتح الشكور ص: 71
142 – يراجع السعدي ص: 60-58 / فتح الشكور ص: 71
143 – يراجع السعدي ص: 60-58 / فتح الشكور ص: 71
144 – يراجع السعدي ص: 60-58 / فتح الشكور ص: 71
145 – يراجع السعدي ص: 60-58 / فتح الشكور ص: 71

147- الفقيه مور معمع بن معمك:

هو الفقيه مور معمع بن مور معمك بن الفقيه مور محمد هوكار، كان-رحمه الله- عالما فقيها، عاش خلال القرن العاشر والله أعلم."146"

148- الفقيه القاضي مودب قاسم:

هو الفقيه القاضي مودب قاسم جنكاس، كان-رحمه الله- عالما فقيها، عاش خلال القرن التاسع الهجري. والله أعلم."147"

149- القاضي مودب موسى داب:

هو الفقيه القاضي مودب موسى داب، كان-رحمه الله- عالما فقيها، عينه أهل المخزن قاضيا على جنى بعد وفاة القاضي أحمد الفلالي، وظل فيها إلى أن وافته المنية خلال القرن الحادي عشر. والله أعلم."148"

150- الفقيه مروان بن الفقيه الطالب عبد الله 1229 هـ:

هو الفقيه مروان بن الفقيه الطالب عبد الله، كان-رحمه الله- عالما فقيها، توفي سنة 1229 هجرية."149"

ثانيا/ بقية الحروف:

حرف الواو:

151- الإمام وديعة الله بن عثمان 1164 هـ:

هو الفقيه الإمام وديعة الله بن الإمام عثمان، كان-رحمه الله- عالما فقيها، تولى إمامة جامع القصبة، وبقي فيها إلى أن وافته المنية، العام الرابع والستين ومائة وألف."150"

---

146 – يراجع السعدي ص: 60-58 / فتح الشكور ص: 71
147 – يراجع السعدي ص: 60-58 / فتح الشكور ص: 71
148 – يراجع السعدي ص: 60-58 / فتح الشكور ص: 71
149 – يراجع السعدي ص: 60-58 / فتح الشكور ص: 71
150 – يراجع السعدي ص: 60-58 / فتح الشكور ص: 71

152- الإمام وديعة الله بن الحاج الأمين 1172 :

هو الفقيه الإمام وديعة الله بن الحاج الأمين، كان–رحمه الله– عالما فقيها، تولى إمامة الجامع الكبير بعد وفاة الإمام عتيق عام 1164 ومكث فيها ثمانية أعوام. توفي في شهر رجب، العام الثاني والسبعين ومائة وألف."151"

حرف الياء:

153- الفقيه يوسف كعت:

هو الفقيه يوسف كعت بن ألفا محمود كعت–خال مؤلف تاريخ الفتاش– كان– رحمه الله– عالما فقيها، وكان على قيد الحياة عام996 هجرية، توفي خلال القرن العاشر أو الحادي عشر. والله أعلم."152"

154- الإمام يوسف بن الإمام بوتى 1121هـ :

هو الفع يوسف بن الإمام بوتى، كان–رحمه الله– عالما فقيها، توفي اليوم السابع والعشرين من رجب، العام الحادي والعشرين ومائة وألف."153"

155- الفقيه يحيى بن محمد بن خطار:

هو الفقيه يحيى بن محمد بن خطار الحرطاني الرواني أو الأرواني، كان–رحمه الله– عالما فقيها، عاش خلال القرن الثالث عشر. والله أعلم."154"

---

151 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
152 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
153 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71
154 – يراجع السعدي ص: 60–58 / فتح الشكور ص: 71

الخاتمة

بعد تأمل ونظر وتنقيب في التراث العربي الإسلامي في السودان الغربي خلال عقد من الزمن تأتي هذه الدراسة بتوفيق من الله تعالى كخطوة على الطريق للاهتمام بالدراسات الإسلامية الإفريقية، وفاء للأمانة الملقاة على عاتقنا، وبعثا لماضي الحضارة الإسلامية في المنطقة التي أسهم أسلافنا في بناء صرحها، وإسهاما في بناء الحاضر واستشرافا لمستقبل عزيز لها.

وهذه الدراسة ترصد أهم ملامح الحركة الفقهية في السودان الغربي، التي تعد من أهم جوانب الحضارة الإسلامية في المنطقة التي يفتخر بها المسلمون في إفريقية الغربية.

وهي حركة فقهية نشأت ضعيفة ثم ترعرعت وازدهرت وآتت ثمارا طيبة للمجتمع السوداني ما بين القرنين الثامن والثالث عشر الهجريين.

من خلال هذه الجولة التي قمنا بها في أروقة الحركة الفقيهة في المثلث المشهور السودان الغربي توصلنا إلى عدة نتائج منها:

أن الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية أثرت على نمو الحركة الفقهية وازدهارها في المنطقة. وأن الممالك التي قامت في السودان الغربي ما بين القرنين الثامن والثالث عشر الهجريين، ابتداء من مالي وانتهاء بمملكة ماسنا أودينا، شجعت العلماء وراعت الحركة الفقهية، مما جعلها تطفر طفرة مهمة إلى الأمام.

إن الحركة الفقهية وضعت بذورها في تربة السودان منذ القرون الهجرية الأولى، ثم ترعرعت وبلغت أشدها ونضجت مع مرور الأيام، ثم انتكست مع وصول الاستعمار إلى المنطقة.

إن الحركة الفقهية وإن تعثرت في مسيرتها أحيانا، إلا أنها كانت تشق طريقها إلى الأمام، حتى في أحلك الفترات السياسية في السودان الغربي.

إن سيادة المذهب المالكي في المنطقة جعلت الحركة الفقهية تتأثر بالفقه المالكي، أكثر من غيره، واصطبغت بصبغته. وأن اعتماد القضاء على الفقه المالكي في السودان الغربي أسهم في ترسيخ المذهب المالكي في المنطقة، وفي ازدهار الحركة الفقهية.

إن الحركة الفقهية في السودان الغربي -في أغلب الفترات- والحركة الفقهية في المغرب. وجهان لعملة واحدة من حيث المصادر وأسلوب التدريس، وإن تفاوتتا في بعض الجوانب.

ظهرت في السودان الغربي مراكز علمية كانت بمثابة شموس يسطع نورها في مختلف أرجاء غرب إفريقيا يتجه إليها الطلاب من كل مكان، ولعبت دورا أساسيا في النهضة العلمية وترسيخ الثقافة الإسلامية في المنطقة، ولا تقل دورها عن دور المراكز العلمية في العواصم الإسلامية الأخرى كالقاهرة وبغداد والقيروان وفاس وقرطبة.

إن الحركة الفقهية ساهمت في بروز أسر علمية في السودان ذاع صيتهم في المنطقة كأسرة أقيت وبغيغ واندغ في القرن التاسع والعاشر وأسرة معيا والمجتهد وكعت والسعدي وزنكنو وكورد في القرن الحادي عشر والثاني عشر، وأسرة كداد والسيوطي والكنتين ويركوي تلف في القرن الثاني عشر والثالث عشر الهجريين.

إن الحركة الفقهية قد نشطت كثيرا خلال القرن الثاني عشر والثالث عشر في مجال التوثيق والفتوى نظرا لكثرة المشاكل وقلة الوازع الديني.

تعدد جنسيات العلماء الذين أسهموا في ازدهار الحركة الفقهية في السودان الغربي فمنهم المغاربة والأندلسيون والمشارقة والشناقطة والسودانيون...

تعددت المجادلات أو المناظرات الفقهية خلال القرن الثالث عشر لكثرة الفتاوى في المسائل الفقهية التي تثير الخلاف ولغياب عالم مجمع على علمه وإمامته خلال هذه الفترة وقد خلفت هذه المناظرات كثيرا من الرسائل والمخطوطات الفقهية والعلمية، التي تعبر عن أخلاق العلماء في ذلك الوقت، التي تميزت بصفة عامة بالأدب والاحترام والتقدير والاعتراف بفضل الآخرين ومكانتهم. وجرى بأسلوب علمي رفيع يعكس مستوى ثقافة العصر.

مع أفول نجم الحركة الفقهية في المدن العلمية المشهورة انتقل كثير من رجالها إلى القرى النائية خوفا من الفتن فانتعشت الحركة الفقهية فيها، وبدأت هذه القرى تحل محل المدن العلمية في إيواء الحركة الفقهية وعناصرها. كما أن تقهقر مستواها في السودان الغربي أدى إلى ازدهارها في السودان الأوسط لهجرة الأدمغة إليه.

إن النزاعات المسلحة والفتن التي وقعت في السودان الغربي ما بين القرنين العاشر والثالث عشر قد ذهبت بكثير من الروائع الفكرية، ولم يبق إلا عناوين بعضها، كما أن الفتنة التي وقعت بين الماسنين والحاج عمر من أشد الفتن وقعا على الحركة الفقهية وآثارها ورجالها، حيث احترقت مئات الكتب وقتل مئات العلماء فيها.

لم يقتصر التعليم في غرب إفريقيا على الرجال وحدهم، بل شمل العنصر النسوي أيضا، حيث هناك العديد من النساء اللائي تعلمن وحفظن القرآن ودرسن عدة كتب فقهية وبلغن مرتبة تخولهن أن تصنفن من العلماء، لكن جرت العادة أن لا تذكر أسماؤهن؛ ولهذا همشتهن المصادر التاريخية السودانية. كما أن التعليم كان إجباريا على الذكور والإناث وخاصة في عهد الماسنيين الذين جعلوا محو الأمية ومحاربة الجهل بكل الوسائل شعارا لدولتهم .

كثرت الحلقات العلمية في السودان الغربي وتضاعف عددها خاصة في عهد الماسنيين الذين ما تركوا مدينة ولا قرية إلا جعلوا التعليم فيها إجباريا. كما أن مدة التعليم في هذه الحلقات العلمية ليست مرتبطة بمدة معينة، بل هي مرتبطة باجتهاد الطالب وإتقانه لما يدرسه.

إن الحلقات العلمية تعقد آناء الليل والنهار في أماكن متعددة كالمساجد والمدارس ومنازل العلماء، وقصور الحكام والزوايا.

لم يعرف التعليم في غرب إفريقية تحديد سن معينة للدراسة، بل كل من له الرغبة في الدراسة، له الحق في أخذ العلم في الحلقات العلمية.

إن لفظ مدرسة أو مدارس يطلق على جميع الأماكن التي يتم فيها التدريس، ولا يختص بمكان معين.

إن الحركة الفقهية خلال هذه الفترة ساد عليها طابع الحفظ والتقليد مما جعل التجديد فيها نادر جدا.

إن بعض الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي عرفتها المنطقة جعلت العلماء يهتمون بعلم التوثيق ويسجلون كل المعاملات أو جلها حتى لا تضيع الحقوق.

إن علماء السودان الغربي اهتموا كثيرا بالمختصرات الفقهية وخاصة مختصر خليل الذي وضعوا عليه شروحا وحواشي وتعليقات تعد بالعشرات، وإن لم نقل بالمآت.

إن اعتماد الحركة الفقهية في السودان على أغلب الكتب الفقهية المالكية السائدة في العالم الإسلامي لدليل قوي على تقارب مستواها مع مستويات الحركات الفقهية في العواصم الإسلامية الأخرى.

يختلف المستوى العلمي الذي كان عليه السودان خلال الفترة الممتدة ما بين القرنين العاشر والثالث عشر الهجريين عن الحالة السياسية حيث سمت الحركة العلمية فوق هذه الحالة وبرزت قوية وضاءة.

إن بعض المشاكل التي كانت تحدث بين أفراد المجتمع أسهمت في ازدهار الحركة الفقهية حيث جعلت العلماء يجتهدون في البحث عن الحلول المناسبة لهذه المشاكل. وقد أسهم هذا الاجتهاد في جعل الفقه الإسلامي في المنطقة فقها حيا يواكب تطور المجتمع.

إن الحركة الفقهية قد خلفت آثارا كثيرة في مختلف مجالات الفقه الإسلامي، لكن لا زال جلها -وإن لم نقل كلها- عبارة عن مخطوطات مطمورة تنتظر من يقوم بتحقيقها ونفض الغبار عنها.

إن رجال الحركة الفقهية قد تأثروا بعلمائهم المغاربة من حيث عدم العناية، أو التهيب من الكتابة وتسجيل الجوانب التاريخية وتراجم الرجال، فأدى ذلك إلى ضياع كثير من العلماء وإنتاجاتهم الفقهية.

إن عدم اهتمام علماء المنطقة بتدوين الأحداث والوقائع التاريخية قد يرجع أيضا إلى نظرهم أن ذلك سيؤدي إلى إثارة الفتن وتأجيجها بعد ما انطفأت نيرانها، وهذا في الحقيقة رأي غير صائب حيث أدت هذه الفكرة إلى ضياع حلقات أحداث مهمة في تاريخ المنطقة.

إن بعض رجال الحركة الفقهية قد وصلوا مرتبة عالية في الفقه المالكي ووصل بعضهم درجة الاجتهاد في المذهب مثل أحمد بابا الذي اعترف له أهل زمانه بالعلم، وشيخه محمد بغيغ الذي عد مجدد القرن العاشر في السودان الغربي وغيرهما من العلماء الذين لهم باع طويل في الفقه المالكي.

يعتبر مؤسس الدولة الماسينية من أكثر الملوك تدينا وعلما بالشريعة الإسلامية، كما تعد دولته من أكثر الدول الإسلامية -التي ظهرت في المنطقة- تشبثا بالإسلام وتطبيق تعاليمه وشريعته.

إن ضياع كثير من الآثار الفقهية في أغلب الفترات الممتدة ما بين القرن الثامن و الثالث عشر الهجريين يعرقل سير الباحثين للقيام بدراسة علمية موضوعية رصينة عن الحركة الفقهية، ناهيك عن الحكم لها أو عليها.

إن ما تركه الأسلاف من ثروة فقهية في السودان الغربي يعتبر رصيدا لفقه إسلامي معاصر يمكن الاستعانة به في حل المشاكل واستيعاب قضايا العصر وتلبية حاجات المجتمع الإسلامي في السودان الغربي، إذا أحيوه واعتنوا به.

إن رجال الحركة الفقهية قد حظوا بمكانة رفيعة في المجتمع واحترام كبير لدى الخاصة والعامة، ولقبوا بألقاب تميزهم عن غيرهم واختلف الباحثون في أصول بعض هذه الألقاب.

إن معظم الألقاب التي كانت تطلق على علماء العالم الإسلامي في المناطق الأخرى عرفت في السودان الغربي بالمفهوم نفسه تقريبا مثل مدرس محدث متفنن الحافظ...

إن رجال الحركة الفقهية قد أسند إليهم عدة وظائف رسمية وشبه رسمية كما هو الشأن في المناطق الأخرى في العالم الإسلامي، فقاموا بها خير قيام.

إن رجال الحركة الفقهية قد أسهموا كثيرا في الحياة العامة والخاصة، وكان لهم دور توجيهي وإرشادي كبيرين في المجتمع السوداني. وأنهم لم يكتفوا بتوجيه الناس بأقوالهم فحسب بل شاركوا بأفعالهم في أوجه البر والإحسان، فكانوا قدوة، وشاركوا في الحروب لإعلاء كلمة الله، فأبلوا بلاء حسنا.

إن قاضي القضاة أو قاضي الجماعة يكون غالبا في تنبكت ويعين من طرف السلطان أما قضاة المدن الأخرى فيعينون من طرف قاضي الجماعة بعد استشارة الحاكم وأهل الحل والعقد من المدينة التي يعينون فيها.

إن منصب قاضي القضاة أشبه بمنصب وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية أو بوزير التربية والتعليم في الوقت الحالي حيث يقوم بالإشراف على كل ما يتعلق بالأمور الدينية للدولة كالاهتمام ببناء المساجد والمساجد والمدارس والإشراف على الأوقاف وتوزيع الصدقات على الفقراء ...

إن منصب القضاء -غالبا- لا يسند إلا إلى من تولى منصب الإمامة ومكث فيها مدة من الزمن. وأن القاضي هو الذي يعين الإمام بعض استشارة الحاكم وقبول أهل الحل والعقد في البلد أو القرية المعنية بالأمر.

لعب الحج دورا كبيرا في التقاء علماء غرب افريقية بكبار علماء المشرق والالتقاء والتعارف بينهم، وأن علماء السودان اهتموا كثيرا بالرحلة في طلب العلم لتنويع معارفهم، وحرصوا على طلب الإجازة من جميع الشيوخ الذين أخذوا عنهم مشارقة كانوا أو مغاربة...

من أهم أساليب التقويم في السودان الغربي الامتحان وترشيح الشيخ تلميذه للإقراء في مجلسه والإجازة.

إن المترجمين السودانيين أهملوا كثيرا من العلماء في تراجمهم الذين لهم دور كبير في إرساء قواعد الحركة الفقهية في المنطقة ومشاركة فعالة في ازدهارها.

وقبل أن أودع القلم وأسدل الستار على هذا البحث أقترح ما يلي:

التفكير والعمل جديا للعناية بإحياء التراث العربي الإسلامي في المنطقة، وذلك بإنشاء مركز يهتم بالدراسات العربية الإسلامية الإفريقية في السودان الغربي، يقوم بوضع برامج حديثة للتعليم العربي في المنطقة، والتنسيق بين الجهود المبذولة في هذا المجال وتمويل المشاريع بطريقة منظمة.

تشجيع الدراسات والرسائل العلمية في هذا الميدان مع تيسير سبل البحث فيها.

توجيه الباحثين في الدراسات العليا إلى إعداد دراسات متخصصة في هذا المجال -في شتى الموضوعات- وهو مجال خصب حيث أن هناك بعض الجوانب التي في حاجة إلى الدراسة نذكر منها:

أ -الحركة الفقهية في شمال مالي خلال القرن الثالث عشر والرابع عشر الهجريين.

ب-دور مملكة ماسينا في إحياء السنة وإرساء قواعد الثقافة الإسلامية في المنطقة.

ج- أهم الأسر العلمية في السودان الغربي ومساهمتها في الحضارة الإسلامية.

د- مساهمة الكنتيين في الحركة العلمية في السودان الغربي خلال القرن الثالث عشر والرابع عشر الهجريين... وغيرها من الموضوعات التي تشكل مجالا خصبا للباحثين.

إنشاء صندوق على مستوى الدول الإسلامية يمول التعليم العربي الإسلامي في المنطقة، والذي يعاني من التنافس الشرس للغة الفرنسية والإنجليزية.

العناية بالتعليم الإسلامي في المنطقة الذي تم تضييق الخناق عليه وسد أبواب المستقبل أمامه مما نفر الإقبال عليه.

وأخيرا فلا بد من توجيه الشكر إلى المملكة المغربية المجيدة العريقة - ملكا وحكومة وشعبا- التي أسهمت في تعليمنا وتثقيفنا. وإلى هذه الدار المباركة العامرة التي من تربتها المباركة نبتت بذور هذا البحث.

هذا ما تيسر قطفه من هذا البحث فإن وفقت فيه فمن الله تعالى وفضله، وإن قصرت فيه فذلك مبلغي من العلم.

الله أسأل أن يعلمنا ما ينفعنا وأن ينفعنا بما يعلمنا وأن يهدينا إلى سواء الصراط والمنهج القويم والحمد لله الذي بنعمته تتم به الصالحات.

فهرس الآيات

فهرس الأحاديث

المصادر والمراجع:

أولا- المخطوطات:

أجوبة سيدي المختار الكنتي مخطوط.بمركز155 احمد بابا تحت رقم 3142

أجوبة محمد الصغير الملقب بباب مخطوط.بمركز احمد بابا تحت رقم 5205

أجوبة فقهية للشيخ سيدي عبد الله بن الفق مخطوط.بمركز احمد بابا تحت رقم 5010

أجوبة محمد بن محمود بغيغ مخطوط.بمركز احمد بابا تحت رقم 3865

أجوبة محمد بن محمد بغيغ بن كورد الفلاني مخطوط.بمركز احمد بابا تحت رقم4007

أجوبة محمد سعيد بن محمد بن محمد بغيغ مخطوط.بمركز احمد بابا تحت رقم4910

أجوبة أحمد البكاي الكنتي مخطوط.بمركز احمد بابا تحت رقم 3581

أجوبة محمد بن محمود بن عمر أقيت مخطوط.بمركز احمد بابا تحت رقم 3865

أجوبة محمد بن عمر الغدامسي مخطوط.بمركز احمد بابا تحت رقم 5324

الأجوبة المهمة لمن له بأمور الدين همة للشيخ سيدي المختار الكنتي مخطوط.بمركز احمد بابا تحت رقم 4634

أجوبة الشيخ سيدي المختار الكنتي على بعض الأسئلة الفقهية مخطوط.بمركز احمد بابا تحت رقم 3159

أجوبة فقهية للشيخ محمد الصغير الملقب بباي مخطوط.بمركز احمد بابا تحت رقم5205

أجوبة في مسائل فقهية وصوفية للشيخ سيد المختار الكنتي مخطوط.بمركز احمد بابا تحت رقم 5668

أجوبة للشيخ باي في مسائل مختلفة مخطوط.بمركز احمد بابا تحت رقم 5098

155 – أرمز لمركز أحمد باب التنبكتي بـ م أ ت.

أجوبة في حكم الأموال المأخوذة من المحاربين للمختار بن أحمد الكنتي مخطوط بمركز احمد بابا تحت رقم 1077.

أجوبة نوح بن طاهر الفلاني رقمه في المركز 317

أجوبة على أسئلة فقهية لمحمد بن المختار بن أحمد الكنتي مخطوط بمركز احمد بابا تحت رقم 3142

الأجوبة البرهانية على الأسئلة الأروانية لمحمود بن محمد الصالح الدغوغي مخطوط بمركز احمد بابا تحت رقم 1729.

إرشاد الواقف لمعنى وخصصت نية الحالف لأحمد باب مخطوط بالخزانة الملكية[156] بالمغرب تحت رقم 9615، وفي الخزانة العامة[157] بالمغرب تحت رقم 470 ك

أطيب النزل والقرى للنار المستوفى شروط الجمعة من أهل بير لمحمد الفقيه بن محمد ابن إبراهيم الملقب بحك الكلادي رقمه في مركز أحمد باب 2913

إفهام السامع بمعنى قول خليل في النكاح بالمنافع أو النكت اللوامع في مسألة النكاح بالمنافع لأحمد باب مخطوط ب خ م رقمه 9016 وب خ ع: 470 ك

انفس الأعلاق بفتح الاستغلاق من فهم كلام خليل في درك الصداق لأحمد باب رقمه ب خ م: 9615، 7745، وفي خ.ع: 470 ك.

إيضاح السبيل على توضيح ألفاظ خليل منسوب إلى الإمام محمود السوداني: م أ ت:629

البيان أن الإرسال في الفرص من شعار الروافض لمجد الدين الأنصاري: م أ ت: 5440

البرد الموشى في قطع المطامع والرشى لسيدي المختار الكنتي: م أ ت: 5726

تحرير الكلام فيما ينقضه القضاة والحكام لسعيد بن محمد بغيغ بن محمد كورد الفلاني رقمه في م أ ت: 745

تحفة الزائر في حل ألفاظ ابن عاشر لمحمد إكنن بن محمد البشير السوقي رقمه في م أ ت: 3249

156 – أرمز للخزانة الملكية أو الحسنية بـ خ م أو خ ح.
157 – أركز للخزانة العامة بالمغرب بـ خ ع.

تعليق على المختصر لمحمد بن الأمين رقمه في م أ ت: 624

التلخيص المفيد على رسالة ابن أبي زيد القيرواني لمحمد الأمين بن عبد الوهاب الفلاني رقمه في م أ ت 1119

تنوير القلوب بتكفير الأعمال الصالحة للذنوب لأحمد باب رقمه في خ ع: 1641 د.

تنوير المقالة على كلام صاحب الرسالة للشيخ محمد الأمين بن عبد الوهاب رقمه في م أ ت: 5717

جلب النعمة ودفع النقمة بمجانبة الولاة الظلمة لأحمد باب رقمه في خ ع: 517 د

جواب عن ثلاث أسئلة لأحمد باب: رقمه في م أ ت: 532

جواب في أحكام الهدايا للسلاطين لأحمد البكاي رقمه في م أ ت 912

جواب في الفقه لطالبن بن الوافي رقمه في م أ ت: 2502

الجوهر الثمين في أخبار صحراء الملثمين ومن يجاورهم من السوادين: للشيخ العتيق بن الشيخ سعد الدين مخطوط في مكتبة خاصة

حاشية على المختصر منسوب إلى أحمد بن عمر أقيت رقمه في خ ح: 11236

حدائق الإرشاد والتنبيه على عدم فساد العقد قبل الحكم بفسخ المختلف فيه لمحمد بن بادي الكنتي رقمه في م أ ت: 5216

خبر السوق مخطوط بمركز أحمد باب التمبكتي رقمه: 4604

الخطبة العلية في فضائل شهور البركة الحرمية لعبد الرحمن السيوطي ابن محمد بغيغ رقمه في: م أ ت: 4431

رسالة في أجرة الأطباء للمختار بن أحمد الكنتي رقمه في م أ ت: 3087

رد على فتوى في شأن طلاق إمرأة لمحمد بن المختار الكنتي رقمه في م أ ت: 1189

رسالة أحمد البكاي إلى الحاج عمر رقمه في م أ ت: 5056

رسالة فقهية من محمد الصغير إلى السيد بكت ينصحه فيها بعدم سفك الدماء وغضب أموال الغير رقمه في م أ ت: 2084

رسالة فقهية من أمير المؤمنين أحمد بن محمد إلى قاضي غيرع أحمد: م أ ت: 2007

رسالة فقهية من محمد بوي التنبكتي إلى أمير المؤمنين أحمد: م أ ت: 3659

رسالة فقهية من أمير المؤمنين إلى القاضي سن شرف: م أ ت: 2241

رسالة أمير المؤمنين إلى محمد المختار : م أ ت: 3654

رسالة فقهية من أحمد البكاي إلى الشيخ أحمد أمير ماسنة: م أ ت: 2230

رسالة من الحاج عمر الفوتي إلى أمير المؤمنين أحمد في شأن مبايعة أهل سنسندي رقمه في م أ ت 4207

رسالة فقهية من أحمد البكاي إلى قبائل الفلان: م أ ت: 11

رسالة فقهية من الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار إلى الخليفة الأعظم أحمد لب الفلاني رقمه في م أ ت: 3300

رسالة فقهية إلى أحمد بن محمد بن أبي بكر الماسني لمحمد بن عثمان الكابري رقمه في م أ ت: 5746

رسالة فقهية من الشيخ أحمد البكاي إلى قبائل الفلان في طلب البيعة رقمه في م أ ت: 5728

رسالة من سيدي أحمد الحبيب الأرواني إلى أمير المؤمنين أحمد لب في شأن المدارات التي حاول أهل تنبكت وضعها على أهل أروان م أ ت: 5055

رسالة أحمد البكاي إلى الحاج عمر الفوني رقمه في م أ ت: 506

رسالة فقهية للشيخ سيدي محمد في حقوق النساء رقمه في م أ ت: 3989

رسالة فقهية لهمهم بن محمد الصالح البشير رقمه في م أ ت: 4996

الزند الورى في مسألة تخيير المشتري، أو تعليق على قول خليل في أواخر الخيار وخير المشتري لأحمد باب رقمه في خ م 9615 وفي خ ع: 470 ك

سراج العوام في علم الفرائض لرسالة ابن أبي زيد القيروان لأحمد بن أحمد بن أبي بكر الماسني رقمه في م أ ت: 5392

السعادة الأبدية في التعريف بعلماء تنبكت البهية لمولاي أحمد بابير الأرواني رقمه في: م أ ت: 16، 2752

شرح مختصر خليل منسوب إلى محمد بن عمر أقيت رقمه في خ م: 11574

شرح على المرشد المعين لمحمد إكنن بن محمد رقمه في: م أ ت: 1741

عدة فتاوى لمحمد بن محمد بن عمر أقيت رقمه: 3865

غاية الأمل في تفضيل النية على العمل لأحمد باب رقمه بخزانة تمكروت: 2999

فتاوى الشيخ سيدي المختار بن أحمد رقمها في م أ ت: 3948

فتاوى أحمد باب: م أ ت: 1102، خ ع، 1016

فتاوى أحمد بن أحمد بن عمر أقيت م أ ت: 3925

فتاوى القاضي أحمد بن محمد الأنوكندري م أ ت: 4965

فتاوى محمد بن محمود بن حبيب الله م أ ت: 4940

فتاوى مختار بن أحمد بن أبي بكر الكنتي م أ ت: 4992

فتاوى محمد الطاهر بن أحمد الأنصاري م أ ت: 4875

فتوى في شأن الإقامة مع النصارى لباي م أ ت 3922

فتح الرب اللطيف في تخريج بعض ما في المختصر من الضعيف للقاضي طالبن بن الوافي الأوراني رقمه في م أ ت: 2110

الفتح الرباني في أمثلة فرائض القيرواني للقاضي محمود المولود بن عثمان الجناوي رقمه في م أ ت: 5282

فتح الرزاق في مسألة الشك في الطلاق لأحمد بابا خ ح 9615، خ ع 470 ك

فتوى لمحمد الطاهر الأنصاري في شأن الصلاة على الجنازة م أ ت: 4875

فتوى في شأن أمة لمحمد بن الطاهر بن محمد الأنصاري م أ ت: 4459

فتوى لأحمد بن أحمد بن عمر أقيت في الفرائض م أ ت: 3925

فتوى في المحاربين لمحمد بن محمد بغيغ م أ ت: 4894

فتوى في البيوع لمحمد بن محمد الفلاني م أ ت: 4910

فتوى للقاضي أحمد بن محمد الانوكندري فيمن خطب امرأة ودفع الصداق وشاع الخبر ثم افترسه الأسد رقمها م أ ت: 4966

فتوى في الطلاق للشيخ باي الكنتي م أ ت: 4961

فتوى في النكاح للشيخ باي الكنتي م أ ت: 4967

فتوى لسيدي المختار بن الهيب فيمن صلى في ثوب نجس م أ ت: 5998

فتوى في شأن حيازة الملك لمحمد بن عثمان الكابري م أ ت:19

فتوى في شأن صلاة الجمعة في سنسندي لمحمد بن المختار بن أحمد ابن أحمد الكنتي رقمها في م أ ت: 1201

فتوى في شأن بعض ما عمت به البلوى في السودان الغربي للمختار ابن أحمد الكنتي رقمها في م أ ت: 933

فتوى في شأن زواج البكر للبخاري بن محمد الأمين الكلسوكي: م أ ت: 3076

فتوى في التخبيب للمختار بن أحمد الكنتي: م أ ت: 3354

فتوى في البيوع لمحمد بن أبي بكر بغيغ بن كورد الفلاني: م أ ت: 3760

فتوى في شأن من حالف القاعدة الشرعية في الفتوى لمحمد بن محمود بن أبي بكر بغيغ رقمها في م أ ت: 3898

فتوى في شأن الضمان لطالين بن سنبير الوافي: م أ ت: 4161

فتوى في الناشزة لمحمد الصغير م أ ت: 1873

فتوى في ضمان الوديعة للسالك بن البخاري الجبهي م أ ت: 5667

فتح الصمد في ذكر نبذة من أخلاق شيخنا أمير المؤمنين أحمد بن محمد أمير ماسنا لمحمد بن علي رقمه في م أ ت: 5285

الفرائض الرائعة والأجوبة الفائقة للشيخ باي رقمه في م أ ت: 903

فقه الأعيان في حقائق القرآن والسنة لسيدي المختار الكبيسر رقمه في م أ ت: 2845، 3684

الفوائد الجمة لعبد الرحمن التمنارتي رقمه في خ ع: 3693 د

قصيدة في رثاء أمير المؤمنين أحمد لابن الباتن بن محمد م أ ت: 4859

كتاب الترجمان في تاريخ الصحراء والسودان وبلاد تنبكت وشنجيط وأروان ونبذة من تاريخ الزمان في جميع البلدان للقاضي محمد بن محمود ابن الشيخ بن سيد ببكر بن القاضي الأرواني رقمه في م أ ت: 762

كتاب الفتوح القدسانية بالأجوبة الفلانية للشيخ سيد محمد بن أحمد الوافي رقمه في م أ ت: 3276

كتاب في الحوادث والوفيات التي جرت في تنبكت ما بين: 1748–1880 رقمه في م أ ت: 3315

الكشف والبيان لأصناف مجلوب السودان لأحمد بابا: خ ع: 100 ج

اللؤلؤ المنسوق في كيفية تعاليم أهل السوق لمحمد الحاج بن محمد أحمد السوقي مخطوط بالمركز الإفريقي لإحياء التراث التابع للجامعة الإسلامية بالنيجر رقمه:97

اللمعة في أجوبة المسائل الأربعة في كتب البسملة وما معه لأحمد باب رقمه في م أ ت: 1102

اللمغ في الإشارة لحكم تبغ لأحمد بابا رقمه في خ ح 100، 3627 ز

ما وقع بين الحاج عمر بن سعيد الفوتي وبين أمير ماسنة أحمد بن أحمد للحاج عمر سعيد الفوتي رقمه في م أ ت: 839

مباحث في الحلال المحلل لترك الحرام المحرم لمحمد بن محمد بغيغ رقمه في م أ ت: 728

مجموعة من الوثائق بمركز أحمد بابا رقمها: 5949

مجموع فتاوى محمد بن محمد نغيغ بن كورد الفلاني في شأن إرث الإمامة، وفي الزواج وغير ذلك رقمه في م أ ت: 4007

مجموعة من فتاوى الشيخ سيدي المختار بن أحمد الكنتي م أ ت: 3948

مجموعة من فتاوى محمد بن محمود بن عمر أقيت م أ ت: 3865

مجموع فيه رسائل أحمد البكاي إلى الحاج عمر الفوتي م أ ت: 5056

معاونة الإخوان في معاشرة النسوان للشيخ محمد بن محمد المعروف بتقر الفلاني رقمه في م أ ت: 3933

مكتوب قديم في وفيات علماء بوجبيهة من عام 1193–1271 هـ وفي الحوادث التي جرت بها وعدد الغارات بها رقمه في م أ ت: 3092

مكتوب للشيخ أحمد في حكم بيع الملح بالطعام م أ ت: 5381

مكتوب للشيخ باي في الطهارة وما يتعلق بها م أ ت: 3385

مكتوب لحماد بن إبراهيم الأنصاري في إحياء ليلة المولد والتعريف بالسنة والبدعة رقمه في م أ ت: 5433

مكتوب في اللقيطة لمجد الدين بن المهدي الأنصاري م أ ت: 5439

مكتوب في القبض والإرسال لزين العابدين بن أحمد م أ ت: 5077

منن الرب الجليل ببيان مبهمات خليل لأحمد بابا أرقامه في خ ح 4468، 11226، 4975 م أ ت: 5661

موالاة أولياء الله ومعاداة أعداء الله لمحمد الفقيه بن محمد إبراهيم الملقب بحك الكلادي رقمه في م أ ت: 3391

مكتوب في الفرق بين شهادة المضارع والماضي في البيع والطلاق للشيخ سيدي المختار بن سيدي محمد الكنتي رقمه في م أ ت 4253

نبراس الهداية في دين الحنفية لأبي بكر المختار الزنجوي الكابريرقمه م أ ت: 5730

النمط المسمى الردود على رد كتاب ابن ماياب المطرود لمحمد المختار بن محمد الكنتي رقمه في م أ ت: 590

نازلة في شأن إمرأة تزوجت بعد وضعها من حمل فاسد لمحمد بن أحمد بن محمود بغيغ م أ ت: 1209

نوازل الشيخ باي جمعت في عدة أجزاء أرقامها في م أ ت: 118، 119، 120، 121، 122، 123، 124، 125، 126

نوازل التكرور جمعت في عدة مجلدات أرقامها في م أ ت: 521، 1031

نوازل القصري مخطوط في م أ ت تحت رقم 603، 169

نيل المرام على التمام ببيان حكم الإقدام على الدعاء بما فيه إيهام لأحمد يابا رقمه في المكتبة الوطنية بتونس: 465

هداية الطلاب للشيخ سيدي المختار مخطوط بالخزانة العامة بالمغرب

وثيقة بمركز أحمد يابا تحت رقم 5407

وثيقة بمركز أحمد بابا تحت رقم 5949

وثيقة عتق بمركز أحمد بابا تحت رقم 5407

وثيقة ملكية أراضي زراعية في مكلغنغ رقمها م أ ت: 5712

وثيقة في إحصاء ما نهبه أهل سنكري من أموال عيسى الغدامسى رقمها في م أ ت: 5540.

ثانيا المطبوعات:

أ- ما كتب بالعربية

القرآن الكريم طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الكريم

أبجد العلوم الوسي المرقوم في بيان أحوال العلوم، صديق بن حسن القنوجي، طبعة دار الكتب العلمية بيروت

الأحكام السلطانية في الولايات الدينية: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي الطبعة الثالثة 1393/1973 شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي-مصر

الأحكام السلطانية للقاضي أبي يعلى محمد بن الحسين الفراء، طبعة دار الفكر بيروت لبنان 1414/1994

أحكام القرآن لابن العربي، تحقيق علي محمد البجاوي، الطبعة الثالثة دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان

إحياء علوم الدين للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي، طبعة الدار المصرية اللبنانية

أخبار الأئمة الرستميين لابن الصغير تحقيق وتعليق د. محمد ناصر والأستاذ إبراهيم بحاز طبع بالجزائر 1405/1985

أخبار الزمان ومن أباده الحدثان وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران: أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي الطبعة الأولى 1357/1938 مطبعة عبد المجيد أحمد الحنفي، مصر

الأدب السنغالي العربي: د. سمبا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1978

الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية: سليمان باشا الباروني تحقيق محمد علي الصليبي، طبعة 1407/1987 المطابع العالمية روى- سلطانة عمان

إزالة الريب والشك والتفريط في ذكر المؤلفين من أهل التكرور والصحراء وأهل شنقيط: أحمد بلعراق التكني دراسة وتحقيق وتقديم د. الهادي المبروك الدالي، الطبعة الأولى 2001، الشركة العامة للورق والطباعة، مطابع الوحدة العربية، الرواية.

أسكيا الحاج وإحياء دولة السنغهاي الإسلامية: د. فاي منصور علي، الطبعة الأولى 1997 منشورات كلية الدعوة.

الإسلام في ممالك وإمبراطوريات إفريقيا السوداء: جوان جوزيف ترجمة إلى العربية مختار السويفي. الطبعة الأولى 1984/1404 دار الكتب الإسلامية ودار الكتاب المصري بالقاهرة ودار الكتاب اللبناني ببيروت

الإسلام والمسلمون في غرب إفريقيا د. عبد الرحمن زكي طبعة 1965 مطبعة يوسف

الإسلام والثقافة العربية الإسلامية في إفريقيا د. حسن أحمد محمود الطبعة الثالثة 1986 دار الفكر العربي – القاهرة

الإسلام والمجتمع السوداني: إمبراطورية مالي (1230–1430) أحمد الشكري منشورات المجمع الثقافي 1420/1999 أبو ظبي–الإمارات العربية المتحدة

أشهى العلوم وأطيب الخبر في سيرة الحاج عمر الشيخ موسى كمرا تحقيق وتقديم وتعليق خديم محمد سعيد امباكي وأحمد الشكري الطبعة الأولى 2001 منشورات معهد الدراسات الإفريقية بالرباط المغرب

أعلام الموقعين لابن القيم رتبة وضبطه وخرج أحاديثه محمد عبد السلام إبراهيم، طبعة دار الكتب العلمية بيروت لبنان 1417/1996

إفريقيا تحت أضواء جديدة بافل دافد سن ترجمة جمال م أحمد دار الثقافة للطباعة والنشر.

إفريقيات: نقولا زيادة، الطبعة الأولى 1991، رياض الرايس للكتب والنشر لندن

إفريقيا في ظل الإسلام: نعيم قدام، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق 1961

إفريقيا والثقافة العربية الإسلامية منشورات إيسسكون

ألفية الحديث مع شرحها فتح المغيب للحافظ العراقي الطبعة الثانية 1412/1988 عالم الكتب بيروت – لبنان

إمبراطورية غانة الإسلامية: إبراهيم علي طرخان، لهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر 1390/1970 المكتبة العربية

إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ للإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني الطبعة الثانية 1986/1406 بيروت لبنان

الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس لابن أبي زرع حرره وعلق عليه محمد الهامشي الفيلالي طبعة 1936/1355 المطبعة الوطنية الرباط–المغرب

بداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد تحقيق وتعليق ودراسة الشيخ علي محمد معوض والشيخ أحمد عبد الموجود الطبعة الثانية 2000/1420 دار الكتب العلمية، بيروت

بداية الحكم المغربي في السودان الغربي: محمد الغربي، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر الصفاة–الكويت

برالوا الدين للإمام الحافظ أبي بكر بن الوليد الطَرطوشي تحقيق محمد عبد الحكيم القاضي الطبعة الثانية 1988/1409 مؤسسة الكتب الثقافية

بلاد شنقيط: المنارة... والرباط: الخليل النحوي طبعة 1987 منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم تونس

تاريخ ابن خلدون تحقيق وتنقيح د. علي عبد الواحد وافي الطبعة الثالثة دار النهضة للطبع والنشر الفجالة–القاهرة

تاريخ اليعقوبي طبعة 1960/1379 دار صادر ودار بيروت

تاريخ المغرب الكبير د. السيد عبد العزيز سالم طبعة 1981 دار النهضة العربية–بيروت

تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس للقاضي الفغ محمود كعت/ وقف على طبعه السيد هوداس طبعة 1981 باريس

تاريخ السودان للشيخ عبد الرحمن السعدي وقف على طبعه السيد هوداس طبعة 1981 باريس

تاريخ مولاي قاسم بن مولاي سليمان، طبع مع النص الفرنسي من طرف السيد ميشال أبت بول نشر في باريز 1982

تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج لابن مرحون الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية بيروت–لبنان بدون تاريخ

تحفة الألباب ونخبة الإعجاب: أبو حامد عبد الرحيم بن سليمان الغرناطي تحقيق الدكتور إسماعيل العربي، الطبعة الأولى 1993/1413 منشورات دار الآفاق الجديدة–المغرب

تدريب الراوي في شرح تقريب النووي جلال الدين السيوطي تحقيق وتعليق أحمد عمر هاشم طبعة 1993/1414 دار الكتاب العربي

تذكرة النسيان في أخبار ملوك السودان لمجهول تحقيق هوداس طبعة 1899 باريس

ترتيب المدارك للقاضي عياض: تحقيق وتعليق محمد بن تاويت الطنجي منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية 1965 الرباط–المغرب

التربية الإسلامية: نظمها فلسفتها، تاريخها: د. أحمد شلبي الطبعة السابعة 1982 مكتبة النهضة المصرية

التشريع الجنائي الإسلامي: عبد القادر عودة، الطبعة الرابعة عشر 1997/1418 مؤسسة الرسالة – بيروت

تفسير الخازن المسمى: لباب التأويل في معاني التنزيل لعلاء الدين علي بن محمد الشهير بالخازن الطبعة الثانية 1955/1375 شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي– مصر

الثقافة العربية الإسلامية في الغرب الإفريقي عمر محمد صالح الطبعة الأولى 1993/1413مؤسسة الرسالة

جامع بيان العلم وفضله للإمام المحدث حافظ المغرب أبي عمر ويوسف ابن عبد البر القرطبي دار الكتب العلمية بيروت بدون تاريخ

جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي: عثمان برايما باري الطبعة الأولى 2000/1412 دار الأمين للطباعة

الحركة العلمية والثقافة والإصلاحية في السودان الغربي من 1400–1100 هجرية للأستاذ الدكتور أبو بكر إسماعيل ميغا، الطبعة الأولى 1997/1417 مكتبة التوبة–الرياض–السعودية

الحركة الفقهية في عهد السلطان محمد بن عبد الله العلوي: للأستاذ أحمد الأمين العمراني منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغلب 1966/1417

الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين: د. محمد حجي الطبعة الأولى 1977/1397 مطبعة فضالة/طبعة 1977/1336 مكتبة الطالب – الرباط

حركة التجارة والإسلام والتعليم الإسلامي في غرب إفريقية قبل الاستعمار وأثارها الحضارية: د. مهدي رزق الله أحمد الطبعة الأولى 1998/1419 مطبعة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية

الحضارة الإسلامية بمالي منشورات إيسيسكو 1987/1408

الحياة العلمية في الأندلس في عصر الموحدين للدكتور يوسف علي ابن إبراهيم العريني، الطبعة الأولى 1995/1416 مكتبة الملك عبد العزيز العامة–الرياض

الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس: د. أسعد عبد الله صالح البشري طبعة 1997/1417 منشورات معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي مكة المكرمة

خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر: محمد أمين بن فضل الله المحبى، مكتبة خياط–بيروت لبنان

الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري د. محمود إسماعيل عبد الرزاق الطبعة الثانية 1985/1406 دار الثقافة – الدار البيضاء

الخطابة: أصولها، تاريخها في أزهى عصورها عند العرب الإمام بوزهرة طبعة دار الفكر العربي

الخطط للمقريزية المسماة بالمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار مصر مطبعة النيل 1324

دائرة المعارف الإسلامية المجلد الثاني عشر نقلها إلى اللغة العربية محمد ثابت الفندي وأحمد الشناوي وإبراهيم زكي خورشيد وعبد المجيد بورس

دراسات مغربية في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الإسلامي د.الحبيب الجنحاني، الطبعة الأولى 1980 دار الطليعة للطباعة والنشر لبيروت

دراسة تاريخية للفقه وأصوله: د. مصطفى سعيد الخن، الطبعة الثانية 1404/1984 الشركة المتحدة

الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني طبعة دار الجبل، بيروت

الدعوة الإسلامية في غرب إفريقية وقيام دولة الفلاني د. حسن عيسى عبد الظاهر، الطبعة الأولى 1412/1991 منشورات الزهراء للإعلام العربي

دولة مالي الإسلامية د. إبراهيم علي طرخان، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1973

الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي: حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس: د. محمد عيسى الحريري، الطبعة الثانية 1408/1987 دار القلم-الكويت

الدولة الرستمية (160-296 هـ 777-909 م دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية) بحاز إبراهيم بكير، الطبعة الأولى 1985 مطبعة لافوميك - الجزائر

ديوان شوقي، الطبعة الأولى 1993 دار صادر بيروت لبنان

رحلة ابن بطوطة طبعة 1388/1968 دار التراث - بيروت

الرسول والعلم: د. يوسف القرضاوي، الطبعة الخامسة 1411/1991 مؤسسة الرسالة - بيروت

روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس: أحمد المقري، الطبعة الثانية 1403/1983 المطبعة الملكية-الرباط

رياض النفوس: أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي حققه بشير البكوش وراجعه محمد العروسي المطوي طبعة 1403/1983 دار الغرب الإسلامي - بيروت

سنن أبي داود تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد طبعة المكتبة العصرية صيدا بيروت 1416/1995

سنن الترمذي: تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، الطبعة الثانية 1983/1403 دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت–لبنان

سنن ابن ماجة: تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي طبعة دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع

شجرة النور الزكية في طبقات المالكية للشيخ محمد بن محمد مخلوف طبعة دار الفكر للطباعة والنشر

صبح الأعشى لأبي العياس أحمد القلقشندي طبعة 1913/1331، المطبعة الأميرية–القاهرة

صحيح البخاري الطبعة الثانية 1982/1402 عالم الكتب بيروت

صحيح مسلم بشرح النووي الطبعة الأولى 1930/1349 المطبعة المصرية بالأزهر

صورة لابن حوقل بدون تاريخ ولا مكان الطبع

صور من كفاح المسلمين في إفريقيا الغربية: الحاج عمر الفوتي، حياته وجهاده: أبو بكر خالد با. بدون تاريخ ولا مكان الطبع

العلاقة بين المغرب الأقصى والسودان الغربي في عهد السلطنتين الإسلاميتين مالي وسنغي للشيخ الأمين عوض الله الطبعة الأولى 1979/1398 منشورات دار المجمع العلمي بجدة

علوم الحديث ومصطلحه صبحي الصالح الطبعة الثالثة عشر 1981 دار العلم للملايين بيروت–لبنان

فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور لأبي عبد الله الطالب محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي تحقيق محمد إبراهيم الكتاني ومحمد حجي الطبعة الأولى 1981 دار الغرب الإسلامي بيروت

فتح الباري لابن حجر العسقلاني الطبعة الرابعة 1988/1408 دار إحياء التراث العربي – بيروت

فتوح مصر والمغرب لابن عبد الحكم تحقيق عبد المنعم عامر، طبعة 1961، لجنة البيان العربي – المنيرة

فتوح البلدان للإمام أبي الحسن البلاذري طبعه 1959 مطبعة السعادة مصر

الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي محمد بن الحسن الحجوي التعالبي خرج أحاديثه وعلق عليه عبد العزيز بن عبد الفتاح القارئ المكتبة العلمية - المدينة المنورة 1397/1977

الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية د. حسن الباشا طبعة 1966 دار النهضة العربية - القاهرة

قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث محمد جمال الدين القاسمي: تحقيق محمد بهجة البيطار، تقديم محمد رشيد رضا الطبعة الأولى 1407/1987 دار النفائس - بيروت

قيام دولة المرابطين د. ح سن أحمد محمود ، دار الفكر العربي القاهرة

الكامل في التاريخ لابن الأثير، حققه واعتنى به د. عمر عبد السلام تدمر، الطبعة الأولى 1417/1997 دار الكتاب العربي

كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار لكاتب مراكشي، نشر وتعليق الدكتور سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء 1985

كتاب الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري تحقيق وتعليق جعفر الناصري ومحمد الناصري دار الكتاب - الدار البيضاء 1418/1997

كتاب البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن عذارى المراكشي، الطبعة الثانية 1400/1980 دار الثقافة بيروت - لبنان

كتاب الجغرافيا لأبي الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي، حققه ووضع مقدمته وعلق عليه إسماعيل العربي، الطبعة الأولى 1970 منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر بيروت لبنان

كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار محمد بن عبد المنعم الحميري حققه د.إحسان عباس، مكتبة لبنان- بيروت

كتاب صور الأرض: أبو جعفر محمد بن موسى الخوارزمي، اعتنى بنسخة وتصحيحه هانس فون مريك، طبع بمدينة فينا بمطبعة ادولف هولز هوزن 1926/1345

كتاب طبقات المشاريخ بالمغرب للشيخ أبي العباس أحمد بن سعيد الدرجيني حققه وقم بطبعه إبراهيم طلاي طبعة 1974/1394 مطبعة البحث قسطنطينة – الجزائر

كتاب القبس في شرح موطا مالك بن أنس لابن العربي، دراسة وتحقيق الدكتور محمد بن عبد الله ولد كريم، الطبعة الأولى 1992 دار الغرب الإسلامي – بيروت

كتاب مسالك الممالك لأبي إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الاصطراخي المعروف بالكرخي، الطبعة الثانية 1927 منشورات مؤسسة النصر

كتاب المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار بذيل الأحياء للعلامة زين الدين أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسن العراقي، طبعة الدار المصرية اللبنانية

كتاب المنهاج في ترتيب الحجاج لأبي الوليد الباجي: تحقيق عبد المجيد التركي الطبعة الثانية 1987 دار الغرب الإسلامي

كشف الطنون عن أسامي الكتب والفنون: حاجي خليفة طبعة 1982/1402 دار الفكر – بيروت

كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج: أحمد بابا التنبكتي دراسة وتحقيق الأستاذ محمد مطيع، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب 2000/1421

كنتة الشرقيون: بول مارتي، عربه وعلق عليه ووضع له محلقات محمد محمود ولد ودادي، طبعة 1985، مطبعة زيد بن ثابت – دمشق

لسان العرب للإمام العلامة الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري الطبعة الأولى، دار صادر بيروت

مباحث في المذهب المالكي بالمغرب د. عمر الجيدي، الطبعة الأولى 1993 مطبعة المعارف الجديدة، الرباط

مجموع فتاوى ابن تيمية، جمع وترتيب، المرحوم عبد الرحمن بن محمد قاسم طبعة المكتب التعليمي السعودي بالمغرب

محاضرات في المذهب المالكي في الغرب الإسلامي: د. عمر الجيدي مطبعة النجاح الجديدة – الدار البيضاء 1987

المحرر الوجيز لابن عطية، تحقيق المجلس العلمي بفاس طبعة 1399/1979 منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب

مختصر صحيح مسلم للحافظ زكي الدين عبد العظيم المنذري تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثانية 1412، المكتبة الإسلامية عمان ومكتبة المعارف الرياض

مختصر كتاب البلدان، أبو بكر أحمد بن محمد الهمداني المعروف بابن الفقيه، طبع في مدينة ليدن بمطبع بريل 1302

المختصر الوجيز في علوم الحديث: د. محمد عجاج الدين الخطيب الطبعة الأولى 1421/2000 مؤسسة الرسالة

المدخل لابن الحاج الطبعة الثانية 1397/1977 دار الفكر

المدخل الفقهي العام: مصطفى الزرقا الطبعة التاسعة 1967/1968 دار الفكر

المدخل للتشريع الإسلامي: د. محمد فاروق النبهان الطبعة الثانية 1981 وحالة المطبوعات بالكويت ودار القلم – بيروت

مدرسة الإمام البخاري في المغرب يوسف الكتاني، دار لسان العرب بيروت

المذاهب الفقهية: أبو زهرة دار الفكر العربي – القاهرة

مروج الذهب ومعادن الجواهر للمسعودي، الطبعة الأولى 1385/1965 دار الأندلس–بيروت

مسالك الأبصار في ممالك الأمصار لأحمد بن يحي بن فضل الله العمري تحقيق وتعليق د. مصطفى أبو ضيف أحمد، الطبعة الأولى 1409/1988 توزيع سوشبريس

المسالك والممالك لأبي القاسم عبيد الله بن عبد الله المعروف بابن خراد ذبه طبعة 1889 مكتبة المثنى

مسند الإمام أحمد وبهامشه كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال للمتقي الهندي، طبعة المكتب الإسلامي

مصادر التشريع الإسلامي فيما لا نص فيه عبد الوهاب خلاف الطبعة الثانية 1970 دار العلم للملايين الكويت

معجم البلدان: شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، الطبعة الأولى 1990/1410 دار الكتب العلمية بيروت

المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب لأحمد بن يحي الونشريسي، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف الدكتور محمد حجي طبعة 1981/1401 دار الغرب الإسلامي

معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان للدباغ، المطبعة العربية التونسية 1320

المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب لأبي عبيد البكري، مكتبة المثنى ببغداد

مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم طاش كيرى زاده دار الكتب العلمية بيروت

مقدمة ابن خلدون الطبعة الأولى 1993 دار الكتب العلمية بيروت

مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث للإمام أبي عمرو عثمان الشهروري، الطبعة الأولى 1995/1416 دار الكتب العلمية بيروت

مملكة سنغاي في عهد الاسقين: عبد القادر زبادية الشركة الوطنية للنشر والتوزيع – الجزائر

منهج ذي النظر: شرح منظومة الأثر للسيوطي: محفوظ ابن عبد الله الترمسي، الطبعة الرابعة 1981/1401 دار الفكر

المنهج الفائق والمنهل الرائق والمعنى اللائق بأدب الموثق وأحكام الوثائق لأبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي تحقيق لطيفة الحسن لنيل د د ع بدار الحديث

موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية د.أحمد شلبي الطبعة الأولى 1972/ مكتبة النهضة المصرية – القاهرة

الموسوعة الإفريقية منشورات معهد البحوث والدراسات الإفريقية مايو 1997

نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني عشر: محمد الطيب القادري تحقيق محمد حجي وأحمد توفيق طبعة 1398/1978 دار المغرب للتأليف والنشر والترجمة والنشر.

ندوة الإمام مالك عام 1400/1980 منشورات وزارة الأوقاف بالمغرب

نزهة المشتاق في اختراق الآفاق لأبي عبد الله محمد بن محمد عبد الله المعروف بالإدريسي، مكتبة الثقافة الدينية بورسعيد

نظرية التقعيد الفقهي وأثرها في اختلاف الفقهاء د.محمد الروكي منشورات كلية الآداب بالرباط، الطبعة الأولى 1414/1994 مطبعة النجاح الجديدة–الدار البيضاء

نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي: د. أحمد الريسوني، الطبعة الأولى 1411/1990 منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي

نفح الطيب في غصن رطيب الأندلس لأحمد المقري التلمساني حققه د. إحسان عباس طبعة 1388/1968 دار صادر بيروت لبنان

نيل الابتهاج بتطريز الديباج لأحمد بابا التنبكتي: إشراف وتقديم عبد الحميد الهرامة، الطبعة الأولى 1989 منشورات كلية الدعوة

الوجيز في أصول الفقه: عبد الكريم زيدان الطبعة السابعة 1420/2000 مؤسسة الرسالة بيروت–لبنان

الوسيط في تراجم أدباء شنقيط: أحمد الأمين الشنقيطي، الطبعة الرابعة 1409/1989/ مطبعة المدني، مصر القاهرة

وصف إفريقيا للحسن بن محمد الوزان المعروف بليون الإفريقي ترجمة عن الفرنسية د.محمد حجي ود. محمد الأخضري الطبعة الثانية 1983 دار الغرب الإسلامي

الرسائل العلمية

أحمد التنبكتي وجهوده في الفقه المالكي رسالة لنيل د د ع بدار الحديث إعداد: عبد الرحمان ميكا إشراف: الدكتور محمد الروكي العام الجامعي 1999–2000

الحركة العلمية في مدينة تنبكت خلال القرن التاسع والعاشر الهجريين، إعداد: عبد الرحمان ميكا إشراف د. سعيد بوركبة العام الجامعي 1995– 1996

الحياة العلمية في دولة صنغاي: رسالة الماجستير أعدها محمد الفاجالو جامعة أم القرى بمكة

مساهمة في دراسة تاريخ الحياة الدينية في السودان الغربي خلال العصر الوسيط رسالة لنيل د د ع بكلية الآداب بفاس إعداد سامي سعيد

المجلات والدوريات

حوليات الجامعة الإسلامية بالنيجر العدد الأول 1995/1416 والعدد الثاني 1995/1417

المجلة التاريخية المغربية العدد الثامن، 8 يناير 1977 تونس

مجلة جامعة الملك عبد العزيز المجلد الخامس 1992/1412

مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بالإحساء العدد الأول 1402/1401 السنة الأولى

مجلة العربي عدد 244 ربيع الثاني 1399/مارس 1979

ب- ما كتب باللغة الأجنبية

L'empire peul du Macina. A.H.BA et j. Daget Paris, Mouton et Cola HAYE

Une empire au XIXe siècle : la Dina du Massina : Bintou Sanan KOUA, Kartala ACCT édition 1990

Haut-Senegal-Niger, Maurice de la Fosse G.P Maison-Neuve et la rose. Paris 1972

Histoire de l'Afrique Noire d'hier à Demain : Joseph H.Ki-Zerbo, librairie Hatier Paris, 1972

Histoire générale de l'Afrique volume III et V édition UNESCO

Histoire de l'Islamisation de l'Afrique de l'Ouest Joseph Cuoq, 1984 librairie orientaliste Paul Jenthner, Paris

Islam et Sociétés, Soudanaises au moyen age : Jean-Louis Triaud 1973 nouvelles presses parisiennes 29, Rue du Soleil 75020 Paris

Histoire de l'Afrique Occidental : moyen age et temps moderne : Sekne-Mody Cissoko

Le Soudan occidental : au temps des grands empires XI-IXVIeme siècle : Djibril TAM SIR. Présence Africaine, Paris 1975

Social history of Tinbuktu : The role of Muslum Scholars and notables 1400-1900 : ELIAS.N.SAAD, Cambridge University press

Tombouctou la mystérieuse: Felix Du bois, édition du Figaro librairie E. . .Flammarion , Paris, 1897

فهرس الموضوعات

الفهارس